عقيدة المسلم

في ضوء الكتاب والسُّـــنَّة

المفهوم، والفضائل، والمعنى، والمقتضى، والأركان، والشروط، والنواقص، والنواقض

تأليف الفقير إلى الله تعالى

د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني

2−1

1- عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة

ح مركز الدعوة والإرشاد بالقصب، 1431هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.

القحطاني، سعيد بن علي بن وهف

أركان الإسلام./ سعيد بن علي بن وهف القحطاني – القصب، 1431هـ

5 مج.

ردمك: 978-603-90179-0-5 (مجموعة)

978-603-90179-1-2 (ج1)

(خمسة أجزاء في صندوق واحد)

1- الإسلام 2- العبادات (فقه إسلامي) 3- التربية الإسلامية.

أ. العنوان

ديوي 252   1431/4396

رقم الإيداع: 1431/4396

ردمك: 978-603-90179-0-5 (مجموعة)

978-603-90179-1-2 (ج1)

الطبعة الأولى: جمادى الآخرة 1429هـ-2009م

الطبعة الثانية: ذو القعدة 1430هـ-2009م

الطبعة الثانية: شوال 1431هـ- 2010م

حقوق الطبع محفوظة

إلا لمن أراد طبعه، وتوزيعه مجاناً، بدون حذف، أو إضافة، أو تغيير، فله ذلك، وجزاه الله خيراً.. بشرط أن يكتب على الغلاف الخارجي

وقف لله تعالى

عقيدة المسلم

في ضوء الكتاب والسُّــنَّة

المفهوم، والفضائل، والمعنى، والمقتضى، والأركان، والشروط، والنواقص، والنواقض

تأليف الفقير إلى الله تعالى

د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني

الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً. أما بعد:

فهذا كتاب في: ((**عقيدة المسلم**))، بيَّنت فيه كل ما يحتاجه المسلم من العقدية الصحيحة، وما يقوِّيها، ويزيدها رسوخاً في النفوس، وأوضحت ما يضاد وينقض هذه العقيدة، وما يضعفها، وينقصها في النفوس، وقرنت ذلك بالأدلة من الكتاب والسنة، فما كان من صواب فمن الله الواحد المنَّان، وما كان من خطأ أو تقصير، فمني ومن الشيطان، والله تعالى بريء منه ورسوله ﷺ (1).

وقد استفدت كثيرا من شيخنا الإمام عبد العزيز بن عبد الله ابن باز رحمه الله، ورفع منزلته، ومن غيره من المحققين الراسخين في العلم، كشيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه الإمام ابن القيم، وأئمة الدعوة السلفية،كشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، ومن سار على نهجهم، كالعلامة الجهبذ عبد الرحمن بن ناصر السعدي،وتلميذه العلامة محمد بن صالح العثيمين،واستفدت كثيراً في الحكم على الأحاديث من العلامة المحدث الشامي محمد ناصر الدين الألباني،رحمة الله عليهم جميعاً،وغفر لهم.

وقد كان أصل هذا الكتاب رسائل نشرت بين الناس في موضوعات عدة في العقيدة، فرأيت أن من المناسب أن تُضمّ هذه الرسائل في كتاب واحد على النحو الآتي:

الرسالة الأولى: العروة الوثقى:شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله

الرسالة الثانية: بيان عقيدة أهل السنة والجماعة ولزوم اتباعها

---

(1) اقتداء بما قاله عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. أخرجه أبو داود، كتاب النكاح، باب فيمن تزوج ولم يسمِّ صداقاً حتى مات، برقم 2116، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، 2/ 397، وانظر: كتاب الروح، لابن القيم، ص 30.

الرسالة الثالثة: اعتقاد الفرقة الناجية في الإيمان، وأسماء الله وصفاته[1]

الرسالة الرابعة: شرح أسماء الله الحسنى

الرسالة الخامسة: الفوز العظيم والخسران المبين

الرسالة السادسة: النور والظلمات في الكتاب والسنة

الرسالة السابعة: نور التوحيد وظلمات الشرك

الرسالة الثامنة: نور الإخلاص وظلمات إرادة الدنيا بعمل الآخرة

الرسالة التاسعة: نور الإسلام وظلمات الكفر

الرسالة العاشرة: نور الإيمان وظلمات النفاق

الرسالة الحادية عشرة: نور السنة وظلمات البدعة

الرسالة الثانية عشرة: قضية التكفير بين أهل السنة وفرق الضلال

الرسالة الثالثة عشرة: تبريد حرارة المصيبة

الرسالة الرابعة عشرة: الاعتصام بالكتاب والسنة

وأسأل الله أن يجعل هذا العمل القليل مباركاً، نافعاً، خالصاً لوجهه الكريم، مقرِّباً: لمؤلفه، وقارئه، وطابعه، وناشره من الفردوس الأعلى أعلى جنات النعيم، وأن ينفعني به في حياتي وبعد مماتي، وأن ينفع به كل من انتهى إليه؛ فإنه سميع، قريب، مجيب، أكرم مأمول، وخير مسؤول، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده، ورسوله الأمين، محمد بن عبد الله، وعلى آله، وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أبو عبد الرحمن

سعيد بن علي بن وهف القحطاني

حرر ضحى يوم الإثنين من شهر صفر 1429/2/18هـ

---

(1) وهذه الرسالة عبارة عن شرح ميسر للعقيدة الواسطية، وقد نشرت بعنوان: ((شرح العقيدة الواسطية)) في رسالة لطيفة.

الرسالة الأولى: العروة الوثقى: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله

الفصل الأول: تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله

المبحث الأول: مكانة ومنزلة لا إله إلا الله

لا إله إلا الله: كلمةٌ قامت بها الأرضُ والسموات، وخُلقت لأجلها جميع المخلوقات، قال تعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ** ﴾[1]، [ومن أجلها خلقت الدنيا والآخرة]، وبها أرسل الله رسلَهُ، وأنزل كتبه، وشرع شرائعه؛قال الله تعالى:﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾ [2]؛ ولأجلها نصبت الموازين، ووضعت الدواوين، وقام سوق الجنة والنار، وبها انقسمت الخليقة إلى المؤمنين والكفار، والأبرار والفجار، [وفي شأنها تكون الشقاوة والسعادة، فهي منشأ الخلق والأمر، والثواب والعقاب [وبها تؤخذ الكتب باليمين أو الشمال، ويثقل الميزان أو يخف، وبها النجاة من النار بعد الورود، وبعدم التزامها البقاء في النار] وهي الحقُّ الذي خلقت له الخليقة، [وبها أخذ الله الميثاق] وعنها وعن حقوقها السؤال والحساب [يوم التلاق]، وعليها يقع الثواب والعقاب، وعليها نُصبتِ القِبلةُ، وعليها أُسِّسَتِ الملةُ؛ وهي حقُّ الله على جميع العباد، قال ﷺ: ((**... حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً**))[3]، [وهي أعظم نعمة أنعم الله بها على عباده المؤمنين إذ هداهم إليها]، فهي كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام، وبها يُعصم الدم والمال، ومن أجلها جُرِّدت سيوف الجهاد، قال ﷺ: ((**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءَهم وأموالهم، إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله**))[4]، وهي أول ما يجب أن يُدعى

---

(1) سورة الذاريات، الآية: 56 .

(2) سورة الأنبياء، الآية: 25 .

(3) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب اسم الفرس والحمار، رقم 2856 ، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، رقم 30 .

(4) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان،باب ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ ﴾، برقم 25، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، برقم 22.

إليه. قال ﷺ لمعاذ حينما بعثه إلى اليمن: ((**إنّك تَقْدَمُ على قومٍ أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله**)) وفي رواية: ((**فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله..**))[1].

[وهي أصل الدين وأساسه، ورأس أمره وساق شجرته، وعمود فسطاطه، قال ﷺ: ((**بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت**))[2]، وهي العروة الوثقى، وهي كلمة الحق، وكلمة التقوى، وهي القول الثابت، والكلمة الطيبة، وأعظم الحسنات]، وشهادة الحق، وكلمة الإخلاص، ودعوة الحق، وأفضل الذكر، وأفضل ما قاله النبيون، وهي أفضل الأعمال، وتعدل عتق الرقاب، وتفتح لقائلها أبواب الجنة الثمانية، وهي الكلمة العظيمة التي عنها يُسأل الأولون والآخرون فلا تزول قدما العبد بين يدي الله حتى يُسأل عن مسألتين: **ماذا كنتم تعبدون؟وماذا أجبتم المرسلين؟**فجواب الأولى:بتحقيق ((**لا إله إلا الله**)) : معرفةً، وإقراراً وعملاً، وجواب الثانية: ((**أن محمداً رسول الله**)): معرفةً، وإقراراً، وانقياداً، وطاعة[3]؛ لأنه عبد الله ورسوله، وأمينه على وحيه، وخيرته من خلقه، وسفيره بينه وبين عباده، المبعوث بالدين القويم، والمنهج المستقيم، أرسله الله رحمة للعالمين، وإماماً للمتقين، وحجة على الخلائق أجمعين، فهدى الله به إلى أقوم الطرق وأوضح السبل، [وفتح به أعيناً عُمياً، وقلوباً غلفاً، وآذاناً صماً، وافترض على العباد طاعته، ونصرته وإعانته، وتوقيره ومحبته، والقيام بحقوقه، وسدَّ الله دون جنته الطرق فلن تفتح لأحد إلا من طريقه، فشرح له صدره، ورفع له ذكره، ووضع عنه وزره، وجعل الذّلة والصَّغار على من خالف أمره، وبحسب متابعته ﷺ تكون الهداية والفلاح والنجاة، فالله سبحانه علق سعادة الدارين بمتابعته، وجعل شقاوة الدارين في مخالفته، فلأتباعه: الهدى والأمن، والفلاح والعزة، والكفاية والنصرة، والولاية والتأييد،

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة،باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، رقم 1458، ومسلم في كتاب الإيمان،باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام،برقم 19.

(2) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب ((دعاؤكم إيمانكم))، رقم 8، ومسلم في كتاب الإيمان، باب أركان الإسلام ودعائمه العظام، برقم 16 .

(3) انظر: زاد المعاد، 34/1، ومعارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي، 2/410-413، وكلمة الإخلاص وتحقيق معناها للحافظ ابن رجب الحنبلي، ص49-51 .

وطيب العيش في الدنيا والآخرة، ولمخالفيه: الذّلةُ والصَّغار، والخوف والضلال، والخذلان والشقاء في الدنيا والآخرة[1].

المبحث الثاني: معنى لا إله إلا الله

معنى ((لا إله إلا الله)): **لا معبود بحق إلا الله**[2] فالحق أن معنى كلمة التوحيد: لا معبود بحق إلا إله واحد، وهو الله وحده لا شريك له، قال الله تعالى: **﴿ شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾**[3]، كما قال تعالى: **﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾**[4]، **﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ ﴾**[5]، **﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾**[6]، **﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾**[7]، **﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾**[8]، **﴿ أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ * لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾**[9]، **﴿ وَإِلَـهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾**[10]، **﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لاَّبْتَغَوْاْ إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً *سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾**[11]، **﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ**

---

(1) زاد المعاد لابن القيم، 1/34-36 بتصرف. وانظر: الشفاء في حقوق المصطفى ﷺ، 3/1 .

(2) انظر: تيسير العزيز الحميد، ص73، وفتح المجيد، ص47، ومعارج القبول، 2/416، وتحفة الإخوان لابن باز، ص23، والأصول الثلاثة وحاشيتها لابن القاسم، ص50، والأصول الثلاثة وحاشيتها لابن عثيمين. انظر فتاوى ابن عثيمين، 6/66 .

(3) سورة آل عمران، الآية: 18 .

(4) سورة الأنبياء، الآية: 25 .

(5) سورة النحل، الآية: 36 .

(6) سورة الزخرف، الآية: 45 .

(7) سورة الحج، الآية: 62 .

(8) سورة المؤمنون، الآية: 91 .

(9) سورة الأنبياء، الآيتان: 21- 22 .

(10) سورة البقرة، الآية: 163 .

(11) سورة الإسراء، الآيتان: 42-43 .

وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1]، ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[2]، ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾[3]، ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَـهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلاَّ غُرُورًا ﴾[4]، ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَـهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[5]، ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لاَ يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُواْ للهِ شُرَكَاءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾[6]، ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴾[7]، ﴿ إِنَّ هَذَا لَـهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ اللهُ وَإِنَّ اللهَ لَـهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[8].

وهذه الآيات السابقة وغيرها من الآيات الكثيرة في كتاب الله تعالى تبيّن أن الله هو المعبود بحق وحده لا شريك له ولا رب

(1) سورة المائدة، الآية: 73 .
(2) سورة آل عمران، الآية: 64 .
(3) سورة الزمر، الآية: 38 .
(4) سورة فاطر، الآية: 40 .
(5) سورة الأحقاف، الآية: 4 .
(6) سورة الرعد، الآية: 16 .
(7) سورة ص، الآيتان: 65- 66 .
(8) سورة آل عمران، الآية: 62 .

سواه، فاتضح أن معنى ((الإله))[1] هو المعبود؛ ولهذا قال قوم هود: ﴿ **قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا** ﴾[2]، ولما قال النبي ﷺ لكفار قريش: ((**يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**))[3]، قالوا: ﴿ **أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَـهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ** ﴾[4]؛لأنهم قد اعتادوا عبادة الأصنام، والأوثان، والأولياء، والأشجار، والقبور، والذبح لهم، والنذر لهم وطلب قضاء الحاجات وتفريج الكروب فاستنكروا هذه الكلمة؛ لأنها تبطل آلهتهم ومعبوداتهم من دون الله تعالى[5].

﴿ **إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَـهُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ** ﴾[6].

فتضمنت كلمة لا إله إلا الله أن ما سوى الله تعالى ليس بإله وأن إلهية ما سواه من أبطل الباطل، وإثباتها أظلم الظلم، فلا يستحق العبادة سواه، كما لا تصلح الإلهية لغيره، فتضمنت هذه الكلمة نفي الإلهية عما سواه، وإثباتها له وحده لا شريك له، وذلك يستلزم الأمر باتخاذه إلهاً واحداً والنهي عن اتخاذ غيره معه إلهاً... وقد دخل في الإلهية جميع أنواع العبادة الصادرة عن تألُّه القلب لله: بالحب والخضوع، والانقياد له وحده لا شريك له[7]؛ لأنه الإله الحق الذي تألهه القلوب: محبةً وإجلالاً، وإنابةً، وإكراماً، وتعظيماً، وذلاً، وخضوعاً، وخوفاً، ورجاءً، وتوكلاً[8]. فيجب إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة: كالدعاء، والخوف، والمحبة، والتوكل، والإنابة، والتوبة، والذبح، والنذر، والسجود، والطواف، والرغبة، والرهبة، والخشوع، والاستعانة، والاستغاثة، والاستعاذة، وجميع أنواع العبادة، وهي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من

---

(1) انظر: تيسير العزيز الحميد، ص73 .
(2) سورة الأعراف، الآية: 70 .
(3) أخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني، برقم 964، والطبراني في معجمه الكبير، برقم 4582، وأحمدفي المسند ، 492/3، 341/4، والحاكم في المستدرك، 15/1، وابن حبان كما في الموارد، (5/ 293- 294، برقم 1683).
(4) سورة ص، الآية: 5 .
(5) انظر: مجموع فتاوى ابن باز، 5/4 .
(6) سورة الصافات، الآيتان: 35-36 .
(7) انظر: تيسير العزيز الحميد، ص73 .
(8) انظر: فتح المجيد، ص46 .

الأقوال، والأعمال الظاهرة والباطنة[1].

فيجب صرف ذلك كله لله وحده لا شريك له، فمن صرف شيئاً مما لا يصلح إلا لله من العبادات لغير الله تعالى فهو مشرك ولو نطق بـ((**لا إله إلا الله**)) إذا لم يعمل بما تقتضيه من التوحيد والإخلاص[2].

المبحث الثالث: أركان لا إله إلا الله

الركن الأول: النفي: وهو نفي الإلهية عن كل ما سوى الله تعالى من جميع المخلوقات كائناً من كان.

الركن الثاني: الإثبات: وهو إثبات الإلهية لله وحده دون كل ما سواه فهو الإله الحق وما سواه من الآلهة باطل[3]، ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ** ﴾[4].

وقد أعرب العلماء كلمة التوحيد ((**لا إله إلا الله**)) فقالوا: ((لا)) نافية للجنس، و((إله)) اسمها مبني على الفتح، وخبرها محذوف تقديره، ((حق)) أي: لا إله حق. إلا الله: استثناء من الخبر المرفوع[5] فـ((لا إله إلا الله)) نافياً لجميع ما يعبد من دون الله، فلا يستحق أن يعبد. ((إلا الله)) مثبتاً العبادة لله وحده فهو الإله المستحق للعبادة، فتقدير خبر ((لا)) بحق هو الذي جاءت به النصوص من الكتاب والسنة.

أما تقديره بـ((موجود)) أو ((معبود)) فقط فهو غلط خلاف الصواب، لكن لو نعت اسم ((لا)) بحق فلا بأس: ويكون التقدير ((لا إله حقاً موجود إلا الله))[6]؛ لأنه يوجد معبودات كثيرة من الأصنام والأضرحة، والقبور وغيرها، ولكن المعبود بحق هو الله وحده،

---

(1) انظر: الأصول الثلاثة لمحمد بن عبد الوهاب وحاشيتها لابن القاسم، ص34 .

(2) انظر: تيسير العزيز الحميد، ص74 .

(3) انظر:فتح المجيد،ص47،وتيسير العزيز الحميد، ص77، ومعنى لا إله إلا الله للعلامة صالح بن فوزان، ص16 .

(4) سورة لقمان، الآية: 30 .

(5) انظر: معنى لا إله إلا الله للعلامة صالح الفوزان، ص16، وحاشية ثلاثة الأصول للعلامة ابن عثيمين ضمن فتاواه، 6/66 .

(6) انظر: معارج القبول، 2/416 .

وما سواه فمعبود بالباطل وعبادته باطلة، وهذا مقتضى ركني لا إله إلا الله[1].

المبحث الرابع: فضل لا إله إلا الله

كلمة التوحيد لها فضائل عظيمة لا يمكن حصرها، من قالها صادقاً من قلبه وعمل بما دلت عليه كانت له السعادة في الدنيا والآخرة، ومن قالها كاذباً حقنت دمه وحفظت عليه ماله في الدنيا وحسابه على الله ﷻ. ومن فضائلها وعظمتها على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي:

1 - عن معاذ ﷺ يرفعه إلى النبي ﷺ: ((**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**))[2].

2 - وعن أنس بن مالك ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يغير إذا طلع الفجر وكان يستمع الأذان فإن سمع أذاناً أمسك وإلا أغار. فسمع رجلاً يقول: الله أكبر الله أكبر، فقال رسول الله ﷺ: ((**على الفطرة**)) ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله. فقال رسول الله ﷺ: ((**خرجت من النار**)) فنظروا فإذا هو راعي مِعْزى[3].

3 - وعن أبي ذر ﷺ قال: قلت يا رسول الله! أوصني. قال: ((**إذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تمحها**)). قال قلت: يا رسول الله! أمن الحسنات لا إله إلا الله؟ قال: ((**هي أفضل الحسنات**))[4].

4 - وعن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ أنَّ نوحاً قال لابنه عند موته: ((**آمرك بلا إله إلا الله فإن السموات السبع والأرضين السبع، لو وضعت في كفة،ووضعت لا إله إلا الله في كفّة،رجحت بهن لا إله إلا الله،ولو أن السموات السبع والأرضين السبع كُنّ**

(1) انظر: معنى لا إله إلا الله للعلامة صالح الفوزان، ص16، وفتاوى ابن عثيمين، 66/6.

(2) أخرجه أبو داود في كتاب الجنائز، باب التلقين، برقم 3116، وأحمد في المسند، 5/ 233 ، 247، والحاكم في المستدرك، 351/1، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي ، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم 6479 .

(3) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب الإمساك عن الإغارة على قوم في دار الكفر إذا سمع فيهم الأذان، برقم 382.

(4) أخرجه أحمد في المسند،169/5،وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة،برقم1373.

حلقة مُبهمة قصمتهن لا إله إلا الله))[1].

5 - وعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: **((قال موسى ﷺ يا رب علمني شيئاً أذكرك به وأدعوك به، قال: يا موسى قل لا إله إلا الله، قال: يا رب كل عبادك يقول هذا. قال: قل لا إله إلا الله. قال: إنما أريد شيئاً تخصني به. قال: يا موسى لو أن السموات السبع [وعامِرَهن غيري] والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله))**[2].

6 - وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **((إن الله سيخلِّص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كلُّ سجلٍ مثل مد البصر ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فقال: إنك لا تُظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفَّةٍ فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء))**[3].

7 - وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **((ما قال عبدٌ لا إله إلا الله قطّ مخلصاً إلا فُتحت له أبوابُ السماء حتى تفضي إلى**

---

(1) أخرجه أحمد في المسند 170/2، و225، والبخاري في الأدب المفرد، برقم 548، والبزار، برقم 2998، و3069، وصححه أحمد شاكر في تحقيق المسند، برقم 6583، والحاكم ووافقه الذهبي 48/1،وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، 5/ 133 ، 142: ((رواه البزار، وأحمد في حديث طويل، تقدم في وصية نوح ﷺ في الوصايا، ورجال أحمد ثقات)).

(2) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء، 8/ 327- 328،والنسائي في عمل اليوم والليلة،برقم 834، و1141، وأبو يعلى في مسنده، برقم 1393، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، 528/1، وابن حبان، برقم 2324 (موارد)، والبغوي في شرح السنة، 54/5، و 55، برقم 1273.

(3) أخرجه الترمذي في كتاب الإيمان، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله، برقم 2639، وابن ماجه، في كتاب الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة برقم 4300، وأحمد، 213/2، وابن حبان كما في الموارد ، برقم 2524، والحاكم في المستدرك، 6/1، وقال: ((صحيح على شرط مسلم))، وفي 1/ 529، وقال: ((هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه))، ووافقه الذهبي. وقال الترمذي: ((هذا حديث حسن غريب)). وقال الألباني في صحيح سنن الترمذي، 3/ 53: ((صحيح)).

العرش ما اجتنبت الكبائر))[1].

8 - وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **((إن من أفضل الدعاء الحمد لله، وأفضل الذكر لا إله إلا الله))**[2].

9 - وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: **((من قال: لا إله إلا الله والله أكبر، لا إله إلا الله وحده، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا إله إلا الله له الملك وله الحمد، لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله. من قالها في مرضه، ثم مات لم تطعمه النار))**[3].

10 - وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال: **((خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير))**[4].

11 - وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: **((من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، كَتَبَ الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورَفع له ألف ألف درجة))**[5].

12 - وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **((من قال: لا**

---

(1) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات، باب دعاء أم سلمة، برقم 3590، وقال: ((هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه))، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم 5648.

(2) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات، باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة، برقم 3383، وابن ماجه في كتاب الأدب، باب فضل الحامدين، برقم 3800، والحاكم في المستدرك، 1/ 503، وقال: ((هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه))، ووافقه الذهبي، وقال أبو عيسى الترمذي: ((هذا حديث حسن غريب))، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، برقم 1104، وفي لصحيحة، برقم 1497.

(3) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات، باب ما يقول العبد إذا مرض، برقم 3430، وابن ماجه في كتاب الأدب، باب فضل لا إله إلا الله، برقم 3794، وأبو يعلى في مسنده، برقم 6153، وقال الترمذي: ((هذا حديث حسن غريب))، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم 713، والصحيحة، برقم 1390.

(4) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات، باب في دعاء يوم عرفة، برقم 3585، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، برقم 3274، والصحيحة، برقم 1503.

(5) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا دخل السوق، برقم 3428، والحاكم،
538/1، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، 411/3، ورواه ابن ماجه، برقم 2235
.

إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحدٌ أفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك))(1).

13 - وعن أبي أيوب الأنصاري ﷺ عن رسول الله ﷺ: **((من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير عشر مرار، كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل))**(2).

14 - وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: **((من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.. عشر مرات حين يصبح كتب الله له بها مائة حسنة، ومحا عنه بها مائة سيئة، وكانت له عدل رقبة، وحُفِظ بها يومئذٍ حتى يمسي ومن قالها مثل ذلك حين يمسي كان له مثل ذلك))**(3).

15 - وعن عُمارة بن شبيب أن رجلاً من الأنصار حدثه أن رسول الله ﷺ قال: **((من قال بعد المغرب أو الصبح [لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويُميتُ، وهو على كل شيء قدير] عشر مرات بعث الله له مَسْلَحَةً**(4) **يحرسونه [من الشيطان] حتى يصبح، ومن حين يصبح حتى يمسي [وكتب له بها عشر حسنات موجبات، ومحي عنه عشر سيئات موبقات، وكانت له كعدل عشر رقاب مؤمنات]))**(5).

16 - وعن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **((من قال**

(1) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، برقم 3293، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، برقم 2691.

(2) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب فضل التهليل، برقم 6404، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة،باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء،برقم 2693.

(3) أخرجه أحمد في مسنده، 2/ 360، والنسائي في عمل اليوم والليلة، برقم 26، وحسن إسناده سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله كما في تحفة الأخيار، ص 44 .

(4) أي: الحرس.

(5) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة، برقم 577، و578، واللفظ من الروايتين، وهو صحيح الإسناد، وجهالة الصحابي لا تضر. انظر: صحيح كتاب الأذكار للنووي، 253/1، برقم
2 182/44، وعمل اليوم والليلة للنسائي بتحقيق د. فاروق حمادة، ص385 .

حين يصبح أو يمسي: اللهم إني أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك، وملائكتك، وجميع خلقك أنك أنت الله لا إله إلا أنت، وحدك لا شريك لك، وأن محمداً عبدك ورسولك، أعتق الله ربعه من النار، فمن قالها مرتين أعتق الله نصفه، ومن قالها ثلاثاً أعتق الله ثلاثة أرباعه، فإن قالها أربعاً أعتقه الله من النار))(1).

ومن فضل الله تعالى أنه لم يحرم عباده الخير والفضل فقد ثبت عن النبي ﷺ أن من قالها إذا أصبح مرة واحدة كان له الفضل الآتي:

17 - عن أبي عياش أن رسول الله ﷺ قال: ((**مَن قال إذا أصبح: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، كانت له عدل رقبة من ولد إسماعيل، وكتب له عشر حسنات، وحُطّ عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، وكان في حرز من الشيطان حتى يمسي، وإن قالها إذا أمسى كان له مثل ذلك حتى يصبح))**(2).

18 - وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال:((**ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء))**(3).

19 - وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: ((**إذا قال المؤذن الله أكبر الله أكبر فقال أحدكم الله أكبر الله أكبر، ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله. قال أشهد أن لا إله إلا الله. ثم قال أشهد أن محمداً رسول الله. قال أشهد أن محمداً رسول الله. ثم قال حي على الصلاة. قال: لا حول ولا قوة إلا بالله. ثم قال حي على**

(1) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، برقم 5069، والبخاري في الأدب المفرد، برقم 1201، والنسائي في عمل اليوم والليلة، برقم 9، ص70، وقال: ((أعتقه الله ذلك اليوم من النار))، وابن السني، برقم 70، وحسن إسناد أبي داود والنسائي سماحة الشيخ ابن باز في تحفة الأخيار، ص23 .

(2) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، برقم 5077، وابن ماجه في كتاب الدعاء، باب ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسى، برقم 3867، وأحمد، 60/4، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، 270/1، وصحيح أبي داود، 957/3، وصحيح ابن ماجه، 331/2 .

(3) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، باب الذكر المستحب عقب الوضوء، برقم 234، وأبو داود في كتاب الطهارة، باب ما يقول الرجل إذا توضأ، برقم 169، 170، والترمذي في الطهارة، باب ما بعد الوضوء، برقم 55.

الفلاح. قال لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال الله أكبر الله أكبر. قال الله أكبر الله أكبر، ثم قال لا إله إلا الله. قال: لا إله إلا الله من قلبه دخل الجنة))[1].

20 - وعن عتبان بن مالك ﷺ يرفعه إلى النبي ﷺ: ((.. **فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله))**[2].

21 - وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: **((من قال حين يسمع المؤذن: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله. رضيت بالله رباً، وبمحمد رسولاً، وبالإسلام ديناً غفر له ذنبه))**[3].

22 - وعن عبد الله بن بريدة الأسلمي عن أبيه قال سمع النبي ﷺ رجلاً يدعو وهو يقول: ((اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت، الأحد، الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد))، فقال: **((والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعيَ به أجاب، وإذا سُئل به أعطى))**[4].

23 - وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **((الإيمان بضع**[5] **وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قولُ لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة**[6] **من**

---

(1) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة،باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يسأل الله له الوسيلة، برقم 385،وأبو داود في الصلاة، باب ما يقول إذا سمع المؤذن،برقم 527،والنسائي في عمل اليوم والليلة،برقم 40.

(2) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب المساجد في البيوت، برقم 425، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب الرخصة في التخلف عن الجماعة لعذر، برقم 33 / 263.

(3) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يسأل الله له الوسيلة، برقم 386.

(4) أخرجه أبو داود في كتاب الوتر، باب الدعاء، برقم 1493، والترمذي في كتاب الدعوات، باب جامع الدعوات عن النبي ﷺ، برقم 3475، وابن ماجه في الدعاء، باب اسم الله الأعظم، برقم 3857، وأحمد في المسند، 360/5، وابن حبان كما في الموارد، برقم 2383، والحاكم في المستدرك، 1/ 504، وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، 3/ 432، وفي صحيح سنن أبي داود، 1/ 410.

(5) بضع: عدد مبهم مقيد بما بين الثلاث إلى التسع. فتح الباري لابن حجر، 51/1 .

(6) شعبة: خصلة. فتح الباري، لابن حجر، 52/1 .

الإيمان))[1].

24 - وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: **((ما من عبد قال: لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة))**[2].

25 - وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **((من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل))** وفي رواية: **((أدخله الله الجنة من أي أبواب الجنة الثمانية شاء))**[3].

26 - قتل أسامة رضي الله عنه رجلاً بعد أن قال لا إله إلا الله، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: **((يا أسامة، قتلته بعد أن قال لا إله إلا الله))**؟ قال: يا رسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح. قال: **((أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا))**؟ وفي رواية: **((كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة))** قال: يا رسول الله استغفر لي، قال: **((وكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة))** فجعل لا يزيده على أن يقول: **((كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة))**؟ قال أسامة رضي الله عنه: فما زال يكررها حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ[4].

وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة، وقد ذكرت منها ستة أحاديث غير هذا في شروط لا إله إلا الله في هذا الكتاب[5].

وهذه الأحاديث دلّت على أن من قال لا إله إلا الله دخل الجنة، ولكن لابد من استكمال شروطها، وأركانها، ومقتضاها، والابتعاد

(1) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب أمور الدين، برقم 9، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان، برقم 35.

(2) أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب الثياب البيض، برقم 5827، ومسلم في كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات مشركاً دخل النار، برقم 94/ 154.

(3) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقِّ ﴾، برقم 3435، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، برقم 28.

(4) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله، برقم 96، وانظر: الحكمة في الدعوة إلى الله، للمؤلف، ص73 .

(5) حديث عثمان في الشرط الأول، وحديث أبي هريرة في الثاني، وحديث معاذ في الخامس، وحديث أبي هريرة في السادس، وحديث أبي مالك في الثامن.

عن نواقضها، فمن أتى بهذه الكلمة وقد سلم من أنواع الظلم الثلاثة: ظلم الشرك، وظلم العباد، وظلم العبد نفسه بالمعاصي فيما دون الشرك فله الأمن التام والهداية التامة، ويدخل الجنة برحمة الله وفضله بغير حساب، ومن جاء بهذه الكلمة وقد نقصها بالذنوب التي لم يتب منها؛ فإن كانت صغائر كُفِّرت باجتناب الكبائر كما في قوله تعالى: ﴿ **إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا** ﴾[1]، وإن كانت كبائر فهو تحت مشيئة الله تعالى إن شاء غفر له وإن شاء عذبه ثم أدخله الجنة[2].

وأحسن ما قيل في هذه الأحاديث ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره: ((إن هذه الأحاديث إنما هي فيمن قالها ومات عليها، كما جاءت مقيدة، وقالها خالصاً من قلبه مستيقناً بها قلبه، غير شاك فيها بصدق ويقين؛ فإن حقيقة التوحيد انجذاب الروح إلى الله جملة، فمن شهد أن لا إله إلا الله خالصاً من قلبه دخل الجنة؛ لأن الإخلاص هو انجذاب القلب إلى الله تعالى بأن يتوب من الذنوب [كلها] توبة نصوحاً فإذا مات على تلك الحال نال ذلك؛ فإنه قد تواترت الأحاديث بأنه يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، وما يزن خردلة، وما يزن ذرة، وتواترت بأن كثيراً ممن يقول: لا إله إلا الله يدخل النار ثم يخرج منها، وتواترت بأن الله حرم على النار أن تأكل أثر السجود من ابن آدم، فهؤلاء كانوا يصلون ويسجدون، وتواترت بأنه يحرم على النار من قال: لا إله إلا الله، ومن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؛ لكن جاءت مقيدة بالقيود الثقال، وأكثر من يقولها لا يعرف الإخلاص ولا اليقين، ومن لا يعرف ذلك يخشى عليه أن يفتن عنها عند الموت فيحال بينه وبينها، وأكثر من يقولها إنما يقولها تقليداً أو عادة ولم يخالط الإيمان بشاشة قلبه، وغالب من يفتن عند الموت وفي القبور أمثال هؤلاء كما في الحديث: ((**سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته**))، وغالب أعمال هؤلاء إنما هي تقليد واقتداء بأمثالهم وهم أقرب الناس من قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ** ﴾[3] وحينئذ فلا منافاة بين الأحاديث فإذا قالها بإخلاص ويقين تام لم يكن في هذه الحال مصراً على ذنب أصلاً؛ فإنَّ كمال إخلاصه ويقينه يوجب أن يكون الله

(1) سورة النساء، الآية: 31 .
(2) انظر: تيسير العزيز الحميد، ص70، و 71 .
(3) سورة الزخرف، الآية: 23 .

أحب إليه من كل شيء، فإذاً لا يبقى في قلبه إرادة لما حرم الله، ولا كراهية لما أمر الله به، وهذا هو الذي يحرم على النار، وإن كانت له ذنوب قبل ذلك، فإنَّ هذا الإيمان وهذه التوبة، وهذا الإخلاص، وهذه المحبة، وهذا اليقين لا يتركون له ذنباً إلا يُمحى كما يُمحى الليل بالنهار[1].

فتبين بذلك أن لا إله إلا الله لابد من استكمال جميع شروطها، وأركانها، ومقتضاها، والابتعاد عن نواقضها، ونواقصها من المعاصي؛ ولهذا قال وهب بن منبه لمن سأله: أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة؛ قال: بلى، ولكن ليس مفتاح إلاَّ وله أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح وإلا لم يفتح[2].

المبحث الخامس: لا إله إلا الله تتضمن جميع أنواع التوحيد

الله ﷻ: هو ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، فإفراده تعالى وحده بالعبادة كلها وإخلاص الدين كله لله هذا هو توحيد الألوهية: وهو معنى (لا إله إلا الله) وهذا التوحيد يتضمن جميع أنواع التوحيد[3] ويستلزمها؛ فإن التوحيد نوعان:

1 - التوحيد الخبري العلمي الاعتقادي: وهو توحيد في المعرفة والإثبات، وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات، وهو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى، وصفاته، وأفعاله، وأسمائه، وتكلمه بكتبه لمن شاء من عباده، وإثبات عموم قضائه، وقدره، وحكمته، وتنزيهه عما لا يليق به.

2 - التوحيد الطلبي القصدي الإرادي: وهو توحيد في الطلب والقصد: وهو توحيد الإلهية أو العبادة[4].

وتكون أنواع التوحيد على التفصيل **ثلاثة أنواع كالآتي:**

النوع الأول: توحيد الربوبية وهو الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى

(1) تيسير العزيز الحميد، ص87، 88 بتصرف يسير.

(2) أخرجه البخاري معلقاً في كتاب الجنائز، بابٌ في الجنائز ومن كان آخر كلامه ((لا إله إلا الله))، 109/3 ((فتح الباري))، انظر: كلمة الإخلاص لابن رجب، ص11.

(3) انظر: تيسير العزيز الحميد، ص74، والقول السديد للسعدي، ص17، وبيان حقيقة التوحيد للعلامة الفوزان، ص20 .

(4) انظر: معارج القبول، 98/1، وفتح المجيد، 17 .

هو الرب المتفرد بالخلق، والملك، والرزق، والتدبير، الذي ربّى جميع خلقه بالنعم،وربى خواص خلقه - وهم الأنبياء وأتباعهم المخلصون - بالعقائد الصحيحة والأخلاق الجميلة، والعلوم النافعة، والأعمال الصالحة، وهذه التربية النافعة للقلوب والأرواح المثمرة لسعادة الدنيا والآخرة.

النوع الثاني: توحيد الأسماء والصفات: وهو الاعتقاد الجازم بأن الله هو المنفرد بالكمال المطلق من جميع الوجوه، وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من جميع الأسماء والصفات، ومعانيها وأحكامها الواردة في الكتاب والسنة على الوجه اللائق بعظمته وجلاله، من غير نفي لشيء منها، ولا تعطيل، ولا تحريف، ولا تمثيل، ولا تكييف. ونفي ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ من النقائص والعيوب، وعن كل ما ينافي كماله.

وتوحيد الربوبية والأسماء والصفات قد وضحه الله في كتابه كما في أول سورة الحديد، وسورة طه، وآخر سورة الحشر، وأول سورة آل عمران، وسورة الإخلاص بكاملها، وغير ذلك[1].

النوع الثالث: توحيد الإلهية، ويقال له: توحيد العبادة، وهو الاعتقاد الجازم - مع العلم والعمل والاعتراف - بأن الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، وإفراده وحده بالعبادة كلها، وإخلاص الدين كله لله، وهو يستلزم توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات ويتضمنهما؛ لأن الألوهية التي هي صفة تعمّ أوصاف الكمال، وجميع أوصاف الربوبية والعظمة؛ فإنه المألوه المعبود لما له من أوصاف العظمة والجلال، ولما أسداه إلى خلقه من الفواضل والإفضال، **فتوحده سبحانه بصفات الكمال، وتفرده بالربوبية، يلزم منه أن لا يستحق العبادة أحد سواه.**

وتوحيد الألوهية هو مقصود دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام من أولهم إلى آخرهم.وهذا النوع قد تضمنته سورة ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ**﴾، و﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن**

(1) انظر: فتح المجيد، ص17، والقول السديد في مقاصد التوحيد لعبد الرحمن السعدي، ص14-17، ومعارج القبول، 99/1 .

تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[1]، وأول سورة السجدة وآخرها، وأول سورة غافر ووسطها وآخرها، وأول سورة الأعراف وآخرها، وغالب سور القرآن. وكل سور القرآن قد تضمنت أنواع التوحيد، **فالقرآن كله من أوله إلى آخره في تقرير أنواع التوحيد؛** لأن القرآن كله:

إما خبر عن الله وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وأقواله، فهذا هو التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي: ((**توحيد الربوبية والأسماء والصفات**)).

وإما دعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له وخلع ما يُعبد من دونه، وهذا هو التوحيد الإرادي الطلبي -((**توحيد الألوهية**))-.

وإما أمر ونهي وإلزام بطاعة الله، وذلك من حقوق التوحيد ومكملاته.

وإما خبر عن إكرام أهل التوحيد وما فعل بهم في الدنيا من النصر والتأييد، وما يكرمهم به في الآخرة، وهو جزاء توحيده سبحانه.

وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في الآخرة من العذاب فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد، فالقرآن كله في التوحيد، وحقوقه، وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم[2].

المبحث السادس: لا إله إلا الله دعوة الرسل عليهم السلام

يجب أن يُبلّغ كل من أشرك بالله تعالى أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام دعوا أقوامهم إلى عبادة الله وحده دون ما سواه، وأن الحجة قد قامت على جميع الأمم، وما من أمة إلا بعث الله فيهم رسولاً، وكلهم يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له[3]؛ قال تعالى: **﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ الله وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى الله وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلاَلَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ**

---

(1) سورة آل عمران، الآية: 64 .

(2) انظر: فتح المجيد، ص17-18،والقول السديد،ص16،ومعارج القبول،98/1 .

(3) انظر:درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية، 344/9،وتفسير ابن كثير،567/2، والسعدي، 202/4، وأضواء البيان للشنقيطي، 268/3 .

فانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾[1]، **﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَاْ فَاعْبُدُونِ ﴾**[2]، وقال تعالى: **﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾** [3].

فبيّن سبحانه في هذه الآيات عن طريق العموم أن جميع الرسل دعوا إلى ((لا إله إلا الله))، وخلع جميع المعبودات من دون الله[4]، وفصَّل ذلك في مواضع أخرى من كتابه، كقوله تعالى: **﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ... ﴾**[5]، **﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ ﴾**[6]، **﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ ﴾**[7]، **﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ ﴾**[8]، **﴿ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾**[9].

وهذا بلاغ مبين من الله لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

المبحث السابع: شروط لا إله إلا الله

وكلمة التوحيد لا تنفع قائلها إلا إذا عُمِلَ بشروطها، فقد كان المنافقون يقولونها وهم في الدرك الأسفل من النار؛ لأنهم لم يؤمنوا بها ولم يعملوا بشروطها، وكذلك اليهود تقولها وهم من أكفر الناس لعدم إيمانهم بها، وهكذا عُبّاد القبور والأولياء من هذه الأمة يقولونها بألسنتهم وهم يخالفونها بأقوالهم، وأفعالهم، وعقيدتهم، فلا

(1) سورة النحل، الآية: 36 .
(2) سورة الأنبياء، الآية: 25 .
(3) سورة الزخرف، الآية: 45 .
(4) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، 268/3 .
(5) سورة الأعراف، الآية: 59 .
(6) سورة الأعراف، الآية: 65 .
(7) سورة الأعراف، الآية: 73 .
(8) سورة الأعراف، الآية: 85 .
(9) سورة المائدة، الآية: 72 .

تنفعهم ولا يكونون بقولها مسلمين؛ لأنهم ناقضوها بأقوالهم، وأعمالهم، وعقائدهم؛ ولهذا ذكر بعض أهل العلم لها سبعة شروط[1] ونظمها بعضهم بقوله:

العلم، واليقين، والقبول والانقياد فادرِ ما أقول

والصدق،والإخلاص، والمحبه وَفّقكَ الله لما أحبه[2]

وقد زاد بعضهم شرطاً ثامناً فقال:

علم، يقين، وإخلاص، وصدقك محبة وانقياد والقبول لها

وزيد ثامنها الكفران منك بما سوى الإله من الأشياء قد أُلِها[3]

وهذان البيتان قد استوفيا جميع شروطها:

الشرط الأول: العلم بمعناها المنافي للجهل وتقدم أن معناها: لا معبود بحق إلا الله تعالى. فجميع الآلهة التي يعبدها الناس سوى الله تعالى كلها باطلة. قال تعالى: ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا الله** ﴾[4]، وقال ﷺ: ((**من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة**))[5].

الشرط الثاني: اليقين المنافي للشك، فلابد في حق قائلها أن يكون على يقين بأن الله تعالى هو المعبود بحق؛ فإن الإيمان لا يغني فيه إلا علم اليقين لا علم الظن أو التوقف والتردد فكيف إذا دخله الشك، قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا** ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ **أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ** ﴾[6].

وقال ﷺ: ((.. **أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاكٍّ فيهما إلا دخل الجنة**))[7]، وقال ﷺ في حديث

(1) انظر: فتح المجيد، ص91 .
(2) معارج القبول للحافظ الحكمي، 418/2 .
(3) تحفة الإخوان بأجوبة مهمة تتعلق بأركان الإسلام، للإمام ابن باز، ص24، والشهادتان للعلامة عبد الله الجبرين، ص77 .
(4) سورة محمد، الآية: 19 .
(5) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان،باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً،برقم 26.
(6) سورة الحجرات، الآية: 15 .
(7) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان،باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً،برقم 27.

طويل لأبي هريرة رضي الله عنه: **((... اذهب بنعليَّ هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبُهُ فبشره بالجنة..))**[1].

فاشترط في دخول قائلها الجنة أن يكون مستيقناً بها قلبه غير شاكٍّ فيها، وإذا انتفى الشرط انتفى المشروط[2]، وقال ابن مسعود رضي الله عنه **((اليقين الإيمان كله والصبر نصف الإيمان))**[3].

ولا شك أن من كان موقناً بمعنى لا إله إلا الله فإن جوارحه تنبعث لعبادة الرب وحده لا شريك له، ولطاعة الرسول ﷺ؛ ولهذا كان ابن مسعود رضي الله عنه يقول: ((اللهم زدنا إيماناً، ويقيناً وفقهاً))[4]، وذُكِرَ عن سفيان الثوري رحمه الله أنه قال: ((لو أن اليقين وقع في القلب كما ينبغي لطار اشتياقاً إلى الجنة وهرباً من النار))[5].

الشرط الثالث: القبول المنافي للرد، وذلك أن يقبل ما دلت عليه هذه الكلمة بقلبه ولسانه ويرضى بذلك؛ ولهذا كان المشركون يعرفون معنى لا إله إلا الله ولكنهم لم يقبلوها فذمهم الله تعالى وقال: ﴿ **إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلاّ الله يَسْتَكْبِرُونَ** ﴾[6]، وقال: ﴿ **فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ الله يَجْحَدُونَ** ﴾[7]، وقال ﷺ: **((مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تُنبتُ كلأً، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعَلِم وعلَّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً**

---

(1) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان،باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً،برقم 31 .
(2) انظر: معارج القبول، 420/2 .
(3) أخرج البخاري الجزء الأول منه من قول ابن مسعود في كتاب الإيمان،باب الإيمان وقول النبي ﷺ: ((بني الإسلام على خمس))، ص 25، ط بيت الأفكار الدولية، وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري، 48/1: ((وصله الطبراني بسند صحيح)).
(4) ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح،وعزاه لأحمد في الإيمان بإسناد صحيح. انظر:فتح الباري،48/1 .
(5) ذكره ابن حجر في فتح الباري، 48/1 .
(6) سورة الصافات، الآية: 35 .
(7) سورة الأنعام، الآية: 33 .

ولم يقبل هدى الله الذي أرسلتُ به))[1].

الشرط الرابع: الانقياد المنافي للترك، فينقاد لما دلت عليه، ويعبد الله وحده، ويعمل بشريعته، ويؤمن بها ويعتقد أنها الحق، ولعل الفرق بينه وبين القبول: أن الانقياد هو الاتباع بالأفعال والقبول إظهار صحة معنى ذلك بالقول ويلزم منهما جميعاً الاتباع ولكن الانقياد هو الاستسلام والإذعان وعدم الترك لشيء[2] من شروط لا إله إلا الله.

قال تعالى: ﴿ **وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ** ﴾[3]، ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ** ﴾[4]، ﴿ **وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى الله وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى الله عَاقِبَةُ الأُمُورِ** ﴾[5]، وهذا معنى حديث: ((**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به**))[6]، وهذا هو تمام الانقياد وغايته[7].

الشرط الخامس: الصدق المنافي للكذب وهو أن يقولها وهو صادق في ذلك صدقاً من قلبه يطابق قلبه لسانه ولسانه قلبه؛ فإن قالها باللسان فقط وقلبه لم يؤمن بمعناها فيكون من جملة المنافقين كما قال سبحانه عنهم أنهم قالوا ﴿ **نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ الله** ﴾[8]، فكذبهم الله وقال تعالى: ﴿ **وَالله يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَالله يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ** ﴾.

وقد ثبت اشتراط الصدق في الشهادة في الحديث الصحيح قال ﷺ: ((**ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله صدقاً من قلبه إلا حرمه**

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم، برقم 79، ومسلم في كتاب الفضائل، باب بيان مثل ما بعث النبي ﷺ من الهدى والعلم، برقم 2282.
(2) انظر: (الشهادتان معناهما وما تستلزمه كل منهما) للعلامة الدكتور عبد الله بن جبرين، ص81، وتحفة الإخوان للإمام العلامة ابن باز، ص26 .
(3) سورة الزمر، الآية: 54 .
(4) سورة النساء، الآية: 125 .
(5) سورة لقمان، الآية: 22 .
(6) ذكره النووي في الأربعين النووية، وعزاه إلى كتاب الحجة، وصحح إسناده، وانظر: الكلام على الحديث في جامع العلوم والحكم لابن رجب، ص33 8، الحديث الحادي والأربعون.
(7) انظر: معارج القبول، 422/2 .
(8) سورة المنافقون، الآية: 1 .

الله على النار))[1].

الشرط السادس: الإخلاص المنافي للشرك وهو تصفية العمل بصالح النية عن جميع شوائب الشرك فيخلص العبد لربه في جميع العبادات، وإذا صرف شيئاً منها لغير الله: من نبي أو ولي، أو ملك، أو صنم، أو جني أو غير ذلك فقد أشرك بالله ونقض هذا الشرط وهو شرط الإخلاص.

قال تعالى: ﴿ **فَاعْبُدِ الله مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ * ألا لله الدِّينُ الْخَالِصُ** ﴾[2]،

﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ** ﴾[3]، وقال ﷺ: ((**أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه**))[4].

الشرط السابع: المحبة المنافية للبغض، فيجب على العبد أن يحب الله ﷻ، فيحب كلمة التوحيد، ويحب ما اقتضته ودلّت عليه، قال تعالى:

﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ الله أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ الله وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّله** ﴾[5]، وقال سبحانه: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي الله بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ الله وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ** ﴾[6]، ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ الله فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ الله وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَالله غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾[7].

وقال ﷺ: ((**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان من كان الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف**

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا، برقم 128، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، برقم 32.

(2) سورة الزمر، الآيتان: 2- 3 .

(3) سورة البينة، الآية: 5 .

(4) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب الحرص على الحديث، برقم 99.

(5) سورة البقرة، الآية: 165 .

(6) سورة المائدة، الآية: 54 .

(7) سورة آل عمران، الآية: 31 .

في النار))[1]، وإذا أحب العبد الله ﷻ فإنه يحب من يحب الله ورسوله؛ لأن من أحب أحداً أحب من يحبه؛ ولهذا قال ﷺ: ((**من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان**))[2]؛ ولهذا قال ابن القيم رحمه الله تعالى في نونيته[3]:

شَرْطُ المحبَّةِ أَنْ تُوافِقَ مَنْ تُحِبُّ على محبَّتِهِ بلا عِصْيانِ
فإذا ادَّعيتَ له المحبَّةَ مع خلا فِكَ ما يُحِبُّ فأنْتَ ذو بُهتانِ
أتُحِبُّ أعداءَ الحبيبِ وتدَّعي حباً له ما ذاكَ في إمكانِ
وكذا تُعادي جاهداً أحبابَهُ أينَ المحبةُ يا أخا الشيطانِ

اللهم إنا نسألك حبك وحب من يحبك وحب كل عمل يقربنا إلى حبك.

الشرط الثامن: الكفر بما يعبد من دون الله، وهو أن يتبرّأ من عبادة غير الله، ويعتقد أنها باطلة كما قال تعالى: ﴿ **فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ** ﴾[5].

قال الإمام محمد بن عبد الوهّاب رحمه الله تعالى: ((فأما صفة الكفر بالطاغوت فهو أن تعتقد بطلان عبادة غير الله وتتركها وتكفّر أهلها وتعاديهم..

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود، أو متبوع أو مطاع، والطواغيت كثيرة ورؤوسهم خمسة: إبليس لعنه الله، ومن عُبِد وهو راضٍ، ومن دعا الناس إلى

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، برقم 16، ومسلم في كتاب الإيمان، باب خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، برقم 43.
(2) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، برقم 4681 من حديث أبي أمامة صُدَيّ بن عجلان، وله شاهد من حديث معاذ بن أنس الجهني أخرجه أحمد، 3/ 438، و 440، والترمذي في كتاب صفة القيامة، باب رقم 60، برقم 2521، وقال أبو عيسى: ((هذا حديث حسن))، وصححه الألباني في سلسلته، برقم 380.
(3) انظر: شرح القصيدة النونية لابن القيم للدكتور محمد خليل الهراس، 134/2 .
(4) سورة البقرة، الآية: 256 .
(5) سورة النحل، الآية: 36 .

عبادة نفسه، ومن ادّعى شيئاً من علم الغيب، ومن حكم بغير ما أنزل الله[1].

وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: **((من قال لا إله إلا الله، وكفر بما يُعبدُ من دون الله، حَرُمَ مالُهُ ودمه وحسابه على الله))**[2].

وأما من كان لا يرضى بعبادة المخلوقين له من دون الله: كالأنبياء، والصالحين، والملائكة، فإنهم ليسوا بطواغيت وإنما الطاغوت هو الشيطان الذي دعا الناس إلى عبادتهم وزينها للناس. ومن أعظم الأدلة على وجوب الكفر بالطاغوت وجميع ما يعبد من دون الله قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام للكفّار ﴿ **إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ** ﴾[3]، فاستثنى من المعبودين ربه، وذكر الله سبحانه أن هذه البراءة وهذه الموالاة هي تفسير شهادة أن لا إله إلا الله فقال: ﴿ **وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴾[4]، وقول النبي ﷺ في الحديث السابق: **((من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله))** وهذا من أعظم ما يُبيِّنُ معنى لا إله إلاّ الله؛ فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يُعبد من دون الله، فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه، فيا لها من مسألة ما أعظمها وأجلّها، ويا لَهُ من بيانٍ ما أوضحه، وحجةٍ ما أقطعها للمنازع[5].

نسأل الله لنا ولجميع المسلمين العفو والعافية في الدنيا والآخرة من كل سوء ومكروه[6].

---

(1) الأصول الثلاثة مع حاشيتها لابن قاسم،ص98،وحاشيتها لابن عثيمين ضمن فتاواه،156/6 .
وانظر: مؤلفات الإمام محمد بن عبد الوهّاب، طبع جامعة الإمام محمد، القسم الأول، العقيدة والآداب الإسلامية، ص376، وقد ذكر لك لكل رأسٍ دليلاً.

(2) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، ويؤمنوا بجميع ما جاء به النبي ﷺ، برقم 32.

(3) سورة الزخرف، الآيتان: 26- 27 .

(4) سورة الزخرف، الآية: 28 .

(5) فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد، ص123 .

(6) وانظر:تحفة الإخوان للعلامة ابن باز،ص27،وفتح المجيد، ص91، ومعارج القبول، =

=

418/2، و((الشهادتان)) للعلامة ابن جبرين، ص77 .

الفصل الثاني: تحقيق شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ

المبحث الأول: معناها ومقتضاها

1 - معنى ((شهادة أن محمداً رسول الله)) هو الإقرار باللسان، والاعتقاد الجازم بالقلب بأن محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي عبد الله ورسوله أرسله إلى جميع الخلق كافة: من الجن والإنس(1).

2 - ومقتضى هذه الشهادة: **طاعته فيما أمر، وتصديقُهُ فيما أخبر، واجتنابُ ما عنه نهى وزجر، وأن لا يُعبد الله إلا بما شرع(2).**

فيجب الإيمان بشريعته ﷺ، والانقياد لها: قولاً ، وعملاً، واعتقاداً: من الإيمان بالله، وملائكته وكتبه ورسله، وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، والقيام الكامل بأركان الإسلام: من شهادة، وصلاة، وزكاة، وصيام، وحج، وغير ذلك مما شرع الله على يده ﷺ كالإحسان بأنواعه(3).

المبحث الثاني: وجوب معرفة النبي ﷺ

وهذا هو الأصل الثالث من الأصول الثلاثة التي يجب على كل مسلم معرفتها وهي: معرفة العبد ربه، ودينه، ونبيه محمد ﷺ(4).

وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، بن هاشم، وهاشم من قريش وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، وله من العمر ثلاث وستون سنة، منها أربعون قبل النبوة، وثلاث وعشرون نبياً رسولاً، نبئ بـ(اقرأ) وأرسل بالمدثر، وبلده مكة وهاجر إلى المدينة، بعثه الله بالنذارة عن الشرك ويدعو إلى التوحيد، أخذ على هذا عشر سنين يدعو إلى التوحيد، وبعد العشر عُرِجَ به إلى السماء وفرضت عليه الصلوات الخمس، وصلى في مكة ثلاث سنين، وبعدها أُمِرَ بالهجرة إلى المدينة، فلما استقر بالمدينة أُمِرَ ببقية شرائع الإسلام مثل:الزكاة، والصلاة، والحج، والجهاد، والأذان، والأمر

(1) الأصول الثلاثة وحاشيتها للعلامة محمد العثيمين ضمن فتاواه، 71/6 .
(2) الأصول الثلاثة مع حاشيتها لابن القاسم، ص57 .
(3) انظر: مجموع فتاوى العلامة ابن باز، 12/4، و 14 .
(4) الأصول الثلاثة لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهّاب.

بالمعروف والنهي عن المنكر،وغير ذلك أخذ على هذا عشر سنين وبعدها توفي صلوات الله وسلامه عليه، ودينه باق وهذا دينه،لا خير إلا دلّ أمته عليه، ولا شر إلا حذرها منه، وهو خاتم الأنبياء والمرسلين لا نبي بعده، وقد بعثه الله إلى الناس كافة، وافترض الله طاعته على الجن والإنس،فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار [1].

وتحصل معرفته ﷺ بدراسة حياته، وما كان عليه من العبادة، والأخلاق الجميلة، والدعوة إلى الله ﷻ، والجهاد في سبيل الله تعالى، وغير ذلك من جوانب حياته ﷺ، فينبغي لكل مسلم يريد أن يزداد معرفة بنبيه وإيماناً به أن يطالع من سيرته ما تيسر: في حربه وسلمه، وشدته ورخائه، وسفره وإقامته، وجميع أحواله نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من المتبعين لرسوله ﷺ باطناً وظاهراً، وأن يثبتنا على ذلك حتى نلقاه وهو راضٍ عنا[2].

المبحث الثالث: الحُجَجُ والبراهين على صدقه ﷺ

تمهيـــد:

ظهر علي يده ﷺ من الآيات والمعجزات الخارقة للعادات عند التحدي أكثر من سائر الأنبياء، والعهد بهذه المعجزات قريب،وناقلوها أصدق الخلق وأبرّهم، ونَقْلُها ثابت بالتَّواتُر قرناً بعد قرن،وأعظمها مُعجزة: القرآن، لم يتغير ولم يتبدّل منه شيء،بل كأنه منزل الآن، وما أخبر به يقع كل وقت على الوجه الذي أخبر به،كأنه يُشاهدُه عياناً،وقد عجز الأوّلون والآخرون عن الإتيان بمثله **﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾**[3].

ولا يمكن ليهودي أن يؤمن بنبوة موسى ﷺ إن لم يؤمن بنبوة محمد ﷺ، ولا يمكن لنصراني أن يُقِرّ بنبوة المسيح ﷺ إلا بعد إقراره بنبوة محمد ﷺ؛ لأن من كفر بنبوة نبي واحد فقد كفر بالأنبياء كلهم، ولم ينفعه إيمانه ببعضهم دون بعض، كما قال تعالى: **﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللّهِ وَرُسُلِهِ وَيقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن**

(1) الأصول الثلاثة، لمحمد بن عبد الوهّاب رحمه الله تعالى، ص75، و76 .
(2) انظر: فتاوى العلامة محمد بن صالح العثيمين، 39/6 .
(3) سورة الإسراء، الآية: 88 .

يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً * أُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا * وَالَّذِينَ آمَنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَـئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[1].

ولا ينفع أهل الكتاب شهادة المسلمين بنبوة موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام؛ لأن المسلمين آمنوا بهما على يد محمد ﷺ، وكان إيمانهم بهما من الإيمان بمحمد ﷺ، وبما جاء به، فلولاه ما عرفنا نبوّتهما، ولا سيما وليس بأيدي أهل الكتاب عن أنبيائهم ما يُوجب الإيمان بهم؛ فلولا القرآن ومحمد ﷺ ما عرفنا شيئاً من آيات الأنبياء المتقدمين، فمحمد ﷺ وكتابه هو الذي قرّر نبوّة موسى وعيسى، لا اليهود والنصارى، بل نفس ظهوره، ومجيئه تصديقاً لنبوتهما؛ فإنهما أخبرا بظهوره، وبشّرا بظهوره: ﴿ **وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ** ﴾[2]، فلما بُعث كان بعثه تصديقاً لهما، قال تعالى عن محمد ﷺ: ﴿ **بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ** ﴾[3].

فمجيئه تصديق لهما من جهتين: من جهة إخبارهم بمجيئه ومبعثه، ومن جهة إخباره بمثل ما أخبروا به وشهادته بنبوتهم، ولو كان كاذباً لم يصدق من قبله، كما يفعل أعداء الأنبياء[4].

ومن أعظم الأدلة على صدقه ﷺ أنه قال لليهود لما بهتوه: ﴿ **فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾[5]، ولم يجسر أحد منهم على ذلك - مع اجتماعهم على تكذيبه وعداوته - لما أخبرهم بحلول الموت بهم إن أجابوه إلى ذلك، فلولا معرفتهم بحاله في كتبهم، وصدقه فيما يخبرهم به لسألوا الله الموت لأي الفريقين أكذب، منهم أو من المسلمين على وجه المباهلة[6]، ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا**

---

(1) سورة النساء، الآيات: 150-152 .
(2) سورة الصف، الآية: 6 .
(3) سورة الصافات، الآية: 37 .
(4) انظر: درء تعارض العقل والنقل، 78/5-83، ودقائق التفسير لابن تيمية، 34/4، وإغاثة اللهفان لابن القيم، 350/2، 351، وهداية الحيارى، ص635 .
(5) سورة البقرة، الآية: 94 .
(6) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية، 99/7، وتفسير ابن كثير، 128/1، 129، وتفسير السعدي، 114/1 .

الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾[1].

وغير ذلك من دلائل نبوته وصدقه[2] ﷺ التي سأذكرها -إن شاء الله تعالى-.

ولا شكَّ أن الآيات والبيّنات الدالّة على نبوته ﷺ وعموم رسالته كثيرة متنوعة، وهي أكثر وأعظم من آيات غيره من الأنبياء، وجميع الأنواع تنحصر في نوعين:

أ - منها:ما مضى وصار معلوماً بالخبر الصّادق كمعجزات موسى وعيسى.

ب - ومنها: ما هو باق إلى اليوم كالقرآن، والعلم والإيمان اللذين في أتباعه، فإن ذلك من أعلام نبوته، وكشريعته التي أتى بها، والآيات التي يظهرها الله وقتاً بعد وقتٍ من كرامات الصّالحين من أمته، وظهور دينه بالحجّة والبرهان، وصفاته الموجودة في كتب

---

(1) سورة الجمعة، الآيتان: 6- 7 .

(2) ومن دلائل نبوته ﷺ في هذا الزمن ما نُشر في صحيفة البلاد السعودية، في عددها رقم 9422، في 1410/8/15هـ، الموافق 12 مارس 1990م، ودخل في الإسلام بسبب ذلك أربع قرى نيجيرية، وهذا نص المنشور:

لقي أحد الضالين والمستهزئين بالإسلام حتفه أثر تشكيكه في الإسلام والقرآن وإعلانه أمام جمع من الناس قائلاً:إن كان القرآن والإسلام حقاً فاني أسأل الله ألا أرجع إلى بيتي حياً.ويشاء الله أن يلقى هذا الكافر حتفه قبل أن يعود إلى منزله فعلاً!.

هذا وقد وقعت هذه الحادثة في (بوب) في ولاية غونفولي بشمال نيجيريا وأسلم على أثرها أهل القرية وثلاث قرى مجاورة. ويقول شهود عيان رأوا الحادثة: إن المكذّب ويُدعى عمر غيمو وهو قس في كنيسة باتيسي بقرية بوب وقف خطيباً في الكنيسة وبدأ في التطاول على الإسلام والقرآن الكريم وردد العديد من الأكاذيب والأباطيل والافتراءات على الإسلام والقرآن الكريم. ثم قال في نهاية خطبته: ((إن كان القرآن والدين الإسلامي حقاً فأسأل الرب ألا يرجعني إلى بيتي حياً)). وخرج القس من الكنيسة وهو على ثقة تامة بأنه لن يصيبه شيء وسيصل إلى منزله في صحة وعافية ليتخذ ذلك فيما بعد دليلاً يؤكد به للناس افتراءه وأكاذيبه. ويشاء الله ﷻ وعلى الرغم من أن الطريق إلى منزله لا توجد به أي أخطار تهدد حياة الإنسان، يشاء الله أن تعثر قدماه وهو يعبر جدول ماء صغير وسقط فيه حتى مات وسارع إليه جماعة من المسيحيين في دهشة وذهول ونقلوه إلى المستشفى والتي رفضت استلامه لوفاته، فذهبوا به إلي مستشفى آخر وثالث وكان التأكيد أنه قد لاقى حتفه ليسقط في أيديهم لحدوث الوفاة بهذه البساطة ودون حدوث أي إصابة أو جرح. والأعجب من ذلك أن أحد المارة كان قد حاول في البداية إنقاذ هذا المستهزئ عند تعثره فلقي مصرعه.

تجدر الإشارة إلى أن هذا القس كان مسيحياً، ثم أسلم، وعاش فترة بين المسلمين يتعامل معهم ويتعاملون معه إلا أنه نكص على عقبه وارتد عن الإسلام وأصبح حرباً على دين الله إلى أن لقي مصيره المحتوم.

الأنبياء قبله وغير ذلك[1]، وهذا باب واسع لا أستطيع حصره؛ ولكن سأقتصر في إثبات نبوته ﷺ على مطلبين على النحو التالي:

المطلب الأول: معجزات القرآن العظيم:

المعجزة لغة: ما أُعجِزَ به الخصم عند التحدي[2].

وهي أمر خارق للعادة يعجز البشر متفرقين ومجتمعين عن الإتيان بمثله، يجعله الله على يد من يختاره لنبوّته؛ ليدلّ على صدقه وصحّة رسالته[3].

والقرآن الكريم كلام الله المنزّل على محمد ﷺ هو المعجزة العظمى، الباقية على مرور الدّهور والأزمان، المعجز للأولين والآخرين إلى قيام الساعة[4]، قال ﷺ: ((**ما من الأنبياء نبيّ إلا أُعطي من الآيات علي ما مثله آمن البشر، وإنّما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة**))[5].

وليس المراد في هذا الحديث حصر معجزاته ﷺ في القرآن، ولا أنه لم يؤت من المعجزات الحسّيّة كمن تقدّمه، بل المراد أن القرآنَ المعجزة العظمى التي اختص بها دون غيره؛لأن كل نبي أُعطِيَ معجزة خاصة به، تحدّى بها من أُرسِلَ إليهم، وكانت معجزة كل نبي تقع مناسبة لحال قومه؛ولهذا لما كان السحر فاشياً في قوم فرعون

---

(1) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، 4/67-71 .

(2) انظر: القاموس المحيط، باب الزاي، فصل العين، ص663 .

(3) انظر:مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني،1/66، والمعجم الوسيط،مادة: عجز، 2/585، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، للدكتور صالح الفوزان، 2/157 .

والفرق بين المعجزة والكرامة: هو أن المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بدعوة النبوّة والتحدي للعباد. أما الكرامة: فهي أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة ولا التحدي، ولا تكون الكرامة إلا لعبد ظاهره الصلاح، مصحوباً بصحة الاعتقاد والعمل الصالح. أما إذا ظهر الأمر الخارق على أيدي المنحرفين فهو من الأحوال الشيطانية. وإذا ظهر الأمر الخارق على يد إنسان مجهول الحال؛ فإن حاله يعرض على الكتاب والسنة كما قال الإمام الشافعي رحمه الله: ((إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ويطير في الهواء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة)). انظر شرح العقيدة الطحاوية، ص510، وسير أعلام النبلاء، 10/23، والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية للسلمان، ص311 .

(4) انظر: الداعي إلى الإسلام للأنباري، ص393 .

(5) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل، برقم 4981، ومسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته، برقم 152.

جاءه موسى بالعصا على صورة ما يصنع السّحرة،لكنها تلقف ما صنعوا، ولم يقع ذلك بعينه لغيره.

ولما كان الأطباء في غاية الظهور جاء عيسى بما حيّر الأطباء، من: إحياء الموتى، وإبراء الأكمه، والأبرص، وكل ذلك من جنس عملهم، ولكن لم تصل إليه قدرتهم.

ولما كانت العرب أرباب الفصاحة والبلاغة والخطابة جعل الله سبحانه معجزة نبينا محمد ﷺ القرآن الكريم الذي[1] **﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾**[2].

ولكن معجزة القرآن الكريم تتميز عن سائر المعجزات؛ لأنه حجة مستمرّة، باقية على مرّ العصور، والبراهين التي كانت للأنبياء انقرض زمانها في حياتهم ولم يبق منها إلا الخبر عنها، أما القرآن فلا يزال حجة قائمة كأنما يسمعها السّامع من فم رسول الله ﷺ، ولاستمرار هذه الحجة البالغة قال ﷺ: **((فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يومَ القيامةِ))**[3].

والقرآن الكريم آية بيّنة، معجزة من وجوه متعدّدة، من جهة اللفظ، ومن جهة النظم، والبلاغة في دلالة اللفظ على المعنى، ومن جهة معانيه التي أمر بها، ومعانيه التي أخبر بها عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وملائكته، وغير ذلك من الوجوه الكثيرة التي ذكر كل عالم ما فتح الله عليه به منها[4]، وسأقتصر على أربعة وجوه من باب المثال لا الحصر بإيجاز كالآتي:

الوجه الأول: الإعجاز البياني والبلاغي:

من الإعجاز القرآني ما اشتمل عليه من البلاغة والبيان، والتركيب المعجز، الذي تحدّى به الإنس والجنّ أن يأتوا بمثله، فعجزوا عن ذلك، قال تعالى: **﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ**

(1) انظر: فتح الباري، 6/9، 7، وشرح النووي على مسلم، 188/2، وأعلام النبوة للماوردي، ص53، وإظهار الحق، 101/2 .

(2) سورة فصلت، الآية: 42 .

(3) انظر: البداية والنهاية، 69/6، وتقدم تخريج الحديث.

(4) انظر: الجواب الصحيح، 74/4، 75، وأعلام النبوة للماوردي، ص53-70، والبداية والنهاية، 54/6، 65،والبرهان في علوم القرآن للزركشي، 90/2-124، ومناهل العرفان للزرقاني، 277/2-308 .

عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾(1)، وقال تعالى: ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لاَّ يُؤْمِنُونَ * فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ** ﴾(2).

وبعد هذا التحدّي انقطعوا فلم يتقدّم أحد، فمدّ لهم في الحبل وتحدّاهم بعشر سور مثله: ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾(3)،فعجزوا فأرخى لهم في الحبل فقال تعالى: ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾(4)،ثم أعاد التحدي في المدينة بعد الهجرة، فقال تعالى: ﴿ **وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ** ﴾(5).

فقوله تعالى: ﴿ **فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ** ﴾ أي: فإن لم تفعلوا في الماضي، ولن تستطيعوا ذلك في المستقبل، فثبت التحدّي وأنهم لا يستطيعون أن يأتوا بسورة من مثله فيما يستقبل من الزمان، كما أخبر قبل ذلك، وأمر النبي وهو بمكة أن يقول: ﴿ **قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** ﴾(6).

فعم بأمره له أن يخبر جميع الخلق معجزاً لهم، قاطعاً بأنهم إذا اجتمعوا لا يأتون بمثل هذا القرآن، ولو تظاهروا وتعاونوا على ذلك، وهذا التحدي لجميع الخلق، وقد سمعه كل من سمع القرآن، وعرفه الخاص والعام، وعلم مع ذلك أنهم لم يعارضوا، ولا أتوا بسورة مثله من حين بُعِثَ ﷺ إلى اليوم والأمر على ذلك(7).

---

(1) سورة الإسراء، الآية: 88 .
(2) سورة الطور، الآيتان: 33 - 34 .
(3) سورة يونس، الآية: 38 .
(4) سورة هود، الآية: 13 .
(5) سورة البقرة، الآيتان: 23- 24 .
(6) سورة الإسراء، الآية: 88 .
(7) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، 4/71-77، والبداية والنهاية، 6/95 .

والقرآن يشتمل على آلاف المعجزات؛ لأنه مائة وأربع عشرة سورة، وقد وقع التحدي بسورة واحدة، وأقصر سورة في القرآن سورة الكوثر، وهي ثلاث آيات قصار، والقرآن يزيد بالاتفاق على ستة آلاف ومائتي آية، ومقدار سورة الكوثر من آيات أو آية طويلة على ترتيب كلماتها له حكم السورة الواحدة، ويقع بذلك التحدي والإعجاز[1]؛ ولهذا كان القرآن الكريم يغني عن جميع المعجزات الحسّيّة والمعنوية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

الوجه الثاني: الإخبار عن الغيوب:

من وجوه الإعجاز القرآني أنه اشتمل على أخبار كثيرة من الغيوب التي لا علم لمحمد ﷺ بها، ولا سبيل لبشر مثله أن يعلمها، وهذا مما يدلّ على أن القرآن كلام الله تعالى الذي لا تخفى عليه خافية: ﴿ **وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ** ﴾[2].

والإخبار بالغيوب أنواع:

النوع الأول: غيوب الماضي: وتتمثل في القصص، الرائعة وجميع ما أخبر الله به عن ماضي الأزمان.

النوع الثاني: غيوب الحاضر: أخبر الله رسوله ﷺ بغيوب حاضرة، ككشف أسرار المنافقين، والأخطاء التي وقع فيها بعض المسلمين، أو غير ذلك مما لا يعلمه إلا الله، وأطلع عليه رسوله ﷺ.

النوع الثالث: غيوب المستقبل: أخبر الله رسوله ﷺ بأمور لم تقع، ثم وقعت كما أخبر، فدلّ ذلك على أن القرآن كلام الله، وأن محمداً ﷺ رسول الله[3].

---

(1) انظر: استخراج الجدال من القرآن الكريم لابن نجم، ص100، وفتح الباري، 582/6، ومناهل العرفان للزرقاني، 336/1، 231/1، 232 .

(2) سورة الأنعام، الآية: 59 .

(3) انظر: الداعي إلى الإسلام للأنباري، ص424-428، وإظهار الحق، 65-107، ومناهل العرفان، 263/2، ومعالم الدعوة للديلمي، 463/1. وقد أخبر ﷺ بأمور غيبية كثيرة جداً. انظر: جامع الأصول لابن الأثير، 311/11-331 .

الوجه الثالث: الإعجاز التشريعي:

القرآن العظيم جاء بهدايات كاملة تامّة، تفي بحاجات جميع البشر في كل زمان ومكان؛ لأن الذي أنزله هو العليم بكل شيءٍ، خالق البشرية والخبير بما يُصلحها ويُفسدها، وما ينفعها ويضرّها، فإذا شرع أمراً جاء في أعلى درجات الحكمة والخبرة: ﴿ **أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾[1].

ويزداد الوضوح عند التأمل في أحوال الأنظمة والقوانين البشرية التي يظهر عجزها عن معالجة المشكلات البشرية ومسايرة الأوضاع والأزمنة والأحوال، مما يضطر أصحابها إلى الاستمرار في التعديل والزيادة والنقص، فَيُلْغُونَ غداً ما وضعوه اليوم؛ لأن الإنسان محلّ النقص والخطأ، والجهل لأعماق النفس البشرية، والجهل بما يحدث غداً في أوضاع الإنسان وأحواله وفيما يصلح البشرية في كل عصر ومصر.

وهذا دليل حسّي مُشاهد على عجز جميع البشر عن الإتيان بأنظمة تُصْلِحُ الخلق وتقوّمُ أخلاقهم، وعلى أن القرآن كلام الله سليم من كل عيب، كفيل برعاية مصالح العباد، وهدايتهم إلى كلِّ ما يُصلح أحوالهم في الدنيا والآخرة إذا تمسكوا به واهتدوا بهديه[2]، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا** ﴾[3].

وبالجملة فإن الشريعة التي جاء بها كتاب الله تعالى مدارها على ثلاث مصالح:

المصلحة الأولى:درء المفاسد عن ستة أشياء[4]:حفظ الدين،والنفس، والعقل، والنّسب، والعرض، والمال.

المصلحة الثانية: جلب المصالح[5]: فقد فتح القرآن الأبواب لجلب

(1) سورة الملك، الآية: 14 .
(2) انظر: مناهل العرفان للزرقاني، 247/2، وأثر تطبيق الحدود في المجتمع الإسلامي، من البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ص117، ومعالم الدعوة للديلمي، 426/1 .
(3) سورة الإسراء، الآية: 9 .
(4) درء المفاسد هو المعروف عند أهل الأصول بالضروريات. انظر: أضواء البيان، 3/ 448 .
(5) جلب المصالح يعرف عند أهل الأصول بالحاجيات.انظر:أضواء البيان،3/ 448 .

المصالح في جميع الميادين، وسدّ كل ذريعة تؤدي إلى الضرر.

المصلحة الثالثة: الجري على مكارم الأخلاق ومحاسن العادات، فالقرآن الكريم حلَّ جميع المشكلات العالمية التي عجز عنها البشر، ولم يترك جانباً من الجوانب التي يحتاجها البشر في الدنيا والآخرة إلا وضع لها القواعد، وهدى إليها بأقوم الطرق وأعدلها[1].

الوجه الرابع: الإعجاز العلمي الحديث:

يتصل بما ذكر من إعجاز القرآن في إخباره عن الأمور الغيبية المستقبلة نوع جديد كشف عنه العلم في العصر الحديث، مصداقاً لقوله تعالى: **﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾**[2].

لقد تحقق هذا الوعد من ربنا في الأزمنة المتأخرة، فرأى الناس آيات الله في آفاق المخلوقات بأدقّ الأجهزة والوسائل: كالطائرات، والغواصات، وغير ذلك من أدقِّ الأجهزة الحديثة التي لم يمتلكها الإنسان إلا في العصر الحديث... فمن أخبر محمداً ﷺ بهذه الأمور الغيبية قبل ألف وأربعمائة وخمس عشرة سنة؟ إن هذا يدلّ على أن القرآن كلام الله وأن محمداً رسول الله ﷺ حقاً.

وقد اكتُشِفَ هذا الإعجاز العلمي: في الأرض وفي السماء، وفي البحار والقفار، وفي الإنسان والحيوان، والنبات، والأشجار، والحشرات، وغير ذلك، ولا يتّسع المقام لذكر الأمثلة العديدة على ذلك[3].

المطلب الثاني: معجزات النبي ﷺ الحسية:

معجزات النبي ﷺ الحسّيّة الخارقة للعادة كثيرة جدّاً[4]،لا أستطيع

---

(1) انظر: أضواء البيان، 3/409-457، فقد أوضح هذا الجانب بالأدلة العقلية والنقلية جزاه الله خيراً وغفر له.

(2) سورة فصلت، الآية: 53 .

(3) انظر: أمثلة كثيرة في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم في مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني، 2/278-284، وكتاب الإيمان، لعبد المجيد الزنداني، ص55-59، وكتاب التوحيد للزنداني أيضاً، 1/74-77 .

(4) قال ابن تيمية رحمه الله: ((قد جمعت نحو ألف معجزة)). انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية، ص158 .

=

حصرها،وسأقتصر بإيجاز على ذكر تسعة أنواع منها على سبيل المثال،كالآتي:

النوع الأول: المعجزات العلوية:

1 – من هذه المعجزات انشقاق القمر: وهذه من أمهات معجزاته ﷺ الدّالّة على صدقه، فقد سأل أهل مكة رسول الله ﷺ أن يُريهم آية، فأراهم القمر شقتين حتى رأوا جبل حِرَاء بينهما[1]، قال الله تعالى: ﴿ **اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ...** ﴾ الآيات[2].

2 – صعوده ﷺ ليلة الإسراء والمعراج إلى ما فوق السموات: وهذا ما أخبر به القرآن الكريم، وتواترت به الأحاديث، قال تعالى: ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرِ** ﴾[3].

وهذه الآية من أعظم معجزاته ﷺ، فإنّه أُسرِيَ به إلى بيت المقدس، وقطع المسافة في زمن قصير، ثم عُرِجَ به إلى السموات، ثم صعد إلى مكان يسمع فيه صريف الأقلام، ورأى الجنة، وفرضت عليه الصلوات، ورجع إلى مكة قبل أن يُصبح، فكذَّبته قريش، وطلبوا منه علامات تدلّ على صدقه، ومن ذلك علامات بيت المقدس؛ لعلمهم بأنه ﷺ لم يرَ بيت المقدس قبل ذلك، فجلّى الله له بيت المقدس ينظر إليه ويخبرهم بعلاماته وما سألوا عنه[4].

وغير ذلك من الآيات العلوية،كحراسة السماء بالشّهب عند بعثته ﷺ.

= ومعجزاته ﷺ تزيد على ألف ومائتين، وقيل: ثلاثة آلاف معجزة. انظر: فتح الباري، لابن حجر، 583/6 .

(1) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب انشقاق القمر، برقم 3868، ومسلم، صفات المنافقين، باب انشقاق القمر، برقم2802 .

(2) سورة القمر، الآيات: 1-2 .

(3) سورة الإسراء، الآية: 1 .

(4) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب حديث الإسراء، برقم 3886، ومسلم في كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال، برقم 170.

النوع الثاني: آيات الجوّ:

1 - من هذه المعجزات طاعةُ السَّحاب له ﷺ، بإذن الله تعالى في حصوله ونزول المطر وذهابه بدعائه ﷺ(1).

2 - ومن هذا النوع نصر الله للنبي ﷺ بالرِّيح التي قال تعالى عنها: **﴿ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾**(2)، وهذه الرِّيحُ هي ريح الصَّبا، أرسلها على الأحزاب، قال ﷺ: ((**نُصِرْتُ بالصّبَا، وأُهْلِكَت عادٌ بالدَّبُور**))(3)، وغير ذلك.

النوع الثالث: تصرّفه في الإنس والجن والبهائم:

وهذا باب واسع، منه على سبيل المثال:

أ – تصرفه في الإنس:

1 - كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يشتكي عينيه من وجع بهما، فبصَقَ رسول الله ﷺ فيهما ودعا له فبرأ، كأن لم يكن به وجع(4).

2 - انكسرت ساق عبد الله بن عتيك رضي الله عنه فمسحها رسول الله ﷺ، فكأنها لم تنكسر قطُّ(5).

3 - أُصِيبَ سلمة بن الأكوع بضربة في ساقه يوم خيبر، فنفث فيها رسول الله ﷺ ثلاث نفثات، فما اشتكاها سلمة بعد ذلك(6).

ب – تصرفه في الجنّ والشياطين:

1 - كان ﷺ يُخرج الجنّ من الإنس بمجرد المخاطبة. فيقول: ((**اخرج عدوّ الله أنا رسول الله**))(7).

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة، باب الاستسقاء في الخطبة يوم الجمعة، برقم 933 ، ومسلم في كتاب الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء، برقم 897.

(2) سورة الأحزاب، الآية: 9 .

(3) أخرجه مسلم في كتاب الاستسقاء، باب في ريح الصبا والدبور، برقم 900.

(4) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب فضل من أسلم على يديه رجل، برقم 3009، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي رضي الله عنه، برقم 2406.

(5) أخرجه البخاري في كتاب المغازي،باب قتل أبي رافع عبد الله بن أبي الحقيق،برقم 4039.

(6) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، برقم 4206.

(7) أخرجه أحمد، 4/170-172، ووكيع في الزهد، برقم 508، وهناد في الزهد، برقم 1338، والبيهقي في الدلائل،6/ 21- 22، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، 9/6: ((رجال أحمد رجال الصحيح)).

2 - أخرج الشيطانَ من صدر عثمان بن أبي العاص، عندما ضرب صدر عثمان بيده ثلاث مرات وتفل في فمه وقال: ((**اخرج عدوّ الله**)) فعل ذلك ثلاث مرات، فلم يُخالط عثمانَ الشيطانُ بعد ذلك[1].

جـ - تصرّفه في البهائم:

وقد حصل له مراراً، ومن ذلك أنه جاء بعير فسجد للنبي ﷺ، فقال أصحابه: يا رسول الله! تسجد لك البهائم، والشّجر، فنحن أحقّ أن نسجد لك، فقال ﷺ: ((**اعبُدُوا ربَّكمُ، وأكرمُوا أخَاكُم، ولو كنتُ آمراً أحداً أن يَسجُدَ لأحدٍ لأمرتُ المرأةَ أن تسجُدَ لِزَوجِها..**))[2].

النوع الرابع: تأثيره في الأشجار والثمار والخشب

أ - تأثيره في الأشجار:

1 - جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ وهو في سفر. فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام، فقال الأعرابي: ومن يشهد لك على ما تقول؟ فقال رسول الله ﷺ: ((**هذه السَّلَمَة**))[3]، فدعاها رسول الله ﷺ وهي بشاطئ الوادي، فأقبلت تخدّ[4] الأرض خَدّاً حتى قامَتْ بين يديه، فأشهدها ثلاثاً، فشهدت ثلاثاً أنه كما قال، ثم رجعَتْ إلى مَنْبَتِهَا[5].

2 - أراد رسول الله ﷺ أن يقضي حاجته وهو في سفر، فلم يجد ما يستتر به، فأخذ بغصن شجرة وقال: ((**انقادي عليَّ بإذنِ الله**)) فانقادت معه كالبعير المخشوم[6] حتى أتى الشجرةَ الأخرى ففعل وقال كذلك، ثم أمرهما أن تلتئما عليه فالتأمتا، ثم بعد قضاء الحاجة

---

(1) أخرجه ابن ماجه، كتاب الطب، باب الفزع والأرق وما يتعوذ منه، بسند حسن، برقم 3548، وانظر: صحيح ابن ماجه، للألباني، 273/2 .

(2) أخرجه أحمد، 76/6، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، 9/9: ((إسناده جيد))، وانظر معجزات من هذا النوع: مسند الإمام أحمد، 170/4-172، ومجمع الزوائد للهيثمي، 3/9-12 .

(3) السلمة: شجرة من شجر البادية، انظر: المصباح المنير، مادة ((سلم))، 286/1، ومختار الصّحاح، مادة ((سلم))، ص131 .

(4) تخدّ الأرض: أي تشقها أخدوداً. وانظر: المصباح المنير، مادة (خدّ)، 165/1، ومختار الصّحاح، مادة (خدّ)، ص72 .

(5) أخرجه الدارمي، في المقدمة، باب ما أكرم الله نبيه من إيمان الشجر به والبهائم والجن، برقم 16، وإسناده صحيح، وانظر: مشكاة المصابيح، برقم 5925، 1666/3 .

(6) البعير المختوم: الذي جُعل في أنفه عود، ويشد فيه حبل ليذلّ وينقاد إذا كان صعباً. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، 146/18 .

رجعت كل شجرة، وقامت كل واحدة منهما على ساق(1).

ب – تأثيره في الثّمار:

جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: بم أعرف أنك نبي؟ قال: ((**إن دعوت هذا العِذق من هذه النخلة أتشهد أنّي رسول الله**))؟ فدعاه رسول الله ﷺ فجعل ينزل من النخلة حتى سقط إلى النبي ﷺ، ثم قال: ((**ارجع**))، فعاد، فأسلم الأعرابي(2).

جـ – تأثيره في الخشب:

كان ﷺ يخطبِ في المدينة يوم الجمعة علىٍ جذع نخل، فلما صُنع له المنبر ورَقِيَ عليه صاحَ الجذعُ صياحَ الصّبي، [وخارَ كما تَخُورُ البقرة، جزعاً على رسول الله ﷺ **فالتزمه رسول الله ﷺ وضمَّه إليه** - وهو يئنّ - **ومسحه حتى سكن**](3).

النوع الخامس: تأثيره في الجبال والأحجار وتسخيرها له:

أ – تأثيره في الجبال:

صعد النبي ﷺ أحداً،ومعه أبو بكر،وعمر،وعثمان،فرجف بهم،فضربه ﷺ برجله، وقال: ((**اثبت أحد، فإنما عليك نبي، وصِدّيق، وشهيدان**))(4).

ب – تأثيره في الحجارة:

وقال ﷺ: ((**إني لأعرف حجراً بمكة كان يُسلّم عليّ قبل أن أُبعثَ، إنّي لأعرفه الآن**))(5).

---

(1) أخرجه مسلم،كتاب الزهد والرقائق،باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر، برقم 3012 .

(2) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب، باب حدثنا عباد، برقم 3628، وقال أبو عيسى: ((هذا حديث حسن غريب صحيح))، وأحمد، 123/1، والحاكم وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، 620/2، وقال الألباني في صحيح سنن الترمذي، 3/ 490: ((صحيح دون قوله: فأسلم الأعرابي))، وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة له، رقم 3315.

(3) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، برقم 3584، وما بين المعقوفين عند أحمد في المسند، 109/2 .

(4) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب قوله ﷺ:(لو كنت متخذاً خليلاً...)،برقم 3675 .

(5)أخرجه مسلم في كتاب الفضائل،باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة،برقم 2277.

جـ - تأثيره في تراب الأرض:

عندما كان رسول الله ﷺ في معركة حنين، واشتدّ القتال، نزل عن بغلته وقبض قبضة من تراب الأرض، واستقبل به وجوه القوم، فقال: ((**شَاهَتِ الوجوهُ**))، فما خلق الله إنساناً منهم إلا ملأ عينيه من تلك القبضة، فهزمهم الله وقسم غنائمهم بين المسلمين[1].

النوع السادس: تفجير الماء، وزيادة الطعام والشراب والثمار:

أ - نبع الماء وزيادة الشراب:

هذا النوع حصل لرسول الله ﷺ مراتٍ كثيرة جدّاً[2]، ومن ذلك:

1 - عَطشَ الناسُ في الحديبية، فوضع يده ﷺ في الركوة فجعل الماء يثور بين أصابعه كالعيون، فشربُوا وتوضّؤوا، قيل لجابر: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة[3].

2 - قدم ﷺ تبوك، فوجد عينها كشراك النّعل، فَغُرِفَ له منها قليلاً قليلاً، حتى اجتمع له شيء قليل، فغسل فيه يديه ووجهه، ثم أعاده فيها فجرت العين بماء منهمر، وبقيت العين إلى الآن[4].

3 - قصة أبي هريرة رضي الله عنه وقدح اللّبن، وزيادة القدح حتى شرب منه أضياف الإسلام[5].

ب - زيادة الطعام وتكثيره لما جعل الله فيه ﷺ من البركة:

1 - كان النبي ﷺ في ألف وأربعمائة من أصحابه في غزوة،فأصابهم مشقة،فأمر ﷺ أن يجمعوا ما معهم من طعام وبسطوا سفرة،وكان الطعام شيئاً يسيراً فبارك فيه، وأكلوا، وحَشوا

---

(1) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين، برقم 1777. وحصل له مثل ذلك في معركة بدر.

(2) انظر:البخاري مع الفتح،كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم 3571-3577، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها، برقم 681- 682، وجامع الأصول لابن الأثير، 334/11-351 .

(3) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب علامة النبوة، برقم 3576، ومسلم في كتاب الإمارة، باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال، برقم 1856/ 73.

(4) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب معجزات النبي ﷺ، برقم 706 .

(5) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب كيف كان يعيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم عن الدنيا، برقم 6452.

أوعيتهم من ذلك الطعام[1].

2 - بقي الصّحابة والنبي ﷺ في غزوة الخندق ثلاثة أيام لا يذوقون طعاماً، فذبح جابر بن عبد الله رضي الله عنه عناقاً،وطحنت زوجته صاعاً من شعير، ثم دعا النبي ﷺ،فصاح النبي ﷺ بأهل الخندق يدعوهم على هذا الطعام اليسير،ثم جاء النبي ﷺ وبصق في العجين وبارك،وبصق في البرمة وبارك، قال جابر رضي الله عنهما:وهم ألف،فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا، وإن برمتنا لتغطّ كما هي[2]،وإن عجيننا ليخبز كما هو[3].وهذا باب واسع لا يمكن حصره.

جـ – زيادة الثمار والحبوب:

1 - جاء رجل يستطعم النبي ﷺ فأطعمه شطْرَ وَسْقِ شعيرٍ، فما زال الرجل يأكل منه وأهله حتى كاله، فأتى النبي ﷺ فقال: ((**لو لم تكله لأكلتم منه ولقام لكم**))[4].

2 - كان على والد جابر دين، وما في نخله لا يقضي ما عليه سنين، فجاء جابر إلى رسول الله ﷺ ليحضر الكيل، فحضر، ومشى حول الجرن، ثم أمر جابراً أن يكيل فكال لهم حتى أوفاهم، قال جابر رضي الله عنه: ((وبقي تمري وكأنه لم ينقص منه شيء))[5].

النوع السابع: تأييد الله له بالملائكة:

أيَّد الله رسوله بالملائكة في عدة مواضع، نُصرةً له ولدينه، منها على سبيل المثال:

1 - في الهجرة،قال المولى جل وعلا:**﴿فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾**[6].

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد،باب حمل الزاد في الغزو،برقم 2982،ومسلم في كتاب اللقطة، باب استحباب خلط الأزواد إذا قلت، والمواساة فيها،برقم 1729.

(2) تغط: أي تغلي ويسمع غليانها. انظر: الفتح، 399/7 .

(3) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة الخندق، برقم 4102، ومسلم، كتاب الأشربة،باب جواز استتباع غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك،برقم 2039.

(4) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب معجزات النبي ﷺ، برقم 2281.

(5) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب الكيل على البائع والمعطي، برقم 2127 .

(6) سورة التوبة، الآية: 40 .

2 - في بدر،قال الله تعالى:**﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾**[1].

3 - في أحدٍ،قاتل جبريل وميكائيل عليهما السلام عن يمين النبي ﷺ ويساره[2].

4 - في الخندق قال الله ﷻ: **﴿ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾**[3].

5 - في غزوة بني قُرَيْظَة: جاء جبريل إلى النبي ﷺ بعد أن وضع السلاح من غزوة الخندق واغتسل، فقال له جبريل: قد وضعت السلاح؟ والله ما وضعناه فاخرج إليهم، فسأله النبي ﷺ: ((**إلى أين**))؟ فأشار إلى بني قريظة، فخرج ﷺ، ونصره الله عليهم[4].

6 - في حنين، قال الله ﷻ: **﴿ ثُمَّ أَنَزلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ ﴾**[5].

النوع الثامن: كفاية الله له أعداءه وعصمته من الناس:

هذا النوع من أعظم الآيات الدالة على صدق رسالة محمد ﷺ،ومن ذلك:

1 - كفاه الله تعالى المشركين والمستهزئين، فلم يصلوا إليه بسوء، قال تعالى: **﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾**[6].

2 - كفاه الله تعالى أهل الكتاب،قال تعالى:**﴿فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ**

(1) سورة الأنفال، الآية: 9 .
(2) أخرجه البخاري في كتاب المغازي،باب:إذ همت طائفتان،برقم 4045، ومسلم في كتاب الفضائل،باب قتال جبريل وميكائيل عن النبي ﷺ يوم أحد،برقم 2306.
(3) سورة الأنفال، الآية: 9 .
(4) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب، 4117، ومسلم في كتاب الجهاد، باب جواز قتال من نقض العهد، برقم 1769 .
(5) سورة التوبة، الآية: 26 .
(6) سورة الحجر، الآيتان: 94- 95 .

الْعَلِيمُ ﴾[1].

3 - وعصمه تعالى من جميع الناس بقوله: **﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾**[2].

وهذا خبر عام بأن الله يعصمه من جميع الناس، فكلٌّ من هذه الأخبار الثلاثة قد وقعت كما أخبر الله تعالى، فقد كفاه أعداءه بأنواع عجيبة خارجة عن العادة المعروفة، ونصره مع كثرة أعدائه وقوتهم وغلبتهم، وانتقم ممن عاداه.

ومن ذلك أن رجلاً نصرانيّاً أسلم، وقرأ البقرة وآل عمران، وكان يكتب للنبي ﷺ ثم ارتدّ وعاد نصرانيّاً، فكان يقول: ما يَدْرِي محمد إلا ما كتبت له، فأماته الله، فدفنه قومه، فأصبح وقد أخرجته الأرض من بطنها، فأعادوا دفنه، وأعمقوا قبره، فأصبح وقد أخرجته الأرض منبوذاً على ظهرها فأعادوا دفنه وأعمقوا له فأصبح وقد لفظته الأرض، فعلموا أن هذا ليس من الناس فتركوه منبوذاً[3].

النوع التاسع: إجابة دعواته ﷺ:

الأدعية التي دعا بها النبي ﷺ وشُوهدت إجابتها كالشمس في رابعة النهار كثيرة جدّاً، لا تحصر ولا يتّسع المقام لذكر أكثرها، ولكن منها على سبيل المثال:

1 - قال ﷺ لأنس رضي الله عنه: **((اللهم أكثر ماله، وولده، وبارك له فيما أعطيته))**[4]، **[وأطل حياته، واغفر له]**[5]، قال أنس: فوالله إنّ مالي لكثير، وإن ولدي وولد ولدي ليتعادُّون على نحو المائة اليوم[6]، [وحدثتني ابنتي أمينة أنه دُفِنَ لصلبي مقدم الحجاج البصرة بضع

---

(1) سورة البقرة، الآية: 137 .
(2) سورة المائدة، الآية: 67 .
(3) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة، برقم 3617، ومسلم، كتاب صفات المنافقين، برقم 2781 .
(4) أخرجه البخاري في كتاب الصيام، باب من زار قوماً فلم يفطر عندهم، برقم 1982، ومسلم، في فضائل الصحابة، باب فضل أنس برقم 2480.
(5) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، برقم 653، وانظر: فتح الباري، 145/11، وسير أعلام النبلاء، 219/2 .
(6) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة، باب فضل أنس، برقم 2481/ 143.

وعشرون ومائة][1].

وكان له ﷺ بستان يحمل في السنة الفاكهة مرتين، وكان فيها ريحان يجيء منها ريح المسك[2].

2 - ودعا ﷺ لأم أبي هريرة بالهداية فهداها الله فوراً، وأسلمت[3].

3 - وقال ﷺ لعروة بن أبي الجعد البارقي: **((اللهم بارك له في صفقة يمينه))**، فكان يقف في الكوفة ويربح أربعين ألفاً قبل أن يرجع إلى أهله[4]، [وكان لو اشترى التراب لربح فيه][5].

4 - ودعاؤه ﷺ على بعض أعدائه، فلم تتخلف الإجابة، كأبي جهل، وأميّة، وعقبة، وعتبة[6].

5 – ودعاؤه ﷺ يوم بدر، ويوم حنين، وعلى سراقة بن مالك ﷺ، وغير ذلك كثير[7].

والحقيقة أن العاقل المنصف يقف أمام هذه الدلائل والبينات مذعوراً، ولا يسعه إلا أن يقول:أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ.

المبحث الرابع: حقوقه على أمته ﷺ

1 - الإيمان الصادق به ﷺ وتصديقه فيما أتى به قال تعالى: ﴿ **فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾[8]، ﴿ **فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ**

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الصوم،باب من زار قوماً فلم يفطر عندهم،برقم 1982.

(2) أخرجه الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب أنس، برقم 3833 ، وانظر: صحيح سنن الترمذي، للألباني، 334/3 .

(3) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضل أبي هريرة، برقم 2491.

(4) أخرجه أحمد في المسند، 376/4 .

(5) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب حدثنا محمد بن المثنى، برقم 3642.

(6) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، باب إذا ألقي على ظهر المصلي قذر أو جيفة، برقم 240، ومسلم في كتاب الجهاد والسير،باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين،برقم 1794.

(7) انظر: دعاء يوم بدر في صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، برقم 1763، ويوم حنين في مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين، برقم 1775، وقصة سراقة في البخاري مع الفتح، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، برقم 3908.

(8) سورة التغابن، الآية: 8 .

وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[1]، **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾**[2]، **﴿ وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴾**[3]،وقال ﷺ:((**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به**))[4].

والإيمان به ﷺ هو تصديق نبوته، وأن الله أرسله للجن والإنس، وتصديقه في جميع ما جاء به وقاله،ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة اللسان،بأنه رسول الله، فإذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق بالشهادة باللسان ثم تطبيق ذلك بالعمل بما جاء به تمَّ الإيمان به ﷺ[5].

2 - وجوب طاعته ﷺ والحذر من معصيته، فإذا وجب الإيمان به وتصديقه فيما جاء به وجبت طاعته؛ لأن ذلك مما أتى به، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾[6]، **﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾**[7]، **﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾**[8]، **﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾**[9]، **﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾**[10]، **﴿ وَمَن يَعْصِ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُّبِينًا ﴾**[11]، **﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن**

(1) سورة الأعراف، الآية: 158 .
(2) سورة الحديد، الآية: 28 .
(3) سورة الفتح، الآية: 13 .
(4) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، برقم 20/ 34.
(5) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ للقاضي عياض، 539/2 .
(6) سورة الأنفال، الآية: 20 .
(7) سورة الحشر، الآية: 7 .
(8) سورة النور، الآية: 54 .
(9) سورة النور، الآية: 63 .
(10) سورة الأحزاب، الآية: 71 .
(11) سورة الأحزاب، الآية: 36 .

الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله**))[2]، وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**كل الناس يدخلون الجنة إلا من أبى**، قالوا يا رسول الله! ومن يأبى؟ قال: **من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**))[3].

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يُعبد الله وحده لا شريك له، وجُعِلَ رزقي تحت ظلِّ رمحي، وجُعِلَ الذُّلُّ والصَّغارُ على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم**))[4].

3 - اتباعه ﷺ واتخاذه قدوة في جميع الأمور والاقتداء بهديه، قال تعالى:**﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾**[5]، **﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا﴾**[6]،وقال تعالى:**﴿ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾**[7] فيجب السير على هديه والتزام سنته والحذر من مخالفته،قال ﷺ:((**فمن رغب عن سنتي فليس مني**))[8].

4 - محبته ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين، قال

---

(1) سورة النساء، الآيتان: 13- 14 .
(2) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب قول الله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ ﴾، برقم 7137، ومسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، برقم 1835.
(3) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام،باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ،برقم 7280 .
(4) أخرجه أحمد في المسند، 2/ 50، وأخرج بعضه البخاري معلقاً في كتاب الجهاد، باب ما قيل في الرماح، ص 560، ط بيت الأفكار الدولية، وأخرج الجزء الأخير منه أبو داود في كتاب اللباس، باب في لبس الشهرة، برقم 4031، وحسنه العلامة ابن باز رحمه الله.
(5) سورة آل عمران، الآية: 31 .
(6) سورة الأحزاب، الآية: 21 .
(7) سورة الأعراف، الآية: 158 .
(8) أخرجه البخاري في كتاب النكاح،باب الترغيب في النكاح، برقم 5063،ومسلم في كتاب النكاح،باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة،برقم 1401.

الله تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** ﴾(1)،وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**))(2). وقد ثبت في الحديث أن من ثواب محبته الاجتماع معه في الجنة وذلك عندما سأله رجل عن الساعة فقال:((**ما أعددت لها**))؟ قال:يا رسول الله ما أعددت لها كبير صيام،ولا صلاة،ولا صدقة،ولكني أحب الله ورسوله.قال:((**فأنت مع من أحببت**))(3).قال أنس فما فرحنا بعد الإسلام فرحاً أشد من قول النبي ﷺ:((**فإنك مع من أحببت**))،فأنا أحب الله ورسوله،وأبا بكر،وعمر.فأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم(4).

ولما قال عمر بن الخطاب ﷺ: يا رسول الله لأنت أحب إليَّ من كل شيء إلا من نفسي فقال النبي ﷺ: ((**لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك**))، فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إليّ من نفسي فقال النبي ﷺ: ((**الآن يا عمر**))(5)، وعن ابن مسعود ﷺ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف تقول في رجل أحب قوماً ولم يلحق بهم؟ فقال رسول الله ﷺ: ((**المرء مع من أحب**))(6).

وعن العباس بن عبد المطلب ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ((**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً**))(7).

---

(1) سورة التوبة، الآية: 24 .
(2) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان، برقم 15، ومسلم في كتاب الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والناس أجمعين، برقم 44.
(3) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب، برقم 3688، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب المرء مع من أحب، برقم 2639.
(4) مسلم في كتاب البر والصلة والآداب،باب المرء مع من أحب،برقم 163/2639.
(5) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ، برقم 6632.
(6) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة،باب مناقب عمر بن الخطاب،برقم 3688،ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب،باب المرء مع من أحب،برقم 2639.
(7) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً، =

وقال ﷺ: ((**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان الله ورسولُهُ أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحبَّ المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار**))[1].

ولا شك أن من وفّقه الله تعالى لذلك ذاق طعم الإيمان ووجد حلاوته، فيستلذ الطاعة ويتحمل المشاق في رضى الله ﷻ ورسوله ﷺ، ولا يسلك إلا ما يوافق شريعة محمد ﷺ؛ لأنه رضي به رسولاً، وأحبه، ومن أحبه من قلبه صدقاً أطاعه ﷺ؛ ولهذا قال القائل:

تعصي الإله وأنت تُظهر حبَّهُ ... هذا لعمري في القياس بديعُ
لو كان حبُّكَ صادقاً لأطعته ... إن المحبَّ لمن يُحبُّ مطيعُ[2]

وعلامات محبته ﷺ تظهر في الاقتداء به ﷺ، واتباع سنته، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والتأدب بآدابه، في الشدة والرخاء، وفي العسر واليسر، ولا شك أن من أحب شيئاً آثره، وآثر موافقته، وإلا لم يكن صادقاً في حبه ويكون مدّعياً[3].

ولا شك أن من علامات محبته: النصيحة له؛ لقوله ﷺ: ((**الدين النصيحة**)) قلنا لمن؟ قال: ((**لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم**))[4]، والنصيحة لرسوله ﷺ: التصديق بنبوته، وطاعته فيما أمر به، واجتناب ما نهى عنه، ومُؤازرته، ونصرته وحمايته حياً وميتاً، وإحياء سنته والعمل بها وتعلمها، وتعليمها والذب عنها، ونشرها، والتخلق بأخلاقه الكريمة، وآدابه الجميلة[5].

5 - احترامه وتوقيره ونصرته كما قال تعالى: ﴿ **لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ** ﴾[6]، ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا**

=

وبمحمد ﷺ رسولاً فهو مؤمن وإن ارتكب المعاصي الكبائر، برقم 34.

(1) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، برقم 16، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، برقم 43.

(2) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ، 549/2، و 563/2 .

(3) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ، 571/2-582 .

(4) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، برقم 55.

(5) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ للقاضي عياض، 582/2-584 .

(6) سورة الفتح، الآية: 9 .

بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[1]، **﴿ لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾**[2].

وحرمة النبي ﷺ بعد موته، وتوقيره لازم كحال حياته وذلك عند ذكر حديثه، وسنته، وسماع اسمه وسيرته، وتعلم سنته، والدعوة إليها، ونصرتها[3].

6 - الصلاة عليه ﷺ قال الله تعالى: **﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾**[4]، وقال ﷺ: **((.. من صلّى عليّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً))**[5]، وقال ﷺ: **((لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً وصلّوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم))**[6]، وقال ﷺ: **((البخيل من ذكرت عنده فلم يصلِّ عليّ))**[7]، وقال ﷺ: **((ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه، ولم يصلّوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة، فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم))**[8]، وقال ﷺ: **((إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام))**[9]، وقال جبريل

---

(1) سورة الحجرات، الآية: 1 .
(2) سورة النور، الآية: 63 .
(3) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ، 2/ 595، و 612 .
(4) سورة الأحزاب، الآية: 56 .
(5) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يسأل الله له الوسيلة، برقم 384.
(6) أخرجه أبو داود في كتاب المناسك،باب زيارة القبور،برقم 2042،وأحمد في المسند،367/2، والطبراني في المعجم الأوسط،برقم 8026،وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود،1/ 571.
(7) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات، باب قول رسول الله ﷺ: رغم أنف رجل، برقم 3546، وأحمد، 1/ 201، والحاكم، 1/ 549، وأبو يعلي، برقم 6776، وابن حبان كما في الموارد، برقم 2388. وقال أبو عيسى: ((هذا حديث حسن صحيح غريب))، وقال الحاكم: ((صحيح))، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم 2878.
(8) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات، باب في القوم يجلسون ولا يذكرون الله، برقم 3380، وأحمد بن حنبل في المسند، 2/ 446، 453، 481، 484، 495، وقال أبو عيسى: ((هذا حديث حسن صحيح))، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم 74.
(9) أخرجه أحمد في المسند، 1/ 441، والنسائي في كتاب السهو، باب السلام على النبي ﷺ، برقم 1280، وابن حبان في صحيحه، برقم 914، والحاكم في المستدرك، 2/ 421، وقال: ((صحيح ولم يخرجاه))، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم 2174.

عَلَيْهِ السَّلَامُ للنبي ﷺ: **((رغم أنف عبد - أو بَعُد - ذُكِرتَ عنده فلم يصلّ عليك))** فقال ﷺ: **((آمين))**[1]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **((ما من أحد يسلم عليَّ إلا رد الله عليّ روحي حتى أرد عليه السلام))**[2].

* وللصلاة على النبي ﷺ مواطن كثيرة ذكر منها الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى واحداً وأربعين موطناً، منها على سبيل المثال: الصلاة عليه ﷺ عند دخول المسجد، وعند الخروج منه، وبعد إجابة المؤذن، وعند الإقامة، وعند الدعاء، وفي التشهد في الصلاة، وفي صلاة الجنازة، وفي الصباح والمساء، وفي يوم الجمعة، وعند اجتماع القوم قبل تفرقهم، وفي الخطب: كخطبتي صلاة الجمعة، وعند كتابة اسمه، وفي أثناء صلاة العيدين بين التكبيرات، وآخر دعاء القنوت، وعلى الصفا والمروة، وعند الوقوف على قبره، وعند الهم والشدائد وطلب المغفرة، وعقب الذنب إذا أراد أن يكفر عنه، وغير ذلك من المواطن التي ذكرها رحمه الله في كتابه[3].

ولو لم يرد في فضل الصلاة على النبي ﷺ إلا حديث أنس رضي الله عنه لكفى **((من صلى عليّ صلاةً واحدة صلى الله عليه عشر صلوات[4]، [كتب الله له بها عشر حسنات][5] وحط عنه بها عشر سيئات، ورفعه بها عشر درجات))**[6].

7 - وجوب التحاكم إليه والرضى بحكمه ﷺ، قال الله تعالى: ﴿ **فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ**

---

(1) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، برقم 646، وابن خزيمة في صحيحه، برقم 1888، وأحمد، 254/2، والترمذي في كتاب الدعوات، باب قول رسول الله ﷺ: ((رغم أنف رجل))،برقم 3545، وصححه الألباني في صحيح الجامع،برقم 3510.

(2) أخرجه أبو داود في كتاب المناسك، باب زيارة القبور، برقم 2041، وأحمد، 2/ 527، والبيهقي في سننه الكبرى، 5/ 245، والطبراني في الأوسط، برقم 3116، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم 2266.

(3) راجع كتاب جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام ﷺ للإمام ابن القيم رحمه الله تعالى.

(4) السياق يقتضي ((و)).

(5) هذه الزيادة من حديث طلحة في مسند أحمد، 29/4 .

(6) أخرجه أحمد، 261/3، وابن حبان، برقم 2390 (موارد)، والحاكم، 551/1، وصححه الأرنؤوط في تحقيقه لجلاء الأفهام، ص65 .

بالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾[1]، ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾[2] ويكون التحاكم إلى سنته وشريعته بعده ﷺ.

8 - إنزاله مكانته ﷺ بلا غلو ولا تقصير، فهو عبد الله ورسوله، وهو أفضل الأنبياء والمرسلين، وهو سيد الأولين والآخرين، وهو صاحب المقام المحمود والحوض المورود، ولكنه مع ذلك بشر لا يملك لنفسه ولا لغيره ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله كما قال تعالى: ﴿ قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[4]، ﴿ قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا * قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾[5]، وقد مات ﷺ كغيره من الأنبياء ولكن دينه باقٍ إلى يوم القيامة ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾[6]، ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ * كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾[7]، وبهذا يعلم أنه لا يستحق العبادة إلا الله وحده لا شريك له ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾[8].

المبحث الخامس: عموم رسالته ﷺ وختمها لجميع النبوات

إنّ أصل الأصول هو تحقيق الإيمان بما جاء به محمد ﷺ، وأنه رسول الله إلى جميع الخلق:إنسهم وجنّهم،عربهم وعجمهم، كتابيِّهم

(1) سورة النساء، الآية: 59 .
(2) سورة النساء، الآية: 65 .
(3) سورة الأنعام، الآية: 50 .
(4) سورة الأعراف، الآية: 188 .
(5) سورة الجن، الآيتان: 21- 22 .
(6) سورة الزمر، الآية: 30 .
(7) سورة الأنبياء، الآيتان: 34- 35 .
(8) سورة الأنعام، الآيتان: 162-163 .

ومجوسيِّهم، رئيسهم ومرؤوسهم، وأنه لا طريق إلى الله ﷻ لأحد من الخلق إلا بمتابعته ﷺ باطناً وظاهراً، حتى لو أدركه موسى وعيسى، وغيرهم من الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام؛ لوجب عليهم اتباعه، كما قال تعالى: **﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ * فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾**[1].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ((ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق: لئن بعث محمد وهو حيٌّ ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به، ولينصرنه))[2]؛ ولهذا جاء في الحديث: ((**لو كان موسى حيّاً بين أظهركم ما حلّ له إلا أن يتبعني**))[3].

ومن خالف عموم رسالة النبي ﷺ لا يخلو من أحد أمرين:

1 - إما أن يكون المخالِفُ مؤمناً بأنه مرسل من عند الله؛ ولكنه يقول رسالته خاصة بالعرب.

2 - وإما أن يكون المخالف منكراً للرسالة جملةً وتفصيلاً.

فأما المعترف له بالرسالة؛ولكنه يجعلها خاصة بالعرب فإنه يلزمه أن يصدقه في كل ما جاء به عن الله تعالى،ومن ذلك عموم رسالته،ونسخها للشرائع قبلها،فقد بيّن ﷺ أنه رسول الله إلى الناس أجمعين،وأرسل رسله،وبعث كتبه في أقطار الأرض إلى كسرى،وقيصر،والنجاشي، وسائر ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام، ثم قاتل من لم يدخل في الإسلام من المشركين،وقاتل أهل الكتاب، وسبى ذراريهم،وضرب الجزية عليهم،وذلك كلّه بعد

---

(1) سورة آل عمران، الآيتان: 81- 82 .

(2) انظر:الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية،ص77، 191-200، وفتاوى ابن تيمية، 9/19-65، بعنوان: إيضاح الدلالة في عموم الرسالة للثقلين، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، 1/31-176، وتفسير ابن كثير، 1/378، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، 2/334، ومعالم الدعوة للديلمي، 1/454-456، والمناظرة بين الإسلام والنصرانية، ص303-309 .

(3) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، 3/338، وله شواهد وطرق كثيرة ذكرها الهيثمي في مجمع الزوائد، 1/173-174، وانظر: مشكاة المصابيح بتحقيق الألباني، 1/63، 68 .

امتناعهم عن الدخول في الإسلام،أما كونه يؤمن برسول ولا يصدّقه في جميع ما جاء به فهذا تناقض ومكابرة.

* وأما المنكر لرسالة نبينا محمد ﷺ مطلقاً، فقد قام البرهان القاطع على صدق صاحب الرسالة ﷺ، ولا تزال معجزات القرآن تتحدى الإنس والجنّ، فإمَّا أن يأتي بما يُناقض المعجزة القائمة وإلا لزمه الاعتراف بمدلولها، فإن اعترف بالرسالة لزمه التّصديق بكل ما أخبر به الرسول ﷺ، وإن ذهب يُكابر ويُعاند ليأتي بقرآن مثل ما جاء به محمد ﷺ وقع في العجز وفضح نفسه لا محالة؛ لأن أصحاب الفصاحة والبلاغة قد عجزوا عن ذلك، ولا شك أن غيرهم أعجز عن هذا؛ لأن القرآن معجزة قائمة مستمرة خالدة[1].

وحينئذ يلزم جميع الخلق العمل بما فيه، والتحاكم إليه.

وقد صرح القرآن الكريم بأن محمداً ﷺ رسول إلى جميع الناس، وخاتم النبيين، قال تعالى: ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِـي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا** ﴾[3]، ﴿ **وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ** ﴾[4].

وهذا تصريح بعموم رسالته لكل من بلغه القرآن.

وصرح تعالى بشمول رسالة النبي ﷺ لأهل الكتاب، فقال: ﴿ **وَقُل لِّلَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ** ﴾[5]، ﴿ **مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ** ﴾[6]، ﴿ **وَمَا**

(1) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، 144/1، 166، ومناهج الجدل في القرآن الكريم، ص303، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للدكتور/ صالح بن فوزان، 182/2 .
(2) سورة الأعراف، الآية: 158.
(3) سورة الفرقان، الآية: 1.
(4) سورة الأنعام، الآية: 19.
(5) سورة آل عمران، الآية: 20 .
(6) سورة الأحزاب، الآية: 40 .

أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[1]، **﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾**[2].

وبلغ ﷺ الناس جميعاً أنه خاتم الأنبياء، وأن رسالته عامّة، قال ﷺ: ((**أعطيت خمساً لم يُعطهُنَّ أحد من الأنبياء قبلي**))، وذكر منها: ((**وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصّة، وبُعثت إلى الناس كافّة**))... الحديث[3].

وقال ﷺ: ((**مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلاّ موضع لبنة من زاوية،فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون:هلاّ وُضِعت هذه اللبنة**))؟ قال:((**فأنا اللّبنة،وأنا خاتم النبيين**))[4].

وعموم رسالته ﷺ لجميع الإنس والجنّ في كل زمان ومكان من بعثته إلى يوم القيامة،وكونها خاتمة الرسالات،يقضي ويدلّ دلالة قاطعة على أن النبوة قد انقطعت بانقطاع الوحي بعده،وأنه لا مصدر للتشريع والتعبد إلا كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ،وهذا يقتضي وجوب الإيمان بعموم رسالته،واتباع ما جاء به،فقد قال ﷺ:((**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به إلا كان من أصحاب النار**))[5].وبهذا تقوم الحجة وتثبت رسالة النبي ﷺ وعمومها وشمولها لجميع الثقلين:الإنس والجنّ،في كل زمان ومكان إلى قيام الساعة: **﴿ قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾**[6]،**﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ... ﴾**[7].

---

(1) سورة الأنبياء، الآية: 107 .
(2) سورة سبأ، الآية: 28 .
(3) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب قول النبي ﷺ: جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، برقم 438، ومسلم، كتاب المساجد، برقم 521 .
(4) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب خاتم النبيين، برقم 3535، ومسلم، كتاب الفضائل، باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين، برقم 2286.
(5) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس، ونسخ الملل بملته، برقم 153.
(6) سورة الأنعام، الآية: 104 .
(7) سورة الكهف، الآية: 29 .

المبحث السادس: تحريم الغلو فيه ﷺ

1 - الغلو في الصالحين هو سبب الشرك بالله تعالى، فقد كان الناس منذ أُهبط آدم ﷺ إلى الأرض على الإسلام، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ((كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام))[1].

وبعد ذلك تعلّق الناس بالصالحين، ودبَّ الشرك في الأرض، فبعث الله نوحاً ﷺ يدعو إلى عبادة الله وحده، وينهى عن عبادة ما سواه[2]، وردّ عليه قومه: **﴿ وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾**[3].

وهذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً، وسموها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تُعبد حتى إذا هلك أولئك ونُسِيَ العلم عُبِدت))[4].

وهذا سببه الغلو في الصالحين؛ فإن الشيطان يدعو إلى الغلو في الصالحين وإلى عبادة القبور، ويُلقي في قلوب الناس أن البناء والعكوف عليها من محبة أهلها من الأنبياء والصالحين، وأن الدعاء عندها مستجاب، ثم ينقلهم من هذه المرتبة إلى الدعاء بها والإقسام على الله بها، وشأن الله أعظم من أن يُسأل بأحد من خلقه، فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم إلى دعاء صاحب القبر وعبادته وسؤاله الشفاعة من دون الله، واتخاذ قبره وثناً تُعلّق عليه الستور، ويطاف به، ويستلم ويقبل، ويذبح عنده، ثم ينقلهم من ذلك إلى مرتبة رابعة: وهي دعاء الناس إلى عبادته واتخاذه عيداً، ثم ينقلهم إلى أن من نهى عن ذلك فقد تنقَّصَ أهل هذه الرتب العالية من الأنبياء والصالحين، وعند ذلك يغضبون[5].

ولهذا حذّر الله عباده من الغلو في الدين، والإفراط بالتعظيم بالقول أو الفعل أو الاعتقاد، ورفع المخلوق عن منزلته التي أنزله الله تعالى،

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب التاريخ، 546/2، وقال: ((هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه))، ووافقه الذهبي، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية، 101/1، وعزاه إلى البخاري، وانظر: فتح الباري، 372/6 .

(2) انظر: البداية والنهاية لابن كثير، 106/1 .

(3) سورة نوح، الآية: 23 .

(4) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، سورة نوح، برقم 4920 .

(5) انظر: تفسير الطبري، 62/29، وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد، ص246 .

كما قال تعالى: **﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾**(1)؛ ولهذا حذّر رسول الله عن الإطراء فقال: ((**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله**))(2)، وقال: ((**إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**))(3).

2 - وحذَّر ﷺ عن اتخاذ المساجد على القبور؛ لأن عبادة الله عند قبور الصالحين وسيلة إلى عبادتهم؛ ولهذا لما ذكرت أم حبيبة وأم سلمة رضي الله عنهما لرسول الله ﷺ كنيسة في الحبشة فيها تصاوير قال: ((**إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة**))(4).

ومن حرص النبي ﷺ على أمته أنه عندما نزل به الموت قال:((**لَعْنَةُ الله على اليهود والنصارى،اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**)). قالت عائشة رضي الله عنها: يحذر ما صنعوا(5).

وقال قبل أن يموت بخمس: ((**ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك**))(6).

3 - وحذّر ﷺ أمته عن اتخاذ قبره وثناً يُعبد من دون الله، ومن باب أولى غيره من الخلق، فقال: ((**اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد،**

---

(1) سورة النساء، الآية: 171 .

(2) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء،باب قوله تعالى:﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ.. ﴾، برقم 3445.

(3) أخرجه النسائي في كتاب مناسك الحج، باب التقاط الحصى، برقم 3055، وابن ماجه في كتاب المناسك، باب قدر حصى الرمي، برقم 3028، وأحمد، 347/1، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي، 2/ 356 .

(4) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار،باب هجرة الحبشة،برقم 3873،ومسلم،كتاب المساجد ومواضع الصلاة،باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها،برقم 528.

(5) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة،باب حدثنا أبو اليمان،برقم 435،و436،ومسلم،كتاب المساجد ومواضع الصلاة،باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها،برقم 531.

(6) أخرجه مسلم،كتاب المساجد ومواضع الصلاة،باب النهي عن بناء المساجد على القبور،برقم 532.

اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))[1].

ولعن ﷺ من اتخذ المساجد على القبور؛ لينفّر عن هذا الفعل، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: **((لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج))**[2].

ولم يترك ﷺ باباً من أبواب الشرك التي تُوصل إليه إلا سدّه[3]،قال ﷺ: **((لا تجلسوا على القبور، ولا تصلّوا إليها))**[4].

وقد بيّن ﷺ أن القبور ليست مواضع للصلاة، وأن من صلى عليه وسلم فستبلغه صلاته سواء كان بعيداً عن قبره أو قريباً، فلا حاجة لاتخاذ قبره عيداً: **((لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم))**[5].

وقال ﷺ:**((إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلّغوني من أمتي السلام))**[6].

وإذا كان قبر النبي ﷺ أفضل قبر على وجه الأرض وقد نهى عن اتخاذه عيداً، فغيره أولى بالنهي كائناً من كان[7].

---

(1) الموطأ للإمام مالك، كتاب قصر الصلاة في السفر، باب جامع الصلاة، 172/1، وهو عنده مرسل، ولفظ أحمد، 246/2: ((اللهم لا تجعل قبري وثناً، ولعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))، وأبو نعيم في الحلية 317/7، وانظر: فتح المجيد، ص150، ولفظ الإمام أحمد في المسند عن أبي هريرة رضي الله عنه، 12/ 314، برقم 7358: ((اللهم لا تجعل قبري وثناً، لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))، وقال محققو المسند، 12/ 314: ((إسناده قوي)). .

(2) أخرجه النسائي، كتاب الجنائز، باب التغليظ في اتخاذ السرج على القبور، برقم 2041، وأبو داود، كتاب الجنائز، باب في زيارة النساء القبور، برقم 3236، والترمذي، كتاب الصلاة، باب كراهية أن يتخذ على القبر مسجداً،برقم 320،وابن ماجه في الجنائز،باب النهي عن زيارة النساء للقبور،برقم 1575،وأحمد، 229/1، 287، 324، و337/2، و3/ 442، 443، والحاكم، 374/1، وانظر ما نقله صاحب فتح المجيد في تصحيح الحديث عن ابن تيمية، ص276 .

(3) انظر: فتح المجيد، ص281 .

(4) أخرجه مسلم، كتاب الجنائز، باب النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليه، برقم 972.

(5) أخرجه أبو داود في كتاب المناسك، باب زيارة القبور، برقم 2042بإسناد حسن، وأحمد، 357/2، وانظر: صحيح سنن أبي داود، 383/1 .

(6) أخرجه النسائي في السهو، باب السلام على النبي ﷺ، برقم 1280، وأحمد، 452/1، وإسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ، برقم 21، ص24، وسنده صحيح، وصححه الألباني في صحيح النسائي، 1/ 410.

(7) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية لعبد الرحمن بن قاسم، 165/6-174 .

وقد كان ﷺ يطهر الأرض من وسائل الشرك،فيبعث بعض أصحابه إلى هدم القباب المشرفة على القبور، وطمس الصور،فعن أبي الهياج الأسدي قال:قال لي علي بن أبي طالب: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول اللهﷺ؟ ((**أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته**))[1].

4 - وكما سد ﷺ كل باب يوصّل إلى الشرك فقد حمى التوحيد عما يقرب منه ويخالطه من الشرك وأسبابه، فقال ﷺ: ((**لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى**))[2].

فدخل في هذا النهي شدّ الرحال لزيارة القبور والمشاهد،وهو الذي فهمه الصحابة ﷺ من قول النبي ﷺ؛ ولهذا عندما ذهب أبو هريرة ﷺ إلى الطور،فلقيه بصرة بن أبي بصرة الغفاري، فقال: من أين جئت؟ قال: من الطور. فقال: لو أدركتك قبل أن تخرج إليه ما خرجت إليه، سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد...**))[3].

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((وقد اتفق الأئمة على أنه لو نذر أن يسافر إلى قبره ﷺ أو غيره من الأنبياء والصالحين لم يكن عليه أن يوفي بنذره، بل ينهى عن ذلك))[4].

5 - أنواع زيارة القبور: زيارة القبور نوعان:

النوع الأول: زيارة شرعية يقصد بها السلام عليهم والدعاء لهم، كما يقصد الصلاة على أحدهم إذا مات صلاة الجنازة، ولتذكر الموت - بشرط عدم شدّ الرِّحال - ولاتباع سنة النبي ﷺ.

النوع الثاني: زيارة شركية وبدعية[5]، وهذا النوع ثلاثة أنواع:

(1) أخرجه مسلم، كتاب الجنائز، الأمر بتسوية القبر، برقم 969.

(2) أخرجه البخاري في كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، برقم 1189، ومسلم بلفظه، كتاب الحج، باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره، برقم 827.

(3) أخرجه النسائي في كتاب الجمعة، باب الساعة التي يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة، 114/3، برقم 1428، ومالك في الموطأ، كتاب الجمعة، باب الساعة التي في يوم الجمعة، 109/1، وأحمد في المسند، 7/6، 397، وانظر: فتح المجيد، ص289، وصحيح النسائي، للألباني، 309/1 .

(4) انظر: فتاوى ابن تيمية، 234/1 .

(5) انظر: فتاوى ابن تيمية، 233/1 ، والبداية والنهاية، 123/14 .

1 - من يسأل الميت حاجته، وهؤلاء من جنس عُبَّاد الأصنام.

2 - من يسأل الله تعالى بالميت، كمن يقول: أتوسل إليك بنبيك، أو بحق الشيخ فلان، وهذا من البدع المحدثة في الإسلام، ولا يصل إلى الشرك الأكبر، فهو لا يُخرجُ عن الإسلام كما يُخرج الأول.

3 - من يظنّ أن الدعاء عند القبور مُستجاب، أو أنه أفضل من الدعاء في المسجد، وهذا من المنكرات بالإجماع[1].

❁ ❁ ❁

(1) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية، 6/165-174 .

الفصل الثالث: نواقض ونواقص الشهادتين

المبحث الأول: أقسام المخالفات

كل من أتى بناقض من نواقض الإسلام فقد أبطل كلمة التوحيد في حقه وصار مرتداً كافراً، ولا شك أن المخالفات لأمر الله تعالى قسمان:

القسم الأول: يوجب الردة، ويبطل الإسلام بالكلية، ويكون صاحبه كافراً كفراً أكبر، وهو من أتى بناقض من نواقض الإسلام.

القسم الثاني: لا يبطل الإسلام ولكن ينقصه ويضعفه ويكون صاحبه على خطر عظيم من غضب الله تعالى وعقابه إذا لم يتب وهو جنس المعاصي التي يعرف صاحبها أنها معاصي كالزنا ولكن لا يستحلها فهذا تحت مشيئة الله تعالى إن شاء عذبه ثم أدخله الجنة بإيمانه وعمله الصالح وإن شاء غفر له[1].

المبحث الثاني: أخطر النواقض وأكثرها وقوعاً.

أما نواقض الإسلام فهي كثيرة وقد ذكر العلماء رحمهم الله تعالى في باب حكم المرتد: أن المسلم قد يرتد عن دينه بأمور وأنواع كثيرة من النواقض التي تحل دمه وماله ويكون بها خارجاً من الإسلام، ومن أخطرها وأكثرها وقوعاً عشرة نواقض[2]:

الأول: الشرك في عبادة الله تعالى، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء** ﴾[3]، وقال سبحانه: ﴿ **إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ** ﴾[4]، ومنه الذبح لغير الله كمن يذبح للجن أو لقبر.

---

(1) انظر: فتاوى سماحة العلامة ابن باز، 20/4، و 45 .

(2) ذكرها الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى،وأنا أذكرها بنصها،ثم أذكر بعدها بعض التوضيحات لأهل العلم. انظر هذه النواقض في مؤلفات الإمام محمد بن عبد الوهاب، القسم الأول، العقيدة والآداب الإسلامية، ص385، ومجموعة التوحيد لشيخي الإسلام محمد بن عبد الوهاب وأحمد بن تيمية، ص27، 28 .

(3) سورة النساء، الآية: 116 .

(4) سورة المائدة، الآية: 72 .

الثاني: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم، ويسألهم الشفاعة، ويتوكل عليهم، فقد كفر إجماعاً.

الثالث:من لم يكفِّر المشركين،أو شك في كفرهم،أو صحح مذهبهم كفر.

الرابع: من اعتقد أن هدي غير النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه فهو كافر.

الخامس: من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به كفر إجماعاً ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَـهُمْ** ﴾[1].

السادس:من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثوابه، أو عقابه،كفر.والدليل قوله تعالى:﴿**قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ * لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ** ﴾[2].

السابع: السحر ومنه الصرف[3]، والعطف[4]، فمن فعله أو رضي به كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿ **وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ** ﴾[5].

الثامن: مظاهرة[6] المشركين ومعاونتهم على المسلمين والدليل قوله تعالى: ﴿ **وَمَن يَتَوَلَّـهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾[7].

التاسع: من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام فهو كافر.

---

(1) سورة محمد، الآية: 9 .
(2) سورة التوبة، الآيتان: 65- 66 .
(3) الصرف: عمل سحري يقصد منه تغيير الإنسان وصرفه عما يهواه، كصرف الرجل عن محبة زوجته إلى بغضها.
(4) العطف:عمل سحري يقصد منه ترغيب الإنسان فيما لا يهواه، فيحبه بطرق شيطانية.
(5) سورة البقرة، الآية: 102 .
(6) المظاهرة: المناصرة والتعاون معهم على المسلمين.
(7) سورة المائدة، الآية: 51 .

العاشر: الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به والدليل قوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ** ﴾[1]، ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل، والجاد، والخائف، إلا المكره، وكلها أعظم ما يكون خطراً وأكثر ما يكون وقوعاً، فينبغي للمسلم أن يحذرها، ويخاف منها على نفسه. نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه[2].

المبحث الثالث: تفصيل الناقض الأول والرابع وأنواع النفاق والبدع

1 – **تفصيل الناقض الأول من هذه النواقض: ((الشرك))**: قيل: أشرك بالله: جعل له شريكاً: في ملكه، أو عبادته، فالشرك أن تجعل لله نداً وهو خلقك، وهو أكبر الكبائر، والماحق للأعمال، والمبطل لها، والحارم المانع من ثوابها: فكل من عدل بالله غيره: بالحب، أو العبادة، أو التعظيم، أو اتبع خطواته ومبادئه المخالفة لملة إبراهيم فهو مشرك[3].

والشرك ثلاثة أنواع:

النوع الأول: **شرك أكبر** يخرج من الملة [وهو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله تعالى]؛ لقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا** ﴾[4]، وهو أربعة أنواع:

1 – **شرك الدعوة**: لقوله تعالى: ﴿ **فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ** ﴾[5].

2 – **شرك النية والإرادة والقصد**: لقوله تعالى: ﴿ **مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ * أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا**

---

(1) سورة السجدة، الآية: 22 .

(2) مجموعة التوحيد لشيخي الإسلام: محمد بن عبد الوهاب والشيخ أحمد بن تيمية رحمهما الله، ص27، 28، ومؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، القسم الأول، العقيدة والآداب الإسلامية، ص385، 387، ومجموعة فتاوى ابن باز، 135/1 .

(3) انظر: قضية التكفير للمؤلف، ص9 .

(4) سورة النساء، الآية: 116 .

(5) سورة العنكبوت، الآية: 65 .

صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[1].

3 – **شرك الطاعة:** وهي طاعة الأحبار والرهبان وغيرهم في معصية الله تعالى قال سبحانه: **﴿ اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾**[2].

4 – **شرك المحبة:** لقوله تعالى: **﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ ﴾**[3].

النوع الثاني من أنواع الشرك: **شرك أصغر** لا يخرج من الملة [وهو: كل وسيلة: قولية، أو فعلية، أو إرادية توصل إلى الشرك الأكبر، ما لم تبلغ رتبة العبادة]، أو [هو: كل ما جاء في النصوص بتسميته شركاً ولم يصل إلى حدِّ الشرك الأكبر]. ومنه يسير الرياء قال تعالى: **﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾**[4]، ومنه الحلف بغير الله؛ لقوله ﷺ: **((من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك))**[5]، ومنه قول الرجل: لولا الله وأنت، أو ما شاء الله؛ وشئت، [أو هذا من الله ومنك، أو أنا بالله وبك، أو توكلت على الله وعليك].

النوع الثالث من أنواع الشرك:**شرك خفي:((الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النملة السوداء على صفاة سوداء في ظلمة الليل))**[6]، وكفارته هي أن يقول العبد: **((اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلم، وأستغفرك من الذنب الذي لا أعلم))**[7].

قال ابن كثير في تفسيره: قال ابن عباس في قوله تعالى: **﴿ فَلاَ**

(1) سورة هود، الآيتان: 15- 16 .
(2) سورة التوبة، الآية: 31 .
(3) سورة البقرة، الآية: 165 .
(4) سورة الكهف، الآية: 110 .
(5) أخرجه الترمذي في كتاب النذور والأيمان، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله، برقم 1535، وأحمد، 2/ 125، والحاكم، 1/ 18، وقال: ((صحيح على شرط الشيخين))، ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم 6204.
(6) أخرجه أحمد، 4/ 403،وأبو يعلى،برقم 58، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم 3730.
(7) انظر: تخريج الحديث السابق، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم 3731، ومجموعة التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب، وابن تيمية، ص6 .

تَجْعَلُواْ للهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[1]، قال: الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن يقول: والله وحياتِك يا فلان، وحياتي، ويقول: لولا كلب هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت وقول الرجل: لولا الله وفلان[2].

أما الحديث الذي تقدم ذكره في الاستدلال للنوع الثاني من أنواع الشرك، وهو قوله ﷺ: ((**مَن حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**))[3]، قال الترمذي رحمه الله: ((فُسِّرَ هذا الحديث عند بعض أهل العلم أن قوله: فقد كفر أو أشرك على التغليظ والحجة في ذلك حديث ابن عمر أن النبي ﷺ: سمع عمر يقول: وأبي وأبي، فقال ﷺ: ((**ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم**))[4]. وحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ((**من قال في حلفه: واللات والعزى فليقل لا إله إلا الله**))[5].

ولعل الشرك الخفي يدخل في الشرك الأصغر فيكون الشرك شركين: شرك أكبر، وشرك أصغر، وهذا الذي أشار إليه ابن القيم رحمه الله[6].

2 – **تفصيل الناقض الرابع**: ويدخل في القسم الرابع من نواقض الإسلام: من اعتقد أن الأنظمة والقوانين التي يسنها الناس أفضل من شريعة الإسلام، أو أنها مساوية لها، أو أنه يجوز التحاكم إليها ولو اعتقد أن الحكم بالشريعة أفضل، أو أن نظام الإسلام لا يصلح تطبيقه في القرن العشرين، أو أنه كان سبباً في تخلف المسلمين، أو أنه يحصر في علاقة المرء بربه دون أن يتدخل في شؤون الحياة الأخرى، ويدخل فيه أيضاً من يرى أن إنفاذ حكم الله في قطع يد

---

(1) سورة البقرة، الآية: 22 .
(2) تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير، 32/1 .
(3) أخرجه الترمذي في كتاب النذور والأيمان، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله، برقم 1535، وأحمد، 2/ 125، والحاكم، 1/ 18، وقال: ((صحيح على شرط الشيخين))، ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم 6204، وفي صحيح سنن الترمذي، 2/ 175.
(4) أخرجه الترمذي في كتاب النذور والأيمان، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله، برقم 1534، وقال: ((هذا حديث حسن صحيح))، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، 2/ 175.
(5) أخرجه الترمذي في كتاب النذور والأيمان، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله، برقم 1535، وانظر: صحيح سنن الترمذي للألباني، 2/ 175.
(6) انظر: الجواب الكافي لابن القيم، ص233 .

السارق أو رجم الزاني المحصن لا يناسب العصر الحاضر، ويدخل في ذلك أيضاً كل من اعتقد أنه يجوز الحكم بغير شريعة الله في المعاملات أو الحدود أو غيرهما وإن لم يعتقد أن ذلك أفضل من حكم الشريعة؛ لأنه بذلك يكون قد استباح ما حرم الله إجماعاً وكل من استباح ما حرم الله مما هو معلوم من الدين بالضرورة: كالزنا، والخمر، والربا، والحكم بغير شريعة الله فهو كافر بإجماع المسلمين. نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه[1].

والخلاصة أن الحكم بغير ما أنزل الله فيه تفصيل وإليك الصواب في ذلك إن شاء الله تعالى:

قال تعالى: ﴿ **وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ الله فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ** ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ **وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ الله فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾[3]، وقال سبحانه: ﴿ **وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ الله فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾[4]، قال طاووس وعطاء: كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق[5] والصواب أن من حكم بغير ما أنزل الله قد يكون مرتداً، وقد يكون مسلماً عاصياً مرتكباً لكبيرة من كبائر الذنوب؛ فلهذا نجد أن أهل العلم قد قسموا الكلمات الآتية إلى قسمين، وهي كلمة: كافر، وفاسق، وظالم، ومنافق، ومشرك. فكفر دون كفر،وظلم دون ظلم، وفسوق دون فسوق، ونفاق دون نفاق،وشرك دون شرك.

فالأكبر يخرج من الملة لمنافاته أصل الدين بالكلية. والأصغر ينقص الإيمان وينافي كماله، ولا يخرج صاحبه من الملة؛ ولهذا فصَّل العلماءُ القول في حكم من حكم بغير ما أنزل الله.

وسمعت شيخنا سماحة الإمام الشيخ عبد العزيز بن عبد الله ابن باز رحمه الله تعالى يقول:من حكم بغير ما أنزل الله فلا يخرج عن أربعة أنواع:

1 - من قال أنا أحكم بهذا لأنه أفضل من الشريعة الإسلامية فهو كافر كفراً أكبر.

---

(1) انظر: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للعلامة ابن باز، 137/1 .

(2) سورة المائدة، الآية: 44 .

(3) سورة المائدة، الآية: 45 .

(4) سورة المائدة، الآية: 47 .

(5) تفسير العلي القدير لاختصار ابن كثير، 55/2 .

2 - ومن قال أنا أحكم بهذا لأنه مثل الشريعة الإسلامية، فالحكم بهذا جائز وبالشريعة جائز، فهو كافر كفراً أكبر.

3 - ومن قال أنا أحكم بهذا، والحكم بالشريعة الإسلامية أفضل لكن الحكم بغير ما أنزل الله جائز. فهو كافر كفراً أكبر.

4 - ومن قال أنا أحكم بهذا وهو يعتقد أن الحكم بغير ما أنزل الله لا يجوز ويقول الحكم بالشريعة الإسلامية أفضل ولا يجوز الحكم بغيرها ولكنه متساهل أو يفعل هذا لأمرٍ صادر من حُكّامه فهو كافر كفراً أصغر لا يخرج من الملة ويعتبر من أكبر الكبائر[1].

ولا منافاة بين تسمية العمل فسقاً، أو عامله فاسقاً، وبين تسميته مسلماً وجريان أحكام المسلمين عليه؛ لأنه ليس كل فسق يكون كفراً، ولا كل ما يسمى كفراً، وظلماً، يكون مخرجاً من الملة حتى ينظر إلى لوازمه وملزوماته وذلك؛ لأنَّ كلاً من الكفر، والظلم، والفسوق، والنفاق جاءت في النصوص على قسمين:

أ - أكبر يُخرج من الملة لمنافاته أصل الدين بالكلية.

ب - أصغر يُنقص الإيمان ويُنافي كماله، ولا يُخرج صاحبه منه. فكفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسوق دون فسوق، ونفاق دون نفاق. والفاسق بالمعاصي التي لا توجب الكفر لا يخلد في النار، بل أمره مردود إلى الله تعالى، إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة من أول وهلة برحمته وفضله، وإن شاء عاقبه بقدر الذنب الذي مات مصراً عليه ولا يخلده في النار، بل يُخرجه برحمته ثم بشفاعة الشافعين إن كان مات على الإيمان[2].

3 - **أنواع النفاق:** ويدخل في نواقض لا إله إلا الله جميع أنواع النفاق الاعتقادي؛

فإن النفاق نوعان:

(أ) نفاق اعتقادي يُخرج من الملَّة، وهو ستة أنواع:

1 - تكذيب الرسول ﷺ.

2 أو تكذيب بعض ما جاء به الرسول ﷺ.

3 أو بغض الرسول ﷺ.

(1) حدثنا بهذا الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، وهو مسجل في شريط في مكتبتي الخاصة، وانظر: فتاوى سماحته، 137/1 .

(2) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم أصول التوحيد، لحافظ الحكمي، 423/2 .

4 أو بغض ما جاء به الرسول ﷺ.
5 أو المسرة بانخفاض دين الرسول ﷺ.
6 أو الكراهية لانتصار دين الرسول ﷺ.
فهذه الأنواع الستة صاحبها من أهل الدرك الأسفل من النار.

(ب) النوع الثاني النفاق العملي لا يخرج من الملة وهو خمسة أنواع:

1 - إذا حدَّث كذب.
2 - وإذا وعد أخلف.
3 - وإذا ائتُمن خان.
4 - وإذا خاصم فجر.
5 - وإذا عاهد غدر[1].

وهذا النفاق لا يخرج من الملة فهو (نفاق دون نفاق)؛لحديث عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: ((**أربع مَن كُنَّ فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر**))[2]؛ ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((**آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتُمن خان**))[3].

4 – الأمور المبتدعة عند القبور أنواع:

النوع الأول: من يسأل الميت حاجته. وهؤلاء من جنس عُبَّاد الأصنام وقد قال تعالى: ﴿ **قُلِ ادْعُواْ الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً * أُولَـئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ** ﴾[4] الآية: فكل من دعا نبياً، أو ولياً، أو صالحاً وجعل فيه نوعاً من الإلهية فقد تناولته هذه الآية؛ فإنها عامة في كل من دعا من دون الله مدعواً وذلك المدعو يبتغي إلى الله الوسيلة، ويرجو رحمته، ويخاف عذابه، فكل من دعا ميتاً، أو غائباً من الأنبياء، والصالحين سواء كان بلفظ الاستغاثة، أو

(1) مجموعة التوحيد لشيخي الإسلام أحمد بن تيمية ومحمد بن عبد الوهّاب، ص7 .
(2) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، برقم 34، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، برقم 58 .
(3) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، برقم 33 ، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، برقم 59.
(4) سورة الإسراء، الآيتان: 56- 57 .

غيرها فقد فعل الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة منه. فكل من غلا في نبي، أو رجل صالح، وجعل فيه نوعاً من العبادة مثل: أن يقول: يا سيدي فلان انصرني، أو أعني، أو أغثني، أو ارزقني، أو أنا في حسبك، ونحو هذه الأقوال فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فإن تاب وإلا قتل فإن الله إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليُعبد وحده، ولا يجعل معه إله آخر.

النوع الثاني: أن يسأل الله تعالى بالميت. وهو من البدع المحدثة في الإسلام وهذا ليس كالذي قبله؛ فإنه لا يصل إلى الشرك الأكبر، والعامة الذين يتوسلون في أدعيتهم بالأنبياء والصالحين كقول أحدهم: أتوسل إليك بنبيك، أو بأنبيائك، أو بملائكتك، أو بالصالحين من عبادك، أو بحق الشيخ فلان، أو بحرمته، أو أتوسل إليك باللوح والقلم، وغير ذلك مما يقولونه في أدعيتهم، وهذه الأمور من البدع المحدثة المنكرة والذي جاءت به السنة هو التوسل والتوجه بأسمائه، وصفاته، وبالأعمال الصالحة كما ثبت في الصحيحين في قصة الثلاثة (أصحاب الغار)، وبدعاء المسلم الحي الحاضر له.

النوع الثالث: أن يظن أن الدعاء عند القبور مستجاب، أو أنه أفضل من الدعاء في المسجد فيقصد القبر لذلك؛ فإن هذا من المنكرات إجماعاً ولم نعلم في ذلك نزاعاً بين أئمة الدين... وهذا أمر لم يشرعه الله، ولا رسوله، ولا فعله أحد من الصحابة، ولا التابعين ولا أئمة المسلمين... وأصحاب رسول الله ﷺ قد أجدبوا مرات ودهمتهم نوائب ولم يجيئوا عند قبر النبي ﷺ بل خرج عمر بالعباس فاستسقى بدعائه وقد كان السلف ينهون عن الدعاء عند القبور فقد رأى علي بن الحسين رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيدعو فيها فقال: ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال: ((**لا تجعلوا قبري عيداً ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً وصلوا عليَّ وسلموا حيثما كنتم فسيبلغني سلامكم وصلاتكم**))[1] ووجه الدلالة أن قبر النبي ﷺ أفضل قبر على وجه الأرض وقد نهى عن اتخاذه عيداً فغيره أولى بالنهي كائناً ما كان[2] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**لا تجعلوا**

(1) رواه إسماعيل القاضي في كتاب فضل الصلاة على النبي ﷺ، ص34، وصححه الألباني في المرجع نفسه ، وله طرق وروايات ذكرها في كتابه تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، ص140 .

(2) الدرر السنية في الأجوبة النجدية لعبد الرحمن بن قاسم، 6/165-174 .

بيوتكم قبوراً ولا تجعلوا قبري عيداً وصلوا عليَّ فإنّ صلاتكم تبلغني حيثما كنتم))[1].

المبحث الرابع: أصول نواقض الشهادتين

جميع نواقض الإسلام تدخل تحت نواقض أربعة: بالقول، أو الفعل، أو الاعتقاد، أو الشك والتوقف. وإلى التفصيل بإيجاز واختصار:

قال سماحة العلامة إمام علماء عصره عبد العزيز بن عبد الله ابن باز رحمه الله ورفع درجاته: العقيدة الإسلامية لها قوادح وهذه القوادح قسمان: قسم ينقض هذه العقيدة ويبطلها ويكون صاحبه كافراً نعوذ بالله [من ذلك]، وقسم ينقص هذه العقيدة ويضعفها:

فالقسم الأول: يُسمَّى ناقضاً ونواقض الإسلام هي الموجبة للردة، والناقض يكون: قولاً، ويكون عملاً، ويكون اعتقاداً،ويكون شكاً.قال النبي ﷺ: **((من بدل دينه فاقتلوه))** أخرجه البخاري في الصحيح[2]، فدلّ ذلك على أن المرتد يستتاب فإن تاب وإلا قتل ويُعجَّل به إلى النار [وهذه النواقض على النحو الآتي]:

1 - **الردة القولية:** والقول من هذه النواقض مثل سبّ الله، وسبّ الرسول ﷺ، أو ينسب العيب إلى الله كأن يقول: إن الله فقير، أو إنّ الله ظالم، أو يقول: إنّ الله بخيل، أو يقول: إنّ الله لا يعلم بعض الأمور، أو يقول: إنّ الله لم يوجب علينا الصلاة فهذه ردة يستتاب صاحبها فإن تاب وإلا قتل.

2 - **الردة الفعلية:** مثل ترك الصلاة فمن ترك الصلاة ولم يصلِّ فقد كفر؛ لقول النبي ﷺ: **((العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر))**[3]. وقوله ﷺ: **((بين الرجل وبين الشرك والكفر**

---

(1) أخرجه أبو داود في كتاب المناسك، باب زيارة القبور، برقم 2042، وأحمد، 367/2، وحسنه الشيخ الألباني في كتابه تحذير الساجد، ص142.

(2) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب لا يعذب بعذاب الله، برقم 3017.

(3) أخرجه الترمذي في كتاب الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة، برقم 2621، وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء فيمن ترك الصلاة، برقم 1079، وأحمد، 5/ 346، والحاكم، 1/ 6، وقال: ((صحيح))، ووافقه الذهبي،وصححه الألباني في صحيح الجامع،برقم 4143.

ترك الصلاة))[1] ومن ذلك لو استهان بالمصحف، أو داسه، ومن ذلك من طاف بالقبور، وعبادة أهلها، فهذه ردة فعلية إلا إذا قصد بذلك عبادة الله فهذه بدعة قادحة في الدين ولا تكون ردة عن الإسلام بل تكون من النوع الثاني (كفر دون كفر) وكذلك الذبح لغير الله من الردة الفعلية.

3 – **الردة العقدية:** من اعتقد بقلبه أن الله فقير، أو أنه بخيل، أو أنه ظالم فقد كفر ولو لم يتكلم... أو اعتقد بقلبه أن محمداً كاذب، أو أحد الأنبياء، أو اعتقد بقلبه أنه لا بأس أن يعبد مع الله غيره، فهذه كلها ردة عن الإسلام؛ لأن الله يقول: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ** ﴾[2]، ويقول سبحانه: ﴿**وَإِلَـهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ** ﴾[3]، ويقول سبحانه: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾[4]، فمن زعم أنه يجوز أن يعبد مع الله غيره، ونطق بذلك صار كافراً بالقول والعقيدة جميعاً، وإن فعل ذلك صار كافراً: بالقول، والعمل، والعقيدة جميعاً.

ومن القوادح القولية، والفعلية، والعقدية، ما يفعله بعض الناس اليوم عند قبور الصالحين من دعائهم، والاستغاثة بهم... فمن فعل شيئاً من ذلك يستتاب فإذا رجع إلى الحق خلي سبيله وإن لم يتب فإنه يُقتل ويكون مرتداً.

4 – **الردة بالشك:** مثل من يقول: أنا لا أدري هل الله حق أو ليس بحق، أو يقول: أنا لا أدري هل محمد صادق، أو كاذب؟ فهذا كافر أو قال: أنا لا أدري هل البعث حق؟ أو غير حق... فهذا يكون كافراً يستتاب فإن تاب، وإلا قتل... أما إذا كان بعيداً عن المسلمين بحيث كان في غابات بعيدة عن المسلمين؛ فإنه يبين له فإذا بُيِّن له وأصر فإنه يقتل. وكذلك من شك في شيء من أركان الإسلام... فما تقدم من القسم الأول يسمى نواقض ويكون صاحبها مرتداً يستتاب فإن تاب وإلا قتل.

أما الوسوسة العارضة والخطرات، فإنها لا تضر إذا دفعها

(1) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، برقم 82.

(2) سورة الحج، الآية: 62 .

(3) سورة البقرة، الآية: 163 .

(4) سورة الفاتحة، الآية: 5 .

المؤمن ولم يسكن إليها ولم تستقر في قلبه؛ لقوله ﷺ: **((إن الله تجاوز لأمتي ما حدَّثت به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به))**[1].

وعليه أن يعمل الآتي:

1 - يستعيذ بالله من الشيطان[2].

2 - ينتهي عما يدور في نفسه[3].

3 - يقول آمنت بالله ورسله[4].

والقسم الثاني من القوادح: قوادح دون كفر تضعف الإيمان مثل: أكل الربا، وارتكاب المحرمات: كالزنا، والبدع، وغير ذلك مثل: الاحتفال بالمولد وهو ما أحدثه الناس في القرن الرابع وما بعده من الاحتفال بمولد الرسول ﷺ، فيكون ذلك إضعافاً للعقيدة، إلا إذا كان هناك في المولد استغاثة بالرسول ﷺ فإن هذه البدعة تكون من النوع الأول المخرج عن الإسلام. ومن النوع الثاني كذلك التطيّر كما يفعل أهل الجاهلية وقد ردَّ الله عليهم **﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾**[5]. فالطيرة شرك دون كفر.. وكذلك الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج، قال ﷺ: **((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد))**[6]. [7].

❁ ❁ ❁

(1) أخرجه البخاري في كتاب الطلاق، باب الطلاق في الإغلاق والكره، برقم 5269، ومسلم في كتاب الإيمان، باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر، برقم 127.

(2) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، برقم 3276، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، برقم 214-(134).

(3) انظر: ما قبله.

(4) انظر: صحيح مسلم، رقم 134.

(5) سورة النمل، الآية: 47 .

(6) أخرجه البخاري في كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، برقم 2697، ومسلم في كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، برقم 1718.

(7) القوادح في العقيدة للعلامة ابن باز وهي محاضرة ألقاها في الجامع الكبير في شهر صفر عام 1403هـ وهي مسجلة عندي بمكتبتي الخاصة، وقد طبعت ونشرت ضمن مؤلفات الشيخ.

الفصل الرابع: دعوة المشركين والوثنيين إلى كلمة التوحيد

تمهيد:

الوثني: من يتدين بعبادة الوثن[1]، يقال: رجل وَثَنِيٌّ، وقوم وثنيُّون، وامرأة وثنيّة، ونساء وثنيّات[2]، واسم الوثن يتناول كل معبود من دون الله. سواء كان ذلك المعبود قبراً، أو مشهداً، أو صورة، أو غير ذلك[3].

وكل من دعا نبيّاً، أو وليّاً، أو ملكاً، أو جنّيّاً، أو صرف له شيئاً من العبادة فقد اتخذه إلهاً من دون الله[4]، وهذا هو حقيقة الشّرك الأكبر الذي قال الله تعالى فيه: **﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾**[5].

والمشركون يُدعَون إلى الله تعالى بالحكمة القولية على حسب عقولهم وأفهامهم، ويوضح ذلك ويبينه المباحث الآتية:

المبحث الأول: الحجج العقلية القطعية على إثبات ألوهية الله تعالى

من البراهين القطعية التي ينبغي تبيينها وتوضيحها لمن اتّخذ من

---

(1) الوثن: الصنم، والجمع وُثُنٌ وأوثان: وهو التمثال يُعبد، سواء كان من خشب، أو حجر، أو نحاس، أو فضة، أو غير ذلك. وقد كان الوثنيون يزعمون أن عبادته تقربهم إلى الله تعالى، كما بيّن سبحانه ذلك عنهم بقوله: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ [الزمر: 3]. انظر: القاموس المحيط، باب النون، فصل الواو، ص1597، وباب الميم، فصل الصاد، ص1460، والمعجم الوسيط، مادة (وثن)، 1012/2، ومادة (صنم)، 526/1، والمصباح المنير، مادة (وثن)، ص647، 648، ومادة (صنم)، ص349، ومختار الصحاح، مادة (وثن)، ص295، ومادة (صنم)، ص156 .

(2) انظر: المعجم الوسيط، مادة (وثن)، 1012/2، والمصباح المنير، مادة (وثن)، ص648.قال ابن الأثير:الفرق بين الوثن والصنم: أن الوثن كل ما له جثة معمولة من جواهر الأرض،أو من خشب،أو من حجارة كصورة الآدمي تعمل وتنصب فتعبد. والصنم: الصورة بلا جثة، ومنهم من لم يفرق بينهما، وأطلقهما على المعنيين. انظر: النهاية في غريب الحديث، 151/5، 56/4. ثم قال: وقد يطلق الوثن على غير الصورة، ومنه حديث عدي بن حاتم قال: أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال لي: ((يا عدي اطرح عنك هذا الوثن)). أخرجه الترمذي في كتاب التفسير،باب سورة التوبة،278/5،برقم 3095،وانظر:صحيح الترمذي للألباني، 56/3 .

(3) انظر: فتح المجيد، شرح كتاب التوحيد، للشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهّاب، ص244 .

(4) انظر: فتح المجيد، شرح كتاب التوحيد، ص242 .

(5) سورة النساء، الآية: 48 .

دون الله آلهة أخرى، قوله تعالى: **﴿أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ * لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ * لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾**[1].

فقد أنكر سبحانه على من اتخذ من دونه آلهة من الأرض، سواء كانت أحجاراً، أو خشباً، أو غير ذلك من الأوثان التي تعبد من دون الله! فهل هم يحيون الأموات ويبعثونهم؟ والجواب: كلا، لا يقدرون على شيء من ذلك، ولو كان في السموات والأرض آلهة تستحق العبادة غير الله لفسدتا وفسد ما فيهما من المخلوقات؛ لأن تعدد الآلهة يقتضي التمانع والتنازع والاختلاف، فيحدث بسببه الهلاك، فلو فُرِضَ وجود إلهين، وأراد أحدهما أن يخلق شيئاً والآخر لا يريد ذلك، أو أراد أن يُعطي والآخر أراد أن يمنع، أو أراد أحدهما تحريك جسم والآخر يريد تسكينه، فحينئذ يختل نظام العالم، وتفسد الحياة! وذلك:

* لأنه يستحيل وجود مرادهما معاً،وهو من أبطل الباطل؛ فإنه لو وجد مرادهما جميعاً للزم اجتماع الضدين،وأن يكون الشيء الواحد حيّاً ميتاً،متحركاً ساكناً.
* وإذا لم يحصل مراد واحد منهما لزم عجز كل منهما، وذلك يناقض الربوبية.
* وإن وُجِدَ مراد أحدهما ونفذ دون مراد الآخر، كان النافذ مراده هو الإله القادر والآخر عاجز ضعيف مخذول.
* واتفاقهما على مراد واحد في جميع الأمور غير ممكن.

وحينئذ يتعين أن القاهر الغالب على أمره هو الذي يوجد مراده وحده غير ممُانع،ولا مُدافع،ولا مُنازع،ولا مُخالف،ولا شريك،وهو الله الخالق الإله الواحد،لا إله إلا هو،ولا رب سواه؛ولهذا ذكر سبحانه دليل التمانع في قوله ﷻ: **﴿مَا اتَّخَذَ اللهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ * عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾**[2].

وإتقان العالم العلوي والسفلي،وانتظامه منذ خلقه،واتساقه،وارتباطه بعضه ببعض في غاية الدقة والكمال:**﴿مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن**

(1) سورة الأنبياء، الآيات: 21-23 .
(2) سورة المؤمنون، الآيتان: 91- 92 .

تَفَاوُتٍ ﴾[1]. وكل ذلك مسخر، ومدبر بالحكمة لمصالح الخلق كلهم يدل على أن مدبره واحد، وربه واحد، وإلهه واحد، لا معبود بحقٍّ غيره، ولا خالق سواه[2].

المبحث الثاني: ضعف جميع المعبودات من دون الله من كل الوجوه

من المعلوم عند جميع العقلاء: أن كل ما عُبِدَ من دون الله من الآلهة ضعيف من كل الوجوه، وعاجز ومخذول، وهذه الآلهة لا تملك لنفسها ولا لغيرها شيئاً من ضر أو نفع، أو حياة أو موت، أو إعطاء أو منع، أو خفض أو رفع، أو عزّ أو ذلّ، وأنها لا تتصف بأي صفة من الصفات التي يتصف بها الإله الحق، فكيف يعبد من هذه حاله؟ وكيف يُرجى أو يُخاف من هذه صفاته؟ وكيف يُسأل من لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم شيئاً[3].

وقد بيّن الله ﷻ ضعف وعجز كل ما عبد من دونه أكمل بيان، فقال سبحانه: **﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا وَاللهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾**[4]، **﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ * وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لاَ يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ * إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ *أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُواْ شُرَكَاءكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلاَ تُنظِرُونِ *إِنَّ وَلِيِّـيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ * وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ*وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى**

---

(1) سورة الملك، الآية: 3 .

(2) انظر:درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية، 352/9، 354، 337-382، 35/1-37، وتفسير البغوي، 241/3، 316، وابن كثير، 255/3، 176، وفتح القدير للشوكاني، 402/3، 496، وتفسير عبد الرحمن السعدي، 220/5، 374، وأيسر التفاسير لأبي بكر جابر الجزائري، 99/3، ومناهج الجدل في القرآن الكريم للدكتور زاهر بن عواض الألمعي، ص158-161 .

(3) انظر: تفسير ابن كثير، 83/2، 219، 277، 417، 47/3، 211، 310، وتفسير السعدي، 327/2، 420، 290/3، 451، 279/5، 457، 153/6، وأضواء البيان للشنقيطي، 482/2، 101/3، 322، 598، 5/ 44، 268/6 .

(4) سورة المائدة، الآية: 76 .

لاَ يَسْمَعُواْ وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ ﴾[1]، **﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلا حَيَاةً وَلا نُشُورًا ﴾**[2].

وهي مع هذه الصفات لا تملك كشف الضر عن عابديها ولا تحويله إلى غيرهم **﴿قُلِ ادْعُواْ الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً ﴾**[3].

ومن المعلوم يقيناً أن ما يعبده المشركون من دون الله من: الأنبياء، أو الصالحين، أو الملائكة، أو الجن الذين أسلموا، أنهم في شغل شاغل عنهم باهتمامهم بالافتقار إلى الله بالعمل الصالح، والتنافس في القُرْبِ من ربهم يرجون رحمته ويخافون عذابه، فكيف يُعبَدُ من هذا حاله[4]؟ قال تعالى: **﴿أُولَـئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾**[5].

وقد أوضح وبيَّن سبحانه: أن ما عُبِدَ من دونه قد توافرت فيهم جميع أسباب العجز وعدم إجابة الدعاء من كل وجه؛ فإنهم لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض لا على وجه الاستقلال، ولا على وجه الاشتراك، وليس لله من هذه المعبودات من ظهير يساعده على ملكه وتدبيره، ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له[6]، قال ﷻ: **﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ * وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾**[7]، وقال ﷻ: **﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ * إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ**

(1) سورة الأعراف، الآيات: 191-198 .
(2) سورة الفرقان، الآية: 3 .
(3) سورة الإسراء، الآية: 56 .
(4) انظر: تفسير ابن كثير، 48/3، وتفسير السعدي، 291/4 .
(5) سورة الإسراء، الآية: 57 .
(6) انظر: تفسير ابن كثير، 37/3، وتفسير السعدي، 274/6 .
(7) سورة سبأ، الآيتان: 22- 23 .

مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾[1].

المبحث الثالث: ضرب الأمثال

ضَرْبُ الأمثال من أوضح وأقوى أساليب الإيضاح والبيان في إبراز الحقائق المعقولة في صورة الأمر المحسوس، وهذا من أعظم ما يُردُّ به على الوثنيين في إبطال عقيدتهم وتسويتهم المخلوق بالخالق في العبادة والتعظيم؛ ولكثرة هذا النوع في القرآن الكريم سأقتصر على ثلاثة أمثلة توضح المقصود على النحو الآتي:

1 - قال الله ﷻ: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ * مَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾**[2].

حق على كل عبد أن يستمع لهذا المثل،ويتدبره حق تدبره؛فإنه يقطع مواد الشرك من قلبه،فالآلهة التي تُعبَد من دون الله لن تقدر على خلق الذباب ولو اجتمعوا كلهم لخلقه،فكيف بما هو أكبر منه،بل لا يقدرون على الانتصار من الذباب إذا سلبهم شيئاً مما عليهم من طيب ونحوه، فيستنقذوه منه،فلا هم قادرون على خلق الذباب الذي هو أضعف المخلوقات،ولا على الانتصار منه واسترجاع ما سلبهم إياه،فلا أعجز من هذه الآلهة الباطلة،ولا أضعف منها،فكيف يستحسن عاقل عبادتها من دون الله؟!

وهذا المثل من أبلغ ما أنزل الله تعالى في بطلان الشرك وتجهيل أهله[3].

2 - ومن أحسن الأمثال وأدلّها على بطلان الشرك، وخسارة صاحبه وحصوله على ضد مقصوده، قوله تعالى: **﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ * إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا**

(1) سورة فاطر، الآيتان: 13- 14 .
(2) سورة الحج، الآيتان: 73- 74 .
(3) انظر: أمثال القرآن لابن القيم، ص47، والتفسير القيم لابن القيم، ص368، وتفسير البغوي، 298/3،وابن كثير، 236/3،وفتح القدير للشوكاني، 470/3، وتفسير السعدي، 326/5 .

لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاّ الْعَالِمُونَ ﴾[1].

فهذا مثل ضربه الله لمن عبد معه غيره يقصد به التعزز والتقوي والنفع، فبين سبحانه أن هؤلاء ضعفاء، وأن الذين اتخذوهم أولياء من دون الله أضعف منهم، فهم في ضعفهم وما قصدوه من اتخاذ الأولياء كالعنكبوت التي هي من أضعف الحيوانات، اتخذت بيتاً وهو من أضعف البيوت، فما ازدادت باتخاذه إلا ضعفاً، وكذلك من اتخذ من دون الله أولياء؛ فإنهم ضعفاء، وازدادوا باتخاذهم ضعفاً إلى ضعفهم[2].

3 - ومن أبلغ الأمثال التي تُبيّن أن المشرك قد تشتت شمله واحتار في أمره،ما بيّنه تعالى بقوله:**﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لله بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾**[3].

فهذا مثل ضربه الله تعالى للمشرك والموحد، فالمشرك لما كان يعبد آلهة شتى شُبِّهَ بعبد يملكه جماعة متنازعون مختلفون، سيئة أخلاقهم، يتنافسون في خدمته، لا يمكنه أن يبلغ رضاهم أجمعين، فهو في عذاب.

والموحد لما كان يعبد الله وحده لا شريك له،فمثله كمثل عبدٍ لرجلٍ واحد،قد سلم له،وعلم مقاصده،وعرف الطريق إلى رضاه،فهو في راحة من تشاحن الخلطاء فيه واختلافهم، بل هو سالم لمالكه من غير تنازع فيه، مع رأفة مالكه به، ورحمته له، وشفقته عليه، وإحسانه إليه، وتولّيه لمصالحه،فهل يستوي هذان العبدان؟ والجواب: كلاّ، لا يستويان أبداً[4].

المبحث الرابع: الكمال المطلق للإله الحق المستحق للعبادة وحده

بعد أن عرفنا صفات الآلهة الباطلة، وأنها لا تملك لنفسها ولا لغيرها ضراً ولا نفعاً، فهي لا تستحق العبادة، وإنما الذي يستحق العبادة وحده من يملك القدرة على كل شيءٍ، والإحاطة بكل شيءٍ، وكمال السلطان والغلبة والقهر والهيمنة على كل شيء، والعلم بكل

---

(1) سورة العنكبوت، الآيات: 41-43 .

(2) انظر:تفسير البغوي،468/3،وأمثال القرآن لابن القيم،ص21،وفتح القدير للشوكاني،204/4.

(3) سورة الزمر، الآية: 29 .

(4) انظر: تفسير البغوي، 78/4، وابن كثير، 52/4، والتفسير القيم، ص423، وفتح القدير للشوكاني، 462/4، وتفسير السعدي، 468/6، وتفسير الجزائري، 43/4 .

شيء، ويملك الدنيا والآخرة، والنفع والضر، والعطاء والمنع بيده وحده، فمن كان هذا شأنه، فإنه حقيق بأن يُذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر، ويُطاع فلا يُعصى ولا يُشرك معه غيره[1].

وصفات الكمال المطلق لله تعالى، لا يحيط بها أحد، ولكن منها على سبيل المثال:

1 - **المتفرد بالألوهية:** لا يستحق الألوهية إلا الله وحده، الحي الذي لا يموت أبداً، القيُّوم الذي قام بنفسه وقام به غيره، واستغنى عن جميع المخلوقات، وهي مفتقرة إليه في كل شيء، ومن كمال حياته وقيّوميّته: أنه لا تأخذه سنة ولا نوم، وجميع ما في السموات والأرض عبيده، وتحت قهره وسلطانه: **﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴾**[2].

ومن تمام ملكه،وعظمته،وكبريائه:أنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، فكل الوجهاء والشفعاء عبيد له،لا يُقْدِمون على شفاعة حتى يأذن لهم، ولا يأذن إلا لمن ارتضى،وعلمه تعالى محيط بجميع الكائنات،ولا يطلع أحد على شيء من علمه إلا ما أطلعهم عليه،ومن عظمته أن كرسيه وسع السَّموات والأرض،وأنه قد حفظهما وما فيهما من مخلوقات،ولا يثقله حفظهما،بل ذلك سهل عليه يسير لديه،وهو القاهر لكل شيء،العليُّ بذاته على جميع مخلوقاته،والعليّ بعظمته وصفاته،العليّ الذي قهر المخلوقات ودانت له الموجودات،العظيم الجامع لصفات العظمة والكبرياء،وقد دلّ على هذه الصفات العظيمة قوله تعالى: **﴿اللهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ... ﴾**الآية[3].

2 - **وهو الإله الذي خضع كل شيء لسلطانه**،فانقادت له المخلوقات بأسرها: جماداتها وحيواناتها، وإنسها وجنّها وملائكتها: **﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ**

---

(1) انظر:تفسير البغوي،3/1،2/237،88/71، 372،وابن كثير،309/1، 572/2، 42/3، 127/2، 435، 570، 344/1، 138/2،وتفسير السعدي، 313/1، 686/7، 381/2، 397/3، 206/4، 364/6، 356/1، 372/2، وأضواء البيان، 187/2، 271/3 .

(2) سورة مريم، الآيتان: 93- 94 .

(3) سورة البقرة، الآية: 255 .

﴾[1].

3 - **وهو الإله الذي بيده النفع والضر**، فلو اجتمع الخلق على أن ينفعوا مخلوقاً لم ينفعوه إلا بما كتبه الله له، ولو اجتمعوا على أن يضروه بشيء لم يضروه إذا لم يرد الله ذلك: **﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصَيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾**[2].

4 - **وهو القادر على كل شيء**، ولا يعجزه شيء: **﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾**[3].

5 - **إحاطة علمه بكل شي**، شامل للغيوب كلها: يعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون[4]: **﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَخْفَىَ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ ﴾**[5]، **﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾**[6]، **﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾**[7]، **﴿إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾**[8].

ولا شك أن من عرف هذه الصفات وغيرها من صفات الكمال والعظمة، فإنه سيعبد الله وحده؛ لأنه الإله المستحق للعبادة.

المبحث الخامس: بيان الشفاعة المثبتة والمنفيّة

الشفاعة لغة: يُقال شفع الشيء: ضمَّ مثله إليه، فجعل الوتر شفعاً[9].

---

(1) سورة آل عمران، الآية: 83 .
(2) سورة يونس، الآية: 107 .
(3) سورة يس، الآية: 82 .
(4) انظر: تفسير ابن كثير، 344/1، 138/2، والسعدي، 356/2، 372/2 .
(5) سورة آل عمران، الآية: 5 .
(6) سورة يونس، الآية: 61 .
(7) سورة الأنعام، الآية: 59 .
(8) سورة الأنفال، الآية: 75 .
(9) انظر: القاموس المحيط، باب العين، فصل الشين، ص947، والنهاية في غريب الحديث،
=

واصطلاحاً: التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرَّةٍ[1].

من الحكمة القولية في دعوة من يتعلّق بغير الله تعالى ويطلب الشفاعة منه أن يبين له أن الشفاعة ملك لله وحده: **﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾**[2].

ويمكن أن يرد على من طلب الشفاعة من غير الله تعالى بالأقوال الحكيمة الآتية:

أولاً: ليس المخلوق كالخالق، فكل من قال: إن الأنبياء والصالحين والملائكة أو غيرهم من المخلوقين لهم عند الله جاهٌ عظيمٌ ومقاماتٌ عاليةٌ فهم يشفعون لنا عنده كما يتقرّب إلى الوجهاء والوزراء عند الملوك والسّلاطين؛ ليجعلوهم وسائط لقضاء حاجاتهم، فهذا القول من أبطل الباطل؛ لأنه شبَّه الله العظيم ملك الملوك بالملوك الفقراء المحتاجين للوزراء والوجهاء في تكميل ملكهم ونفوذ قوتهم؛ فإن الوسائط بين الملوك وبين الناس على أحد وجوه ثلاثة:

1 - إما لإخبارهم عن أحوال الناس بما لا يعرفونه.

2 - أو يكون الملِكُ عاجزاً عن تدبير رعيته فلابدّ له من أعوان؛ لذُلِّهِ وعجزه.

3 - أو يكون الملك لا يريد نفع رعيته والإحسان إليهم، فإذا خاطبه من ينصحه ويعظه تحركت إرادته وهمّته في قضاء حوائج رعيته.

والله ﷻ ليس كخلقه الضعفاء، فهو تعالى لا تخفى عليه خافية، وغنيٌّ عن كل ما سواه، وأرحم بعباده من الوالدة بولدها، ومعلوم أن الشافع عند ملوك الدنيا قد يكون له ملك مستقل، وقد يكون شريكاً لهم، وقد يكون معاوناً لهم، فالملوك يقبلون شفاعته لأحد ثلاثة أمور:

أ - تارة لحاجتهم إليه.

ب - وتارة لخوفهم منه.

جـ - وتارة لجزاء إحسانه إليهم.

وشفاعة العباد بعضهم عند بعض من هذا الجنس، فلا يقبل أحد

485/2، والمعجم الوسيط، 487/1 .

(1) انظر: شرح لمعة الاعتقاد للشيخ محمد صالح العثيمين، ص80 .

(2) سورة الزمر، الآية: 44 .

شفاعة أحد إلا لرغبة أو رهبة، والله ﷻ لا يرجو أحداً ولا يخافه، ولا يحتاج إليه(1)؛ ولهذا قطع الله جميع أنواع التعلّقات بغيره، وبيّن بطلانها، فقال تعالى: **﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَـهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ * وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِـمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾**(2).

فقد سدّت هذه الآية على المشركين جميع الطرق التي دخلوا منها إلى الشرك أبلغ سد وأحكمه؛ فإن العابد إنما يتعلّق بالمعبود لما يرجو من نفعه، وحينئذ فلابد أن يكون المعبود مالكاً للأسباب التي ينتفع بها عابده، أو يكون شريكاً لمالكها، أو ظهيراً أو وزيراً أو معاوناً له، أو وجيهاً ذا حرمة وقدر يشفع عنده، فإذا انتفت هذه الأمور الأربعة من كل وجه انتفت أسباب الشرك وانقطعت موادّه(3).

ثانياً: الشفاعة شفاعتان: مثبتة ومنفية:

1 - **الشفاعة المثبتة:** وهي التي تُطلب من الله، ولها شرطان:

الشرط الأول: إذن الله للشّافع أن يشفع؛ لقوله تعالى: **﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾**(4).

الشرط الثاني: رضا الله عن الشّافع والمشفوع له؛ لقوله تعالى: **﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى ﴾**(5)؛ ولقوله جلَّ وعلا: **﴿يَومَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَولاً ﴾**(6).

2 - **الشفاعة المنفية:**وهي التي تُطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله،والشفاعة بغير إذنه ورضاه،والشفاعة للكفار:**﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾**(7)،ويُستثنى شفاعته ﷺ في تخفيف

(1) انظر فتاوى ابن تيمية، 1/126-129 .
(2) سورة سبأ، الآيتان: 22- 23 .
(3) انظر: التفسير القيم، لابن القيم، ص408 .
(4) سورة البقرة، الآية: 255 .
(5) سورة الأنبياء، الآية: 28 .
(6) سورة طه، الآية: 109 .
(7) سورة المدثر، الآية: 48 .

عذاب أبي طالب[1].

ثالثاً: الاحتجاج على من طلب الشفاعة من غير الله: بالنص والإجماع، فلم يكن النبي ﷺ ولا الأنبياء من قبله شرعوا للناس أن يدعوا الملائكة، أو الأنبياء، أو الصالحين، ولا يطلبوا منهم الشفاعة، ولم يفعل ذلك أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان، ولم يستَحِبّ ذلك أحد من أئمة المسلمين، لا الأئمة الأربعة ولا غيرهم، ولا مجتهد يعتمد على قوله في الدين، ولا من يعتبر قوله في مسائل الإجماع، فالحمد لله رب العالمين[2].

المبحث السادس: الإله الحق سخر جميع ما في الكون لعباده

من الحكمة في دعوة المشركين إلى الله تعالى لفت أنظارهم وقلوبهم إلى نعم الله العظيمة: الظاهرة، والباطنة، والدينية، والدنيوية. فقد أسبغ على عباده جميع النعم: **﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ﴾**[3]، وسخَّر هذا الكون وما فيه من مخلوقات لهذا الإنسان.

وقد بيّن سبحانه هذه النعم، وامتنَّ بها على عباده، وأنه المستحق للعبادة وحده، ومما امتنَّ به عليهم ما يأتي:

أولاً: على وجه الإجمال:

قال تعالى:**﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا...﴾**[4]، **﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾**الآية[5]. **﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾**[6].

فقد شمل هذا الامتنان جميع النعم:الظاهرة والباطنة، الحسيّة

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب، برقم 3883، ومسلم، كتاب الإيمان، باب أهون أهل النار عذاباً، برقم 209، 210 .

(2) انظر:فتاوى ابن تيمية،112/1، 158، 399/14-414، 108/1-165، 380/14، 409، 160/1-166، 195، 228، 229، 241، ودرء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، 147/5، وأضواء البيان، للشنقيطي، 137/1 .

(3) سورة النحل، الآية: 53 .

(4) سورة البقرة، الآية: 29 .

(5) سورة لقمان، الآية: 20 .

(6) سورة الجاثية، الآية: 13 .

والمعنوية، فجميع ما في السموات والأرض قد سُخّر لهذا الإنسان،وهو شامل لأجرام السموات والأرض،وما أودع فيهما من:الشمس، والقمر، والكواكب، والثوابت والسيارات، والجبال، والبحار، والأنهار، وأنواع الحيوانات، وأصناف الأشجار والثمار، وأجناس المعادن،وغير ذلك مما هو من مصالح بني آدم، ومصالح ما هو من ضروراتهم: للانتفاع، والاستمتاع، والاعتبار.

وكل ذلك دالّ على أن الله وحده هو المعبود الذي لا تنبغي العبادة والذلّ والمحبة إلا له، وهذه أدلة عقلية لا تقبل ريباً ولا شكّاً على أن الله هو الحق، وأن ما يُدعى من دونه هو الباطل[1]: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**﴾[2].

ثانياً: على وجه التفصيل:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ * وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ**﴾[3].

وقال ﷻ بعد أن ذكر نعماً كثيرة: ﴿**وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ * أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ * وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[4].

أفمن يخلق هذه النعم وهذه المخلوقات العجيبة كمن لا يخلق شيئاً منها؟

ومن المعلوم قطعاً أنه لا يستطيع فرد من أفراد العباد أن يحصي

---

(1) انظر: تفسير البغوي، 59/1، 72/3، وابن كثير، 451/3، 149/4، والشوكاني، 60/1، 420/4، والسعدي، 69/1، 161/6، 21/7، وفي ظلال القرآن، 53/1، 2792/5، وأضواء البيان للشنقيطي، 225/3-253 .

(2) سورة الحج، الآية: 62، وانظر: سورة لقمان، الآية: 30 .

(3) سورة إبراهيم، الآيات: 32-34 .

(4) سورة النحل، الآيات: 14-18، وانظر: الآيات: 3-12 من السورة نفسها.

ما أنعم الله به عليه في خلق عضو من أعضائه، أو حاسة من حواسه، فكيف بما عدا ذلك من النعم؟ في جميع ما خلقه في بدنه، وكيف بما عدا ذلك من النعم الواصلة إليه في كل وقت على تنوعها واختلاف أجناسها؟[1]. ولا يسع العاقل بعد ذلك إلا أن يعبد الله الذي أسدى لعباده هذه النعم، ولا يشرك به شيئاً؛ لأنه المستحق للعبادة وحده سبحانه.

قال الله تعالى: ﴿ **فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ* الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ**﴾ [2].

والله أعلم،وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد بن عبدالله وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

❁ ❁ ❁

(1) انظر: فتح القدير، 154/3، 110/3، وأضواء البيان، 253/3 .
(2) سورة قريش، الآيتان: 3- 4.

الرسالة الثانية: بيان عقيدة أهل السنة والجماعة ولزوم اتباعها

المبحث الأول: مفهومُ عقيدة أهلِ السنةِ والجماعة

أولاً: مفهوم العقيدة لغةً:

كلمة «**عقيدة**» مأخوذة من العقد والرَّبط والشّدِّ بقوة، ومنه الإحكام والإبرامُ، والتماسك والمراصّة، يقال: عقد الحبل يعقده: شدّه، ويقال: عقد العهدَ والبيعَ: شدّه، وعقد الإزارَ: شده بإحكام، والعقدُ: ضد الحل[1].

ثانياً: مفهوم العقيدة اصطلاحًا:

العقيدة تُطلق على الإيمان الجازم والحكم القاطع الذي لا يتطرق إليه شكٌّ، وهي ما يؤمن به الإنسانُ ويعقد عليه قلبَه وضميرَه، ويتخذه مذهبًا ودينًا يدين به؛ فإذا كان هذا الإيمان الجازم والحكم القاطع صحيحًا كانت العقيدة صحيحة، كاعتقاد أهل السنة والجماعة، وإن كان باطلاً كانت العقيدةُ باطلة كاعتقاد فرق الضَّلال[2].

ثالثاً: مفهوم أهل السُّنَّة:

السنة في اللغة: الطَّريقة والسِّيرة، حسنة كانت أم قبيحة[3]، وهي في اصطلاح علماء العقيدة الإسلامية: **الهدي الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابُه**: علمًا واعتقادًا، وقولاً، وعملاً، وهي السنة التي يجب اتباعها، ويُحمد أهلُها، ويُذمُّ من خَالَفها؛ ولهذا قيل: فلان من أهل السنة: أي من أهل الطريقة الصحيحة المستقيمة المحمودة[4].

رابعاً: مفهوم الجماعة:

الجماعة في اللغة مأخوذة من مادَّة جمع وهي تدور حول الجمع

---

(1) انظر:لسان العرب لابن منظور،باب الدال،فصل العين، 296/3،والقاموس المحيط للفيروز آبادي،باب الدال،فصل العين،ص383،ومعجم المقاييس في اللغة لابن فارس،كتاب العين، ص679.

(2) انظر:مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة،للشيخ الدكتور ناصر العقل،ص9-10.

(3) لسان العرب، لابن منظور، باب النون فصل السين، 225/13.

(4) انظر: مباحث في عقيدة أهل السنة، ص13.

والإجماع والاجتماع وهو ضد التفرق، قال ابن فارس رحمه الله: ((الجيم والميم والعين أصل واحد يدل على تضام الشيء، يقال: جمعت الشيء جمعًا))[1]، والجماعة في اصطلاح علماء العقيدة الإسلامية: **هم سلف الأمة من الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين،** الذين اجتمعوا على الحق الصَّريح[2] من الكتاب والسنة[3].

خامساً: أسماءُ أهلِ السُّنَّة وصِفَاتُهُم:

1- أهل السنة والجماعة: هم من كان على مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابُه، وهم المتمسِّكون بسنة النبي ﷺ، وهم الصحابة، والتابعون، وأئمة الهدى المُتَّبعون لَهُم، وهم الذين استقاموا على الاتّباع وابتعدوا عن الابتداع في أي مكان وفي أيِّ زمان، وهم باقون منصورون إلى يوم القيامة[4]، وسمُّوا بذلك لانتسابهم لسنة النبي ﷺ، واجتماعهم على الأخذ بها: ظاهرًا وباطنًا، في القول، والعمل، والاعتقاد[5].

فعن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**افترقت اليهودُ على إحدى وسبعين فِرقةً فواحدة في الجنة وسبعون في النار، وافترقتِ النصارى على ثنتين وسبعين فرقة فإحدى وسبعون فرقةً في النار وواحدة في الجنة، والذي نفسُ محمدٍ بيده لَتفترقنَّ أمتي على ثلاثٍ وسبعين فرقةً، واحدةٌ في الجنة واثْنتانِ وسبعون في النار**))، قيل يا رسول الله، من هم؟ قال: ((**الجماعة**))[6]، وفي

---

(1) معجم المقاييس في اللغة، لابن فارس، كتاب الجيم، باب ما جاء من كلام العرب في المضاعف والمطابق أوله جيم، ص224.

(2) وتطلق الجماعة على من وافق الحق، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ((الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك))، قال نعيم بن حماد: ((يعني إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد، وإن كنت وحدك فإنك أنت الجماعة حينئذ)). ذكره الإمام ابن القيم في إغاثة اللهفان، 70/1، وعزاه إلى البيهقي.

(3) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، ص68، وشرح العقيدة الواسطية، لابن تيمية، تأليف العلامة محمد خليل هراس، ص61.

(4) انظر:مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة، للدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل،ص13-14.

(5) انظر: فتح رب البرية بتلخيص الحموية، للعلامة محمد بن صالح العثيمين، ص10، وشرح العقيدة الواسطية، للعلامة صالح بن فوزان الفوزان، ص10.

(6) أخرجه ابن ماجه بلفظه، في كتاب الفتن، باب افتراق الأمم، برقم 3992، وأبو داود، =

رواية الترمذي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: قالوا: ومن هي يا رسول الله، قال: ((**ما أنا عليه وأصحابي**))[1].

2- **الفرقة الناجية**:أي الناجية من النار؛لأن النبي ﷺ استثناها عندما ذكر الفرق،وقال:((**كُلُّها في النار إلاّ واحدة**))،أي ليست في النار[2].

3- **الطائفة المنصورة**: فعن معاوية رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**لا تزالُ طائفةٌ من أمتي قائمةً بأمر الله لا يضرُّهم من خذلهم أو خالفهُم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس**))[3]، وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه نحوه[4]، وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك**))[5]، وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه نحوه[6].

4- **المعتصمون المتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ**، وما كان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار؛ ولهذا قال فيهم النبي ﷺ: ((**ما أنا عليه وأصحابي**))[7]، أي هم من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي.

5-**القدوة الصالحة الذين يهدون إلى الحق وبه يعملون**، قال أيوب

=

كتاب السنة، باب شرح السنة، برقم 4596، وابن أبي عاصم، في كتاب السنة، 32/1، برقم 63، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، 364/2.

(1) أخرجه الترمذي في كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، برقم 2641.

(2) انظر: من أصول أهل السنة والجماعة، للعلامة صالح بن فوزان الفوزان، ص11.

(3) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، بابٌ: حدثنا محمد بن المثنى، برقم 3641، ومسلم بلفظه، في كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: ((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم))، برقم 1037.

(4) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، بابٌ: حدثنا محمد بن المثنى، برقم 3640، ومسلم في كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: ((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم))، برقم 1921.

(5) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: ((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم))، برقم 1920.

(6) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: ((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم))، برقم 1923.

(7) سنن الترمذي، برقم 2641، وتقدم تخريجه.

السختيَانِي رحمه الله: ((إنَّ من سعادةِ الحَدَث[1]، والأعجمي أن يوفقهما الله لعالم من أهل السنة))[2]، وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: ((إن لله عبادًا يُحيي بِهمُ العباد والبِلادَ وهم أصحاب السنة ومن كان يعقل ما يَدخُلُ جَوفه من حله كان من حزب الله))[3].

6- **أهل السنة خيار الناس ينهون عن البدعِ وأهلِها**، قيل لأبي بكر بن عياش: مَن السنّي؟ قال: ((الذي إذا ذُكِرتِ الأهواء لم يتعصب لشيء منها))[4]، وذكر ابن تيمية رحمه الله: أن أهل السنة هم خيار الأمة ووسطها الذين على الصراط المستقيم: طريق الحق والاعتدال[5].

7- **أهل السنة هم الغرباء إذا فسد الناس**، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود كما بدأ غريبًا، فطوبى للغرباء**))[6]، وفي رواية عن الإمام أحمد رحمه الله عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قيل: ومن الغرباء؟ قال: ((**النُّزَّاع**[7] **من القبائل**))[8]، وفي رواية عند الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، فقيل: ومن الغرباء يا رسول الله، قال: ((**أناسٌ صالحون في أناسِ سوءٍ كثير من يعصيهم أكثر ممن يطيعهُم**))[9]، وفي رواية من طريق آخر: ((**الذين يصلحون إذا فسد الناس**))[10]، فأهل السنة الغرباء بين جموع أصحاب البدع والأهواء والفرق.

---

(1) الحدَث:الشاب.النهاية في غريب الحديث والأثر،باب الحاء مع الدال،مادة:((حدث))،351/1.

(2) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، 66/1، برقم 30.

(3) المرجع السابق، 72/1، برقم 51، وحلية الأولياء لأبي نعيم، 104/8.

(4) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي 72/1، برقم 53.

(5) انظر: فتاوى ابن تيمية، 368/3-369.

(6) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا، برقم 145.

(7) النزَّاع: هو الغريب الذي نزع عن أهله وعشيرته: أي بَعُدَ وغاب، والمعنى: طوبى للمهاجرين الذين هجروا أوطانهم في الله تعالى. النهاية لابن الأثير، 41/5.

(8) أخرجه الدارمي في كتاب الرقاق، باب إن الإسلام بدأ غريباً، برقم 2758، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب بدأ الإسلام غريباً، برقم 3988، وأحمد في المسند، 397/1، وأبو يعلى في المسند، 8/ 388، برقم 4975 .

(9) المسند، 177/2 و222.

(10) مسند الإمام أحمد، 73/4.

8- أهل السنة هم الذين يحملون العلم ويَحزنُ الناسُ لفِراقِهم، أهل السنة: هم الذين يحملون العلم، وينفون عنه تحريَف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين؛ ولهذا قال ابن سيرين رحمه الله: ((لم يكونوا يسألون عن الإسناد،فلما وقعت الفتنة قالوا:سمُّوا لنا رجالكم، فيُنظَرُ إلى أهل السنّةِ فيؤخذ حديثُهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم))[1]، وأهل السنة هم الذين يحزن الناس لفراقهم؛ ولهذا قال أيوب السّختياني رحمه الله:((إني أُخبَرُ بموت الرجل من أهل السنة فكأني أفقد بعض أعضائي))[2]،وقال:((إن الذين يتمنون موتَ أهلِ السُّنّةِ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله مُتِمّ نوره ولو كره الكافرون))[3].

المبحث الثاني: أصولُ أهلِ السُّنّةِ والجماعة

إن أهل السنة يسيرون على أصول ثابتة وواضحة، في الاعتقادِ والعمل والسلوكِ، وهذه الأصول مُستمدَّةٌ من كتاب الله ﷻ ، وسُنةِ رسوله ﷺ، وما كان عليه سلفُ هذه الأمةِ: من الصحابة، والتابعين، ومن تبعهم من القرون الثلاثة المفضلة، ومن سار على نهجهم بإحسان إلى يوم الدين، وهذه الأصول على النحو الآتي:

الأصل الأول: الإيمان بالله ﷻ:

الإيمانُ بالله تعالى: هو الاعتقاد الجازم الذي لا يتطرقُ إليه شك بأن الله ﷻ ربُّ كلِّ شيءٍ ومليكه، وأنه المستحق للعبادة وحده دون ما سواه وأن يُفردَ بالعبادة مع كمال المحبة والذُّلِّ والخضوع، وأنه المتّصف بصفات الكمال فله الأسماءُ الحسنى والصِّفاتُ العُلا، وهو سبحانه منزَّهٌ عن كل عيب ونقص.

فظهر من ذلك أن الإيمان بالله ﷻ يتضمنُ أربعة أمور[4]:

---

(1) مسلم، في المقدمة، باب الإسناد من الدين، 15/1.

(2) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة،للالكائي،66/1،برقم 29،وأبو نعيم في الحلية، 9/3.

(3) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، 68/1، برقم 35.

(4) انظر: شرح العقيدة الواسطيّة لشيخ الإسلام ابن تيمية، شرحه العلامة محمد بن صالح العثيمين، 55/1-59، ويرى سماحة العلامة عبد العزيز بن عبد الله ابن باز رحمه الله: أن الإيمان بوجود الله ﷻ يدخل في الإيمان بالربوبية، ذكر ذلك في تعليقه على هذه المحاضرة.

الأول: الإيمان بوجود الله ﷻ، وقد دلّ على ذلك الفطرة، والعقل، والشرع، والحس.

1- أما دلالة الفطرة على وجوده، فإنَّ كلَّ مخلوقٍ قد فُطِر على الإيمان بخالقه من غير تفكير أو تعليم؛لقوله ﷺ: ((**ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه أو يُنَصِّرانه، أو يُمَجِّسانه**))(1).

2- أما دلالة العقل على وجود الله ﷻ؛ فلأن هذه المخلوقات سابقها ولاحقها لابد لها من خالق أوجدها على هذا النظام البديع؛ ولهذا ذكر الله هذا الدليل العقلي والبرهان القطعي فقال ﷻ: ﴿ **أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لا يُوقِنُونَ*أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ**﴾ (2)، ولما سمع جُبير بنُ مُطعِم رسول الله ﷺ يقرأ هذه الآيات وكان مشركًا قال: ((كاد قلبي أن يطير وذلك أولُ ما وقر الإيمان في قلبي))(3).

3- أما دلالة الشرع على وجود الله ﷻ؛ فلأن الله أرسل الرسل وأنزل الكتب السماوية تنطق بذلك.

4- أما دلالة الحِسّ على وجود الله ﷻ فمن وجهين:

(أ) أننا نسمع ونشاهد من إجابة الداعين وغوث المكروبين ما يدل دلالة قاطعة على وجود الله ﷻ، قال ﷻ: ﴿ **وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ** ﴾(4)، وغير ذلك.

وفي صحيح البخاري عن أنس ﷺ أن رجلاً أعرابيًّا دخل يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب فقال: يا رسول الله هلك المال وجاع العيالُ فادعُ الله يغيثنا، فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: ((**اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا**)) قال أنس ﷺ: فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار السحابُ أمثالَ الجبال، ثم لم ينزل من منبره حتى

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يُصلَّى عليه؟ وهل يُعرض على الصبي الإسلام؟ برقم 1358، ومسلم في كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطر، وحكم أطفال الكفار وأطفال المسلمين، برقم 2658.

(2) سورة الطور، الآيات: 35-37.

(3) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، سورة الطور، بابٌ: حدثنا عبد الله بن يوسف، برقم 4854، ومسلم بنحوه في كتاب الصلاة، باب القراءة في الصبح، برقم 463.

(4) سورة الأنبياء، الآية: 76.

رأيتُ المطرَ يتحادرُ على لحيته، فمطرنا فوالله ما رأينا الشمس سبتًا، ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسولُ الله ﷺ قائم يخطب فقال: يا رسولَ الله، هلكت الأموال وانقطعت السُّبُلُ فادع الله يمسكها عنا، فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: ((**اللهم حوالينا ولا علينا**))، فما يشير بيده إلى ناحية من السحاب إلا انفرجت[1].

(ب) أن آيات الأنبياء التي تُسمَّى المعجزات دليل قاطع على وجود الله ﷻ؛لأنها أمور خارجة عن نطاق البشر يجريها الله تأييدًا لرسله ونصرًا لهم.

الثاني: الإيمان بالربوبية، وأن الله ﷻ هو الرب الخالق، المالكُ المدبر، قال ﷻ: ﴿ **ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ** ﴾[2]، ولم يُعلم أن أحدًا من الخلق أنكر ربوبية الله ﷻ إلا أن يكون مكابرًا، قال ﷻ عن آل فرعون: ﴿ **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا** ﴾[3]، وهذا توحيد الربوبية: هو إفراد الله تعالى بأفعاله.

الثالث: الإيمان بالألوهية، وأن الله ﷻ هو الإله الحق المستحق للعبادة دون ما سواه؛ لكونه خالق العباد والمحسن إليهم، والقائم بأرزاقهم، والعالم بسرهم وعلانيتهم، والقادر على إثابة مطيعهم، وعقاب عاصيهم؛ ولهذه العبادة خلق الله الثقلين، قال ﷻ: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ** ﴾[4]، وقال ﷻ: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ للهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾[5]،وقد أرسل الله ﷻ الرسل وأنزل الكتب لبيان هذا التوحيد ((توحيد

(1) أخرجه البخاري في كتاب الاستسقاء، باب الاستسقاء في خطبة الجمعة غير مستقبل القبلة، برقم 1014، ومسلم، في كتاب الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء، برقم 897.

(2) سورة فاطر، الآية: 13.

(3) سورة النمل، الآية: 14.

(4) سورة الذاريات، الآيات: 56-58.

(5) سورة البقرة، الآيتان: 21-22.

العبادة)) والدعوة إليه، قال ﷻ:﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ** ﴾(1)،وقال سبحانه:﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ** ﴾(2)،وقال ﷻ: ﴿ **شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾(3)،وكل من اتخذ إلهًا من دونه فإلهيته باطلة،قال ﷻ: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ** ﴾ (4)، وقال ﷻ: ﴿ **وَإِلَـهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ** ﴾(5).

وقد أبطل الله ﷻ اتخاذ المشركين آلهة من دونه فبيّن ضعفها من كلِّ وجه، فقال: ﴿ **قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَـهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ * وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ** ﴾(6)، فالعبادة حق الله ﷻ؛ ولهذا قال ﷺ لمعاذ رضي الله عنه: ((**حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا**))(7)، وهذا كله: توحيد الألوهية: وهو إفراد الله تعالى بالعبادة.

الرابع: الإيمان بأسماء الله الحسنى وصفاته العلا:

أهل السنّةِ والجماعة يُثبتون ما أثبتَهُ الله ﷻ لنفسه،وما أثبتَه له رسولُهُ ﷺ، من غير تحريف،ولا تعطيل،ولا تكييف،ولا تمثيل،ويُمِرّونها كما جاءت مع الإيمان بما دلّت عليه من المعاني العظيمة،فكل ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسولُهُ من جميع الأسماء والصفات أثبتوه على الوجه اللائق به تعالى، إثباتًا مفصلاً على حدِّ قوله سبحانه: ﴿ **وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ وينفون عنه ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ نفيًا إجماليًّا غالبًا على حد قوله تعالى:﴿

(1) سورة النحل، الآية: 36.
(2) سورة الأنبياء، الآية: 25.
(3) سورة آل عمران، الآية: 18.
(4) سورة الحج، الآية: 62.
(5) سورة البقرة، الآية: 163.
(6) سورة سبأ، الآيتان: 22-23.
(7) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب من جاهد نفسه في طاعة الله،برقم 6500، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا، برقم 30.

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ والنفي يقتضي إثباتَ ما يُضادُّه من الكمال،فكل ما نفى الله عن نفسه من النقائص فإن ذلك يدل على ضِدِّهِ من أنواع الكمال،وقد جمع الله النفي والإثبات في آية واحدة ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ فهذه الآية تضمنّتْ تنزيه الله من مُشابَهةِ خلقه:لا في ذاته،ولا في صفاته،ولا في أفعاله،وفي أولها ردٌّ على المشبِّهةِ وهو قوله تعالى:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ وفي آخرها ردّ على المعطلة وهو قوله تعالى:﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ وفي أولها نفي مُجمل، وفي آخرها إثبات مفصل.وقال الله ﷻ: ﴿ فَلاَ تَضْرِبُواْ للهِ الأَمْثَالَ إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾[1]،وهذه عقيدة أهل السنة والجماعة من أصحاب رسول الله ﷺ وأتباعهم بإحسان.نَقَلَها عنهم أئمةُ أهل السُّنّةِ[2]،قال الوليد بن مسلم رحمه الله:سألت الأوزاعي،وسفيان الثوري،ومالك بن أنس، والليث بن سعد،عن هذه الأحاديث التي فيها ذكر الرؤية فقالوا: ((أمِرُّوها كما جاءت بلا كيف))[3]،وقد ذكر أهل السنة كلام الأئمة على قوله ﷻ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ وأن ذلك يدل على علوِّ الله على خلقه كما قال ﷻ:﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾[4]،وقال ﷻ: ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً ﴾[5] ،قال أبو القاسم اللالكائي رحمه الله: ((فدلت هذه الآية أنَّهُ تعالى في السماء وعلمه مُحيطٌ بكلِّ مكان من أرضه وسمائه، وقال: وروى ذلك من الصحابة: عمر، وابن مسعود،وابن عباس،وأمُّ سلمة ﭫ، ومن التابعين ربيعةُ بن أبي عبدالرحمن، وسليمان التيمي، ومقاتل بن حيان،وبه قال من الفقهاء مالك بن أنس، وسفيان الثوري، وأحمد بن حنبل[6].

وسئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ كيف استوى؟ قال: ((الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول ومِنَ الله الرِّسالة، وعلى الرَّسول البلاغ،

---

(1) سورة النحل، الآية: 74.
(2) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، 582/3، برقم 875، و930.
(3) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، 582/3.
(4) سورة فاطر، الآية: 10.
(5) سورة الأنعام، الآية: 61.
(6) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، 430/3.

وعلينا التَّصديق))[1]، وقال رجل للإمام مالك رحمه الله: يا أبا عبد الله ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** ﴾ كيف استوى؟ فقال: ((الكيف غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، فإني أخاف أن تكون ضالاً وأمر به فأُخرج))[2].

وقيل لأبي عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله: الله ﷻ فوق السماء السابعة على عرشه بائنٌ من خلقه، وقدرتُه وعلمه في كل مكان؟ قال: ((نعم على العرش وعلمه لا يخلو منه مكان))[3]، وفي رواية: ((أنه سئل عن قوله: ﴿ **وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ** ﴾ فقال الكلام السابق.

وهذه النقولات تدل على أن أهل السنة يثبتون الأسماء والصفات وما دلّت عليه من المعاني العظيمة مع إمرارها كما جاءت بلا كيف. والمعيَّة معيتان: معيَّة عامة لجميع الناس، ومعيَّة خاصة تقتضي التوفيق[4].

الأصل الثاني: الإيمان بالملائكة:

الإيمان بالملائكة يتضمَّن أربعة أمور[5]:

1- الإيمان بوجودهم.
2- الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه،ومن لم نعلم اسمه نؤمن به إجمالاً.
3- الإيمان بما علمنا به من صفاتهم، كصفة جبريل فقد أخبرنا النبي ﷺ أنه رآه على صفته التي خُلِقَ عليها وله ستمائة جناح كل جناح قد سدَّ الأفق.
4- الإيمان بما علمنا من أعمالهم التي يقومون بها بأمر الله ﷻ. كتسبيحه تعالى كما قال ﷻ: ﴿ **وَمَنْ عِندَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ**

---

(1) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، 442/3، برقم 665.
(2) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، 441/3 برقم 664، وجوّد إسناده ابن حجر في فتح الباري، 406/13.
(3) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، 446/3، برقم 674.
(4) والإلهام، والنُّصرة.
(5) انظر: شرح أصول الإيمان، للعلامة محمد بن صالح العثيمين، ص27.

﴾[1]، وعن أبي ذرٍّ ﵁ يرفعه: ((**إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون، أطَّتِ السماء وحُقَّ لها أن تئطَّ ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدًا لله..**))[2]، وهذا يدل على كثرتهم وقد ثبت أن النبي ﷺ رُفع له البيت المعمور في السماء يطوف به كل يوم سبعون ألف ملك بلا رجعة[3].

ومن أعمالهم: أن جبريل أمين الوحي، وإسرافيل الموكّل بالنفخ في الصور، وملك الموت الموكّل بقبض الأرواح وغير ذلك.

الأصل الثالث: الإيمان بالكتب:

يجب الإيمان بالكتب إجمالاً وأن الله ﷻ أنزلها على أنبيائه ورسله لبيان حقيقة التوحيد والدعوة إليه، قال ﷻ: ﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ** ﴾[4].

ونؤمن على سبيل التفصيل بما سَمَّى الله منها: كالتوراة، والإنجيل، والزَّبور، والقرآن العظيم، والقرآن أفضلُها وخاتَمها والمُهيمِنُ عليها، والمصدِّقُ لها، وهو الذي يجب على جميع العباد اتباعه وتحكيمه، مع ما صحَّت به السُّنّة[5].

---

(1) سورة الأنبياء، الآيتان: 19-20.

(2) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد، باب قول النبي ﷺ: ((لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً))، برقم 2312، وحسنه، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب الحزن والبكاء، برقم 4190،وحسنه العلامة الألباني في صحيح سنن الترمذي،268/2، وصحيح سنن ابن ماجه، 407/2.

(3) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، برقم 3207، ولفظه: ((فسألت جبريل فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم))، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات، برقم 164، ولفظه: ((فقلت: يا جبريل ما هذا؟ قال: هذا البيت المعمور، يدخله كُلَّ يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا منه لم يعودوا فيه آخرُ ما عليهم)).

(4) سورة الحديد، الآية: 25.

(5) فظهر أن الإيمان بالكتب يتضمن أربعة أمور:
1- الإيمان بأنها من عند الله ﷻ.
2- الإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه.
3- تصديق ما صحّ من أخبارها.
4- العمل بأحكام ما لم يُنسخ منها والرضا والتسليم به، وجميع الكتب منسوخة بالقرآن الكريم، فهو الذي يجب العمل بما فيه.
انظر: شرح أصول الإيمان، للعلامة العثيمين، ص32.

الأصل الرابع: الإيمان بالرسل:

الإيمان بالرسل، فيُصدّق المُسلم تَصديقًا جازمًا بأن الله ﷻ أرسل الرسل؛ لإخراج الناس من الظُّلمات إلى النُّور، فيجب الإيمان بهم إجمالاً وتفصيلاً، فيجب الإيمان بهم على وجه الإجمال، ويجب الإيمان بمن سمَّى الله منهم على وجه التفصيل، قال الله ﷻ: ﴿ **رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا** ﴾[1]، فيؤمن العبد أن من أجاب الرسل فاز بالسعادة ومن خالفهم باء بالخيبة والندامة، وخاتمهم وأفضلهم هو نبينا محمد ﷺ[2].

الأصل الخامس: الإيمان باليوم الآخر:

الإيمان باليوم الآخر يدخل فيه الإيمان بكل ما أخبر الله به وأخبر به رسوله ﷺ مما يكون بعد الموت ومن ذلك ما يأتي:

1- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**إذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على أعناقهم فإن كانت صالحة قالت: قدِّموني، وإن كانت غير صالحة قالت: يا ويلها أين تذهبون بها؟ يسمع صوتَها كلُّ شيءٍ إلاَّ الإنسان ولو سمعها الإنسان لصعق**))[3]، ولهذا قال ﷺ: ((**أسرعوا بالجنازة فإن تكُ صالحةً فخير تقدمونها إليه وإن تَكُنْ غير ذلك فشرٌّ تضعونَهُ عن رقابكم**))[4].

2- الإيمان بفتنة القبر وأن الناس يمتحنون في قبورهم بعد الموت فيقال للإنسان: مَن ربُّك وما دينك ومن نبيُّك؟ فالمؤمن يقول: رَبِّي الله وديني الإسلام، ونبيي محمد ﷺ، والفاجر يقول: هاه

---

(1) سورة النساء، الآية: 165.
(2) والإيمان بالرسل يتضمن أربعة أمور:
1 - الإيمان بأن رسالتهم حق من عند الله ﷻ.
2 - الإيمان بمن علمنا اسمه منه باسمه.
3 - تصديق ما صح عنهم من أخبارهم.
4 - العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم وهو خاتمهم محمد ﷺ، فقد نَسَخَت شريعته جميع الشرائع السابقة.
انظر: شرح أصول الإيمان، للعلامة محمد العثيمين، ص36.
(3) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب حمل الرجال الجنازة دون النساء، برقم 1314، وباب قول الميت على الجنازة: ((قدموني))، برقم 1316).
(4) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب السرعة بالجنازة، برقم 1315، ومسلم، كتاب الجنائز، باب الإسراع بالجنازة، برقم 944.

هاه لا أدري سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته، فيقال له: لا دريت ولا تليت، فيُضرب بمطرقةٍ من حديد فيصيح صيحةً يسمعها كلَّ شيء إلاَّ الإنسان، وفي رواية: ((**يسمعها من يليه إلا الثَّقلين**)).

قال الله تعالى: ﴿ **يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ** ﴾[1].

3- الإيمان بنعيم القبر وعذابه: فقد ثبت بالكتاب والسنة وهو حق يجب الإيمان به، والعذاب يجري على الروح والجسد تبع له ويوم القيامة على الروح والبدن جميعًا. فعذاب القبر ونعيمه حق دلّ عليه كتاب الله وسنةُ رسوله ﷺ[2].

4- القيامة الكبرى: حين ينفخ إسرافيل في الصور النفخة الأولى ثم ينفخ نفخة البعث والنشور فتعاد الأرواح إلى أجسادها فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين حفاة عراة غرلاً ﴿**يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ* وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ* وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ* لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ**﴾ [3].

5- الميزان الذي توزن به الأعمال، ويوزن العاملُ وعملُه ﴿ **فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ** ﴾[4].

6- الدَّواوين وتطاير الصُّحف، فآخذ كتابه وصحائفَ أعماله بيمينه، وآخذ كتابه بشماله من وراءِ ظهره: ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ * إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهْ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ** ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿ **وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ** *

---

(1) انظر: صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، برقم 1369، 1374، ومسند الإمام أحمد، 287/4، 288، 295، 296، ومستدرك الحاكم 37/1-40، والآية من سورة إبراهيم: 27.

(2) انظر: الروح لابن القيم، 263/1، 311.

(3) سورة عبس، الآيات: 24-27.

(4) سورة المؤمنون، الآيتان: 102-103.

(5) سورة الحاقة، الآيات: 19-29.

فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصْلَى سَعِيرًا ﴾[1].

7- الحساب؛ فإن الله يوقف عباده على أعمالهم قبل الانصراف من المحشر فيرى كلُّ إنسانٍ عمله: **﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾**[2]، **﴿ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾**[3].

8- الحوض؛ فيجب التصديق الجازم بأنَّ حوض النبي ﷺ في عرصات القيامة ماءُهُ أشدُّ بياضًا من اللّبن، وأحلى من العسل، آنيته عدد نجوم السماء، وطوله شهر وعرضه شهر، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا[4]، وهذا مختصّ بمحمد ﷺ ولكل نبي حوض ولكن أعظمها حوض النبي ﷺ.

9- الصِّراط؛ وبعده القنطرة بين الجنة والنار يجب الإيمان بذلك وهو منصوب على متن جهنم، يمر عليه الأولون والآخِرون، وهو أحدُّ من السيف وأدقُّ من الشعر، يمرّ عليه الناس على حسب أعمالهم: فمنهم من يتجاوزه كلمح البصر، وكالبرق، وكالريح، وكالفرس الجواد، وكركاب الإبل، ومنهم من يعدو عدوًا، ومنهم من يمشي، ومنهم من يزحف زحفًا، ومنهم من يسقط في جهنم، وعلى حافة الجسر كلاليب تخطف من أمرت بخطفه، فإذا تجاوز المؤمنون وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض فإذا نُقُّوا أُذِنَ لهم في دخول الجنة[5].

10- الشفاعة وهي سؤال الخير للغير، وهي أنواع[6]، منها:

---

(1) سورة الانشقاق، الآيات: 10-12.
(2) سورة آل عمران، الآية: 30.
(3) سورة الكهف، الآية: 49.
(4) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، بابٌ في الحوض، وقول الله تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾، من حديث عبد الله بن عمرو قال النبي ﷺ : ((حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منه شربة فلا يظمأ أبداً))، برقم 6579، ومسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ، برقم 2292.
(5) انظر: صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب قصاص المظالم، برقم 2440، وكتاب الرقاق، باب القصاص يوم القيامة،برقم 6533-6335،وصحيح مسلم،كتاب الإيمان، برقم 182-195.
(6) وقد أوصلها ابن أبي العز في شرح العقيدة الطحاوية إلى ثمانية أقسام:
1 - شفاعة النبي ﷺ العظمى لفصل القضاء.
2 - الشفاعة في أقوام تساوت حسناتهم وسيئاتهم.
=

الشفاعة العظمى لأهل الموقف، والشفاعة في أهل الجنة أن يدخلوها والشفاعة في تخفيف العذاب عن أبي طالب، وهذه الثلاثة خاصة بمحمد ﷺ. والشفاعة فيمن استحق النار أن لا يدخلها، وفيمن دخلها أن يخرج منها، وهذه الشفاعة يشترك فيها النَّبيُّون، والصِّدّيقون، والشُّهداء، والصَّالحون، وهي تتكرر من النبي ﷺ أربع مرات:

1 - يشفع فيمن كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان.
2 - يشفع فيمن كان في قلبه مثقال ذرة أو خردل من إيمان.
3 - ثم فيمن كان في قلبه أدنى حبة من خردل من إيمان.
4 - ثم فيمن قال: لا إله إلاّ الله.

ثم يخرج الله ﷻ من النار أقواماً بغير شفاعة، بل برحمته، وفضله، وإحسانه، فيقول الله تعالى: ((**شفعت الملائكة وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط**))[1].

11- الجنة والنار، يجب الاعتقاد بأن الجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان، والجنة دار أوليائه،والنار دار أعدائه،وأهل الجنة فيها مخلدون وأهل النَّار من الكفار مخلدون، والجنة والنار موجودتان الآن، وقد رآهما رسول الله ﷺ في صلاة الكسوف، وليلة المعراج، وقد ثبت في الحديث الصحيح أن الموت يُجاء به في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ويُذبح ويُقال: ((**يا أهل الجنة خلودٌ فلا موت ويا أهل النار خلودٌ فلا موت**))[2].

=

3 - الشفاعة في أقوام أمر بهم إلى النار أن لا يدخلوها.
4 - الشفاعة في رفع درجات من دخل الجنة.
5 - الشفاعة في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب.
6 - شفاعة النبي ﷺ في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب.
7 - شفاعة النبي ﷺ لأن يؤذن لجميع المؤمنين بدخول الجنة.
8 - الشفاعة في أهل الكبائر من أمة محمد ﷺ.

انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ص:252-262.

(1) انظر: صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾، برقم 7439، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، برقم 183، واللفظ لمسلم.

(2) انظر: صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، برقم 6548، وصحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء، برقم 2849، 2850.

الأصل السادس: الإيمان بالقدر خيره وشره:

ويتضمن الإيمان بأمور أربعة:

1- الإيمان بأنَّ الله تعالى علم أحوالَ عباده، وأرزاقهم، وآجالهم، وأعمالهم، وما كان ويكون، لا يخفى عليه شيء: ﴿ **إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾[1]، ﴿ **لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا** ﴾[2].

2- كتابتهُ ﷻ لكل المقادير[3]، قال ﷻ: ﴿ **وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ** ﴾[4] ، وقال سبحانه: ﴿ **أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ** ﴾[5]، وفي صحيح مسلم: ((**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة**))[6].

3- الإيمان بمشيئة الله النافذة، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، قال ﷻ: ﴿ **وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾[7]، وقال:

---

(1) سورة العنكبوت، الآية: 62.

(2) سورة الطلاق، الآية: 12.

(3) الإيمان بكتابة المقادير يدخل فيه خمسة تقادير:

1 - التقدير الشامل لجميع المخلوقات، بمعنى أن الله ﷻ: علمها، وكتبها، وشاءها، وخلقها، وهذه مراتب القدر الأربع.

2 - كتابة الميثاق، لقوله تعالى: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا ﴾.

3 - التقدير العُمري: تقدير رزق العبد، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد في بطن أمه بنهاية الشهر الرابع.

4 - التقدير السنوي؛ فإنه يكتب في ليلة القدر ما هو كائن في السنة: من الخير، والشر، والأرزاق.

5 - التقدير اليومي، لقوله ﷻ: ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ فيغفر ذنبًا، ويفرج كربًا، ويرفع قومًا، ويضع آخرين. وهذا التقدير اليومي تفصيل من التقدير الحولي، والحولي تفصيل من التقدير العُمري عند نفخ الروح في الجنين في بطن أمه، والعُمري تفصيل من التقدير العُمري الأول يوم الميثاق، وهو تفصيل من التقدير الذي خطه القلم في الإمام المبين.

انظر: معارج القبول، لحافظ ابن أحمد الحكمي، 3/928-940.

(4) سورة يس، الآية: 12.

(5) سورة الحج، الآية: 70.

(6) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى، برقم 2653، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(7) سورة التكوير، الآية: 29.

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾(1).

4- الإيمان بأن الله هو الخالق لكل شيء وما سواه مخلوق له، قال ﷻ: ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾(2).

أمور تدخل في الإيمان بالله ﷻ:

1- يدخل في الإيمان بالله الإيمان الصادق بجميع ما أوجبه الله على عباده وفرضه عليهم، كأركان الإسلام الخمسة، وغيرها مما أوجب الله على عباده.

2- ومن الإيمان بالله: الاعتقاد بأن الإيمان قول وعمل، [يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية].

3- ومن الإيمان الحبُّ في الله والبغض في الله(3).

المبحث الثالث: وسطيّةُ أهلِ السُّنَّةِ والجماعة

أولاً: أهل السنة وسط في باب صفات الله ﷻ بين أهل التعطيل وأهل التمثيل: قال الله ﷻ: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ فأهل الإسلام وسط بين الملل، وأهل السنة وسط بين الفرق المنتسبة إلى الإسلام، فهم وسط بين أهل التعطيل الذين ينفون صفات الله ﷻ وبين أهل التمثيل الذين أثبتوها وجعلوها مماثلة لصفات المخلوقين. فأهل السنة أثبتوا صفات الله إثباتًا بلا تمثيل، وينزِّهون الله ﷻ عن مشابهة المخلوقين تنزيهًا بلا تعطيل، فجمعوا بين التنزيه والإثبات وقد ردَّ الله على الطائفتين بقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ ردٌّ على المشبهة، ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ ردّ على المعطّلة(4).

ثانياً: أهل السنة وسط في باب أفعال العباد بين الجبرية والقدرية: فالجبرية: الذين هم أتباع جهم بن صفوان يقولون: إن العبد مجبور على فعله كالرِّيشة في مهب الريح، والقدرية الذين هم المعتزلة أتباع معبد الجهني ومن وافقهم قالوا: إن العبد هو الخالق لأفعاله دون مشيئة الله وقدرته، وهدى الله أهلَ السنة والجماعة لأن يكونوا

---

(1) سورة يس، الآية: 82.
(2) سورة الزمر، الآية: 62.
(3) انظر: العقيدة الصحيحة وما يُضادُّها، للعلامة عبد العزيز بن عبد الله ابن باز رحمهُ الله، ص20.
(4) انظر: شرح العقيدة الواسطية للهراس، ص126، والكواشف الجلية عن معاني الواسطية، لعبد العزيز بن سلمان، ص494، وشرح العقيدة الواسطية للكاتب، ص49.

وسطًا بين هاتين الفرقتين فقالوا إن الله هو الخالق للعباد وأفعالِهم، والعبادُ فاعلون حقيقة ولهم قدرة على أعمالهم، والله خالقهم وخالق أعمالهم وقدراتهم ﴿ **وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ** ﴾[1]،وأثبتوا للعبد مشيئة واختيارًا تابعين لمشيئة الله ﷻ: ﴿ **وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾[2] والله المستعان[3].

ثالثاً: أهل السنة وسط في باب وعيد الله بين الوعيدية والمرجئة: **فالمرجئة قالوا: لا يضر مع الإيمان ذنب** كما لا ينفع مع الكفر طاعة، فعندهم أن الأعمال ليست داخلة في مُسمَّى الإيمان، وأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وأن مرتكب الكبيرة كامل الإيمان، وهذا باطل.

والوعيدية: هم الذين قالوا: إن الله يجب عليه عقلاً أن يُعذَّب العاصي كما يجب عليه أن يُثيب الطائع فمن مات على كبيرة ولم يتب منها فهو خالد مخلد في النار، وهذا أصل من أصول المعتزلة، وبه تقول الخوارج.

أما أهل السنة فقالوا: مرتكب الكبيرة إذا لم يستحلها، مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، أو مؤمن ناقص الإيمان، وإن ماتَ ولم يتب فهو تحت مشيئة الله، إن شاء عفا عنه برحمته، وإن شاء عذبه بعدله بقدر ذنوبه ثم يخرجه، قال الله سبحانه[4]: ﴿ **إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء** ﴾[5].

رابعاً: أهل السنة وسط في باب أسماء الدين والإيمان والأحكام بين الخوارج والمعتزلة، وبين المرجئة والجهمية: المراد بأسماء الدين هنا: مثل مؤمن، مسلم، كافر، فاسق، والمراد بالأحكام: أحكام أصحابها في الدنيا والآخرة:

1- الخوارج عندهم أنه لا يُسمَّى مؤمنًا إلا من أدَّى جميع الواجبات واجتنب الكبائر ويقولون: إن الدين والإيمان: قول، وعمل، واعتقاد، ولكنه لا يزيد ولا ينقص فمن أتى كبيرة كفر في

(1) سورة الصافات، الآية: 96.
(2) سورة التكوير، الآية: 29.
(3) انظر: شرح العقيدة الواسطية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، بقلم الكاتب، ص50.
(4) انظر: شرح العقيدة الواسطية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، بقلم الكاتب، ص51.
(5) سورة النساء، الآية: 48.

الدنيا، وهو في الآخرة خالد مخلد في النار إن لم يتب قبل الموت.

2- **المعتزلة قالوا** بقول الخوارج، إلا أنه وقع الاتفاق بينهم في موضعين:

* نفي الإيمان عن مرتكب الكبيرة، وخلوده في النار مع الكافرين.

ووقع الخلاف بينهم في موضعين:

* الخوارج سموه في الدنيا كافرًا، والمعتزلة قالوا في منزلة بين المنزلتين: فهو خرج من الإيمان ولم يدخل في الكفر.

والخوارج استحلوا دمه وماله والمعتزلة لم يستحلوا ذلك.

3- **المرجئة قالوا:** لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة، فهم يقولون: إن الإيمان مُجَرَّد التَّصديق بالقلب فمرتكب الكبيرة عندهم كامل الإيمان ولا يستحق دخول النار، وهذا يُبيّن أن إيمان أفسق الناس عندهم كإيمان أكمل الناس.

4- **الجهمية وافقوا** المرجئة في ذلك تمامًا، فالجهم قد ابتدع التعطيل، والجبر، والإرجاء كما قال ابن القيم رحمه الله.

5- **أما أهل السنة فوفقهم الله** للوسطية بين هذين المذهبين الباطلين فقالوا: الإيمان قول وعمل: قول القلب واللّسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فقول القلب تصديقه وإيقانه، وقول اللسان النطق بالشهادتين والإقرار بلوزامها، وعمل القلب: النِّيّة، والإخلاص، والمحبة، والانقياد، والإقبال على الله ﷻ، والتوكل عليه، ولوازم ذلك وتوابعه، وكل ما هو من أعمال القلوب، وعمل اللسان، ما لا يُؤدَّى إلا به: كتلاوة القرآن، وسائر الأذكار، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله ﷻ، وغير ذلك، وعمل الجوارح: القيام بالمأمورات، واجتناب المنهيات، ومن ذلك الركوع والسجود وغير ذلك.

فمرتكب الكبيرة عند أهل السنة مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، فلا ينفون عنه الإيمان أصلاً كالخوارج والمعتزلة، ولا يقولون: بأنه كامل الإيمان كالمرجئة والجهمية، أما حُكْمُهُ في الآخرة فهو تحت مشيئة الله ﷻ إن شاء أدخله الجنة من أول وهلةٍ رحمةً منه وفضلاً وإن شاء عذبه بقدر معصيته عدلاً منه

سبحانه ثم يخرجه بعد التطهير ويدخله الجنة. هذا إن لم يأتِ بناقض من نواقض الإسلام(1).

خامساً: أهل السُّنّة وسط في أصحاب رسول الله ﷺ بين الروافض والخوارج: الرافضة غلوا في علي رضي الله عنه وأهل البيت، ونصبوا العداوة لجمهور الصحابة كالثلاثة، وكفَّروهم ومن والاهم، وكفَّروا من قاتل عليًّا، والخوارج قابلوا هؤلاء فكفَّرُوا عليًّا ومعاوية ومن معهما من الصحابة. والنواصب نصبوا العداوة لأهل البيت وطعنوا فيهم.

أما أهل السنة فهداهم الله للحق فلم يغلوا في عليٍّ وأهل البيت، ولم ينصبوا العداوة للصحابة رضي الله عنهم، ولم يكفروهم، ولم يفعلوا كما فعل النواصب من عداوة أهل البيت، بل يعترفون بحق الجميع وفضلهم، ويدعون لهم، ويوالونهم، ويَكُفُّون عن الخوض فيما جرى بينهم، ويترحَّمون على جميع الصحابة فكانوا وسطًا بين غلوِّ الرافضة وجفاء الخوارج، ويقول أهل السنة أفضل الصحابة: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة، ثم يُرتِّبون الصحابة على حسب مراتبهم ومنازلهم رضي الله عنهم(2).

سادساً: أهل السنة وسط في التعامل مع العلماء:

أهل السنة يُحِبُّون علماءَهم، ويتأدبون معهم، ويذبُّون عن أعراضهم، وينشرون محامدَهم، ويأخذون عنهم العلمَ بالأدلة، ويرون أن العلماء من البشر غير معصومين، إلا أنه إذا حصل شيء من الخطأ والنسيان والهوى لا ينقص ذلك من قدرهم؛ لأنهم ورثة الأنبياء، والأنبياء لم يورِّثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورَّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافر، فلا يجوز سبَّهم ولا التشهير بهم، ولا تَتَبُّع عَثَراتِهم ونشرها بين الناس؛ لأن في ذلك فسادًا كبيرًا(3)، وقد أحسن ابن عساكر رحمه الله فيما نُقل عنه أنه قال: ((اعلم يا

(1) انظر: شرح العقيدة الواسطية، للهراس، ص131، والكواشف الجلية عن معاني الواسطية، ص502، وشرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، بقلم الكاتب، ص53-56.

(2) انظر: الكواشف الجلية عن معاني الواسطية، للسلمان، ص505، وشرح العقيدة الواسطية، بقلم الكاتب، ص57-58.

(3) انظر: رفع الملام عن الأئمة الأعلام، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ضمن الفتاوى، جمع عبد الرحمن القاسم، 20/ 231-293، وقواعد في التعامل مع العلماء، للدكتور عبد الرحمن اللويحق، ص19-184.

أخي - وفقني الله وإياك لمرضاتِهِ وجعلني وإياك ممن يتقيه حق تقاته - **أن لحومَ العلماءِ مسمومةٌ**، وعادةُ الله في هتكِ أستار منتقصيهم معلومة[1] وأنَّ من أطال لسانَه في العلماءِ بالثَّلبِ بلاه الله قبل موته بموت القلب ﴿ **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾[2].

سابعاً: أهل السنة وسط في التعامُل مع ولاة الأمور: فهم وسط بين المُفْرِطِين والمفرِّطين، فأهل السنة يُحرِّمون الخروج على أئمة المسلمين، ويوجبون طاعتهم والسمع لهم في غير معصية الله، ويدعون لوُلاتهم بالتوفيق والسداد؛ لأن الله أمر بطاعتهم فقال ﷻ: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً** ﴾[3].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: ((**على المرء المسلم السمعُ والطاعةُ فيما أحب وكره إلا أن يُؤمَر بمعصية فلا سمعَ ولا طاعة**))[4].

وعن حذيفة رضي الله عنه يرفعه: ((**يكون بعدي أئمةٌ لا يهتدون بهُداي ولا يستنُّون بسنَّتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبُهم قلوبُ الشياطين في جُثمانِ إنسٍ**))، قال قلت: كيف أصنعُ يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: ((**تسمعُ وتطيعُ للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع**))[5]، وقد حثَّ أهل السنة والجماعة على ذلك. قال الإمام أبو الحسن علي بن خلف البَربَهاري رحمه الله في كتابه شرح السنة: ((إذا رأيتَ الرجلَ يَدعُو على السلطان فاعْلَمْ أنَّهُ صاحِبُ هوىً، وإذا رأيتَ الرجلَ يدعو للسُّلطان بالصَّلاح فاعلم أنه صاحِبُ سُنَّةٍ إن شاء الله))[6].

---

(1) تبيين كذب المفتري، ص29-30.
(2) سورة النور، الآية: 63
(3) سورة النساء، الآية: 59.
(4) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام،باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية،برقم 7144، ومسلم في كتاب الإمارة،باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية،برقم 1839.
(5) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة،باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن،برقم 1847.
(6) شرح السنة، للبربهاري، ص116.

وساق بسنده عن الفضيل بن عياض أنه قال: ((لو أن لي دعوةً مستجابة ما جعلتُها إلا في السلطان))، قيل له: ((يا أبا علي فسّر لنا هذا؟)) قال: ((إذا جعلتُها في نفسي لم تَعْدُني، وإذا جعلتُها في السلطان صلح فصلح بصلاحه العباد والبلاد))[1].

المبحث الرابع: أخلاق أهل السنة والجماعة

من أعظم أخلاق أهل السنة والجماعة ما يأتي:

أولاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛لقوله تعالى:﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾[2]، وقال ﷺ: ((**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**))[3].

ثانياً: النَّصيحة: لله، وكتابه، ورسوله ﷺ، وأئمة المسلمين، وعامتهم، وأن المؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضًا.

ثالثاً: يرحمون إخوانهم المسلمين ويحثُّون على مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ويأمرون بالصبر والإحسان إلى عباد الله على حسب أحوالهم، وما يجب لهم من أقارب، وأيتام، وفقراء، وغير ذلك من مكارم الأخلاق[4].

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من الفرقة الناجية التي لا يضرُّها من خذلها ولا من خالفها حتى يأتي أمر الله؛إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين[5].

---

(1) شرح السنة، للبربهاري، ص117.

(2) سورة آل عمران، الآية: 104

(3) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، برقم 49.

(4) انظر: شرح العقيدة الواسطية، لابن تيمية، للعلامة محمد خليل الهراس، ص258، وشرح العقيدة الواسطية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، بقلم الكاتب، ص86-87.

(5) هذه نبذة مختصرة في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة ولزوم اتباعها، ولم أزد عليها رغبة في الاقتصار على ما سمعه سماحة الوالد العلامة عبد العزيز بن عبد الله ابن باز رحمه الله في هذه المحاضرة، ومن أراد المزيد فعليه بالرجوع إلى أصول السنة، لإمام أهل السنة أحمد بن حنبل، المتوفى سنة 241هـ، وكتاب السنة لعبد الله ابن

=

الإمام أحمد، المتوفى سنة 290هـ، وكتاب السنة للحافظ أبي بكر عمرو بن أبي عاصم الضحاك المتوفى 287هـ، وكتاب التوحيد للإمام ابن خزيمة، المتوفى 311هـ، ومقالات الإسلاميين للإمام أبي الحسن الأشعري، المتوفى 330هـ، وشرح السنة للإمام أبي محمد الحسن بن علي البربهاري المتوفى 329هـ، والإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة،للإمام ابن بطة، المتوفى 387هـ، وكتاب الإيمان لابن منده،المتوفى 395هـ،وأصول أهل السنة لابن زمنين،المتوفى 399هـ،وكتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله ﷻ وصفاته على الاتفاق والتفرد للحافظ ابن منده، المتوفى 395هـ،وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة،للإمام أبي القاسم اللالكائي، المتوفى 418هـ،والعقيدة الطحاوية للإمام الطحاوي،المتوفى 321هـ، وشرح السنة للإمام البغوي،المتوفى 516هـ،ولمعة الاعتقاد،للإمام عبد الله بن أحمد بن قدامة، المتوفى سنة 620هـ، وشرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، المتوفى 792هـ، والعقيدة الواسطية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، المتوفى 728هـ، وهو مطبوع ضمن الفتاوى له 129/3-159، والفتوى الحموية له، وهو مطبوع ضمن الفتاوى له أيضًا
5/5-120، وكتاب التوحيد، للإمام محمد بن عبد الوهاب، المتوفى 1206هـ، وشرحه فتح المجيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، المتوفى 1285هـ، ومن المؤلفات الحديثة النافعة لأصحاب الفضيلة العلماء: شرح العقيدة الواسطية للعلامة محمد خليل الهراس، والعقيدة الصحيحة وما يضادها للعلامة عبد العزيز بن عبد الله ابن باز رحمه الله، وعقيدة أهل السنة والجماعة للعلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله، وشرح أصول الإيمان له، ومفهوم عقيدة أهل السنة والجماعة للدكتور ناصر العقل، ومباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة له، ومن أصول عقيدة أهل السنة والجماعة للعلامة صالح بن فوزان الفوزان، ومجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة، للدكتور ناصر العقل، وعقيدة أهل السنة والجماعة: مفهومها وخصائصها، وخصائص أهلها للشيخ محمد بن إبراهيم الحمد بتقديم سماحة العلامة ابن باز رحمه الله.

الرسالة الثالثة: اعتقاد الفرقة الناجية في الإيمان وأسماء الله وصفاته(1)

المبحث الأول: تعريف الفرقة الناجية: ((أهل السنة والجماعة))

الفِرقة بكسر الفاء: الطائفة من الناس. ووصفت بأنها الناجية المنصورة إشارة إلى قوله ﷺ: ((**لا تزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك**))(2).

وأهل السنة والجماعة بدل من الفرقة، والمراد بالسنة: الطريقة التي كان عليها رسول الله ﷺ وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم القيامة.

والجماعة: في الأصل القوم المجتمعون، والمراد بهم في هذه العقيدة: سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وإن كان واحداً قد ثبت على الحق الذي كانت عليه الجماعة المذكورة(3). قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ((الجماعة من وافق الحق وإن كنت وحدك))(4).

وعن عوف بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: ((**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة وسبعون في النار. وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة. فإحدى وسبعون فرقة في النار وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده لتفترقنّ أمتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة، واثنتان وسبعون في النار**))(5).

---

(1) **وهذه الرسالة عبارة عن شرح ميسر للعقيدة الواسطية، وقد نشرت بعنوان: ((شرح العقيدة الواسطية)) في رسالة لطيفة.**

(2) **أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب رقم 28، برقم 3641، ومسلم في كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: ((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم))، برقم 1920، 1921، 1037.**

(3) **انظر: الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية، لزيد بن فياض، ص 14، وشرح العقيدة الواسطية لمحمد خليل الهراس، ص16.**

(4) **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم، 70/1.**

(5) **أخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن، باب افتراق الأمم، برقم 3992، وللحديث شواهد أخرى عن أبي هريرة، وأخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب شرح السنة، برقم 4596، والترمذي في كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، برقم 2640، والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم 203، 1492.**

المبحث الثاني: أركان الإيمان عند الفرقة الناجية

أولاً: الإيمان بالله تعالى: وهو الاعتقاد الجازم بأن الله رب كل شيء ومليكه، وأنه الخالق، الرازق، المحيي، المميت، وأنه المستحق للعبادة دون ما سواه، وأن يُفرد بالعبادة والذل، والخضوع وجميع أنواع العبادات، وأن الله هو المتصف بصفات الكمال والعظمة، والجلال، المنزَّه عن كل عيب ونقص[1].

ثانياً: الإيمان بالملائكة:وهو الاعتقاد الجازم بأن لله ملائكة موجودون مخلوقون من نور، وهم كما وصفهم الله عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ويسبحون الله الليل والنهار لا يفترون، وأنهم قائمون بوظائفهم التي أمرهم الله بها كما تواترت بذلك النصوص من الكتاب والسنة، فكل حركة في السموات والأرض فهي ناشئة عن الملائكة الموكلين بالسموات والأرض امتثالاً لأمر الله ﷻ. فيجب الإيمان بمن سمَّى الله منهم على وجه التفصيل، ومن لم يسمِّ منهم فيجب الإيمان به على وجه الإجمال[2].

ثالثاً: الإيمان بالكتب: وهو التصديق الجازم بأن لله كتباً أنزلها على أنبيائه ورسله، وهي من كلامه حقيقة، وأنها نور وهدى، وأن ما تضمنته حق، ولا يعلم عددها إلا الله، ويجب الإيمان بها جملة إلا ما سمَّى الله منها فيجب الإيمان به على وجه التفصيل وهي: التوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن، ويجب مع الإيمان بالقرآن وأنه من عند الله الإيمان بأن الله تكلم به كما تكلم بالكتب المنزَّلة، كما يجب مع هذا كله اتباع ما فيه من أوامر، واجتناب ما فيه من زواجر، وأنه مُهَيْمِن على الكتب السابقة، وأنه مخصوص من الله بالحفظ من التبديل والتغيير، فهو كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود[3].

---

(1) الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية،ص15،والأجوبة الأصولية،ص16،والطحاوية،ص335. والإيمان بالله تعالى يشمل أربعة أمور: 1- الإيمان بوجوده سبحانه. 2- الإيمان بربوبيته. 3- الإيمان بألوهيته. 4- الإيمان بأسمائه وصفاته.

(2) الروضة الندية، ص16، والعقيدة الطحاوية، ص350.

(3) الأجوبة الأصولية، ص16، و17.

رابعاً: الإيمان بالرسل: وهو التصديق الجازم بأن الله أرسل رسلاً لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، واقتضت حكمته تعالى أن يرسلهم إلى خلقه مبشرين ومنذرين، فيجب الإيمان بهم جميعاً على وجه الإجمال، ويجب الإيمان بمن سمَّى الله منهم على وجه التفصيل وهم: خمسة وعشرون ذكرهم الله في القرآن الكريم، ويجب الإيمان بأن لله رسلاً غيرهم وأنبياء لا يُحصي عددهم إلا الله، ولا يعلم أسماءهم إلا هو جل وعلا كما يجب الإيمان بأن محمداً ﷺ أفضلهم وخاتمهم، وأن رسالته عامة للثقلين ولا نبي بعده ﷺ[1].

خامساً: الإيمان بالبعث بعد الموت: وهو الاعتقاد الجازم بأن هناك داراً آخرة يجازي الله فيها المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، ويغفر الله ما دون الشرك لمن يشاء.

والبعث شرعاً: هو إعادة الأبدان وإدخال الأرواح فيها، فيخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر أحياء مهطعين إلى الداعي، فنسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة[2].

سادساً: الإيمان بالقدر خيره وشره من الله تعالى: وهو التصديق الجازم بأن كل خير وشر هو بقضاء الله وقدره، وأن الله تعالى علم مقادير الأشياء وأزمانها أزلاً قبل إيجادها ثم أوجدها بقدرته، ومشيئته على وفق ما علمه منها، وأنه كتبها في اللوح المحفوظ قبل إحداثها[3].

والأدلة على هذه الأركان الستة من الكتاب والسنة كثيرة منها: قوله تعالى: ﴿ **لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ** ﴾... الآية[4]، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ** ﴾[5]، وقوله ﷺ في حديث جبريل. ((**... أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه،**

---

(1) انظر: الكواشف الجلية عن معاني الواسطية، ص66.
(2) انظر: المرجع السابق.
(3) شرح العقيدة الواسطية لمحمد خليل الهراس، ص19.
(4) سورة البقرة، الآية: 177 .
(5) سورة القمر، الآية: 49 .

ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره))[1].

المبحث الثالث: مذهب أهل السنة والجماعة في صفات الله تعالى إجمالاً

أهل السنة والجماعة يثبتون صفات الله تعالى: بلا تعطيل، ولا تمثيل، ولا تحريف، ولا تكييف، ويمرُّونها كما جاءت مع الإيمان بمعانيها وما تدل عليه.

أولاً: التحريف:هو لغة التغيير والتبديل.واصطلاحاً.تغيير ألفاظ الأسماء الحسنى والصفات العلا أو معانيها.وهو ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: تحريف اللفظ بزيادة، أو نقص، أو تغيير شكل وذلك كقول الجهمية ومن تبعهم في استوى: استولى. بزيادة اللام. وكقول اليهود: حنطة لَمّا قيل لهم: قولوا حطة، وكقول بعض المبتدعة بنصب لفظ الجلالة في قوله تعالى: ﴿ **وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا** ﴾[2].

والقسم الثاني: تحريف المعنى وهو إبقاء اللفظ على حاله وتغيير معناه وذلك كتفسير بعض المبتدعة: الغضب بإرادة الانتقام، والرحمة بإرادة الإنعام، واليد بالنعمة.

ثانياً: التعطيل:هو لغة:الترك.والمراد به نفي الصفات الإلهية عن الله تعالى وإنكار قيامها بذاته تعالى أو إنكار بعضها.فيكون الفرق بين التحريف والتعطيل هو أن التعطيل نفي للمعنى الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة،والتحريف:هو تفسير النصوص بالمعاني الباطلة.

أنواع التعطيل

التعطيل أنواع:

1- تعطيل الله عن كماله المقدس، وذلك بتعطيل أسمائه وصفاته أو تعطيل شيء من ذلك كما فعلت الجهمية والمعتزلة.

2- تعطيل الله بترك معاملته، وذلك بترك عبادته أو بعضها، أو

(1) أخرجه البخاري بلفظ قريب في كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، برقم 50، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله ﷻ، برقم 8-10، واللفظ له.

(2) سورة النساء، الآية: 164 .

عبادة غيره معه.

3- تعطيل المخلوق عن خالقه، وذلك مثل قول القائلين: إن الطبيعة هي التي أوجدت الأشياء، وإنها تتصرف بطبيعتها. وكل محرف معطل، وليس كل معطل محرفاً. فمن أثبت المعنى الباطل، ونفي المعنى الحق، فهو محرِّف ومعطِّل. أما من نفى الصفات فهو معطل وليس بمحرف.

ثالثاً: التكييف: هو السؤال بكيف. والمراد به تعيين وتحديد كنه الصفة بحيث يجعل لها كيفية معلومة، وليس المراد بنفي الكيفية تفويض المعنى المراد من الصفات؛ بل المعنى معلوم من لغة العرب، وهذا مذهب السلف كما قال الإمام مالك رحمه الله تعالى حينما سئل عن كيفية الاستواء فقال رحمه الله تعالى: ((الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة))[1]. فكل صفة من صفات الله تعالى تدل على معنى حقيقي ثابت نؤمن به ونثبته لله، ولكننا لا نعرف كيفيتها، وهيئتها وصورتها. فالواجب إثبات الصفات حقيقة ومعنى، وتفويض الكيفية بخلاف الواقفة الذين يفوضون معانيها.

رابعاً: التمثيل: هو بمعنى التشبيه بحيث يُجعل لله شبيهٌ في صفاته الذاتية أو الفعلية، وهو قسمان:

أ - تشبيه المخلوق بالخالق، كما شبهت النصارى المسيح بن مريم بالله تعالى، وكما شبهت اليهود عزيراً بالله. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ب - تشبيه الخالق بالمخلوق، كما فعلت المشبهة الذين يقولون: له وجه كوجه المخلوق، ويد كيد المخلوق، وسمع كسمع المخلوق، ونحو ذلك من التشبيه الباطل تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً[2][3].

المبحث الرابع: الإلحاد في أسماء الله وصفاته:

الإلحاد في أسماء الله تعالى:هو العدول بها وبحقائقها، ومعانيها عن

---

(1) فتاوى ابن تيمية، 144/5.
(2) الكواشف الجلية عن معاني الواسطية، ص86.
(3) قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: ((وهناك تشبيه ثالث وهو تشبيه الخالق بالمعدومات، والمستحيلات، والناقصات، أو الجمادات، وهذا الذي وقع فيه الجهمية والمعتزلة)).

الحق الثابت لها. والإلحاد إما أن يكون بجحدها أو إنكارها بالكلية، وإما بجحد معانيها وتعطيلها،وإما بتحريفها عن الصواب وإخراجها عن الحق بالتأويل الفاسد، وإما بجعلها أسماء لبعض المبتدعات كإلحاد أهل الاتحاد،فيدخل في الإلحاد: التحريف، والتعطيل، والتكييف، والتمثيل، والتشبيه[1].

المبحث الخامس: طريقة أهل السنة والجماعة في النفي والإثبات

أهل السنة والجماعة يثبتون ما أثبته الله لنفسه مفصلاً على حد قوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾، فكل ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من جميع الأسماء والصفات أثبتوه لله على الوجه اللائق به تعالى. وأهل السنة والجماعة ينفون ما نفاه الله عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله ﷺ نفياً إجمالياً غالباً على حد قوله تعالى: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾[2].

والنفي يقتضي إثبات ما يضاده من الكمال فكل ما نفى الله عن نفسه من النقائص ومشاركة أحد من خلقه في شيء من خصائصه فإنها تدل على ضدها من أنواع الكمال. وجمع الله النفي والإثبات في آية واحدة - أعني النفي الإجمالي والإثبات المفصل - وهي قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾، فهذه الآية تضمنت تنزيه الله عن مشابهة خلقه لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله. وفي أول هذه الآية رد على المشبهة وهو قوله تعالى: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾، وفي آخرها رد على المعطلة وهو قوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾، وفي أول هذه الآية نفي مجمل، وفي آخرها إثبات مفصّل، وفيها رد على الأشاعرة الذين يقولون ببعض الصفات وينفون البعض الآخر، وفيها رد على المعتزلة الذين يقولون سميع بلا سمع، وبصير بلا بصر[3]. وقد ساق المؤلف رحمه الله تعالى[4] الآية السابقة، وسورة الإخلاص، وآية الكرسي لتضمن هذه السورة - وما ذكر معها من الآيات - النفي والإثبات[5]، فسورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن كما بين ذلك

---

(1) انظر: الأجوبة الأصولية، ص32، وشرح العقيدة الواسطية للهراس، ص24.
(2) سورة الشورى، الآية: 11 .
(3) الأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية، ص26.
(4) شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية.
(5) الروضة الندية، ص120، وشرح العقيدة الواسطية للهراس، ص31.

رسول الله ﷺ[1]، وذكر العلماء من تفسير ذلك أن القرآن أنزل على ثلاثة أنواع: توحيد، وقصص، وأحكام. وهذه السورة تدل على التوحيد بأنواعه الثلاثة: توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات؛لذا قيل إنها تعدل ثلث القرآن[2].

وآية الكرسي آية عظيمة، وهي أعظم آية في كتاب الله تعالى[3]، وما ذلك إلا لما اشتملت عليه من الأسماء الحسنى والصفات العلا، فقد اجتمع فيها ما لم يجتمع في غيرها، فآية احتوت على هذه المعاني العظيمة يحق أن تكون أعظم آية في كتاب الله تعالى[4].

المبحث السادس: مذهب أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته تفصيلاً

أهل السنة مذهبهم مذهب سلف هذه الأمة رحمهم الله تعالى، وهو أنهم يؤمنون بكل ما أخبر الله به عن نفسه في كتابه، وبكل ما أخبر به عنه رسوله ﷺ إيماناً سالماً من التحريف والتعطيل، ومن التكييف والتمثيل، ويجعلون الكلام في صفات الله وذاته باباً واحداً فالقول في الصفات كالقول في الذات، فإن كان إثبات الذات إثبات وجود لا إثبات تكييف، فكذلك إثبات الصفات. فيجب عندهم الإيمان بأسماء الله وصفاته التي ثبتت بالكتاب والسنة الصحيحة أو بأحدهما ويجب أن تُمرّ كما جاءت بلا تكييف مع الإيمان بما دلّت عليه من المعاني العظيمة التي هي أوصاف لله ﷻ يجب وصفه بها على الوجه اللائق به بلا تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل[5].

وأهل السنة والجماعة لا يقيسون الله بخلقه، فلا يجوز عندهم استعمال الأقيسة التي تقتضي المماثلة، والمساواة بين المقيس والمقيس عليه في الشؤون الإلهية، فلا يستخدمون قياس التمثيل، ولا قياس الشمول في حق الله تعالى. إنما يستخدمون في حقه

(1) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب فضل ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾، برقم 5015، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة: ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾، برقم 811.

(2) شرح العقيدة الواسطية للهراس، ص21.

(3) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي، برقم 810، وأبو داود في كتاب الوتر، باب ما جاء في آية الكرسي، برقم 1460، وأحمد في المسند، 142/5.

(4) الأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية، ص40.

(5) انظر العقيدة الصحيحة وما يضادها، للشيخ عبد العزيز بن عبد الله ابن باز رحمهُ الله، ص7 ، ط الإفتاء، وشرح العقيدة الواسطية للهراس، ص25..

سبحانه قياس الأوْلى. ومضمون هذا القياس أن كل كمال ثبت للمخلوق لا نقص فيه بوجه من الوجوه فالخالق به أولى، وكل نقص تنزّه عنه المخلوق فالخالق أحقّ بالتنزيه عنه.

المبحث السابع: آيات الصفات وأحاديثها

بعد أن ذكر المؤلف رحمه الله تعالى[1] عقيدة الفرقة الناجية إجمالاً: من الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره من الله تعالى، شرع في ذلك على وجه التفصيل، فذكر رحمه الله أن من الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

ثم ذكر رحمه الله جملة من الآيات، وجملة من الأحاديث الصحيحة التي أثبت فيها رسول الله ﷺ صفات الله ﷻ على الوجه اللائق به تعالى. وأراد المؤلف بهذا الإثبات أنه لا طريق لمعرفة الإنسان المسلم صفات ربه العلا، وأسمائه الحسنى إلا عن طريق الوحي. وأسماء الله وصفاته توقيفية فما أثبته الله لنفسه أو أثبته رسوله ﷺ أثبتناه، وما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ نفيناه. وحسبنا ما جاء في هذا القرآن وصحيح السنة.

ومما ذكر رحمه الله ما يلي:

1- صفة العزة: قال الله تعالى: ﴿ **سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾[2]، فسبح الله نفسه عما وصفه به المخالفون للرسل، وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب.

2 - صفة الإحاطة: قال تعالى: ﴿ **هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾[3]، وقد فسر ذلك رسول الله ﷺ بقوله: ((**اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك**

---

(1) شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية.
(2) سورة الصافات، الآيات: 180-181.
(3) سورة الحديد، الآية: 3 .

شيء))[1]، وهذا يدل على الإحاطة الزمانية **﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ ﴾** ويدل على الإحاطة المكانية قوله تعالى: **﴿ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ﴾**.

3- صفة العلم، 4- صفة الحكمة، 5- صفة الخبرة: قال الله تعالى: **﴿ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾**[2]، وقال تعالى: **﴿ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾**[3]، وعلم الله تعالى من الصفات الذاتية التي لا تنفك عن الله، فهو قد أحاط بكل شيء علماً جملة وتفصيلاً. والله تعالى له الحكم في الدنيا والآخرة، وهو سبحانه إذا أحكم شيئاً لا يتطرّق إليه الفساد فقد أحكم هذا الخلق وأوجده وهو سبحانه الحكيم العليم[4].

6- صفة الرزق، 7- والقوة، 8- والمتانة: قال الله تعالى: **﴿ إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾**[5]، والرزاق هو كثير الرزق واسعه كما تدل عليه صيغة المبالغة، وكل ما في الكون من رزق فهو من الله تعالى. والرزق رزقان:

رزق يستمر نفعه في الدنيا والآخرة، وهو رزق القلوب، الذي هو العلم والإيمان والرزق الحلال.

والرزق الثاني وهو الرزق العام لسائر الخلق برِّهم وفاجرهم والبهائم وغيرها. والله تعالى موصوف بالقوة، والقوي شديد القوة، فَعُلِمَ أن القوي من أسمائه ومعناه الموصوف بالقوة. والمتين البالغ في القوة والقدرة نهايتهما[6].

9 - صفة السمع، 10- صفة البصر: قال الله تعالى: **﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾**[7]، من صفات الله الذاتية: السمع والبصر. فله تعالى سمع وبصر يليق بجلاله لا كسمع خلقه ولا بصرهم، بل قد أحاط سمعه بجميع المسموعات، وهو يشاهد،

---

(1) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، برقم 2713، وانظر: شرح العقيدة الواسطية للهراس، ص42.
(2) سورة يوسف، الآية: 100 .
(3) سورة الأنعام، الآية: 18 .
(4) انظر الأجوبة الأصولية، ص42.
(5) سورة الذاريات، الآية: 58 .
(6) الروضة الندية، ص74.
(7) سورة الشورى، الآية: 11 .

ويرى كل شيء وإن خفي ظاهراً وباطناً[1] وقد قال الشاعر:

يا من يرى مدَّ البعوض جناحها   في ظلمة الليل البهيم الأليلِ
ويرى مناط عروقها في نحرها   والمخّ في تلك العظام النحّلِ
امننْ عليَّ بتوبةٍ تمحو بها   ما كان مني في الزمان الأوّلِ

11 – صفة الإرادة، 12– والمشيئة: قال الله تعالى: **﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُواْ وَلَـكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾**[2]، وقوله تعالى:**﴿فَمَن يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾**[3]،والإرادة نوعان:

1 -إرادة كونية ترادفها المشيئة وهما تتعلقان بكل ما يشاء الله فعله وإحداثه، فهو سبحانه إذا أراد شيئاً وشاءه كان عقب إرادته له كما قال تعالى: **﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾**[4]، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

2 - إرادة شرعية تتعلق بما أمر الله به عباده مما يحبه ويرضاه، وهي المذكورة في مثل قوله تعالى: **﴿ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾**[5].

الفرق بين الإرادتين:

الإرادة الكونية القدرية عامة تشمل جميع الحوادث وكل ما يقع في هذا الكون من خير وشر، وكفر، وإيمان، وطاعة ومعصية. أما الإرادة الدينية الشرعية فتختص بما يحبه الله ويرضاه مما جاء في الكتاب والسنة. فتجتمعان في حق المطيع وتنفرد الكونية القدرية في حق العاصي والكافر. ومعنى ذلك أن طاعة المطيع أرادها الله ديناً، وشرعاً، وكوناً، وقدراً. أما كفر الكافر فأراده الله كوناً وقدراً، ولم

---

(1) انظر: الروضة الندية، ص74 ، وص112 .
(2) سورة البقرة، الآية: 253 .
(3) سورة الأنعام، الآية: 125 .
(4) سورة يس، الآية: 82 .
(5) سورة البقرة، الآية: 185 .

يرده ديناً وشرعاً[1].

13- صفة المحبة، 14- والمودة: قال الله تعالى: ﴿ **وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾[2]، ومحبة الله تليق بجلاله كما تقدم، وهي من الصفات الفعلية وسببها امتثال ما أمر الله به من الإحسان في عبادة الله والإحسان إلى عباد الله. وكذلك صفة المودة لقوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ** ﴾[3]، والود صفاء المحبة وخالصها.

15 - صفة الرحمة، 16- والمغفرة: قال الله تعالى: ﴿ **رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا** ﴾[4]،وقال سبحانه:﴿ **وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾[5] في الآية الأولى أثبت الله لنفسه صفة الرحمة،وفي الآية الثانية أثبت سبحانه لنفسه صفة المغفرة،ونحن نثبت ما أثبت الله لنفسه على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى.

17 - صفة الرضى، 18- والغضب، 19- والسخط، 20- واللعن، 21- والكراهية، 22- والأسف، 23- والمقت: قال الله تعالى: ﴿ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ** ﴾[6]، وقال سبحانه: ﴿ **وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ** ﴾[7]،وقال تعالى:﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ** ﴾[8]، وقال تعالى: ﴿ **فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ** ﴾[9] ، وقال سبحانه: ﴿ **كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ** ﴾[10] ، وقال سبحانه: ﴿ **وَلَـكِن كَرِهَ اللهُ انبِعَاثَهُمْ** ﴾[11]، في هذه الآيات وصف الله نفسه

---

(1) العقيدة الطحاوية، ص116، وشرح الواسطية للهراس، ص52، والأجوبة الأصولية، ص48.
(2)سورة البقرة، الآية: 195 .
(3)سورة البروج، الآية: 14 .
(4)سورة غافر، الآية: 7.
(5)سورة يونس، الآية: 107 .
(6)سورة البينة، الآية: 8.
(7)سورة النساء، الآية: 93 .
(8)سورة محمد، الآية: 28 .
(9)سورة الزخرف، الآية: 55 .
(10)سورة الصف، الآية: 3 .
(11)سورة التوبة، الآية: 46 .

بالغضب، والسخط، والرضى، واللعن، والكراهية، والأسف، والمقت. وهذه كلها من صفات الأفعال التي يفعلها جل وعلا متى شاء إذا شاء، فكما أثبت أهل السنة الصفات الذاتية لله كذلك أثبتوا أفعاله الاختيارية على ما يليق بجلاله ﷻ[1].

24- مجيء الله، 25- وإتيانه: قال الله تعالى: ﴿ **هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ** ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ **كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا** ﴾[3]. في هذه الآيات التي ذكر المؤلف وفي غيرها إثبات صفة المجيء، وصفة الإتيان، والنزول على ما يليق بالله تعالى. وهذه الأفعال الاختيارية المتعلقة بالمشيئة والقدرة.

26 - صفة الوجه، 27- واليدين، 28- والعينين: قال الله تعالى: ﴿ **وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ** ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ **وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا** ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿ **مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ** ﴾[6]، في هذه الآيات إثبات صفة الوجه، واليدين، والعينين لله تعالى على ما يليق به. ويدل على صفة العينين من السنة قوله ﷺ: ((**إن ربكم ليس بأعور**))[7].

29 - صفة المكر، 30- والكيد: قال الله تعالى: ﴿ **وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ** ﴾[8]، وقال تعالى: ﴿ **إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا** ﴾[9]، وقال تعالى: ﴿ **وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ** ﴾[1]، أثبت الله لنفسه

(1) انظر: الكواشف الجلية، ص210، والروضة الندية، ص94.
(2) سورة البقرة، الآية: 210 .
(3) سورة الفجر، الآيتان: 21-22 .
(4) سورة الرحمن، الآية: 27 .
(5) سورة الطور، الآية: 48 .
(6) سورة ص، الآية: 45 .
(7) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب كيف يعرض الإسلام على الصبي، برقم 3057، ومسلم في كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال، برقم 274/169.
(8) سورة آل عمران، الآية: 54 .
(9) سورة الطارق، الآيتان: 15-16 .

هذه الصفات المذكورة في الآيات. وهي: المكر، والكيد، والمماحلة، وهذه صفات فعلية تثبت لله كما يليق بجلاله وعظمته، ولا يجوز أن يشتق له من هذه الصفات الفعلية اسم، فلا يُقال: من أسمائه الماكر، ولا الكائد؛ لأن ذلك لم يرد، بل نقف عندما ورد من أنه سبحانه خير الماكرين، وأنه يكيد لأعدائه الكافرين. فوصف الله نفسه بالمكر، والكيد على وجه الجزاء والمقابلة، نحو:﴿**وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا**﴾[2]، وقيل على بابه: وهو إيصال المكر والكيد لمن يستحقه عقوبة له: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ* أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ**﴾[3] ، والله تعالى أطلق على نفسه أفعالاً لم يتسمَّ فيها بأسماء الفاعل: كأراد، وشاء، وأحدث، ولم يُسمَّ بالمريد، والشائي، والمُحدث، كما لم يُسمِّ نفسه بالصانع، والفاعل، والمتقن، وغير ذلك من الأسماء التي أطلق أفعالها على نفسه، فباب الأفعال أوسع من باب الأسماء. ولكن ما أثبته الله لنفسه أثبتناه، كقوله تعالى: ﴿ **فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ** ﴾[4]، وكقوله: ﴿ **صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ** ﴾[5].

31- صفة العفو، 32- والمغفرة، 33- والعزة، 34- والقدرة: قال الله تعالى: ﴿ **إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوَءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا** ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿ **وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾[7]، وقوله تعالى: ﴿ **أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾[8]، ففي هذه الآيات أثبت الله لنفسه صفة العفو، وصفة المغفرة، وصفة العزة، وصفة القدرة فنحن نثبتها لله على الوجه اللائق به تعالى لا يشبه في ذلك شيئاً من خلقه))[9].

35- صفة الاستواء، 36- والعلو:

=

(1) سورة الرعد، الآية: 13 .
(2) سورة الشورى، الآية: 40 .
(3) سورة الفيل، الآيتان: 1-2.
(4) سورة البروج، الآية: 16 .
(5) سورة النمل، الآية: 88 .
(6) سورة النساء، الآية: 149 .
(7) سورة المنافقون، الآية: 8 .
(8) سورة النور، الآية: 22 .
(9) الروضة الندية، ص115، والكواشف الجلية، ص267، ومختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن القيم، 2/31-35.

قال الله تعالى: ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** ﴾[1]، ذكر الله ذلك في سبعة مواضع من كتابه، فنحن نثبت ما أثبته الله لنفسه فنقول: إنه استوى حقيقة استواء يليق بجلاله، فالاستواء معلومٌ، والكيف مجهولٌ، والإيمان به واجبٌ، والسؤال عنه بدعةٌ، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة[2]. وقال تعالى: ﴿ **إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ** ﴾[3]، والعلوُّ وصفٌ ذاتيٌّ لله تعالى: فله العلوُّ المطلق: علوُّ الذاتِ وعلوُّ القدر، وعلوُّ القهر[4]، وفي الحديث: ((**والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه**))[5].

37- صفة المعيّة لله تعالى: قال تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ** ﴾[7]، نجد في هذه الآيات أن الله تعالى أثبت لنفسه معيّة، وهذه المعيّة معيّتان:

1 - معيّة الله لجميع المخلوقات ومقتضاها العلم، والإحاطة، والاطلاع، ودليل ذلك ما جاء في آية سورة الحديد السابقة.

2 - معيّة خاصة لأهل الإيمان والتقوى ومقتضاها الحفظ، والعناية، والنصرة... والمعيّة العامّة من الصفات الذاتية، والمعيّة الخاصّة من الصفات الفعلية. قال ﷺ: ((**إنّ أحدكم إذا قام في صلاته**

---

(1) سورة طه، الآية: 50 .

(2) فتاوى ابن تيمية، 144/5 .

(3) سورة فاطر، الآية: 10 .

(4) الروضة الندية، ص131 .

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾، برقم 3191 عن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ قال: ((كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء))، وعند أبي داود: ((إن الله فوق عرشه، وعرشه فوق سمواته)). أخرجه في كتاب السنة، باب في الجهمية والمعتزلة، برقم 4726، وعند الترمذي في كتاب التفسير، باب ومن سورة هود من حديث أبي رزين، برقم 3109: ((كان في عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء، وخلق عرشه على الماء)). وقال أبو عيسى: ((هذا حديث حسن)). وصححه الألباني في مختصر العلو للعلي الغفار، ص103 .

(6) سورة الحديد، الآية: 4 .

(7) سورة النحل، الآية: 128 .

فإنّه يناجي ربه أو إنّ ربه بينه وبين القبلة فلا يبزقنّ أحدكم قِبَلَ وجهه، [ولا عن يمينه] ولكن عن يساره أو تحت قدمه [وفي رواية] **أو تحت قدمه اليسرى))**[1]، وقال ﷺ: ((**والذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلة أحدكم))**[2].

38 - صفة الكلام لله تعالى: قال الله تعالى: ﴿ **وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا** ﴾[3]، هذه الآية وغيرها من الآيات التي ذكرها المؤلف، وهي كثيرة جداً، تدل على أن الله يتكلّم حقيقة على ما يليق بجلاله، فهو سبحانه يتكلّم إذا شاء بما شاء متى شاء، فهو تعالى قد تكلّم بالقرآن، والكتب المنزلة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والقرآن كلامه تعالى مُنَزّل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وإذا قرأ الناس القرآن أو كتبوه في المصاحف لم يخرجه ذلك عن أن يكون كلام الله؛ فإنّ الكلام إنّما يضاف إلى من قاله أولاً أي مبتدئاً لا إلى من بلّغه مؤدياً والله تكلم بحروفه، ومعانيه بلفظ نفسه سبحانه ليس شيء منه لغيره، فالله تعالى متكلّم بكلامٍ قديم النوع حادث الآحاد، وأنه لم يزل متكلماً بحرف وصوت بكلام يُسْمِعُه من شاء من خلقه وهو سبحانه يكلّم المؤمنين يوم القيامة ويكلّمونه، وكلامه قائم بذاته وهو صفة ذات وفعل فهو لم يزل ولا يزال متكلماً إذا شاء على ما يليق بجلاله[4]، وقد قال النبي ﷺ: ((**ما منكم من أحد إلا وسيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان))**[5]، وقال ﷺ: يقول الله ﷻ: ((**يا آدم فيقول: لبيك وسعديك،والخيرُ في يديك،قال: يقول: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألفٍ تسعمائة وتسعة وتسعين. قال: فذاك حين يشيب الصغير،وتضعُ كل ذات حملٍ حملها،وترى الناس سُكارَى، وما هم بسُكارَى ولكن عذاب الله**

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة،باب حك البزاق باليد من المسجد،برقم 405، وباب لا يبصق عن يمينه في الصلاة، برقم 412، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة،باب النهي عن البصاق في المسجد في الصلاة وغيرها،برقم 551.

(2) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب خفض الصوت بالذكر، برقم 46/2704.

(3) سورة النساء، الآية: 164 .

(4) الروضة الندية، 146، والأجوبة الأصولية، 93، وشرح الواسطية للهراس، ص96 .

(5) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عذب، برقم 6539، ومسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار، برقم 67/1016.

شديد...))[1] **الحديث**.

39 – رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة: قال الله تعالى: ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾[2]، ذكر المؤلف رحمه الله تعالى تحت هذا الباب آيات تدل على رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة عِياناً بأبصارهم على الوجه اللائق بالله تعالى، لا يشبه في ذلك شيء من خلقه، وقد وردت السنة بذلك أيضاً قال ﷺ: ((**إذا دخل أهلُ الجنةِ الجنةَ قال يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيّض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنةَ وتنجنا من النار؟، قال: فيكشف الحجاب، فما أُعطوا شيئاً أحبّ إليهم من النظر إلى ربهم** ﷻ))، ثم تلا هذه الآية: ﴿ **لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ** ﴾[3][4]، وقد اتفق على رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة: الأنبياء، والمرسلون، وجميع الصحابة، والتابعون، وأئمة الإسلام على تتابع القرون. والمخالفون في ذلك: الجهمية، والمعتزلة، ومن تبعهم، وقولهم باطل مردود بالكتاب والسنة[5]، وقال النبي ﷺ: ((**إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامّون في رؤيته،فإن استطعتم أن لا تُغلَبوا على صلاةٍ قبل طلوع الشمس وصلاةٍ قبل غروب الشمس فافعلوا**))[6].

40 – نزول الله إلى السماء الدنيا كل ليلة: قال النبي ﷺ: ((**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له**))[7]، وهذا الحديث المتفق على صحته دليل

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج، برقم 3348، ومسلم في كتاب الإيمان، باب قوله: يقول الله لآدم أخرج بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، برقم 222.

(2) سورة القيامة، الآيتان: 22-23 .

(3) سورة يونس، الآية: 26 .

(4) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم ﷻ، برقم 181.

(5) الكواشف الجلية، ص401 .

(6) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، برقم 554، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، برقم 633.

(7) أخرجه البخاري في كتاب أبواب التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل، برقم 1145، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر =

صحيح صريح في إثبات نزول الله تعالى إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر، ونزوله تعالى يليق بجلاله، وعظمته، والنزول من الصفات الفعلية ينزل إذا شاء متى شاء فالنزول معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. وكذلك يوم القيامة كما جاء به الكتاب والسنة، وليس نزوله كنزول أجسام بني آدم من السطح إلى الأرض بحيث يبقى السقف فوقهم، بل الله منزه عن ذلك[1].

41 – صفة الفرح لله تعالى: قال النبي ﷺ: ((**الله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة**))[2]، وهذه الصفة من الصفات الفعلية وهي تليق بالله ﷻ.

42 – صفة الضحك لله تعالى: قال النبي ﷺ: ((**يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر: كلاهما يدخل الجنة**))، فقالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: ((**يقاتل هذا في سبيل الله ﷻ فيُستَشْهَد ثم يتوب الله على القاتل فيسلم فيقاتل في سبيل الله ﷻ فيستشهد**))[3]، في هذا الحديث دليل صحيح صريح على إثبات صفة الضحك لله على الوجه اللائق بجلاله تعالى، لا يشبه أحداً من خلقه، وهذه الصفة من الصفات الفعلية التي يفعلها الله إذا شاء متى شاء كيف شاء على الوجه اللائق به سبحانه[4].

43 – صفة العجب: قال ﷺ: ((**لقد عجب الله ﷻ أو ضحك من فلان وفلانة فأنزل الله ﷻ: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾**))[5]، وفي هذا الحديث الصحيح إثبات صفة العجب،

في آخر الليل والإجابة فيه، برقم 758.

(1) شرح حديث النزول لابن تيمية ص33 والروضة الندية ص172 .

(2) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب التوبة (رقم 6309)، ومسلم في كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها، برقم 8/2747، وهذا لفظ البخاري بينما عند مسلم: ((إذا استيقظ على بعيره)) ، ولفظ الحديث للبخاري. وانظر: الكواشف الجلية، ص457، والروضة الندية، ص175.

(3) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب الكافر يقتل المسلم ثم يسلم فيسدد بعد ويقتل، برقم 2826، ومسلم في كتاب الإمارة، باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة، برقم 1890.

(4) انظر الروضة الندية، ص175، والكواشف الجلية، ص457 .

(5) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ ﴾ ، برقم 4889،

وهي من الصفات الفعلية، فالله تعالى يعجب متى شاء إذا شاء على ما يليق بجلاله: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ** ﴾.

44 – صفة قَدَم الرحمن: قال النبي ﷺ: ((**لا تزال جهنم يلقى فيها وهي تقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه - [**وفي رواية] **عليها قدمه - فينزوي بعضها إلى بعض فتقول قط قط**))[1]، وفي هذا إثبات صفة قدم الرحمن على ما يليق بجلاله كما تقدم[2].

الصفات تنقسم إلى فعلية وذاتية

القسم الأول: الصفات الذاتية: وهي التي لا تنفك عن الله تعالى، فهو لم يزل ولا يزال متصفاً بها: كالعلم، والحياة، والقدرة، والسمع، والبصر، والوجه، واليدين، والعينين، والرجل، والملك، والعظمة، والكبرياء، والعزة، والعلو، والإصبع، والقدم، والغنى، والرحمة، والكلام.

القسم الثاني: الصفات الفعلية: وهي التي تتعلق بالمشيئة والقدرة: كالاستواء، والنزول، والمجيء، والضحك، والرضى، والعجب، والسخط، والإتيان، والإحياء، والإماتة، والفرح، والغضب، والكره، والحب، فهذه صفات يقال لها قديمة النوع حادثة الآحاد، وهذه الصفات وغيرها تتعلق بالمشيئة إن شاء فعلها وإن لم يشأ لم يفعلها[3].

قد تكون الصفات ذاتية فعلية باعتبارين

كالكلام فإنّه باعتبار أصله صفة ذاتية؛ لأنّه لم يزل ولا يزال متكلماً، وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية؛ لأنّ الكلام يتعلق بمشيئته يتكلم إذا شاء بما شاء، كما قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴾، وكل صفة تتعلق بمشيئة الله تعالى فإنّها تابعة لحكمته،

= واللفظ له، ومسلم بلفظ مختلف في كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره، برقم 2054.

(1) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب الحلف بعزة الله وصفاته وكلامه، برقم 6661، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، برقم 2848.

(2) انظر مختصر الأجوبة الأصولية، ص103 .

(3) انظر: مختصر الأجوبة الأصولية، ص30 .

وقد تكون الحكمة معلومة لنا، وقد نعجز عن إدراكها، لكننا نعلم علم اليقين أنه سبحانه لا يشاء شيئاً إلا وهو موافق للحكمة، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿**وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللهُ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا** ﴾[1][2].

المبحث الثامن: وسطية أهل السنة والجماعة

أولاً: توسط أهل السنة بين فرق الضلال في باب صفات الله تعالى

الأمة الإسلامية وسط بين الملل، كما قال تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا** ﴾[3]، وأهل السنة وسط بين الفرق المنتسبة للإسلام. فهم وسط بين الجهمية الذين ينفون صفات الله تعالى وأسمائه الحسنى، فعطّلوا الله عن صفاته، فبذلك أطلق عليهم اسم أهل التعطيل، وبين أهل التمثيل وهم طائفة عارضت الجهمية، فأثبتوا الصفات لله غير أنهم جعلوها كصفات المخلوقين، فقالوا: يد كيد المخلوق، وسمع كسمع المخلوق. تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

وأما أهل السنة والجماعة فيثبتون الصفات إثباتاً بلا تمثيل، وينزهون الله عن مشابهة المخلوقين تنزيهاً بلا تعطيل، فهم جمعوا بين التنزيه والإثبات. وقد ردّ الله على الطائفتين بقوله تعالى: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾، فقوله تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾ ردٌّ على المشبِّهة. وقوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ ردٌّ على المعطّلة[4].

ثانياً: توسّط أهل السنة في باب أفعال العباد بين الجبرية والقدرية

وأهل السنة وسط في باب أفعال العباد بين الجبرية والقدرية وغيرهم. **فالجبرية** الذين هم الجهمية أتباع الجهم بن صفوان يقولون: إن العبد مجبورٌ على فعله وحركاته وأفعاله كلها كحركات المرتعش والعروق النابضة [وكالريشة في مهب الريح] والكل فعل الله.

---

(1) سورة الدهر، الآية: 30 .
(2) انظر: القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، ص24 .
(3)سورة البقرة، الآية: 143.
(4) الكواشف الجلية، ص494، وشرح الواسطية للهراس، ص126 .

أما القدرية الذين هم المعتزلة أتباع معبد الجهني ومن وافقهم فقالوا: إنّ العبد هو الخالق لأفعاله دون مشيئة الله وقدرته، فأنكروا أن يكون الله هو الخالق لأفعال العباد، وقالوا: إنّ الله لم يُرِدْها ولم يشأها. وهدى الله أهل السنة والجماعة لأن يكونوا وسطاً بين هاتين الفرقتين، فقالوا: إنّ الله تعالى هو خالق العباد وأفعالهم، والعباد فاعلون حقيقة ولهم قدرة على أعمالهم، والله خالقهم وخالق قدراتهم قال الله تعالى:﴿ **وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ** ﴾[1] ، وأثبتوا للعبد مشيئة واختياراً تابعين لمشيئة الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿ **لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾[2].

ثالثاً: أهل السنة وسط في باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية من القدرية

المرجئة: نسبة إلى الإرجاء وهو التأخير، وسُمُّوا بذلك لأنهم أخَّروا الأعمال عن الإيمان حيث قالوا: لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة، فعندهم أن الأعمال ليست داخلة في مسمى الإيمان، وأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وأن مرتكب الكبيرة كامل الإيمان غير مُعرَّض للوعيد، ومذهبهم باطل بالكتاب والسنة.

والوعيدية هم الذين قالوا: إنّ الله يجب عليه عقلاً أن يُعذِّب العاصي، كما يجب عليه أن يثيب الطائع، فمن مات على كبيرة ولم يتب منها فهو خالد مُخلَّد في النار، وهذا أصل من أصول المعتزلة، وبه تقول الخوارج، قالوا: لأنَّ الله لا يخلف الميعاد. ومذهبهم باطل مخالف للكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ** ﴾[3].

أما أهل السنة والجماعة فهم وسط في باب وعيد الله بين هاتين الطائفتين حيث قالوا: إنّ مرتكب الكبيرة مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته أو مؤمن ناقص الإيمان، وإن مات ولم يتب فهو تحت مشيئة الله إن شاء عفا عنه برحمته وفضله وأدخله الجنة من أول وهلة، وإن شاء عذبه بعدله بقدر ذنوبه في النار، ولكنه لا يخلد فيها بل يخرج بعد التطهير والتمحيص من الذنوب والمعاصي، ويدخل

---

(1)سورة الصافات، الآية: 96 .

(2)سورة التكوير، الآيتان:28- 29 .

(3)سورة النساء، الآية: 48 .

الجنة بشفاعة أو بفضل الله ورحمته، وكلٌّ من فضل الله تعالى. وقال أهل السنة: وإخلاف الوعيد كرم بخلاف إخلاف الوعد؛ فإنّه يمدح بإخلاف الوعيد بخلاف [إخلاف] الوعد.

قال الشاعر:

وإنِّي وإن أَوعدتُه أو وعدتُه لمخلفُ إيعادي ومنجزُ موعدي[1]

رابعاً: أهل السُّنَّة وسط في باب أسماء الإيمان والدِّين بين الحرورية، والمعتزلة، وبين المرجئة، والجهمية

المراد بالأسماء هنا أسماء الدِّين مثل: مؤمن، ومسلم، وكافر، وفاسق. والمراد بالأحكام: أحكام أصحابها في الدنيا والآخرة.

1 - الحرورية طائفة من الخوارج نسبوا إلى حروراء، وهو موضع قريب من الكوفة اجتمعوا فيه حين خرجوا على علي رضي الله عنه فعندهم أنَّه لا يُسمَّى مؤمناً إلا من أدَّى الواجبات واجتنب الكبائر. ويقولون: إنّ الدين والإيمان قول، وعمل، واعتقاد. ولكنه لا يزيد ولا ينقص، فمن أتى كبيرة كفر في الدنيا وهو في الآخرة خالد مخلد في النار إن لم يتب قبل الموت.

2 - المعتزلة هم أتباع واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد سُمُّوا بذلك لمّا اعتزلوا مجلس الحسن البصري، وقيل غير ذلك. فعندهم أنه لا يُسمَّى مؤمناً إلا من أدى الواجبات واجتنب الكبائر، ويقولون: إن الدين والإيمان قول وعمل واعتقاد، ولكنه لا يزيد ولا ينقص، فمن أتى كبيرة صار في منزلة بين المنزلتين - خرج من الإيمان ولم يدخل في الكفر - هذا حكمه عندهم في الدنيا،، وحكمه في الآخرة خالد مُخَلَّدٌ في النار. فوقع الخلاف بين الخوارج والمعتزلة في موضعين ووقع الاتفاق بينهم في موضعين. وقع الاتفاق بينهم في:

أ - نفي الإيمان عن مرتكب الكبيرة.
ب - خلوده في النار مع الكفار.

ووقع الخلاف بينهم في:

أ - الخوارج سَمُّوه كافراً، والمعتزلة قالوا في منزلة بين المنزلتين.

---

(1) انظر: الروضة الندية، ص252، والكواشف، ص501 .

ب - الخوارج استحلُّوا دمه وماله، والمعتزلة لم يفعلوا ذلك.

3 - **المرجئة** قالوا: لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة، فهم يقولون: إن الإيمان مُجرَّد التصديق بالقلب. فمرتكب الكبيرة عندهم كامل الإيمان ولا يستحق دخول النار. فعلى هذا يكون إيمان أفسق الناس كإيمان أكمل الناس.

4 - **وكذا قال الجهمية.** فالجهم قد ابتدع التعطيل، والجبر، والإرجاء كما قال الإمام ابن القيم رحمه الله، فمرتكب الكبيرة عند هؤلاء كامل الإيمان ولا يستحق دخول النار.

5 - **أما أهل السنة والجماعة** فهداهم الله للحق، فقالوا: إنّ الإيمان قول باللّسان، وعمل بالجوارح، واعتقاد بالقلب، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. فمرتكب الكبيرة عندهم مؤمن ناقص الإيمان، قد نقص من إيمانه بقدر ما ارتكب من معصية، فلا ينفون عنه الإيمان أصلاً كالخوارج والمعتزلة، ولا يقولون: بأنَّه كامل الإيمان كالمرجئة والجهمية. أما حكمهُ في الآخرة فهو تحت مشيئة الله إن شاء أدخله الجنة من أول مرَّة رحمة منه وفضلاً، وإن شاء عذبه بقدر معصيته عدلاً منه سبحانه ثم بعد التطهير يخرجه من النار ويدخله الجنة. هذا إن لم يأت بناقض من نواقض الإسلام، أو يستحل ما حرم الله أو يحرم ما أحل الله.

وحكم أهل السنة علي عدم تخليد المؤمن في النار وسط كذلك بين الخوارج والمعتزلة لقولهم بخلوده في النار، وبين المرجئة والجهمية الذين قالوا لا يستحق على المعصية عقاباً[1].

خامساً: أهل السنة وسط في أصحاب رسول الله ﷺ بين الرافضة والخوارج والنواصب

الرافضة هم طائفة من الشيعة غلوا في علي رضي الله عنه وأهل البيت، ونصبوا العداوة لجمهور الصحابة كالثلاثة، وكفّروهم، ومن والاهم، وكفّروا من قاتل علياً وقالوا: إنّ علياً إمام معصوم، وسبب تسميتهم بهذا الاسم أنهم رفضوا زيد بن علي بن الحسين، حينما قالوا: تبرّأ من الشيخين: أبي بكر وعمر، فقال: معاذ الله، وزيرا جدي، فرفضوه فسموا رافضة.

وأما الزيدية فقالوا: نتولاهما، ونتبرّأ ممن تبرّأ منهما، وتبعوا

(1) انظر: الروضة الندية شرح الواسطية، ص253، والكواشف الجلية، ص502، وشرح الواسطية للهراس، ص131، والتعليقات المفيدة على الواسطية، ص49 .

زيداً فسُمّوا بالزيدية.

والخوارج قابلوا هؤلاء فكفروا علياً، ومعاوية، ومن معهما من الصحابة، وقاتلوهم، واستحلوا دماءهم، وأموالهم.

والنواصب: هم الذين نصبوا العداوة لأهل البيت ويطعنون فيهم.

أما أهل السنة والجماعة فهداهم الله تعالى للحق والصواب،فلم يغلوا في علي وأهل البيت،ولم ينصبوا العداوة للصحابة ﷺ ولم يكفّروهم،ولم يفعلوا كما فعل النواصب من عداوة أهل البيت.بل يعترفون بحق الجميع وفضلهم،ويوالونهم ويرتبونهم في الفضل والأفضليَّة:أبو بكر، ثم عمر،ثم عثمان،ثم علي ﷺ،ويكفون عن الخوض فيما جرى بينهم، ويترحَّمون على جميع الصحابة،فكانوا وسطاً بين غلو الرافضة،وجفاء الخوارج[1].

المبحث التاسع: اليوم الآخر

الإيمان باليوم الآخر هو أحد أركان الإيمان السِّتة، وقد تقدم ذكر الإيمان باليوم الآخر إجمالاً، وهاهنا أراد مؤلف العقيدة[2] رحمه الله ذكر بعض تفاصيل ذلك اليوم العظيم. وخلاصة مذهب أهل السنة في الإيمان باليوم الآخر على النحو الآتي:

أولاً: الإيمان بفتنة القبر. يجب الإيمان بأنَّ الناس يمتحنون في قبورهم بعد الموت، وهذا الامتحان أو الاختبار يقال له فتنة القبر، وقد ثبت عن النبي ﷺ أن الناس يمتحنون في قبورهم فيقال للإنسان: ((**مَن ربُّك؟ وما دينُك؟ ومن نبيُّك؟. فالمؤمن يقول: ربِّي الله وديني الإسلام، ونبيِّيَ محمد ﷺ والفاجر يقول: هاه هاه، لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته، فيقال له: لا دريت ولا تليت، فيُضرب بمطرقةٍ من حديد فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعها لصعق**))[3]. قال الله تعالى: ﴿ **يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ** ﴾[4].

ثانياً:نعيم القبر وعذابه: ورد به الكتاب والسنة،وأنه حق يجب

---

(1) انظر: الكواشف الجلية، ص505 .
(2) شيخ الإسلام ابن تيمية، والمقصود: ((العقيدة الواسطية)).
(3) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب الميت يسمع خفق النعال، برقم 1338.
(4)سورة إبراهيم، الآية: 27 .

الإيمان به. فإنّه بعد الفتنة في القبر نعوذ بالله من فتنة القبر وعذابه،بعد هذه الفتنة إما عذاب،وإما نعيم،فمن أجاب على أسئلة الامتحان في القبر نجا وسعد في قبره،ويوم حشره،ومن لم يجب على هذه الأسئلة فقد خسر خسراناً مبيناً نسأل الله العافية في الدنيا والآخرة.والنعيم أو العذاب في القبر يجري على الروح والجسد تبع له،وفي يوم القيامة على الروح والبدن جميعاً،والخلاصة أنّ عذاب القبر ونعيمه حقٌّ دلَّ عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع الأمة الإسلامية.

ثالثاً:القيامة الكبرى:يجب الإيمان بأنّه بعد انتهاء مُدَّة الحياة الدنيا تقوم القيامة الكبرى حين ينفخ إسرافيل في الصور النفخة الأولى، ثم ينفخ نفخة البعث والنشور فتعاد الأرواح إلى أجسادها فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين: حفاة، عراة، غرلاً **﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعاً﴾**[1]، **﴿أَفَلا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ*وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾**[2]، وأول من ينشقّ عنه القبر محمد ﷺ. وتدنو من العباد الشمس في هذا اليوم ويلجمهم العرق على حسب أعمالهم، ومنهم من يظله الله في ظلة يوم لا ظلَّ إلاّ ظلّه.

رابعاً: الميزان: وتُنصب الموازين يوم القيامة فتوزن فيها أعمال العباد

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾[3] ، **﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾**[4]، وهذا الميزان حقيقي له لسان وكفتان، ويوزن العامل وعمله.

5 - الدواوين وتطاير الصحف: وفي هذا اليوم تُنشر الدواوين وتفتح، فآخذٌ كتابه وصحائفَ أعماله بيمينه، فهذا له السعادة الأبدية التي لا يشقى بعدها أبداً، قال الله تعالى:**﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ * إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهْ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾** [5]، نسأل الله من فضله، وأن يجعلنا منهم. ومنهم آخذٌ كتابه بشماله من وراء ظهره، فهذا له الشقاوة، نسأل الله العافية في الدنيا والآخرة، قال تعالى: **﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ**

---

(1) سورة المعارج، الآية: 43.
(2) سورة العاديات، الآيتان: 9-10.
(3)سورة الزلزلة، الآيتان: 7-8 .
(4)سورة المؤمنون، الآيتان: 102-103 .
(5)سورة الحاقة، الآيات: 19-23 .

كِتَابِيهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ * خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴾[1] الآيات، نعوذ بالله من غضبه وعقابه.

سادساً: الحساب: ويجب الإيمان بذلك؛ لأنَّ الله أخبر بذلك وأخبر به رسوله ﷺ. فإنّ الله يوقف عباده على أعمالهم قبل الانصراف من المحشر، فيرى كل إنسان عمله سواء كان خيراً أو شراً، قال تعالى: ﴿ **يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾**[2].

وقال تعالى: ﴿ **وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا** ﴾[3]، ويُسأل الإنسان في هذا اليوم العظيم عن أربع: ((**عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه فيم فعل**))[4]، وقال النبي ﷺ: ((**ما منكم من أحدٍ إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه تُرجمان، فينظر أيمنَ منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأمَ منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاءَ وجهه، فاتقوا النار ولو بشِقِّ تمرة**))[5]، ويقول الله تعالى:﴿ **فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْنَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾[6]، والكفار لا يحاسبون حساب من توزن حسناتهم، وإنما يوقفون على أعمالهم ويقرُّون بها؛ فإنّهم لا حسنات لهم. نسأل الله العافية في الدنيا والآخرة. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

سابعاً: الحوض المورود: ومن مذهب أهل السنة التصديق الجازم بأنّ حوض النبي ﷺ في عرصات القيامة، ((**وأنَّ ماءه أشدُّ بياضاً من اللّبن، وأحلى من العسل، وآنيته عدد نجوم السماء، وطوله شهر وعرضه شهر، من شرب منه شربةً لم يظمأ بعدها**

---

(1)سورة الحاقة، الآيات: 25-33 .

(2)سورة آل عمران، الآية: 30 .

(3)سورة الكهف، الآية: 49 .

(4) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة، باب في القيامة، برقم 2417، وأبو يعلى في مسنده، 428/13، برقم 7434، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم 946، وفي صحيح الجامع، برقم 7300.

(5) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب الصدقة قبل الرد، برقم 1413، ومسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار، برقم 67/1016.

(6)سورة الحجر، الآيتان: 92-93 .

أبداً))[1]، وهذا الحوض مُختصٌّ بمحمد ﷺ. والأنبياء كل له حوض، ولكن الحوض الأعظم هو لمحمد ﷺ. وهذا الحوض في الأرض، ويصب فيه ميزابان من الجنة من الكوثر، ومنبر الرسول ﷺ على حوضه.

ثامناً: الصِّراط وبعده القنطرة بين الجنة والنار: يجب الإيمان بذلك وأنه حقّ، وهو الجسر المنصوب على متن جهنم بين الجنة والنار، يمرّ عليه الأوّلون والآخرون، وهذا الصّراط أحدُّ من السيف، وأدقُّ من الشعرة. فنسأل الله الثبات. والناس يمرُّون عليه على حسب أعمالهم. فمنهم من يتجاوزه كلمح البصر، ومنهم من يمرّ كالبرق، ومنهم من يمرّ كالريح، ومنهم من يمرُّ كالفرس الجواد،ومنهم من يمرُّ كركاب الإبل،ومنهم من يعدو عَدْواً،ومنهم من يمشي مشياً،ومنهم من يزحف زحفاً،ومنهم من يسقط في جهنم،وعلى حافة الجسر كلاليب تخطف من أُمِرَتْ بخطفه، فإذا تجاوز المؤمنون وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعضٍ، فإذا نُقُّوا أُذِن لهم في دخول الجنة[2].

تاسعاً: الشفاعة هي سؤال الخير للغير، وقد ذكر المؤلف رحمه الله ثلاثة أقسام من الشفاعة: ثنتان خاصتان بمحمد ﷺ، والثالثة يشفع هو وغيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهي على النحو الآتي:

1 - الشَّفاعة العظمى وهي شفاعته ﷺ لأهل الموقف حتى يُقضى بينهم حين يتراجع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

2 - شفاعته ﷺ في أهل الجنة أن يدخلوها[3]. وهاتان الشفاعتان خاصتان به ﷺ.

3 - شفاعته ﷺ، والنبيين، والصِّدِّيقين، والشُّهداء، والصَّالحين، وغيرهم فيمن استحق النار من المؤمنين أن لا يدخلها، وفيمن دخلها أن يخرج منها. ويخرج الله من النار بغير شفاعة بل بفضله ورحمته أقواماً، ويبقى في الجنة فضل عن من دخلها من أهل الدنيا

(1) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب في الحوض، برقم 6579، ومسلم في كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، برقم 2292.

(2) أخرجه البخاري في كتاب المظالم، باب قصاص المظالم، برقم 2440، ومسلم في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، برقم 195.

(3) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب في قول النبي ﷺ: أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعاً، برقم 196، 197.

فينشئ الله لها أقواماً فيدخلهم الجنة.

وقد أوصلها في شرح الطحاوية إلى ثمانية أقسام هي:

1 - الشفاعة العظمى لفصل القضاء.
2 - الشفاعة في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم.
3 - الشفاعة في أقوام أمر بهم إلى النار أن لا يدخلوها.
4 - الشفاعة في رفع درجات من دخل الجنة.
5 - الشفاعة في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب.
6 - شفاعته في تخفيف العذاب عمن يستحقه، كشفاعته في عمه أبي طالب أن يخفف عنه عذابه.
7 - شفاعته لأن يُؤذن لجميع المؤمنين بدخول الجنة.وهي خاصة به كما تقدم.
8 - شفاعته في أهل الكبائر من أمته ممن دخل النار فيخرجون منها وهذه الشفاعة يشاركه غيره فيها. وهي تتكرر منه ﷺ أربع مرات:

أ - يشفع فيمن كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان.
ب - ثم فيمن كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان.
جـ - ثم فيمن كان في قلبه أدنى حبة من خردل من إيمان.
د - ثم فيمن قال لا إله إلا الله[1]، وفي الصحيح قال فيقول الله تعالى: ((**شفعت الملائكة وشفع النبيُّون، وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط**))[2]، وبعضهم أوصل الشفاعة إلى ستة أقسام:

1 - الشفاعة العظمى.
2 - الشفاعة في دخول الجنة.
3 - الشفاعة فيمن استحقَّ النار أن لا يدخلها.
4 - الشفاعة فيمن دخلها أن يخرج منها.
5 - الشفاعة في رفع درجات أقوام ممن دخل الجنة.
6 - الشفاعة في تخفيف العذاب عن أبي طالب[3]. وقد قال ﷺ:

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه، برقم 44، ومسلم في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، برقم 325/193.

(2) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، برقم 183.

(3) انظر الروضة الندية، ص530، وشرح الطحاوية، 199، تحقيق الأرنؤوط. وانظر: الكواشف الجلية، ص589 .

((**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**))[1] والشفاعة المثبتة لها شرطان:

الشرط الأول: إذن الله للشّافع.

الشرط الثاني: رضى الله عن المشفوع له.

عاشراً: الجنة والنار. ومذهب أهل السنة في الجنة والنار هو الاعتقاد الجازم بأنّ الجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان، فالجنة دار أوليائه والنار دار أعدائه، وأهل الجنة فيها مخلدون، وأهل النار من الكفار فيها مخلدون، وأنَّ النار والجنة موجودتان وقد رآهما رسول الله ﷺ في صلاة الكسوف، وقد جاء في الأحاديث الصحيحة أنَّ الموت يجاء به في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ويُذبح ويقال: يا أهل الجنة خلودٌ فلا موت، ويا أهل النار خلودٌ فلا موت[2].

المبحث العاشر: القدر ومراتبه

القدر هو أحد أركان الإيمان الستة، وقد تقدم ذكر الإيمان بالقدر إجمالاً ثم ذكره المؤلف رحمه الله هنا تفصيلاً. والقدر هو تقدير الله تعالى للأشياء في القدم، وعلمه سبحانه أنَّها ستقع في أوقات معلومة عنده وعلى صفات مخصوصة، وكتابته سبحانه لذلك ومشيئته له ووقوعها على حسب ما قدَّرها وخلقه لها[3]، وللقدر أربع مراتب يجب الإيمان بها كما آمن بها أهل السنة، على النحو الآتي.

المرتبة الأولى: الإيمان بأنّ الله تعالى علم بما الخلق عاملون به بعلمه الأزلي الأبد، فقد علم جميع أحوالهم: من الطاعات، والأرزاق، والآجال، فهو سبحانه يعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف كان قال تعالى: ﴿ **وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ**

---

(1) أخرجه أبو داود في كتاب السنة،باب في الشفاعة،برقم 4739،والترمذي في كتاب صفة القيامة، باب رقم 11،برقم 2435،وأحمد في المسند،213/3،والحاكم في المستدرك، 382/2، قال أبو عيسى: ((هذا حديث حسن صحيح غريب))، وقال الحاكم:((على شرط الشيخين)).وقال الذهبي:((على شرط مسلم)).وصححه الألباني في صحيح الجامع،برقم 3714.

(2) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، برقم 2849.

(3) انظر: الأجوبة الأصولية، ص121 .

عِلْمًا ﴾[1]، **﴿ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾**[2].

المرتبة الثانية: كتابة الله لجميع الأشياء في اللَّوح المحفوظ: الدقيقة والجليلة، ما كان، وما سيكون، قال تعالى:**﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ ﴾**[3]، وقال تعالى: **﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾**[4].

المرتبة الثالثة: المشيئة النافذة التي لا يردها شيء، والقدرة التي لا يعجزها شيء، فجميع الحوادث وقعت بمشيئة الله وقدرته فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، قال تعالى: **﴿ وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾**[5].

المرتبة الرابعة: الخلق كُلُّهُ لله تعالى، فهو الخالق وكل ما سواه مخلوق له. لا إله غيره، ولا رب سواه، قال الله تعالى: **﴿ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾**[6][7]، وقال تعالى: **﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ ﴾**[8]، فالله الخالق لكل شيء وقع، ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسوله ﷺ، ونهاهم عن معصيته وهو سبحانه يحب المحسنين، والمقسطين، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ولا يحب الكافرين، ولا يرضى عن القوم الفاسقين، ولا يأمر بالفحشاء، ولا يرضى لعباده الكفر، ولا يحب الفساد، وهو الحكيم العليم، وقد جمع بعضهم مراتب القدر في بيت واحد قال فيه:

علمُ كتابة مولانا مشيئتُهُ وخلقه وهو إيجاد وتكوين

والإيمان بكتابة المقادير يدخل فيه خمسة تقادير:

1 - التقدير الشَّامل لجميع المخلوقات بمعنى أنَّ الله علمها،

(1)سورة الطلاق، الآية: 12 .
(2)سورة العنكبوت، الآية: 62 .
(3)سورة الحديد، الآية: 22 .
(4)سورة يس، الآية: 22 .
(5)سورة التكوير، الآية: 29 .
(6)سورة الزمر، الآية: 62 .
(7) انظر: الكواشف الجلية، ص621 .
(8)سورة فاطر، الآية: 3 .

وكتبها، وشاءها وخلقها، وتقدم ذكر ذلك بأدلته في المراتب الأربع.

2 - التقدير الثاني كتابة الميثاق حينما قال الله تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ** ﴾[1] الآيات.

3 - التقدير العُمُري: تقدير رزق العبد، وأجله، وعمله، وشقي، أو سعيد في بطن أمه. ودليله حديث ابن مسعود رضي الله عنه [2].

4 - التقدير السَّنوي ﴿ **فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ** ﴾[3]،قال ابن عباس: يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما هو كائن في السنة من الخير والشر، والأرزاق[4].

5 - التقدير اليومي قال الله تعالى: ﴿ **كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ** ﴾[5]، فالله تعالى كل يوم يغفر ذنباً، ويفرج كرباً، ويرفع قوماً، ويضع آخرين[6]، وهذا التقدير هو سوق المقادير إلى المواقيت التي قدرت لها فيما سبق. وهذا التقدير اليومي تفصيل من التقدير الحولي، والحولي تفصيل من التقدير العمري عند نفخ الروح في الجنين في بطن أمه، والعمري تفصيل من التقدير العمري الأول يوم الميثاق، وهو تفصيل من التقدير الذي خطه القلم في الإمام المبين[7]، وأقلام المقادير التي دلت عليها السنة أربعة أقلام:

1 - القلم الأول العام الشامل لجميع المخلوقات.

2 - القلم الثاني حين خلق آدم وهو قلم عام أيضاً لكنه لبني آدم.

3 - القلم الثالث حين يرسل الملك إلى الجنين في بطن أمه ويكتب به الأربع الكلمات.

---

(1) سورة الأعراف، الآية: 172 .

(2) أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، برقم 2643.

(3) سورة الدخان، الآية: 4.

(4) ذكره في الدر المنثور، 6/ 25 بنحوه، وعزاه إلى محمد بن نصر، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(5) سورة الرحمن، الآية: 29.

(6) انظر: معارج القبول، 345/2 .

(7) انظر: معارج القبول، 347/2 .

4 - القلم الرابع الموضوع على العبد عند بلوغه الذي بأيدي الكرام الكاتبين، وهذا القلم يكتبون به ما يفعله بنو آدم[1].

وإذا علم العبد أن كلاً من عند الله فالواجب إفراده سبحانه بالعبادة والتَّقوى[2]. فعلى العبد أن يبذل الأسباب، ويسأل الله التوفيق والهداية، ويعلم أنَّه لا يصيبه إلا ما كتبه الله له ويعلم علماً يقيناً أنّ الله لا يضيع أجر المحسنين، ولا يظلم مثقال ذرة: **﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾**[3].

المبحث الحادي عشر: مذهب أهل السنة في الإيمان والدين

الدين والإيمان عند أهل السنة هو: قول، وعمل، واعتقاد. قول بالقلب واللسان، وعمل بالقلب واللسان، والجوارح. وأنّ الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. قول القلب تصديقه وإيقانه، وقول اللسان: النطق بالشهادتين والإقرار بلوازمهما، وعمل القلب: النِّيّة، والإخلاص والمحبة، والانقياد والإقبال على الله، والتوكل عليه، ولوازم ذلك وتوابعه، وكل ما هو من أعمال القلوب. وعمل اللّسان: هو ما لا يُؤدَّى إلا به كتلاوة القرآن، وسائر الأذكار من التسبيح، والتحميد، والتكبير، والدعاء، والاستغفار، وغير ذلك. وعمل الجوارح هو ما لا يُؤدَّى إلا بها مثل القيام، والركوع، والسجود، والمشي في مرضاة الله، والأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر[4].

وأما زيادة الإيمان ونقصانه؛ فلقوله تعالى: **﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾**[5]، وقوله ﷺ: ((**يخرج من النار من قال لا إله**

---

(1) قال الشيخ عبد العزيز بن عبد الله ابن باز رحمه الله: ((الأقلام لا يحصيها إلا الله جل وعلا فالجزم بالأربعة ليس بجيد، وقد ذكر ابن القيم في بعض كتبه الأقلام الأربعة، ولكن ليس المعنى أنه ليس هناك قلم آخر، وقد قيل: إنّ هناك قلماً خامساً، وهو ما يكتب به ما يحدث في السنة في ليلة القدر.. والحاصل أنّ الأقلام لا يجوز الجزم بأنّها أربعة فقط، فالأقلام كثيرة، والله الذي يعلمها ويحصيها، ولهذا قال في حديث المعراج: ((يسمع فيه صريف الأقلام...))، فقد تكون أربعة، وقد تكون مائة،وقد تكون ألفاً،وقد يكون لكل شيء قلم خاص،فربنا هو العالم بها ﷻ)). سمعته منه أثناء تقريره على شرح العقيدة الطحاوية وهو مسجل في 32 شريطاً.

(2) شرح العقيدة الطحاوية بتحقيق الأرنؤوط، ص235 .

(3) سورة الزلزلة، الآيتان: 7-8 .

(4) معارج القبول، 17/2 .

(5) سورة الأنفال، الآية: 2 .

إلاّ الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة))[1].

ومن الأدلة لزيادة الإيمان ونقصانه أن الله قسّم المؤمنين ثلاثة أقسام، قال تعالى: **﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾**[2].

والظَّالم لنفسه هو المفرِّط يفعل بعض الواجبات ويرتكب بعض المحرمات.

والمقتصد هو المؤدِّي للواجبات التارك للمحرمات. وقد يترك بعض المستحبات ويفعل بعض المكروهات.

والسَّابق بالخيرات،وهو الفاعل للواجبات والمستحبات، والتارك للمحرمات والمكروهات[3].

وأهل السنة والجماعة لا يكفّرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر ما لم يستحل الذنب من الفاعل، وقد قال ﷺ: ((**من صلّى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم**))[4]، فكل من ارتكب كبيرةً أو أصرَّ على صغيرةٍ يسمى عاصياً، وفاسقاً، وهو كسائر المؤمنين لا يخرج من الإيمان بمعصيته ما لم يستحلّها. فيقال: مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، أو مؤمن ناقص الإيمان. فلا يُعطى الاسم المطلق، ولا يسلب مطلق الاسم. أما حكمه في الآخرة فهو تحت مشيئة الله تعالى إذا مات ولم يتب، فإن شاء الله عذبه بقدر ذنبه ومصيره إلى الجنة، وإن شاء غفر له من أول وهلة وأدخله الجنة برحمته وفضله. أما مرتكب الكبيرة عند الخوارج والمعتزلة فهو مخلَّد في النار في الآخرة، وفي الدنيا كافر عند الخوارج مُستحَلُّ الدم والمال، أما المعتزلة ففي منزلة بين المنزلتين: خرج من الإيمان ولم يدخل في الكفر. وعند الجهمية

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه، برقم 44، ومسلم في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، برقم 325/193.

(2) سورة فاطر، الآية: 32 .

(3) مختصر ابن كثير، 554/3 للرفاعي، وابن كثير، 554/3، وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي. في قوله تعالى: ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ﴾ الآية. وهم الذين تركوا بعض واجبات الإيمان وفعلوا بعض المحرمات انظر التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، ص17.

(4) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب فضل استقبال القبلة، برقم 391، وانظر: الروضة الندية، ص382.

والمرجئة: كامل الإيمان ولا يستحق العذاب. وسبق التفصيل في هذا في توسط أهل السنة.

المبحث الثاني عشر: مذهب أهل السنة في أصحاب رسول الله ﷺ وأزواجه وأهل بيته

من أصول أهل السنة سلامة قلوبهم لأصحاب رسول الله ﷺ من الحقد والبغض، والعداوة، وسلامة ألسنتهم من الطعن، والسَّبِّ. وهم يترضون عنهم ويدعون لهم: ﴿ **رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ** ﴾[1]، وهم يمتثلون أمر النبي ﷺ في قوله: ((**لا تسبُّوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أُحُدٍ ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه**))[2]، ويقبلون ما جاء في الكتاب والسنة من فضائلهم، ويفضِّلون من أنفق من قبل الفتح وقاتل، ويُقدِّمون المهاجرين على الأنصار، وكل العشرة المشهود لهم بالجنة من المهاجرين، ويؤمنون بأنَّ الله اطَّلع على أهل بدر وهم ثلاثمائةٍ وبضعة عشرَ رجلاً فقال: ((**اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**))[3]، ويؤمنون بأنَّه لا يدخل النار أحدٌ بايع تحت الشجرة؛ لقوله ﷺ: ((**لا يدخل النار أحدٌ بايع تحت الشجرة**))[4]، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة، ويشهدون بالجنة لمن شهد له رسول الله ﷺ، كثابت بن قيس بن شماس، فقد شهد له رسول الله ﷺ[5]، وكالعشرة المشهود لهم بالجنة. وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، والزبير، وطلحة، وسعد بن مالك بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح، وسعيد بن زيد[6]، ويُقِرّون بأن خير

---

(1) سورة الحشر، الآية: 10 .

(2) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ : ((لو كنت متخذاً خليلاً))، برقم 3673، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة ﷺ،برقم 2540.

(3) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس، برقم 3007، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر ﷺ وقصة حاطب بن أبي بلتعة، برقم 2494.

(4) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أصحاب الشجرة، أهل بيعة الرضوان ﷺ، برقم 2496.

(5) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب مخافة المؤمن أن يحبط عمله، برقم 119.

(6) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب في الخلفاء، رقم 4649، والترمذي في كتاب المناقب، باب مناقب عبد الرحمن بن عوف ﷺ، برقم 3747، وابن ماجه في المقدمة،باب فضائل العشرةﷺ، برقم 133،وأحمد في المسند، 187/1، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم 50، 4010.

هذه الأمة بعد نبيها ﷺ: أبو بكر ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رضي الله عنه[1]، ويتبرؤون من طريق الروافض - وقد سبق بيان مذهبهم - ومن طريق النواصب الذين يكفّرون آل البيت ويطعنون فيهم، وقد نصبوا العداوة لأهل البيت ويمسك أهل السنة عما شجر بين الصحابة، وما صحَّ من أخبارهم فهم معذورون؛ لأنهم إمّا مجتهدون مصيبون، وإمّا مجتهدون مخطئون. وأهل السنة يعتقدون أنه لا أحد معصوم من الكبائر إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. والصحابة تجوز عليهم الذنوب، ولكن لهم من السوابق والفضائل الشيء الكثير، وهذا يمحو السيئة، وهم خير القرون[2]، وقد يكون أن من صدر منه ذنب قد تاب منه، وهم أسعد الناس بشفاعة محمد ﷺ. وأهل السنة يحبون آل بيت النبي ﷺ لوصيته بهم[3]، ويوالون أزواج النبي ﷺ، ويترضَّون عنهنَّ، ويؤمنون أنَّهنَّ أزواجه في الآخرة، وأنَّهنَّ أمهات المؤمنين في الاحترام والتعظيم، وتحريم النكاح، وأنَّهنَّ مطهرات مبرأت من كل سوء، ويتبرؤون ممن آذاهن، أو سبهنَّ، ويحرمون طعنهن وقذفهنّ، وقد ورد في فضلهنّ أحاديث كثيرة فلتراجع[4]، فرضيَ الله عنهن وعن جميع أصحاب رسول الله ﷺ.

المبحث الثالث عشر: مذهب أهل السنة والجماعة في كرامات الأولياء

وأهل السنة يؤمنون بكرامات الأولياء. والكرامة هي خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة، فإذا اقترن بدعوى النبوة كان معجزة، ولا يكون الأمر الخارق كرامة إلا لعبد ظاهره الصلاح، ومصحوباً بصحة الاعتقاد والعمل الصالح.

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب فضل أبي بكر بعد النبي ﷺ، برقم 3655.

(2) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، برقم 2533.

(3) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه،برقم 2408.

(4) انظر: ما أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة رضي الله عنها، برقم 3768-3775، وفي كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها رضي الله عنها، رقم 3815-3821. ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها، برقم 2430، 2437، وفي باب فضائل عائشة رضي الله تعالى عنها، برقم 2438-2447.

فإذا ظهر الأمر الخارق على يد المنحرفين فهو من الأحوال الشيطانية، وإذا ظهر الأمر الخارق على يد إنسان مجهول لا يعرف حاله فإنَّ حاله يعرض على الكتاب والسنة كما رُوي عن الشافعي أنه قال: إذا رأيتم الرجل يسير على الماء، ويطير في الهواء، فلا تصدقوه حتى تعرضوا حاله على الكتاب والسنة. أو كما قال رحمه الله(1). وأهل السنة يؤمنون ويعتقدون اعتقاداً جازماً بكرامات الأولياء، وما جرى على أيديهم من الخوارق للعادات في العلوم، والمكاشفات، وأنواع القدرة، والتأثير، ومن ذلك قصة أصحاب الكهف، والنوم الطويل الذي أوقعه الله بهم. ومن ذلك ما أكرم الله به مريم بنت عمران من إيصال الرزق إليها وهي في المحراب.

ومن ذلك قول عمر بن الخطاب وهو على المنبر: ((يا سارية الجبل))، ورؤيته لجيش سارية وهو بنهاوند، وسمع سارية مع بُعد المسافة(2)، وغير ذلك لا يحصى ولا يُعَدُّ. وقد رأيت كثيراً من ذلك في كتاب الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية المسمَّى: ((الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان)).

المبحث الرابع عشر: طريقة أهل السنة الاتّباع

أهل السنة يتبعون أقوال النبي ﷺ، وأفعاله، وتقريراته، وهذا هو المقصود باتباع آثاره، أما اتباع آثاره الحسِّيّة التي ليست من الدين كمواضع بوله، ونومه، ومشيه، فلا يجوز تتبّع ذلك؛ لأنّ ذلك وسيلة إلى الشرك. ومن طريقة أهل السنة اتّباع أقوال الصحابة عند خفاء سنة رسوله ﷺ، أما إذا وُجدَ النص من الكتاب أو من السنة، فانه يجب تقديمه على رأي كل أحد من الناس، قال الله تعالى: ﴿ **فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً** ﴾(3).

وأهل السنة يتبعون وصية الرسول ﷺ بسنته وسنة الخلفاء الراشدين، ويعضُّون عليها بالنَّواجذ ويتمسَّكون بها امتثالاً لأمره

(1) أورده ابن حجر الهيتمي في فتاويه، 4/ 240، وقال: ((ذكره أبو نعيم))، وأورده الشيخ صالح الشامي في كتاب مواعظ الإمام الشافعي، ص 19.

(2) رواه عبد الرزاق، 2/ 138، برقم 2806، والبيهقي في دلائل النبوة، برقم 2655، وابن عساكر في تاريخ دمشق، 20/ 24، وحسن إسناد القصة الحافظ ابن حجر في الإصابة، 2/ 3، وقال عنها الألباني في السلسلة الصحيحة، 3/ 101: ((صحيح)).

(3) سورة النساء، الآية: 59 .

ﷺ[1]، وهم يُقدِّمون كلام الله ثم يُقدِّمون هَدْي رسول الله ﷺ؛ ولهذا سُمُّوا بأهل السنة والجماعة.

المبحث الخامس عشر: أصول أهل السنة التي يَزِنُونَ بها جميع ما عليه الناس

أهل السنة يعتمدون على ثلاثة أصول يزنون بها جميع ما عليه الناس من أعمال، وأفعال ظاهرة، أو باطنة مما له تعلّق بالدين، وهذه الأصول هي:

1 - كتاب الله ﷻ الذي هو خير الكلام، فمن قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن تمسك به هُدي إلى صراط مستقيم، ومن عدل عنه رغبة عنه ضلَّ وشقيَ في دنياه وأخراه. وأهل السنة لا يقدِّمون على كلام الله قول أحدٍ من الناس.

2 - سنة الرسول ﷺ، فلا يقدمون على ما صحَّ منها كلام أحد من خلق الله.

3 - ما وقع عليه إجماع الصدر الأول من هذه الأمة قبل التفرق والانتشار وظهور البدع والمقالات، وما جاءهم بعد ذلك من المقالات وزنوها بهذه الأصول الثلاثة، فإن وافقها قبلوه، وإن خالفها ردّوه أيّاً كان قائله وهذا هو المنهج السليم والطريق القويم.

المبحث السادس عشر: من أخلاق أهل السنة والجماعة

ختم المؤلف رحمه الله تعالى عقيدته[2] ببعض الصفات الحميدة التي يتصف بها أهل السنة والجماعة، فمن محاسنهم، ومكارم أخلاقهم:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمعروف ما حسنه الشرع والعقل، والمنكر هو كل قبيح شرعاً وعقلاً، قال الله تعالى: **﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ**

---

(1) انظر: حديث العرباض بن سارية فقد أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب في لزوم السنة، برقم 4607، والترمذي في كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع،برقم 2676، وابن ماجه في المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، برقم 42، 43، وأحمد في المسند، 126/4، والحاكم في المستدرك، 96/1. وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم 4369، وفي السلسلة الصحيحة، برقم 937. وانظر: الأجوبة الأصولية، ص140، وشرح الطحاوية بتحقيق الأرنؤوط، ص495 .

(2) شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية، كما تقدم.

﴿ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[1]؛ ولقوله ﷺ: ((**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**))[2].

وهذه الأمور الثلاثة هي مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - اليد، ثم اللسان، ثم القلب - .

ومن مكارم أخلاق أهل السنة: **الإدانة بالنصيحة** لله، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم[3].

وأن المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص[4]، ويرحمون إخوانهم المسلمين[5]، ويحثُّون على مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ويأمرون بالصبر والإحسان إلى عباد الله على حسب أحوالهم، وما يجب لهم من أقارب، وأيتام، وفقراء، وينهون عن الفخر، والخيلاء، وكلما يفعلونه إنما هم فيه متّبِعون للكتاب والسنة فنسأل الله أن يجعلنا من الطائفة التي لا تزال على الحق منصورة، لا يضرهم من خالفهم، ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة[6]، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

۞ ۞ ۞

---

(1) سورة آل عمران، الآية: 104 .
(2) مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان...، برقم 49 .
(3) أخرجه البخاري معلقاً في كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: ((الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم))، قبل الحديث رقم 57، ومسلم مرفوعاً من حديث تميم الداري في كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، برقم 55.
(4) انظر: ما أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، برقم 481، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، برقم 2585.
(5) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، برقم 6011، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، برقم 2586.
(6) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام، باب قول النبي ﷺ: ((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق)) (رقم 7311)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: ((لا تزال طائفة من أمتي على الحق لا يضرهم من خالفهم)) (رقم 1920، 1921). وانظر شرح العقيدة الواسطية للهراس ص181 والأسئلة والأجوبة الأصولية ص146 .

الرسالة الرابعة: شرح أسماء الله الحسنى

تمهيد:

إن الله قد جعل لكل مطلوب سبباً وطريقاً يوصل إليه. والإيمان هو أعظم المطالب وأهمها. وقد جعل الله له أسباباً تجلبه وتقوِّيه، كما كان له أسباب تُضعِفه وتُوهيه.

* ومن أعظم ما يُقوّي الإيمان ويَجلبُهُ **معرفة أسماء الله الحُسنى** الواردة في الكتاب والسنة، والحرص على فهم معانيها، والتعبد لله بها، قال الله تعالى: ﴿ **وَلِلّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ** ﴾[1]، وقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ((**إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة**))[2] أي من حفظها، وفهم معانيها ومدلولها، وأثنى على الله بها، وسأله بها، واعتقدها دخل الجنة. والجنة لا يدخلها إلا المؤمنون. فَعُلِمَ أن ذلك أعظم ينبوع ومادة لحصول الإيمان، وقوَّته وثباته. ومعرفة الأسماء الحُسنى - بمراتبها الثلاث: إحصاء ألفاظها وعددها، وفهم معانيها ومدلولها، ودعاء الله بها. دعاء الثناء والعبادة، ودعاء المسألة - هي أصل الإيمان والإيمان يرجع إليها؛ لأن معرفتها تتضمن أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وهذه الأنواع هي روح الإيمان، وأصله وغايته، فكلما ازداد العبد معرفة بأسماء الله وصفاته ازداد إيمانُه، وقوي يقينهُ. فينبغي للمؤمن أن يبذل مقدوره ومستطاعه في معرفة الله بأسمائه، وصفاته، وأفعاله. من غير تعطيل، ولا تمثيل، ولا تحريف، ولا تكييف. بل تكون المعرفة مُتلقَّاة من الكتاب والسنة، وما رُوِيَ عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان. فهذه هي المعرفة النافعة التي لا يزال صاحبها في زيادة في إيمانه، وقوة يقينه، وطمأنينة في أحواله، ومحبة لربه، فمن عرف الله بأسمائه، وصفاته، وأفعاله أحبه لا محالة؛ ولهذا كانت المعطلة، والفرعونية، والجهميّة قُطَّاع الطريق على القلوب بينها

---

(1) سورة الأعراف، الآية: 180 .

(2) أخرجه البخاري في كتاب الشروط، باب ما يجوز من الاشتراط والثنيا في الإقرار، برقم 2736، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، برقم 2677.

وبين الوصول إلى محبة الله تعالى[1].

* ومن الأمور التي تُقوِّي الإيمان وتجلبه **تَدَبُّر القرآن الكريم**، فإن المُتدبِّر للقرآن لا يزالُ يستفيد من علومه، ومعارفه ما يزداد به إيماناً، وكذلك إذا نظر إلى انتظامه، وإحكامه، وأنه يُصَدِّق بعضه بعضاً، ويوافق بعضه بعضاً ليس فيه تناقض ولا اختلاف. فإذا قرأه العبد بالتدبر، والتفهم لمعانيه، وما أريد به كتدبر الكتاب الذي يحفظه العبد ويشرحه، ليتفهم مراد صاحبه منه. فهذا من أعظم مُقَوِّيات الإيمان. وحسن التأمل لما يرى العبد، ويسمع من الآيات المشهودة، والآيات المتلوَّة، يثمر صحة البصيرة. وملاك ذلك كله هو أن ينقل العبد قلبه من وطن الدنيا، ويسكنه وطن الآخرة. ثم يقبل به كلّه على معاني القرآن، ويتدبر معانيه، ويفهم ما يراد منه، وما أُنزل لأجله، ويأخذ نصيبه وحظه من كل آية من آياته وينزلها على داء قلبه. فهذه طريقة مختصرة قريبة سهلة موصلة إلى الرفيق الأعلى. وهي من أقرب الطرق لتدبر القرآن الكريم[2].

* وكذلك **معرفة أحاديث النبي** ﷺ وما تدعو إليه من علوم الإيمان وأعماله. وكل ذلك من مُحصِّلات الإيمان ومقوِّياته. فكلَّما ازداد العبد معرفة بكتاب الله وسنة رسوله ازداد إيمانه ويقينه، وقد يصل في علمه وإيمانه إلى مرتبة اليقين.

* ومن طرق موجبات الإيمان وأسبابه: **معرفة النبي** ﷺ **ومعرفة** ما هو عليه من الأخلاق العالية، والأوصاف الكريمة؛ فإن من عرفه حق المعرفة لم يَرْتَبْ في صدقه وصدق ما جاء به: من الكتاب والسنة والدين الحق.

* ومن أسباب الإيمان ودواعيه: **التفكر في الكون**: في خلق السموات والأرض، وما فيهن من المخلوقات المتنوعة، والنظر في نفس الإنسان وما هو عليه من الصفات، فإن ذلك داعٍ قويٌّ للإيمان، لما في هذه الموجودات من عظمة الخَلق الدَّال على قدرة خالقها وعظمته، وما فيها من الحسن والانتظام والإحكام - الذي يُحيِّر العقول - الدال على سعة علم الله وشمول حكمته.

وكذلك النظر إلى فقر المخلوقات كلها، واضطرارها إلى ربها

(1) انظر: مدارج السالكين لابن القيم، 17/3، والتوضيح والبيان لشجرة الإيمان لعبد الرحمن السعدي، ص39، وبدائع الفوائد لابن القيم، 164/1 .

(2) انظر: مدارج السالكين لابن القيم، 28/2 .

من كل الوجوه، وأنها لا تستغني عن الله طرفة عين ... وذلك يوجب للعبد كمال الخضوع، وكثرة الدعاء، والافتقار إلى الله في جلب ما يحتاجه من منافع دينه ودنياه، ودفع ما يضره في دينه ودنياه، ويوجب له قوة التوكل على الله، وشدة الطمع في بره، وإحسانه، وكمال الثقة بوعد الله. وبهذا يتحقق الإيمان ويقوى.

وكذلك التفكر في كثرة نعم الله التي لا يخلو منها مخلوق طرفة عين.

* ومن الأسباب التي تقوي الإيمان **الإكثار من ذكر الله تعالى** ومن الدعاء الذي هو العبادة، ويكون هذا الذكر على كل حال: باللسان، والقلب، والعمل، والحال. فنصيب العبد من الإيمان على قدر نصيبه من هذا الذكر.

* ومن الأسباب أيضاً **معرفة محاسن الإسلام**؛ فإن الدين الإسلامي كله محاسن: عقائده أصح العقائد وأصدقها، وأنفعها، وأخلاقه أجمل الأخلاق، وأعماله وأحكامه أحسن الأحكام وأعدلها. وبهذا النظر يزين الله الإيمان في قلب العبد، ويحببه إليه.

* ومن أعظم مقويات الإيمان **الاجتهاد في الإحسان في عبادة الله**، والإحسان إلى خلق الله، فيجتهد العبد في عبادة الله كأنه يشاهده فإن لم يَقْوَ على ذلك استحضر أن الله يشاهده ويراه، فيجتهد في العمل وإتقانه ولا يزال العبد يجاهد نفسه حتى يقوى إيمانه ويقينه، ويصل في ذلك إلى حق اليقين الذي هو أعلى مراتب اليقين، فيذوق حلاوة الطاعات...

* ومن مقويات الإيمان **الدعوة إلى الله وإلى دينه**، والتواصي بالحق، والتواصي ، وبذلك يُكمِّل العبدُ بنفسه ويُكمِّلُ غيرَه.

* ومن أهم أسباب تقوية الإيمان **الابتعاد عن شعب الكفر**، والنفاق، والفسوق والعصيان.

* ومن الأسباب التي تقوي الإيمان **التقرب إلى الله بالنوافل** بعد الفرائض، وتقديم ما يحبه الله على كل ما سواه عند غلبة الهوى.

* ومن ذلك **الخلوة بالله وقت نزوله**، لمناجاته، وتلاوة كلامه، والوقوف بالقلب والتأدب بأدب العبودية بين يديه، ثم خَتْمُ ذلك بالاستغفار والتوبة.

* ومن الأسباب المقوية للإيمان **مجالسة العلماء الصادقين**

المخلصين، والتقاط أطايب ثمرات كلامهم كما يُنْتَقَى أطايب الثمر.

* ومن ذلك **الابتعاد عن كل سبب يحول بين قلب العبد وبين الله** تبارك وتعالى[1].

ومعرفة أسماء الله الحُسنى بمراتبها الثلاث هي من أعظم مقويات الإيمان؛ بل معرفة الله بأسمائه وصفاته هي أصل الإيمان، والإيمان يرجع إلى هذا الأصل العظيم.

المبحث الأول: أسماء الله تعالى توقيفية

أسماء الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها، وعلى هذا فيجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة، فلا يزاد فيها ولا ينقص؛ لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء فوجب الوقوف في ذلك على النص لقوله تعالى: ﴿ **وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً** ﴾[2]. وقوله: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ** ﴾[3]؛ ولأن تسميته تعالى بما لم يُسمِّ به نفسه،أو إنكار ما سَمَّى به نفسه جناية في حقه تعالى فوجب سلوك الأدب في ذلك،والاقتصار على ما جاء به النص[4].

المبحث الثاني: أركان الإيمان بالأسماء الحُسنى

1 - الإيمان بالاسم.
2 - الإيمان بما دل عليه الاسم من المعنى.
3 - الإيمان بما يتعلق به من الآثار.

فنؤمن بأن الله رحيمٌ ذو رحمة وسعت كل شيء، ويرحم عباده. قدير ذو قدرة، ويقدر على كل شيءٍ. غفور ذو مغفرة ويغفر

---

(1) انظر: مدارج السالكين لابن القيم، 17/3، والتوضيح والبيان لشجرة الإيمان للسعدي، ص40-62 .

(2) سورة الإسراء، الآية: 36 .
(3) سورة الأعراف، الآية: 33 .
(4) القواعد المُثلى في صفات الله وأسمائه الحُسنى، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، ص13، وانظر: بدائع الفوائد لابن القيم، 162/1 .

لعباده[1].

المبحث الثالث: أقسام ما يوصف به الله تعالى

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

ما يجري صفة أو خبراً على الرب تبارك وتعالى أقسام:

أحدها: ما يرجع إلى نفس الذات كقولك: ذات، وموجود، وشيء.

الثاني: ما يرجع إلى صفات معنوية كالعليم، والقدير، والسميع.

الثالث: ما يرجع إلى أفعاله نحو: الخالق، والرزّاق.

الرابع: ما يرجع إلى التنزيه المحض، ولابد من تضمنه ثبوتاً؛ إذ لا كمال في العدم المحض كالقدوس السلام.

الخامس: ولم يذكره أكثر الناس، وهو الاسم الدال على جملة أوصاف عديدة لا تختص بصفة مُعَيَّنة، بل هو دال على معناه لا على معنى مفرد، نحو: المجيد، العظيم، الصمد؛ فإن المجيد من اتصف بصفات متعددة من صفات الكمال، ولفظه يدل على هذا فإنه موضوع للسعة، والكثرة، والزيادة، فمنه استمجد المرخ والغفار، وأمجد الناقة علفاً. ومنه ((**رب العرش المجيد**)) صفة للعرش لسعته وعِظَمِهِ وشرفه[2]. وتأمل كيف جاء هذا الاسم مقترناً بطلب الصلاة من الله على رسوله كما علمناه ﷺ؛ لأنه في مقام طلب المزيد والتعرض لسعة العطاء وكثرته ودوامه، فأتى في هذا المطلوب باسم تقتضيه كما تقول: اغفر لي وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم، ولا يَحسن إنك أنت السميع البصير، فهو راجع إلى المتوسل إليه بأسمائه وصفاته، وهو من أقرب الوسائل وأحبها إليه. ومنه الحديث الذي في المسند والترمذي: ((**ألظُّوا بياذا الجلال والإكرام**))[3]، ومنه: ((**اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام**))[4]، فهذا

---

(1) مختصر الأجوبة الأصولية شرح العقيدة الواسطية، لعبد العزيز السلمان، ص27 .

(2) قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: ((المجيد فيه قراءتان: الرفع على أنه صفة للرب ﷻ، والجر على أنه صفة للعرش، وكلاهما معنى صحيح))، 497/4 .

(3) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات، باب 91، برقم 3525، وأحمد في المسند، 177/4، والحاكم في المستدرك، 499/1، وقال: ((صحيح الإسناد)). ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في الصحيحة، برقم 1536، وفي صحيح الجامع، برقم 1158.

(4) أخرجه أبو داود في كتاب الوتر، باب الدعاء، برقم 1495، والترمذي في كتاب =

سؤال له وتوسل إليه وبحمده، وأنه الذي لا إله إلا هو المنَّان، فهو توسل إليه بأسمائه وصفاته، وما أحق ذلك بالإجابة وأعظمه موقعاً عند المسؤول، وهذا باب عظيم من أبواب التوحيد أشرنا إليه إشارة ،وقد فُتِحَ لمن بصَّره الله. ولنرجع إلى المقصود وهو وصفه تعالى بالاسم المتضمن لصفات عديدة. فالعظيم من اتصف بصفات كثيرة من صفات الكمال. وكذلك الصمد، قال ابن عباس: هو السيد الذي كَمُلَ في سؤدده، وقال ابن وائل: هو السيد الذي انتهى سُؤدده. وقال عكرمة: الذي ليس فوقه أحد وكذلك قال الزجاج: الذي ينتهي إليه السؤدد فقد صمد له كل شيء. وقال ابن الأنباري: لا خلاف بين أهل اللغة أنَّ الصمد السيد الذي ليس فوقه أحد، الذي يَصْمُدُ إليه الناس في حوائجهم وأمورهم. واشتقاقه يدل على هذا فإنه من الجمع والقصد الذي اجتمع القصد نحوه واجتمعت فيه صفات السؤدد وهذا أصله في اللغة كما قال:

ألاَ بَكَر الناعي بخير بني أسدْ بعمرو بن مسعودٍ وبالسيدِ الصَّمَدْ

والعرب تُسَمِّي أشرافها بالصمد؛ لاجتماع قصد القاصدين إليه، واجتماع صفات السيادة فيه.

السادس صفة تحصل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر، وذلك قدر زائد على مفرديهما نحو: الغني الحميد، العفو القدير، الحميد المجيد. وهكذا عامة الصفات المقترنة والأسماء المزدوجة في القرآن؛ فإن الغنى صفة كمال، والحمد كذلك، واجتماع الغنى مع الحمد كمال آخر فله ثناء من غناه، وثناء من حمده، وثناء من اجتماعهما، وكذلك العفوّ القدير، والحميد المجيد، والعزيز الحكيم، فتأمله فإنه من أشرف المعارف. وأما صفات السلب المحض فلا تدخل في أوصافه تعالى إلا أن تكون متضمنة لثبوت: كالأحد المتضمن لانفراده بالربوبية والإلهية، والسلام المتضمن لبراءته من كل نقص يضاد كماله، وكذلك الإخبار عنه بالسلوب هو لتضمنها ثبوتاً كقوله تعالى: ﴿ **لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ** ﴾[1]، فإنه متضمن لكمال حياته وقيّوميته، وكذلك قوله تعالى: ﴿

=

الدعوات، باب 99، برقم 3544، وابن ماجه في كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم، برقم 3858، والنسائي في كتاب السهو، باب الدعاء بعد الذكر، برقم 1298، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود، برقم 1495.

(1) سورة البقرة، الآية: 255 .

وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾[1]، متضمن لكمال قدرته،وكذلك قوله:**﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ ﴾**[2] متضمن لكمال علمه،وكذلك قوله:**﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾**[3]، متضمن لكمال صَمَدِيَّتِهِ وغناه،وكذلك قوله:**﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾**[4]، متضمن لتفرُّده بكماله، وأنه لا نظير له. وكذلك قوله تعالى: **﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾**[5] متضمن لعظمته، وأنه جل عن أن يدرك بحيث يحاط به، وهذا مطّرد في كل ما وصف به نفسه من السلوب[6].

المبحث الرابع: دلالة الأسماء الحُسنى ثلاثة أنواع:

أسماء الله كلها حُسنى، وكلها تدل على الكمال المطلق والحمد المطلق، وكلها مشتقة من أوصافها، فالوصف فيها لا ينافي العلمية، والعلمية لا تنافي الوصف، ودلالتها ثلاثة أنواع:

دلالة مطابقة إذا فسرنا الاسم بجميع مدلوله.

ودلالة تَضمُّن إذا فسرناه ببعض مدلوله.

ودلالة التزام إذا استدللنا به على غيره من الأسماء التي يتوقف هذا الاسم عليها. فمثلاً ((الرحمن)) دلالته على الرحمة والذات دلالة مطابقة. وعلى أحدهما دلالة تضمن؛ لأنها داخلة في الضمن، ودلالته على الأسماء التي لا توجد الرحمة إلا بثبوتها كالحياة، والعلم، والإدارة، والقدرة، ونحوها دلالة التزام، وهذه الأخيرة تحتاج إلى قوة فكر وتأمل، ويتفاوت فيها أهل العلم، فالطريق إلى معرفتها أنك إذا فهمت اللفظ وما يدل عليه من المعنى وفهمته فهماً جيداً، ففَكّر فيما يتوقف عليه ولا يتم بدونه. وهذه القاعدة تنفعك في جميع النصوص الشرعية، فدلالاتها الثلاث كلها حجة لأنها معصومة محكمة[7].

---

(1) سورة ق، الآية: 38 .
(2) سورة يونس، الآية: 61 .
(3) سورة الإخلاص، الآية: 3 .
(4) سورة الإخلاص، الآية: 4 .
(5) سورة الأنعام، الآية: 103 .
(6) بدائع الفوائد، 1/159-161، ثم قال: يجب أن يعلم هنا أمور، وذكر عشرين فائدة تكتب بماء الذهب فارجع إليها في 1/159-170 .
(7) توضيح الكافية الشافية، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله، ص132.

المبحث الخامس: حقيقة الإلحاد في أسماء الله تعالى

وحقيقة الإلحاد فيها هو الميل بها عن الاستقامة: إما بإثبات المشاركة فيها لأحدٍ من الخلق، كإلحاد المشركين الذين اشتقوا لآلهتهم من صفات الله ما لا يصلح إلا لله، كتسميتهم اللات من الإله، والعزى من العزيز، ومناة من المنَّان، وكل مشرك تعلق بمخلوق اشتق لمعبوده من خصائص الربوبية والإلهية ما برَّر له عبادته. وأعظم الخلق إلحاداً طائفة الاتحادية الذين من قولهم: إن الرب عين المربوب، فكل اسم ممدوح أو مذموم يطلق على الله عندهم، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً. وإما أن يكون الإلحاد بنفي صفات الله وإثبات أسماء لا حقيقة لها، كما فعل الجهمية ومن تفرع عنهم، وإما بجحدها وإنكارها رأساً إنكاراً لوجود الله، كما فعل زنادقة الفلاسفة، فهؤلاء الملحدون قد انحرفوا عن الصراط المستقيم ويمموا طرق الجحيم[1].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: قال تعالى: ﴿ **وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾[2]، والإلحاد في أسمائه هو العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها، وهو مأخوذ من الميل كما تدل عليه مادته (ل ح د)، فمنه اللحد وهو الشق في جانب القبر الذي قد مال عن الوسط، ومنه الـمُلحِد في الدين المائل عن الحق إلى الباطل. قال ابن السِّكِّيت: الملحد المائل عن الحق المدخل فيه ما ليس منه. ومنه الملتحد وهو مفتعل من ذلك. وقوله تعالى: ﴿ **وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا** ﴾[3] أي من تعدل إليه وتهرب إليه وتلتجئ إليه وتبتهل إليه فتميل إليه عن غيره. تقول العرب: التحد فلان إلى فلان إذا عدل إليه. إذا عُرِفَ هذا فالإلحاد في أسمائه تعالى أنواع:

أحدها: أن تُسمَّى الأصنام بها كتسميتهم اللات من الإله، والعزى من العزيز. وتسميتهم الصنم إلهاً، وهذا إلحاد حقيقة؛ فإنهم عدلوا بأسمائه إلى أوثانهم وآلهتهم الباطلة.

الثاني: تسميته بما لا يليق بجلاله كتسمية النصارى له أباً، وتسمية الفلاسفة له موجباً بذاته، أو علة فاعلة بالطبع ونحو ذلك.

---

(1) المرجع السابق، ص33 .
(2) سورة الأعراف، الآية: 180 .
(3) سورة الكهف، الآية: 27 .

ثالثها: وصفه بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص، كقول أخبث اليهود: إنه فقير. وقولهم: إنه استراح بعد أن خلق خلقه. وقولهم: ﴿ **يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ** ﴾[1]، وأمثال ذلك مما هو إلحاد في أسمائه وصفاته.

ورابعها:تعطيل الأسماء عن معانيها وجحد حقائقها،كقول من يقول من الجهمية وأتباعهم:إنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معاني فيطلقون عليه اسم السميع،والبصير،والحي،والرحيم،والمتكلم،والمريد، ويقولون: لا حياة له، ولا سمع له، ولا بصر له، ولا كلام، ولا إرادة تقوم به وهذا من أعظم الإلحاد فيها عقلاً، وشرعاً، ولغة، وفطرة، وهو يقابل إلحاد المشركين؛ فإن أولئك أعطوا أسماءه وصفاته لآلهتهم وهؤلاء سلبوه صفات كماله وجحدوها وعطلوها، فكلاهما ملحد في أسمائه، ثم الجهمية وفروخهم متفاوتون في هذا الإلحاد، فمنهم الغالي والمتوسط والمنكوب. وكل من جحد شيئاً مما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله فقد ألحد في ذلك فليستقلّ أو ليستكثر.

وخامسها: تشبيه صفاته بصفات خلقه تعالى الله عما يقول المشبهون علواً كبيراً. فهذا الإلحاد في مقابلة إلحاد المعطلة، فإن أولئك نفوا صفة كماله وجحدوها، وهؤلاء شبهوها بصفات خلقه فجمعهم الإلحاد وتفرقت بهم طرقه، وبرّأ الله أتباع رسوله وورثته القائمين بسنته عن ذلك كله فلم يصفوه إلا بما وصف به نفسه، ولم يجحدوا صفاته، ولم يشبهوها بصفات خلقه، ولم يعدلوا بها عما أنزلت عليه لفظاً ولا معنىً؛ بل أثبتوا له الأسماء والصفات ونفوا عنه مشابهة المخلوقات فكان إثباتهم بريئاً من التشبيه، وتنزيههم خالياً من التعطيل، لا كمن شبّه حتى كأنه يعبد صنماً، أو عطّل حتى كأنه لا يعبد إلا عدماً.

وأهل السنة وسط في النِّحل، كما أن أهل الإسلام وسط في الملل، توقد مصابيح معارفهم من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يُضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء. فنسأل الله تعالى أن يهدينا لنوره، ويُسَهِّل لنا السبيل إلى الوصول إلى مرضاته ومتابعة رسوله، إنه قريب

(1) سورة المائدة، الآية: 64 .

مجيب[1].

المبحث السادس: إحصاء الأسماء الحُسنى أصلٌ للعلم

إحصاء الأسماء الحُسنى والعلم بها أصلٌ للعلم بكل معلوم، فإن المعلومات سواه إما أن تكون خلقاً له تعالى أو أمراً. إما علم بما كوّنه أو علم بما شرعه، ومصدر الخلق والأمر عن أسمائه الحسنى، وهما مرتبطان بها ارتباط المقتضى بمقتضيه، فالأمر كله مصدره عن أسمائه الحسنى، وهذا كله حسن لا يخرج عن مصالح العباد، والرأفة، والرحمة بهم، والإحسان إليهم بتكميلهم بما أمرهم به ونهاهم عنه، فأمره كله مصلحة، وحكمة، ورحمة، ولُطف، وإحسان؛ إذ مصدره أسماؤه الحسني، وفعله كله لا يخرج عن العدل، والحكمة، والمصلحة، والرحمة، إذ مصدره أسماؤه الحسنى فلا تفاوت في خلقه، ولا عبث، ولم يخلق خلقه باطلاً، ولا سُدىً، ولا عبثاً.

وكما أن كل موجود سواه فبإيجاده، فوجود من سواه تابع لوجوده تبع المفعول المخلوق لخالقه، فكذلك العلم بها أصل للعلم بكل ما سواه فالعلم بأسمائه وإحصاؤها أصل لسائر العلوم، فمن أحصى أسماءه كما ينبغي للمخلوق أحصى جميع العلوم؛ إذ إحصاء أسمائه أصل لإحصاء كل معلوم؛ لأن المعلومات هي من مقتضاها ومرتبطة بها، وتأمل صدور الخلق والأمر عن علمه وحكمته تعالى؛ ولهذا لا تجد فيها خللاً ولا تفاوتاً؛ لأن الخلل الواقع فيما يأمر به العبد أو يفعله إما أن يكون لجهله به أو لعدم حكمته. وأما الرب تعالى فهو العليم الحكيم، فلا يلحق فعله ولا أمره خلل، ولا تفاوت، ولا تناقض[2].

---

(1) بدائع الفوائد، لابن القيم رحمه الله تعالى بتصرف يسير جداً، 1/169-170، وقد ذكر رحمه الله عشرين فائدة في أسماء الله الحُسنى قال في نهايتها: ((فهذه عشرون فائدة مضافة إلى القاعدة التي بدأنا بها في أقسام ما يوصف به الرب تبارك وتعالى، فعليك بمعرفتها ومراعاتها، ثم اشرح الأسماء الحسنى إن وجدت قلباً عاقلاً، ولساناً قائلاً، ومحلاً قابلاً، وإلا فالسكوت أولى بك، فجناب الربوبية أجلّ وأعزّ مما يخطر بالبال، أو يعبر عنه المقال ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ حتى ينتهي العلم إلى من أحاط بكل شيء علماً. وعسى الله أن يعين بفضله على تعليق شرح الأسماء الحُسنى مراعياً فيه أحكام هذه القواعد، بريئاً من الإلحاد في أسمائه وتعطيل صفاته، فهو المنان بفضله والله ذو الفضل العظيم)). وانظر: بدائع الفوائد، 1/159-170.

(2) بدائع الفوائد لابن القيم، 1/163 .

المبحث السابع: أسماء الله كلها حُسنى

أسماء الله كلها حُسنى، ليس فيها اسم غير ذلك أصلاً، وقد تقدم أن من أسمائه ما يطلق عليه باعتبار الفعل نحو الخالق، والرازق، والمحيي، والمميت، وهذا يدل على أن أفعاله كلها خيرات محض لا شر فيها، لأنه لو فعل الشر لاشتقّ له منه اسم، ولم تكن أسماؤه كلها حُسنى، وهذا باطل، فالشر ليس إليه، فكما لا يدخل في صفاته ولا يلحق ذاته، ولا يدخل في أفعاله، فالشر ليس إليه، لا يُضاف إليه فعلاً ولا وصفاً، وإنما يدخل في مفعولاته. وفرق بين الفعل والمفعول، فالشر قائمٍ بمفعوله المباين له، لا بفعله الذي هو فعله، فتأملْ هذا فإنه خَفِيَ على كثير من المتكلمين وزلّت فيه أقدامٌ، وضلّت فيه أفهامٌ، وهدى الله أهل الحق لما اختلفوا فيه بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم[1].

المبحث الثامن: أسماء الله تعالى منها ما يطلق عليه مفرداً ومقترناً بغيره، ومنها ما لا يطلق عليه بمفرده بل مقروناً بمقابله

إن أسماءه تعالى منها ما يطلق عليه مفرداً ومقترناً بغيره وهو غالب الأسماء. فالقدير، والسميع، والبصير، والعزيز، والحكيم، وهذا يسوغ أن يُدعَى به مفرداً ومقترناً بغيره، فتقول: يا عزيزُ يا حليمُ، يا غفورُ يا رحيمُ، وأن يفرد كل اسم وكذلك في الثناء عليه والخبر عنه بما يسوغ لك الإفراد والجمع.

ومنها ما لا يطلق عليه بمفرده بل مقروناً بمقابله كالمانع، والضار، والمنتقم، فلا يجوز أن يفرد هذا عن مقابله فإنه مقرون بالمُعطي، والنافع، والعفوّ، فهو المعطي المانع، الضارُّ النافعُ، المنتقمُ العفوّ، المعزّ المذلّ، لأن الكمال في اقتران كل اسم من هذه بما يقابله؛ لأنه يراد به أنه المنفرد بالربوبية، وتدبير الخلق، والتصرف فيهم عطاءً، ومنعاً، ونفعاً، وضراً، وعفواً، وانتقاماً. وأما أن يثنى عليه بمجرد المنع، والانتقام، والإضرار، فلا يسوغ.

فهذه الأسماء المزدوجة تُجرى الأسماء منها مجرى الاسم الواحد الذي يمتنع فصل بعض حروفه عن بعض، فهي وإن تعدّدت جارية مجرى الاسم الواحد؛ ولذلك لم تجئ مفردة ولم تطلق عليه إلا مقترنة، فاعلمه ((فلو قلت)) يا مُذلُ، يا ضارٌّ، يا مانعُ، وأخبرت

(1) بدائع الفوائد لابن القيم، 163/1 .

بذلك لم تكن مثنياً عليه ولا حامداً له حتى تذكر مقابلها[1].

المبحث التاسع عشر: من أسماء الله الحسنى ما يكون دالاً على عدة صفات

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: من أسمائه الحُسنى ما يكون دالاً على عدة صفات. ويكون ذلك الاسم متناولاً لجميعها تناول الاسم الدال على الصفة الواحدة لها... كاسمه العظيم، والمجيد، والصمد، كما قال ابن عباس فيما رواه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره: الصمد السيد الذي قد كَمُلَ في سؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والعليم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع شرفه وسؤدده وهو الله سبحانه. وهذه صفته لا تنبغي إلا له، ليس له كفواً أحد، وليس كمثله شيء، سبحان الله الواحد القهار. هذا لفظه. وهذا مما خَفِيَ على كثير ممن تعاطى الكلام في تفسير الأسماء الحسنى، ففسَّر الاسم بدون معناه، ونقصه من حيث لا يعلم، فمن لم يُحط بهذا علماً بخس الاسم الأعظم حقه وهضمه معناه فتدبره[2].

المبحث العشرون: الأسماء الحسنى التي ترجع إليها جميع الأسماء والصفات

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في تفسير سورة الفاتحة: اعلم أن هذه السورة اشتملت على أمهات المطالب العالية أتم اشتمال، وتضمنتها أكمل تضمن، فاشتملت على التعريف بالمعبود - تبارك وتعالى - بثلاثة أسماء مرجع الأسماء الحسنى، والصفات العليا إليها، ومدارها عليها وهي: **الله ، والرَّب ، والرَّحمنُ.**

وبُنيت السورة على الإلهية، والربوبية، والرحمة، فـ ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ** ﴾ مبني على الإلهية، و ﴿ **إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ على الربوبية، وطلب الهداية إلى الصراط المستقيم بصفة الرحمة. والحمد يتضمن الأمور الثلاثة: فهو المحمود في إلهيته، وربوبيته، ورحمته، والثناء والمجد كمالان لجده... وتضمنت - يعني سورة الفاتحة - إثبات النبوات من جهات عديدة:

---

(1) بدائع الفوائد، لابن القيم رحمه الله تعالى، 167/1 .

(2) بدائع الفوائد، للإمام ابن القيم رحمه الله تعالى، 168/1، نشر مكتبة الرياض الحديثة، بتصرف يسير جداً.

1 - كون الله ((**رب العالمين**)). فلا يليق به أن يترك عباده سُدى هَمَلاً لا يُعرِّفهم ما ينفعهم في معاشهم، ومعادهم، وما يضرهم فيهما فهذا هَضْمٌ للربوبية، ونسبة الرب تعالى إلى ما لا يليق به، وما قدره حق قدره من نسبة إليه.

2 - من اسم ((**الله**)) وهو المألوه المعبود ولا سبيل للعباد إلى معرفة عبادته إلا من طريق رسله عليهم الصلاة والسلام.

3 - من اسمه ((**الرحمن**)) فإن رحمته تمنع إهمال عباده، وعدم تعريفهم ما ينالون به غاية كمالهم. فمن أعْطى اسم ((**الرحمن**)) حقه عرف أنه متضمن لإرسال الرسل، وإنزال الكتب، أعظم من تضمنه إنزال الغيث، وإنبات الكلأ، وإخراج الحب، فاقتضاء الرحمة لما تحصل به حياة القلوب والأرواح أعظم من اقتضائها لما تحصل به حياة الأبدان والأشباح، لكن المحجوبون إنما أدركوا من هذا الاسم حظّ البهائم والدواب. وأدرك منه أولو الألباب أمراً وراء ذلك...[1].

واشتملت سورة الفاتحة على أنواع التوحيد الثلاثة التي اتفقت عليها الرسل صلوات الله وسلامه عليهم. وهي:

1 - **التوحيد العلمي** - سُمِّي بذلك لتعلقه بالأخبار والمعرفة - ويسمى أيضاً بـ((توحيد الأسماء والصفات)).

2 - **التوحيد القصدي الإرادي** - سُمِّيَ بذلك لتعلقه بالقصد والإرادة - وهذا الثاني نوعان: توحيد في الربوبية، وتوحيد في الإلهية فهذه ثلاثة أنواع.

فأما التوحيد العلمي [توحيد الأسماء والصفات] فمداره على إثبات صفات الكمال، وعلى نفي التشبيه، والمثال، والتنزيه عن العيوب والنقائص، وقد دل على هذا شيئان:

أ – مجمل. ب - مفصل.

أ - أما المجمل فإثبات الحمد لله سبحانه.

ب - وأما المفصل فذكر صفة ((**الإلهية، والربوبية، والرحمة، والملك**)) وعلى هذه الأربعة مدار الأسماء والصفات.

---

(1) مدارج السالكين، 8/1، وذكر بعد ذلك رحمه الله تعالى جهات عديدة لتضمن سورة الفاتحة لإثبات النبوات ولكني أقتصر على ما يختص بالأسماء الحُسنى.

* فأما تضمن الحمد لذلك فإن الحمد يتضمن مدح المحمود بصفات كماله، ونعوت جلاله، مع محبته والرضا عنه، والخضوع له. فلا يكون حامداً من جحد صفات المحمود، ولا من أعرض عن محبته والخضوع له، وكلما كانت صفات المحمود أكثر كان حمده أكمل، وكلما نقص من صفات كماله نقص من حمده بحسبها.

ولهذا كان الحمد كله لله حمداً لا يحصيه سواه لكمال صفاته وكثرتها؛ ولأجل هذا لا يُحصي أحدٌ من خلقه ثناءً عليه لما له من صفات الكمال ونعوت الجلال التي لا يحصيها سواه. كما قال ﷺ: ((**اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لا أُحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك**))[1].. فهذه دلالة على توحيد الأسماء والصفات.

* وأما دلالة الأسماء الخمسة عليها ((أي على الأسماء والصفات)) وهي: ((**الله، والرب، والرحمن، والرحيم، والملك**)) فمبني على أصلين:

الأصل الأول: أسماء الرب تبارك وتعالى دالة على صفات كماله فهي مشتقة من الصفات. فهي أسماء وهي أوصاف، وبذلك كانت حُسنى؛ إذْ لو كانت ألفاظاً لا معاني فيها لم تكن حُسنى، ولا كانت دالةً على مدح ولا كمال، ولساغ وقوع أسماء الانتقام، والغضب في مقام الرحمة والإحسان، وبالعكس فيقال: اللهم إني ظلمت نفسي فاغفر إنك أنت المنتقم. واللهم أعطني فإنك أنت الضار المانع، ونحو ذلك، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

ونفي معاني الأسماء الحُسنى من أعظم الإلحاد فيها قال تعالى:﴿ **وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ** ﴾[2]؛ ولأنها لو لم تدل على معانٍ وأوصاف لم يجز أن يخبر عنها بمصادرها ويوصف بها. لكن الله أخبر عن نفسه بمصادرها وأثبتها لنفسه وأثبتها له رسوله ﷺ كقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ** ﴾[3]، فعُلِم أن ((**القوي**)) من أسمائه ومعناه الموصوف بالقوة. وكذلك قوله تعالى: ﴿ **فَلله الْعِزَّةُ**

(1) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، برقم 486.
(2) سورة الأعراف، الآية: 180 .
(3) سورة الذاريات، الآية: 58 .

جَمِيعًا ﴾[1]، فالعزيز من له العزة، فلولا ثبوت القوة والعزة لم يُسمَّ قوياً، ولا عزيزاً، وكذلك قوله تعالى: ﴿ **أنزَلَهُ بِعِلْمِهِ** ﴾[2]... وأجمع المسلمون أنه لو حلف بحياة الله، أوسمعه، أو بصره، أو قوته أو عزته، أو عظمته انعقدت يمينه وكانت مكفرة؛ لأن هذه صفات كماله التي اشتقَّتْ منها أسماؤه.

وأيضاً لو لم تكن أسماؤه مشتملة على معانٍ وصفات لم يسُغ أن يخبر عنه بأفعالها. فلا يقال: يسمع، ويرى، ويعلم، ويقدر، ويريد؛ فإن ثبوت أحكام الصفات فرع ثبوتها، فإذا انتفى أصل الصفة استحال ثبوت حكمها... فنفي معاني أسمائه سبحانه من أعظم الإلحاد فيها، والإلحاد فيها أنواع هذا أحدها.

الأصل الثاني: الاسم من أسمائه تبارك وتعالى كما يدلّ على الذات والصفة التي اشتقّ منها بالمطابقة؛ فإنّه يدلّ عليه دلالتين أُخرَيَيْن بالتضمن واللزوم.

فيدل على الصفة بمفردها بالتضمن، وكذلك على الذات المجردة عن الصفة، ويدل على الصفة الأخرى باللزوم.

فإن اسم ((السميع)) يدل على ذات الرب وسمعه بالمطابقة.

وعلى الذات وحدها وعلى السمع وحده بالتضمن، ويدل على اسم ((الحي)) وصفة الحياة بالالتزام. وكذلك سائر أسمائه وصفاته، ولكن يتفاوت الناس في معرفة اللزوم وعدمه..

* إذا تقرر هذان الأصلان فاسم ((**الله**)) دالٌّ على جميع الأسماء الحُسنى والصفات العُلا بالدلالات الثلاث ((المطابقة، والتضمن، واللزوم)).

فإنه دال على إلهيته المتضمنة لثبوت صفات الإلهية له، مع نفي أضدادها عنه. وصفات الإلهية - يعني أن الله الإله الحق وحده لا شريك له - هي صفات الكمال المنزهة عن التشبيه والتمثيل، وعن العيوب والنقائص، ولهذا يضيف الله تعالى سائر الأسماء الحُسنى إلى هذا الاسم العظيم، كقوله تعالى: ﴿ **وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى** ﴾ ويقال: ((**الرحمن، والرحيم، والقدوس، والسلام، والعزيز، والحكيم**)) من أسماء الله ولا يقال: الله من أسماء الرحمن، ولا من

---

(1) سورة فاطر، الآية: 10 .

(2) سورة النساء، الآية: 166 .

أسماء العزيز. ونحو ذلك.

فعُلِمَ أن اسمه ((الله)) مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى، دالٌّ عليها بالإجمال، والأسماء الحُسنى تفصيل، وتبيين لصفات الإلهية التي اشتق منها اسم ((الله))، واسم ((الله)) دالٌّ على كونه مألوهاً معبوداً، تألّـهَهُ الخلائق محبةً، وتعظيماً، خضوعاً وفزعاً إليه في الحوائج والنوائب، وذلك مستلزم لكمال ربوبيته ورحمته، المتضمنين لكمال الملك والحمد. وإلهيته وربوبيته، ورحمانيته، وملكه، مستلزم لجميع صفات كماله. إذ يستحيل ثبوت ذلك لمن ليس بحي، ولا سميع، ولا بصير، ولا قادر، ولا متكلم، ولا فعَّالٍ لما يريد، ولا حكيم في أفعاله.

* وصفات الجلال والجمال: أخص باسم ((الله)).

* وصفات الفعل، والقدرة، والتفرّد بالضرّ والنفع، والعطاء والمنع، ونفوذ المشيئة، وكمال القوة، وتدبير أمر الخليقة أخص باسم ((الربّ)).

* وصفات الإحسان، والجود، والبّر، والحنّان، والمنّة، والرأفة، واللّطف، أخص باسم ((الرحمن)).

وكرر إيذاناً بثبوت الوصف، وحصول أثره، وتعلقه بمتعلقاته. فالرحمن الذي الرحمة وصفه، والرحيم: الراحم لعباده؛ ولهذا يقول تعالى: ﴿**وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا**﴾[1]،ولم يجئ رحمان بعباده ولا رحمان بالمؤمنين،مع ما في اسم ((**الرحمن**)) الذي هو على وزن فعلان من سعة هذا الوصف،وثبوت جميع معناه الموصوف به...فبناء فعلان للسعة والشمول.ولهذا يقرن استواءه على العرش بهذا الاسم كثيراً كقوله تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾[2]؛لأن العرش محيط بالمخلوقات قد وسعها والرحمة محيطة بالخلق واسعة لهم كما قال تعالى:﴿**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**﴾[3]،وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده موضوع على العرش: ((إن رحمتي تغلب غضبي**))،وفي لفظ:((**فهو**

(1) سورة الأحزاب، الآية: 43 .
(2) سورة طه، الآية: 5 .
(3) سورة الأعراف، الآية: 156 .

عـــنده على العرش))[1].

فتأملْ اختصاص هذا الكتاب بذكر الرحمة، ووضعه عنده على العرش،وطابقْ بين ذلك وبين قوله تعالى:﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾، وقوله: ﴿ **ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا** ﴾[2] ينفتح لك باب عظيم من معرفة الرب تبارك وتعالى إن لم يغلقه عنك التعطيل والتجهيم.

* وصفات العدل، والقبض والبسط، والخفض والرفع، والعطاء والمنع، والإعزاز والإذلال، والقهر والحكم، ونحوها أخص باسم ((**المَلِك**)) وخصّه بيوم الدين وهو الجزاء بالعدل؛ لتفرده بالحكم فيه وحده؛ ولأنه اليوم الحق، وما قبله كساعة؛ ولأنه الغاية وأيام الدنيا مراحل إليه.

وفي ذكر هذه الأسماء بعد الحمد في قوله تعالى: ﴿ **الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمـنِ الرَّحِيمِ * مَـالِكِ يَوْمِ الدِّينِ** ﴾[3]، وإيقاع الحمد على مضمونها ومقتضاها ما يدل على أنه محمود في إلهيته، محمود في ربوبيته، محمود في رحمانيته، محمود في ملكه، وأنه إله محمود، ورب محمود، ومَلِك محمود. فله بذلك جميع أقسام الكمال:

كمال من هذا الاسم بمفرده، وكمال من الآخر بمفرده، وكمال من اقتران أحدهما بالآخر.مثال ذلك قوله تعالى:﴿**وَاللهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ** ﴾[4]، ﴿ **وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾[5]، ﴿**وَاللهُ قَدِيرٌ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾[6]، فالغنى صفة كمال والحمد صفة كمال، واقتران غناه بحمده كمال أيضاً، وعلمه كمال، وحكمته كمال، واقتران العلم بالحكمة كمال أيضاً.

وقدرته كمال، ومغفرته كمال، واقتران القدرة بالمغفرة كمال،

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾، برقم 3194، ومسلم في كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، برقم 2751.

(2) سورة الفرقان، الآية: 59 .

(3) سورة الفاتحة، الآيات: 1-3 .

(4) سورة التغابن، الآية: 6 .

(5) سورة النساء، الآية: 26 .

(6) سورة الممتحنة، الآية: 7 .

وكذلك العفو بعد القدرة: ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾[1].

فما كل من قدر عفا، ولا كل من عفا يعفو عن قدرة، ولا كل من علم يكون حليماً، ولا كل حليم عالم في قرن شيء إلى شيءٍ أزين من حلم إلى علم، ومن عفو إلى قدرة، ومن ملك إلى حمد، ومن عزة إلى رحمة: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَـهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾[2].

وفي هذا أظهر دلالة على أن أسماء الرب تعالى مشتقة من أوصاف ومعانٍ قامت به، وإن كل اسم يناسب ما ذكر معه واقترن به من فعله وأمره، والله الموفق للصواب[3].

إذا قال السائل: ((اللهم إني أسألك)) كأنه قال: أدعو الله الذي له الأسماء الحسنى والصفات العُلا بأسمائه وصفاته. فأتى بالميم المؤذنة بالجمع في آخر هذا الاسم، إيذاناً بسؤاله تعالى بأسمائه كلها كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: ((**ما أصاب عبداً همٌّ ولا حزنٌ، فقال: اللهمّ إني عبدك ابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك، عدلٌ فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علّمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك: أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حُزني، وذهاب همّي وغمّي، إلا أذهب الله همّه وغمّه، وأبدله مكانه فرحاً**)) قالوا: يا رسول الله أفلا نتعلمهنّ؟ قال:((**بلى،ينبغي لمن سمعهنّ أن يتعلمهنّ**))[4].

فالداعي مندوب إلى أن يسأل الله تعالى بأسمائه وصفاته كما في الاسم الأعظم:((**اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت المنّان، بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حيُّ يا قيوم**))[5].

---

(1) سورة النساء، الآية: 43 .

(2) سورة الشعراء، الآية: 191 .

(3) مدارج السالكين، لابن القيم رحمه الله تعالى، 24/1 - 37 بتصرف.

(4) أخرجه أحمد، 391/1، وأبو يعلى، 198/9-199، برقم 5297، والحاكم، 509/1-510، وابن السني في عمل اليوم والليلة، برقم 339، 340، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، 1/ 337.

(5) أخرجه أبو داود في كتاب الوتر، باب الدعاء، برقم 1495، والترمذي في كتاب الدعوات، باب 99، برقم 3544، وابن ماجه في كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم، برقم 3858، والنسائي في كتاب السهو، باب الدعاء بعد الذكر، برقم 1298، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، برقم 1495.

والدعاء ثلاثة أقسام:

1 - أن تسأل الله بأسمائه وصفاته.

2 - أن تسأله بحاجتك وفقرك وذُلّك فتقول: أنا العبد الفقير المسكين الذليل المستجير، ونحو ذلك.

3 - أن تسأل حاجتك ولا تذكر واحداً من الأمرين، فالأول أكمل من الثاني، والثاني أكمل من الثالث، فإذا جمع الدعاء الأمور الثلاثة كان أكمل. وهذه عامة أدعية النبي ﷺ.

فالدعاء الذي علّمه صدِّيق الأمة رضي الله عنه ذكر الأقسام الثلاثة:

1 - فإنه قال في أوله: ((**اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً**))(1)، وهذا حال السائل.

2 - ثم قال: ((**ولا يغفر الذنوب إلا أنت**))، وهذا حال المسؤول.

3 - ثم قال: ((**فاغفر لي**)) فذكر حاجته، وختم الدعاء باسمين من الأسماء الحُسنى تناسب المطلوب وتقتضيه، ثم قال ابن القيم رحمه الله: وهذا القول الذي اخترناه قد جاء عن غير واحد من السلف.قال الحسن البصري:((اللهم)) مجمع الدعاء،وقال أبو رجاء العطاردي:إن الميم في قوله:((اللهم)) فيها تسعة وتسعون اسماً من أسماء الله تعالى.وقال النضر بن شميل: من قال: ((اللهم)) فقد دعا الله بجميع أسمائه(2).

المبحث الحادي عشر: أسماء الله وصفاته مختصة به واتفاق الأسماء لا يوجب تماثل المسميات

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: ((سمّى الله نفسه بأسماء، وسمّى صفاته بأسماء، فكانت تلك الأسماء مختصة به إذا أضيفت إليه، لا يشركه فيها غيره، وسمّى بعض مخلوقاته بأسماء مختصة بهم مضافة إليهم توافق تلك الأسماء إذا قطعت عن الإضافة والتخصيص، ولم يلزم من اتفاق الاسمين تماثل مسماهما واتحاده عند الإطلاق والتجريد عن الإضافة والتخصيص، لا اتفاقهما، ولا تماثل المسمى عند الإضافة والتخصيص، فضلاً عن أن يتحد مسماهما عند الإضافة والتخصيص.

فقد سمَّى الله نفسه حيّا، فقال: ﴿ **اللهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**

---

(1) **أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب الدعاء قبل السلام، برقم 834، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب خفض الصوت بالذكر، رقم 2705.**

(2) **التفسير القيم لابن القيم، ص210-211 بتصرف يسير جداً.**

﴾[1]، وسمَّى بعض عباده حيّاً، فقال: ﴿**يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ** ﴾[2]، وليس هذا الحيّ مثل هذا الحيّ؛ لأن قوله ((**الحيّ**)) اسم الله مختص به، وقوله: ﴿**يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ** ﴾ اسم للحي المخلوق مختص به، وإنما يتفقان إذا أطلقا وجُرِّدا عن التخصيص، ولكن ليس للمطلق مسمًّى موجود في الخارج، ولكن العقل يفهم من المطلق قدراً مشتركاً بين المسميين، وعند الاختصاص يقيد ذلك بما يتميز به الخالق عن المخلوق، والمخلوق عن الخالق.

ولابدّ من هذا في جميع أسماء الله وصفاته، يُفهم منها ما دلّ عليه الاسم بالمواطأة والاتفاق، وما دلّ عليه بالإضافة والاختصاص المانعة من مشاركة المخلوق للخالق في شيء من خصائصه سبحانه وتعالى.

وكذلك سمَّى الله نفسه عليماً حليماً، وسمّى بعض عباده عليماً، فقال: ﴿**وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ** ﴾[3]، يعني إسحاق وسمّى آخر حليماً، فقال:
﴿**فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ** ﴾[4]، يعني إسماعيل، وليس العليم كالعليم، ولا الحليم كالحليم.

وسمَّى نفسه سميعاً بصيراً، فقال: ﴿**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا** ﴾[5]، وسمّى بعض خلقه سميعاً بصيراً فقال:
﴿**إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا** ﴾[6]، وليس السميع كالسميع، ولا البصير كالبصير.

وسمَّى نفسه بالرؤوف الرحيم،فقال:﴿**إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ**

---

(1) سورة البقرة، الآية: 255 .
(2) سورة الروم، الآية: 19 .
(3) سورة الذاريات الآية 28.
(4) سورة الصافات، الآية: 101 .
(5) سورة النساء، الآية: 58 .
(6) سورة الإنسان، الآية: 2 .

رَّحِيمٌ ﴾[1]، وسمّى بعض عباده بالرؤوف الرحيم، فقال: **﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾**[2]، وليس الرؤوف كالرؤوف، ولا الرحيم كالرحيم.

وسمَّى نفسه بالملك، فقال: **﴿ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ ﴾**[3]، وسمّى بعض عباده بالملك، فقال: **﴿وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾**[4]، **﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ ﴾**[5]، وليس الملك كالملك.

وسمَّى نفسه بالمؤمن، فقال: **﴿الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ ﴾**[6]، وسمى بعض عباده بالمؤمن، فقال: **﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لا يَسْتَوُونَ ﴾**[7]، وليس المؤمن كالمؤمن.

وسمَّى نفسه بالعزيز، فقال: **﴿الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ﴾**[8]، وسمّى بعض عباده بالعزيز،فقال: **﴿قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ ﴾**[9]،وليس العزيز كالعزيز.

وسمَّى نفسه الجبار المتكبر، وسمى بعض خلقه بالجبار المتكبر، فقال: **﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾**[10]، وليس الجبار كالجبار، ولا المتكبر كالمتكبر.

ونظائر هذا متعددة.

وكذلك سمَّى صفاته بأسماء، وسمّى صفات عباده بنظير ذلك، فقال: **﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء ﴾**[11]، وقال: **﴿أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ ﴾**[12]، وقال: **﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾**[1]،

---

(1) سورة البقرة، الآية: 143 .
(2) سورة التوبة، الآية: 128 .
(3) سورة الحشر، الآية: 23 .
(4) سورة الكهف، الآية: 79 .
(5) سورة يوسف، الآية: 50 .
(6) سورة الحشر، الآية: 23 .
(7) سورة السجدة، الآية: 18 .
(8) سورة الحشر، الآية: 23 .
(9) سورة يوسف، الآية: 51 .
(10) سورة غافر، الآية: 35 .
(11) سورة البقرة، الآية: 255 .
(12) سورة النساء، الآية: 166 .

وقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾[2].

وسمَّى صفة المخلوق علماً وقوة، فقال: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾[3]، وقال: ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[4]، وقال: ﴿فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ ﴾[5]، وقال: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾[6]، وقال: ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ ﴾[7]، وقال: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴾[8]، أي: بقوة، وقال: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الأَيْدِ ﴾[9] أي: ذا القوة، وليس العلم كالعلم، ولا القوة كالقوة.

وكذلك وصف نفسه بالمشيئة، ووصف عبده بالمشيئة، فقال: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾[10]. وقال: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً * وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللهُ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[11].

وكذلك وصف نفسه بالإرادة، ووصف عبده بالإرادة، فقال: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[12].

ووصف نفسه بالمحبة، [ووصف عبده بالمحبة] فقال: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾[13]، وقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ

(1) سورة الذاريات، الآية: 58 .
(2) سورة فصلت، الآية: 15 .
(3) سورة الإسراء، الآية: 85 .
(4) سورة يوسف، الآية: 76 .
(5) سورة غافر، الآية: 83 .
(6) سورة الروم، الآية: 54 .
(7) سورة هود، الآية: 52 .
(8) سورة الذاريات، الآية: 47 .
(9) سورة ص، الآية: 17 .
(10) سورة التكوير، الآيتان: 28-29 .
(11) سورة الإنسان، الآيتان: 29-30 .
(12) سورة الأنفال، الآية: 67 .
(13) سورة المائدة، الآية: 54 .

تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ ﴾[1].

ووصف نفسه بالرضا، ووصف عبده بالرضا، فقال: ﴿**رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ** ﴾[2].

ومعلوم أن مشيئة الله ليست مثل مشيئة العبد، ولا إرادته مثل إرادته، ولا محبته مثل محبته، ولا رضاه مثل رضاه.

وكذلك وصف نفسه بأنه يمقت الكفار، ووصفهم بالمقت، فقال: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ** ﴾[3]، وليس المقت مثل المقت.

وهكذا وصف نفسه بالمكر والكيد، كما وصف عبده بذلك،فقال: ﴿**وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ**﴾[4]،وقال: ﴿**إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا**﴾[5]، وليس المكر كالمكر، ولا الكيد كالكيد.

ووصف نفسه بالعمل، فقال: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ** ﴾[6]، ووصف عبده بالعمل، فقال: ﴿**جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾[7]، وليس العمل كالعمل.

ووصف نفسه بالمناداة والمناجاة، في قوله: ﴿**وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا** ﴾[8]، وقوله: ﴿**وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ** ﴾[9]، وقوله: ﴿**وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا** ﴾[10]، ووصف عبده بالمناداة والمناجاة، فقال: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ** ﴾[11]، وقال: **نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ**﴾[12]، وقال: ﴿**إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلا تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**

(1) سورة آل عمران، الآية: 31 .
(2) سورة المائدة، الآية: 119 .
(3) سورة غافر، الآية: 10 .
(4) سورة الأنفال، الآية: 30 .
(5) سورة الطارق، الآيتان: 15-16 .
(6) سورة يس، الآية: 71 .
(7) سورة السجدة، الآية: 17 .
(8) سورة مريم، الآية: 52 .
(9) سورة القصص، الآية: 62 .
(10) سورة الأعراف، الآية: 22 .
(11) سورة الحجرات، الآية: 4 .
(12) سورة المجادلة، الآية: 12 .

﴾[1]، وليس المناداة كالمناداة، ولا المناجاة كالمناجاة.

ووصف نفسه بالتكليم في قوله: ﴿**وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا** ﴾[2]، وقوله: ﴿**وَلَـمَّا جَاءَ مُوسَى لِـمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ** ﴾[3]، وقوله: ﴿**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللهُ** ﴾[4]، ووصف عبده بالتكليم في مثل قوله: ﴿**وَقَالَ الْـمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مِكِينٌ أَمِينٌ** ﴾[5]، وليس التكليم كالتكليم.

ووصف نفسه بالتنبئة، [ووصف بعض الخلق بالتنبئة]، فقال: ﴿**وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْـخَبِيرُ** ﴾[6]، وليس الإنباء كالإنباء.

ووصف نفسه بالتعليم، ووصف عبده بالتعليم، فقال: ﴿**الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ** ﴾[7]، وقال: ﴿**تُعَلِّمُونَـهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللهُ**﴾[8]، وقال: ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْـمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ** ﴾[9]، وليس التعليم كالتعليم.

وهكذا وصف نفسه بالغضب في قوله:﴿**وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَـهُمْ**﴾[10]، ووصف عبده بالغضب في قوله: ﴿**وَلَـمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا** ﴾[11]، وليس الغضب كالغضب.

ووصف نفسه بأنه استوى على عرشه، فذكر في سبع آيات[12]

---

(1) سورة المجادلة، الآية: 9 .
(2) سورة النساء، الآية: 164 .
(3) سورة الأعراف، الآية: 143 .
(4) سورة البقرة، الآية: 253 .
(5) سورة يوسف، الآية: 54 .
(6) سورة التحريم، الآية: 3 .
(7) سورة الرحمن، الآيات: 1-4 .
(8) سورة المائدة، الآية: 4 .
(9) سورة آل عمران، الآية: 164 .
(10) سورة الفتح، الآية: 6 .
(11) سورة الأعراف، الآية: 150 .
(12) وهذه الآيات هي: 1- ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ الأعراف، الآية: 54. 2- ﴿ ثُمَّ

من كتابه أنه استوى على العرش، ووصف بعض خلقه بالاستواء على غيره، في مثل قوله: ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ﴾[1]، وقوله: ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ ﴾[2]، وقوله: ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ﴾[3]، وليس الاستواء كالاستواء.

ووصف نفسه ببسط اليدين، فقال: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾[4]، ووصف بعض خلقه ببسط اليد، في قوله: ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾[5]، وليس اليد كاليد، ولا البسط كالبسط، وإذا كان المراد بالبسط الإعطاء والجود فليس إعطاء الله كإعطاء خلقه، ولا جوده كجودهم. ونظائر هذا كثيرة.

فلابد من إثبات ما أثبته الله لنفسه، ونفي مماثلته لخلقه، فمن قال: ليس لله علم، ولا قوة، ولا رحمة، ولا كلام، ولا يحب، ولا يرضى، ولا نادى، ولا ناجى، ولا استوى -كان معطلاً، جاحداً، ممثلاً لله بالمعدومات والجمادات. ومن قال: [له] علم كعلمي، أو قوة كقوتي، أو حب كحبي، أو رضىً كرضاي، أو يدان كيديَّ، أو استواء كاستوائي - كان مشبِّها، ممثلاً لله بالحيوانات، بل لابد من إثباتٍ بلا تمثيل، وتنزيهٍ بلا تعطيل[6].

وقد بيَّن الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: ((أن الاسم والصفة من هذا النوع له ثلاثة اعتبارات:

الاعتبار الأول: اعتبار من حيث هو مع قطع النظر عن تقييده بالرب تبارك وتعالى أو العبد.

الاعتبار الثاني: اعتباره مضافاً إلى الرب مختصاً به.

=

عَلَى الْعَرْشِ ﴾ يونس الآية: 3. 3- ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ الرعد، الآية: 2. 4- ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ طه، الآية 5. 5- ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾ الفرقان، الآية: 59. 6- ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ السجدة، الآية: 4. 7- ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ الحديد، الآية: 4.

(1) سورة الزخرف، الآية: 13 .
(2) سورة المؤمنون، الآية: 28 .
(3) سورة هود، الآية: 44 .
(4) سورة المائدة، الآية: 64 .
(5) سورة الإسراء، الآية: 29 .
(6) التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، ص21 - 30 .

الاعتبار الثالث: اعتباره مضافاً إلى العبد مقيداً به. فما لزم الاسم لذاته وحقيقته كان ثابتاً للرب والعبد، وللرب منه ما يليق بكماله، وللعبد منه ما يليق به. وهذا كاسم السميع الذي يلزم إدراك المسموعات، والبصير الذي يلزمه رؤية المبصرات، والعليم والقدير وسائر الأسماء؛ فإن شرط صحة إطلاقها حصول معانيها وحقائقها للموصوف بها، فما لزم هذه الأسماء لذاتها فإثباته للرب تعالى لا محذور فيه بوجه؛ بل يثبت له على وجه لا يماثل فيه خلقه ولا يشابههم، فمن نفاه عنه لإطلاقه على المخلوق ألحد في أسمائه، وجحد صفات كماله. ومن أثبته له على وجه يماثل فيه خلقه فقد شبَّهه بخلقه، ومن شبَّه الله بخلقه فقد كفر، ومن أثبته له على وجه لا يماثل فيه خلقه؛ بل كما يليق بجلاله وعظمته، فقد برئ من فرث التشبيه ودم التعطيل، وهذا طريق أهل السنة، وما لزم الصفة لإضافتها إلى العبد وجب نفيه عن الله، كما يلزم حياة العبد من النوم والسِّنة والحاجة إلى الغذاء ونحو ذلك. وكذلك ما يلزم إرادته من حركة نفسه في جلب ما ينتفع به ودفع ما يتضرر به. وكذلك ما يلزم علوّه من احتياجه إلى ما هو عالٍ عليه، وكونه محمولاً به، مفتقراً إليه، محاطاً به. كل هذا يجب نفيه عن القدوس السلام تبارك وتعالى، وما لزم صفة من جهة اختصاصه تعالى بها، فإنه لا يثبت للمخلوق بوجهٍ، كعلمه الذي يلزمه القدم والوجوب والإحاطة بكل معلوم وقدرته وإرادته وسائر صفاته، فإن ما يختصُّ به منها لا يمكن إثباته للمخلوق، فإذا أحطتَ بهذه القاعدة خبراً، وعقلتَها كما ينبغي، خلصتَ من الآفتين اللتين هما أصل بلاء المتكلمين: آفة التعطيل، وآفة التشبيه، فإنكَ إذا وفَّيْتَ هذا المقام حقه من التصور أثبتَّ لله الأسماء الحسنى، والصفات العُلا حقيقة، فخلصتَ من التعطيل، ونفيتَ عنها خصائص المخلوقين ومشابهتهم، فخلصتَ من التشبيه، فتدبّرْ هذا الموضع، واجعلْه جنَّتك التي ترجع إليها في هذا الباب والله الموفق للصواب[1].

وقال ابن القيم رحمه الله أيضاً: اختلف النظَّار في الأسماء التي

---

(1) بدائع الفوائد، للعلامة ابن القيم رحمه الله، 1/165-166 بتصرف يسير جداً، وانظر: مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم، 2/37، فقد قال: ((إن هذه الألفاظ التي تستعمل في حق المخلوق والخالق لها ثلاثة اعتبارات:

أحدها: أن تكون مقيدة بالخالق: كسمع الله وبصره، ووجهه ويديه واستوائه ونزوله وعلمه وقدرته وحياته. الثاني: أن تكون مقيدة بالمخلوق: كيد الإنسان، ووجهه، واستوائه. الثالث: أن تجرد عن كلا الإضافتين وتوجد مطلقة...))، ثم شرح ذلك شرحاً جيداً. انظر: مختصر الصواعق، 2/37 .

تطلق على الله وعلى العباد كالحي، والسميع، والبصير، والعليم، والقدير، والملك ونحوها فقالت طائفة من المتكلمين: هي حقيقة في العبد مجاز في الرب، وهذا قول غلاة الجهمية، وهو أخبث الأقوال وأشدها فساداً. الثاني مقابله وهو أنها حقيقة في الرب مجاز في العبد، وهذا قول أبي العباس الناشي. الثالث أنها حقيقة فيهما، وهذا قول أهل السنة وهو الصواب. واختلاف الحقيقتين فيهما لا يخرجها عن كونها حقيقة فيهما. وللرب تعالى منها ما يليق بجلاله، وللعبد منها ما يليق به[1].

المبحث الثاني عشر: أمور ينبغي أن تُعْلَم

الأمر الأول: أن ما يدخل في باب الإخبار عنه تعالى أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته كالشيء، والموجود، والقائم بنفسه؛ فإنه يخبر به عنه ولا يدخل في أسمائه الحسنى وصفاته العلا.

الثاني: أن الصفة إذا كانت منقسمة إلى كمال ونقص لم تدخل بمطلقها في أسمائه؛ بل يطلق عليه منها كمالها، وهذا كالمريد، والفاعل، والصانع؛ فإن هذه الألفاظ لا تدخل من أسمائه، ولهذا غلط من سماه بالصانع عند الإطلاق، بل هو الفعال لما يريد، فإن الإرادة والفعل والصنع منقسمة، ولهذا إنما أطلق على نفسه من ذلك أكمله فعلاً وخبراً.

الثالث: أنه لا يلزم من الإخبار عنه بالفعل مقيداً أن يشتق له منه اسم مطلق، كما غلط فيه بعض المتأخرين فجعل من أسمائه الحسنى المضل، الفاتن، الماكر، تعالى الله عن قوله؛ فإن هذه الأسماء لم يطلق عليه سبحانه منها إلا أفعال مخصوصة معينة، فلا يجوز أن يسمى بأسمائها المطلقة، والله أعلم.

الرابع: أن أسماءه الحسنى هي أعلامٌ وأوصافٌ، والوصف بها لا يُنافي العلمية، بخلاف أوصاف العباد، فإنها تنافي علميتهم؛ لأن أوصافهم مشتركة، فنفتها العلمية المختصة بخلاف أوصافه تعالى.

الخامس: أن أسماءه الحسنى لها اعتباران: اعتبار من حيث الذات، واعتبار من حيث الصفات، فهي بالاعتبار الأول مترادفة، وبالاعتبار الثاني متباينة.

السادس: أن ما يطلق عليه في باب الأسماء والصفات توقيفي، وما يطلق عليه من الأخبار لا يجب أن يكون توقيفياً كالقديم، والشيء، والموجود، والقائم بنفسه. فهذا فصل الخطاب في مسألة

(1) بدائع الفوائد، 164/1 ببعض التصرف.

أسمائه هل هي توقيفية، أو يجوز أن يطلق عليه منها بعض ما لم يرد به السمع.

السابع: أن الاسم إذا أطلق عليه جاز أن يشتق منه المصدر والفعل فيخبر به عنه فعلاً ومصدراً نحو السميع،البصير،القدير،يطلق عليه منه السمع والبصر والقدرة،ويخبر عنه بالأفعال من ذلك نحو ((**قَدْ سَمِعَ اللهُ**))، ((**فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ**)) هذا إن كان الفعل متعدياً.فإن كان لازماً لم يخبر عنه به نحو الحي؛بل يطلق عليه الاسم والمصدر دون الفعل،فلا يقال: حيي.

الثامن: أن أفعال الرب تبارك وتعالى صادرة عن أسمائه وصفاته، وأسماء المخلوقين صادرة عن أفعالهم، فالرب تبارك وتعالى فعاله عن كماله. والمخلوق كماله عن فعاله، فاشتقت له الأسماء بعد أن كمل بالفعل. فالرب لم يزل كاملاً، فحصلت أفعاله عن كماله؛ لأنه كامل بذاته وصفاته، فأفعاله صادرة عن كماله كَمُلَ ففعل، والمخلوق فَعَل فكَمُلَ الكمال اللائق به[1].

التاسع: أن الصفات ثلاثة أنواع: صفات كمال، وصفات نقص، وصفات لا تقتضي كمالاً ولا نقصاً، وإن كانت القسمة التقديرية تقتضي قسماً رابعاً، وهو: ما يكون كمالاً ونقصاً باعتبارين، والرب تعالى منزه عن الأقسام الثلاثة، وموصوف بالقسم الأول، وصفاته كلها صفات كمال محض، فهو موصوف من الصفات بأكملها وله من الكمال أكمله. وهكذا أسماؤه الدالة على صفاته هي أحسن الأسماء وأكملها، فليس في الأسماء أحسن منها، ولا يقوم غيرها مقامها ولا يؤدي معناها، وتفسير الاسم منها بغيره ليس تفسيراً بمرادفٍ محضٍ؛ بل هو على سبيل التقريب والتفهيم. وإذا عرفتَ هذا فله من كل صفة كمال أحسن اسم وأكمله وأتمّه معنى، وأبعده وأنزهه عن شائبة عيب أو نقص، فله من صفة الإدراكات العليم الخبير دون العاقل الفقيه، والسميع البصير دون السامع والباصر والناظر. ومن صفات الإحسان البر، الرحيم، الودود، دون الشفوق ونحوه. وكذلك العلي العظيم دون الرفيع الشريف. وكذلك الكريم دون السخي، والخالق البارئ المصور دون الفاعل الصانع المشكل، والغفور العفوّ دون الصفوح الساتر. وكذلك سائر أسمائه تعالى يُجري على نفسه منها أكملها وأحسنها، وما لا يقوم غيره مقامه، فتأملْ ذلك، فأسماؤه أحسن الأسماء، كما أن صفاته أكمل الصفات، فلا تعدِلْ عما سمّى به نفسه إلى غيره، كما لا تتجاوزْ ما

(1) بدائع الفوائد للإمام ابن القيم رحمه الله، 1/161-162 بتصرف يسير.

وصف به نفسه ووصفه به رسوله إلى ما وصفه به المبطلون والمعطلون[1].

المبحث الثالث عشر: مراتب إحصاء أسماء الله الحسنى التي من أحصاها دخل الجنة

هذا بيان مراتب إحصاء أسمائه التي من أحصاها دخل الجنة، وهذا هو قطب السعادة، ومدار النجاة والفلاح.

المرتبة الأولى: إحصاء ألفاظها وعددها.

المرتبة الثانية: فهم معانيها ومدلولها.

المرتبة الثالثة: دعاؤه بها كما قال تعالى: **﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾**[2]، وهو مرتبتان.

إحداهما: ثناء وعبادة.

والثاني: دعاء طلب ومسألة، فلا يُثنى عليه إلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، وكذلك لا يُسئل إلا بها، فلا يقال: يا موجود، أو يا شيء، أو يا ذات اغفر لي وارحمني؛ بل يُسأل في كل مطلوب باسم يكون مقتضياً لذلك المطلوب، فيكون السائل متوسلاً إليه بذلك الاسم. ومن تأمل أدعية الرسل، ولا سيما خاتمهم وإمامهم، وجدها مطابقة لهذا، وهذه العبارة أولى من عبارة من قال: يتخلق بأسماء الله، فإنها ليست بعبارة سديدة، وهي منتزعة من قول الفلاسفة بالتشبه بالإله قدر الطاقة. وأحسن منها عبارة أبي الحكم بن برهان، وهي التعبد، وأحسن منها العبارة المطابقة للقرآن، وهي الدعاء المتضمن للتعبد والسؤال. فمراتبها أربعة أشدها إنكاراً عبارة الفلاسفة وهي التشبه. وأحسن منها عبارة من قال: التخلق. وأحسن منها عبارة من قال: التعبد. وأحسن من الجميع الدعاء، وهي لفظ القرآن[3].

المبحث الرابع عشر: الأسماء الحسنى لا تُحدُّ بعدد

الأسماء الحسنى لا تدخل تحت حصر ولا تحد بعدد فإن لله تعالى أسماء وصفات استأثر بها في علم الغيب عنده، لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل كما في الحديث الصحيح: **((أسألك بكل اسم هو لك سمَّيتَ به نفسك، أو علّمتَه أحداً من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك))**[4]، فجعل أسماءه ثلاثة أقسام:

---

(1) بدائع الفوائد، 1/167-168 بتصرف يسير جداً.

(2) سورة الأعراف، آية: 180 .

(3) بدائع الفوائد للإمام ابن القيم رحمه الله تعالى، 1/164 .

(4) أخرجه أحمد، 1/391، وأبو يعلى، 9/198-199، برقم 5297، والحاكم، 1/509-510، وابن السني في عمل اليوم والليلة، برقم 339-340، وصححه الشيخ ناصر الدين الألباني. انظر: تخريج الكلم الطيب، ص73 .

قسم سمَّى به نفسه فأظهره لمن شاء من ملائكته أو غيرهم، ولم ينزل به كتابه، وقسم أنزل به كتابه فتعرّف به إلى عباده، وقسم استأثر به في علم غيبه فلم يطّلع عليه أحد من خلقه، ولهذا قال: ((**استأثرتَ به**)) أي انفردت بعلمه، وليس المراد انفراده بالتسمِّي به؛ لأن هذا الانفراد ثابت في الأسماء التي أنزل بها كتابه. ومن هذا قول النبي ﷺ في حديث الشفاعة: ((**فيفتح عليّ من محامده بما لا أحسنه الآن**))[1]، وتلك المحامد هي تفي بأسمائه وصفاته.

ومنه قوله ﷺ: ((**لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك**))[2]، وأما قوله ﷺ: ((**إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة**))[3]، فالكلام جملة واحدة. وقوله: ((**من أحصاها دخل الجنة**)) صفة لا خبر مستقبل. والمعنى له أسماء متعددة من شأنها أن من أحصاها دخل الجنة. وهذا لا ينفي أن يكون له أسماء غيرها. وهذا كما تقول: لفلان مائة مملوك قد أعدهم للجهاد، فلا ينفي هذا أن يكون له مماليك سواهم معدون لغير الجهاد، وهذا لا خلاف بين العلماء فيه[4].

۞ ۞ ۞

المبحث الخامس عشر: شرح أسماء الله الحُسنى[5]

---

(1) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، برقم 193، 194.

(2) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، برقم 486.

(3) أخرجه البخاري في كتاب الشروط، باب ما يجوز من الاشتراط والثنيا في الإقرار، برقم 2736، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باقي أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، برقم 2677، وقد شرحه ابن حجر في الفتح، 11/214-228، والحديث في آخره: ((وهو وتر يحب الوتر)).

(4) بدائع الفوائد للإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله، 1/166-167، وانظر أيضاً: فتاوى ابن تيمية، 6/379-382.

(5) جمعت ما يسر الله لي من الأسماء الحسنى، وذكرت لكل اسم دليلاً من الكتاب، أو السنة، ثم عرضت هذه الأسماء كلها على شيخنا عبد العزيز بن عبد الله ابن باز رحمه الله، فما أقرّه أثبتّه، وما توقف عنه أو نفاه أسقطته، حتى اجتمع لي أكثر من مائة اسم بالأدلة الصحيحة، ثم اخترت من هذه الأسماء الحسنى تسعة وتسعين اسماً، وشرحتها شرحاً مختصراً، وقد نقلت الشرح من مصادر أهل التحقيق، والعلماء الراسخين في علم العقيدة: كشيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، والعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، وغيرهم.

ومن الأسماء التي عرضتها على شيخنا ابن باز رحمه الله فأقرها، ولم أدخلها في هذا الشرح:

=

1- الأوَّلُ، 2- الآخِرُ، 3- الظاهِرُ، 4- الباطِنُ

قال الله تعالى: ﴿**هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ** ﴾[1]، هذه الأسماء الأربعة المباركة قد فسرها النبي ﷺ تفسيراً جامعاً واضحاً فقال يخاطب ربه: ((**اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخرُ فليس بعدك شيء، وأنت الظاهرُ فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء**))[2] إلى آخر الحديث،ففسّر كل اسم بمعناه العظيم،ونفى عنه ما يُضاده ويُنافيه.فتدبّر هذه المعاني الجليلة الدّالة على تفرّد الرب العظيم بالكمال المطلق والإحاطة الزمانية في قوله:((**الأوّلُ والآخرُ**))،والمكانية في ((**الظاهر والباطن**)).

((**فالأول**)) يدلّ على أنّ كل ما سواه حادث كائن بعد أنْ لم يكن،ويوجب للعبد أن يلحظ فضل ربه في كل نعمة دينية أو دنيوية، إذ السبب والمسبب منه تعالى.

((**والآخر**)) يدل على أنه هو الغاية،والصمد الذي تصمد إليه المخلوقات بتألّـهها، ورغبتها، ورهبتها، وجميع مطالبها.

((والظاهر)) يدل على عظمة صفاته،واضمحلال كل شيء عند عظمته من ذوات وصفات على علوّه.

=

المستعان، والمسعِّر، والطيب، والوتر.

وقد جاء في بعض الأحاديث أسماء لم أعرضها على شيخنا، ولم يتيسر إدخالها في هذا الشرح، ومنها ما يأتي:

1 - الجواد؛ لحديث: ((إن الله جواد يحب الجود)) [أخرجه أبو نعيم في الحلية، 3/ 263،
و5/ 29، وصححه الألباني في صحيح الجامع، 1/ 395، وسلسلة الأحاديث الصحيحة،
4/ 17، برقم 1627، وحجاب المرأة المسلمة، ص 11].

2 - الديَّان؛ لحديث: ((يحشر الناس يوم القيامة حفاةً، عراةً، غرلاً... ثم يناديهم بصوت يسمعه من بَعُد، كما يسمعه من قَرُب: أنا الملك، أنا الديَّان...)). [أحمد، 3/ 495، والحاكم،
4/ 574، وصححه، ووافقه الذهبي، وابن أبي عاصم في السنة، 1/ 225، برقم 514، والبيهقي في الأسماء والصفات، 1/ 139- 140، وقال الألباني في تخريجه لكتاب السنة لابن أبي عاصم: ((صحيح))، وانظر: فتح الباري لابن حجر، 1/ 209، و13/ 465].

* ومعنى الديّان: القهّار. [النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، 2/ 149].

3 - المحسن؛ لحديث: ((إن الله تعالى محسن يحب المحسنين))، وفي لفظ: ((إن الله محسن يحب الإحسان)). [أخرجه الطبراني في الكبير، 7/ 332، وعبد الرزاق في المصنف، برقم 8603، وذكره الألباني في صحيح الجامع، 1/ 374، برقم 1819، ورقم 1820، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة، 1/ 761، برقم 470.

(1) سورة الحديد، الآية: 3 .

(2) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، برقم 2713.

((والباطن)) يدلّ على اطّلاعه على السرائر، والضمائر، والخبايا، والخفايا، ودقائق الأشياء،كما يدلّ على كمال قربه ودنوّه. ولا يتنافى الظاهر والباطن؛لأن الله ليس كمثله شيء في كل النعوت[1].

5 – العَليُّ، 6- الأعلى، 7- المتعال

قال الله تعالى: ﴿**وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**﴾[2]، وقال تعالى: ﴿**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى**﴾[3]،وقال تعالى:﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ**﴾[4]،وذلك دالّ على أن جميع معاني العلوّ ثابتة لله من كل وجه.

فله **علوّ الذات**؛فإنه فوق المخلوقات،وعلى العرش استوى:أي علا، وارتفع.

وله **علوّ القدر:** وهو علوّ صفاته وعظمتها،فلا يماثله صفة مخلوق،بل لا يقدر الخلائق كلهم أن يحيطوا ببعض معاني صفة واحدة من صفاته،قال تعالى:﴿**وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا**﴾[5].وبذلك يُعلم أنه ليس كمثله شيء في كل نعوته.

وله **علوّ القهر**؛فإنه الواحد القهّار الذي قهر بعزّته وعلوه الخلق كلهم،فنواصيهم بيده،وما شاء كان لا يمانعه فيه ممانع،وما لم يشأ لم يكنْ،فلو اجتمع الخلق على إيجاد ما لم يشأهُ الله لم يقدروا،ولو اجتمعوا على منع ما حكمت به مشيئته لم يمنعوه،وذلك لكمال اقتداره،ونفوذ مشيئته،وشدة افتقار المخلوقات كلها إليه من كل وجه[6].

8- العظيمُ

قال الله تعالى: ﴿**وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**﴾[7].

الله تعالى عظيم له كل وصف ومعنى يوجب التعظيم، فلا يقدر

(1) الحق الواضح المبين، ص25، وشرح النونية للهراس، 67/2 .
(2) سورة البقرة، الآية: 255 .
(3) سورة الأعلى، الآية: 1 .
(4) سورة الرعد، الآية: 13 .
(5) سورة طه، الآية: 110 .
(6) الحق الواضح المبين، ص26، وشرح النونية للهراس، 68/2 .
(7) سورة البقرة، الآية: 255 .

مخلوق أن يثني عليه كما ينبغي له، ولا يحصي ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، وفوق ما يُثني عليه عباده.

واعلم أن معاني التعظيم الثابتة لله وحده نوعان:

النوع الأول: أنه موصوفٌ بكل صفة كمال، وله من ذلك الكمال أكمله، وأعظمه، وأوسعه، فله العلم المحيط، والقدرة النافذة، والكبرياء والعظمة، ومن عظمته أن السموات والأرض في كفِّ الرحمن أصغر من الخردلة كما قال ذلك ابن عباس وغيره، وقال تعالى: **﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّموَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾**[1]، وقال تعالى: **﴿إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ﴾**[2]. وقال تعالى: **﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾**[3]، **﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ﴾**[4] الآية. وفي الصحيح عنه ﷺ: ((**إنَّ الله يقول: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما عذبته**))[5] فلله تعالى الكبرياء والعظمة، الوصفان اللذان لا يُقدَّر قدرهما، ولا يُبلغ كنههما.

النوع الثاني من معاني عظمته تعالى أنه لا يستحق أحد من الخلق أن يُعظّم كما يُعظّم الله، فيستحق جلّ جلاله من عباده أن يعظّموه بقلوبهم، وألسنتهم، وجوارحهم، وذلك ببذل الجهد في معرفته، ومحبته، والذُّلِّ له، والانكسار له، والخضوع لكبريائه، والخوف منه، وإعمال اللسان بالثناء عليه، وقيام الجوارح بشكره وعبوديته.

ومن تعظيمه أن يُتقى حقَّ تقاته، فيُطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشكَر فلا يُكفَر.

ومن تعظيمه تعظيم ما حرّمه وشرعه من زمان ومكان وأعمال **﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾**[6]، وقال

---

(1) سورة الزمر، الآية: 67 .
(2) سورة فاطر، الآية: 41 .
(3) سورة البقرة، الآية: 255
(4) سورة الشورى، الآية: 5 .
(5) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الكبر، برقم 2620.
(6) سورة الحج الآية 32.

تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ﴾[1].

ومن تعظيمه أن لا يُعترض على شيء مما خلقه أو شرعه[2].

9- المجيدُ

((المجيد)) الذي له المجد العظيم، والمجد هو عظمة الصفات وسعتها، فكل وصف من أوصافه عظيم شأنه: فهو العليم الكامل في علمه، الرّحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، القدير الذي لا يعجزه شيء، الحليم الكامل في حلمه، الحكيم الكامل في حكمته، إلى بقية أسمائه وصفاته[3] التي بلغت غاية المجد، فليس في شيء منها قصور أو نقصان[4]، قال الله تعالى: ﴿رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾[5].

10- الكبيرُ

وهو ﷻ الموصوف بصفات المجد،والكبرياء،والعظمة، والجلال، الذي هو أكبر من كل شيء، وأعظم من كل شيء، وأجل وأعلى.

وله التعظيم والإجلال، في قلوب أوليائه وأصفيائه.

قد ملئت قلوبهم من تعظيمه، وإجلاله، والخضوع له، والتذلل لكبريائه[6]، قال الله تعالى: ﴿ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ للهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴾[7].

11- السَّميعُ

قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ اللهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾[8]، وكثيراً ما يقرن الله

(1) سورة الحج الآية 30.
(2) الحق الواضح المبين، ص27-28، وشرح القصيدة النونية للهراس، 68/2، وتوضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، لأحمد بن إبراهيم بن عيسى، 214/2.
(3) الحق الواضح المبين، ص33، وشرح النونية للهراس، 71/2 .
(4) شرح النونية للهراس، 71/2 .
(5) سورة هود، الآية: 73.
(6) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي، 622/5.
(7) سورة غافر، الآية: 12 .
(8) سورة النساء، الآية: 134 .

بين صفة السمع والبصر، فكل من السمع والبصر محيط بجميع متعلقاته الظاهرة،والباطنة، فالسميع الذي أحاط سمعه بجميع المسموعات،فكل ما في العالم العلوي والسفلي من الأصوات يسمعها سرَّها وعلنها وكأنها لديه صوت واحد،لا تختلط عليه الأصوات،ولا تخفى عليه جميع اللغات،والقريب منها والبعيد، والسرّ والعلانية عنده سواء **﴿سَوَاءٌ مِّنْكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴾**[1]، **﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾**[2]، قالت عائشة رضي الله عنها: تبارك الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة تشتكي إلى رسول الله ﷺ وأنا في جانب الحجرة، وإنه ليخفى عليَّ بعض كلامها، فأنزل الله: **﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾**[3] الآية.

وسَمْعُه تعالى نوعان:

النوع الأول: سَمْعُه لجميع الأصوات الظاهرة والباطنة، الخفيّة والجلية، وإحاطته التامة بها.

النوع الثاني: سَمْعُ الإجابة منه للسائلين والداعين والعابدين فيجيبهم ويثيبهم، ومنه قوله تعالى: **﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾**[4]، وقول المصلي ((سمع الله لمن حمده)) أي استجاب.

12- البصيرُ

الذي أحاط بصره بجميع المُبصِرات في أقطار الأرض والسموات، حتى أخفى ما يكون فيها، فيرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصّماء في الليلة الظلماء، وجميع أعضائها الباطنة والظاهرة، وسريان القوت في أعضائها الدقيقة، ويرى سريان المياه في أغصان الأشجار وعروقها، وجميع النباتات على اختلاف أنواعها وصغرها ودقّتها، ويرى نياط عروق النملة والنحلة والبعوضة وأصغر من ذلك. فسبحان من تحيّرت العقول في عظمته، وسعة متعلقات صفاته، وكمال عظمته، ولطفه، وخبرته

(1) سورة الرعد، الآية: 10 .
(2) سورة المجادلة، الآية: 1 .
(3) سورة المجادلة، الآية: 1 .
(4) سورة إبراهيم، الآية: 39 .

بالغيب، والشهادة، والحاضر والغائب، ويرى خيانات الأعين، وتقلبات الأجفان، وحركات الجنان، قال تعالى: **﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ * إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾**[1]، **﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾**[2]، **﴿وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾**[3]،أي مطّلع ومحيط علمه وبصره وسمعه بجميع الكائنات[4].

13- العَليمُ، 14- الخبيرُ

قال الله تعالى: **﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾**[5].

﴿إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[6].

فهو العليم المحيط علمه بكل شيء:بالواجبات،والممتنعات، والممكنات،فيعلم تعالى نفسه الكريمة،ونعوته المقدسة، وأوصافه العظيمة، وهي الواجبات التي لا يمكن إلا وجودها، ويعلم الممتنعات حال امتناعها، ويعلم ما يترتب على وجودها لو وُجدت. كما قال تعالى: **﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا ﴾**[7]. وقال تعالى: **﴿مَا اتَّخَذَ اللهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾**[8].

فهذا وشبهه من ذكر علمه بالممتنعات التي يعلمها، وإخباره بما ينشأ عنها لو وُجدت على وجه الفرض والتقدير، ويعلم تعالى الممكنات، وهي التي يجوز وجودها وعدمها ما وجد منها وما لم يوجد مما لم تقتض الحكمة إيجاده، فهو العليم الذي أحاط علمه بالعالم العلوي والسفلي، لا يخلو عن علمه مكان ولا زمان، ويعلم الغيب والشهادة، والظواهر والبواطن، والجليّ والخفيّ. قال الله تعالى: **﴿إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾**[9]، والنصوص في ذكر إحاطة علم الله وتفصيل دقائق معلوماته كثيرة جداً لا يمكن حصرها ولا

---

(1) سورة الشعراء، الآيات: 218-220 .
(2) سورة غافر، الآية: 19 .
(3) سورة البروج، الآية: 9 .
(4) الحق الواضح المبين، ص34-36، وشرح النونية للهراس، 72/2 .
(5) سورة الأنعام، الآية: 18 .
(6) سورة الأنفال، الآية: 75 .
(7) سورة الأنبياء، الآية: 22 .
(8) سورة المؤمنون، الآية: 91 .
(9) سورة الأنفال، الآية: 75 .

إحصاؤها، وأنّه لا يعزب عنه مثقال ذرّة في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، وأنه لا يغفل ولا ينسى، وأنّ علوم الخلائق على سعتها وتنوعها إذا نسبت إلى علم الله اضمحلت وتلاشت، كما أن قُدرَهم إذا نسبت إلى قدرة الله لم يكن لها نسبة إليها بوجهٍ من الوجوه، فهو الذي علّمهم ما لم يكونوا يعلمون، وأقدرهم على ما لم يكونوا عليه قادرين.

وكما أن علمه محيط بجميع العالم العلوي والسفلي، وما فيه من المخلوقات: ذواتها، وأوصافها، وأفعالها، وجميع أمورها، فهو يعلم ما كان وما يكون في المستقبلات التي لا نهاية لها، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون، ويعلم أحوال المكلفين منذ أنشأهم وبعد ما يُميتهم وبعد ما يُحييهم، قد أحاط علمه بأعمالهم كلها: خيرها وشرها، وجزاء تلك الأعمال وتفاصيل ذلك في دار القرار(1).

والخلاصة أن لله تعالى هو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، وبالواجبات، والمستحيلات، والممكنات، وبالعالم العلوي، والسفلي، وبالماضي، والحاضر، والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء(2).

15- الحميدُ

قال الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾**(3).

وذكر ابن القيم رحمه الله تعالى أن الله تعالى حميد من وجهين:

أحدهما: أنّ جميع المخلوقات ناطقة بحمده، فكل حمد وقع من أهل السموات والأرض الأوّلين منهم والآخرين، وكل حمد يقع منهم في الدنيا والآخرة، وكل حمد لم يقع منهم بل كان مفروضاً ومقدّراً حيثما تسلسلت الأزمان واتصلت الأوقات، حمداً يملأ الوجود كله العالم العلوي والسفلي، ويملأ نظير الوجود من غير عدٍّ ولا إحصاءٍ، فإنّ الله تعالى مستحقة من وجوه كثيرة: منها أن الله هو الذي خلقهم، ورزقهم، وأسدى عليهم النعم الظاهرة والباطنة،

(1) الحق الواضح المبين، ص37-38، وشرح القصيدة النونية للهراس، 73/2، وتفسير السعدي، 621/5 .
(2) تفسير العلامة الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله، 621/5 .
(3) سورة فاطر، الآية: 15 .

الدينية والدنيويّة، وصرف عنهم النقم والمكاره، فما بالعباد من نعمة فمن الله، ولا يدفع الشرور إلاّ هو، فيستحق منهم أن يحمدوه في جميع الأوقات، وأن يثنوا عليه ويشكروه بعدد اللحظات.

الوجه الثاني: أنه يحمد على ما له من الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العليا، والمدائح والمحامد والنعوت الجليلة الجميلة، فله كلّ صفة كمال وله من تلك الصفة أكملها وأعظمها، فكلّ صفة من صفاته يستحق عليها أكمل الحمد والثناء،فكيف بجميع الأوصاف المقدسة، فله الحمد لذاته،وله الحمد لصفاته،وله الحمد لأفعاله؛لأنها دائرة بين أفعال الفضل والإحسان،وبين أفعال العدل والحكمة التي يستحق عليها كمال الحمد،وله الحمد على خلقه، وعلى شرعه، وعلى أحكامه القدريّة، وأحكامه الشرعيّة، وأحكام الجزاء في الأولى والآخرة، وتفاصيل حمده وما يُحمد عليه لا تُحيط بها الأفكارُ، ولا تُحصيها الأقلام[1].

16-العزيزُ، 17-القديرُ، 18-القادرُ، 19-المقتدرُ، 20-القويُّ، 21-المتينُ

هذه الأسماء العظيمة معانيها متقاربة، فهو تعالى كامل القوة، عظيم القدرة، شامل العزّة **﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾**[2]، وقال تعالى: **﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾**[3]، فمعاني العزة الثلاثة كلها كاملة لله العظيم:

1 - عزّة القوة الدالّ عليها من أسمائه القوي المتين، وهي وصفه العظيم الذي لا تُنسب إليه قوة المخلوقات وإنْ عَظُمَتْ. قال الله تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾**[4]، وقال: **﴿وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾**[5]، وقال ﷻ: **﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾**[6]. وقال تعالى: **﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾**[1].

---

(1) الحق الواضح المبين، ص39-40، وشرح القصيدة النونية للهراس، 75/2، وتوضيح المقاصد وتصحيح القواعد، 215/2.
(2) سورة يونس، الآية: 65 .
(3) سورة هود، الآية: 66 .
(4) سورة الذاريات، الآية: 58 .
(5) سورة الممتحنة، الآية: 7 .
(6) سورة الأنعام، الآية: 65 .

وقال ﷻ: ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ**﴾(2).

2 - **وعزة الامتناع** فإنه هو الغنيّ بذاته،فلا يحتاج إلى أحد،ولا يبلغ العبادُ ضرّه فيضرونه،ولا نفعه فينفعونه،بل هو الضار النافع المعطي المانع.

3 - **وعزة القهر** والغلبة لكل الكائنات، فهي كلها مقهورة لله خاضعة لعظمته منقادة لإرادته، فجميع نواصي المخلوقات بيده، لا يتحرك منها متحرّك ولا يتصرّف متصرّف إلاّ بحوله وقوته وإذنه، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا به.

فمن قوته واقتداره أنّه خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، وأنّه خلق الخلق ثم يميتهم ثم يُحييهم ثم إليه يُرجعون ﴿**مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ**﴾(3)، ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ**﴾(4)، ومن آثار قدرته أنك ترى الأرض هامدة، فإذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، ومن آثار قدرته ما أوقعه بالأمم المكذّبين والكُفّار الظالمين من أنواع العقوبات وحلول المثلات، وأنه لم يغنِ عنهم كيدهم ومكرهم ولا أموالهم ولا جنودهم ولا حصونهم من عذاب الله من شيء لمّا جاء أمر ربك، وما زادوهم غير تتبيب، وخصوصاً في هذه الأوقات، فإنّ هذه القوة الهائلة، والمخترعات الباهرة التي وصلت إليها مقدرة هذه الأمم هي من إقدار الله لهم وتعليمه لهم ما لم يكونوا يعلمونه، فمن آيات الله أنّ قواهم وقُدرهم ومخترعاتهم لم تغنِ عنهم شيئاً في صدّ ما أصابهم من النكبات والعقوبات المهلكة، مع بذل جدِّهم واجتهادهم في توقي ذلك، ولكنَّ أمر الله غالب، وقدرته تنقاد لها عناصر العالم العلوي والسفلي.

ومن تمام عزته وقدرته وشمولهما أنه كما أنه هو الخالق للعباد فهو خالق أعمالهم وطاعتهم ومعاصيهم، وهي أيضاً أفعالهم، فهي تضاف إلى الله خلقاً وتقديراً، وتضاف إليهم فعلاً ومباشرة على الحقيقة، ولا منافاة بين الأمرين، فإنّ الله خالق قدرتهم وإرادتهم،

(1) سورة الكهف، الآية: 45 .
(2) سورة القمر، الآيتان: 54- 55 .
(3) سورة لقمان، الآية: 28 .
(4) سورة الروم، الآية: 27 .

وخالق السبب التام خالق للمسبب، قال تعالى: ﴿**وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾[1].

ومن آثار قدرته ما ذكره في كتابه من نصره أولياءه، على قلّة عددهم وعُددهم على أعدائهم الذين فاقوهم بكثرة العَدد والعُدّة، قال تعالى:
﴿**كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ**﴾[2].

ومن آثار قدرته ورحمته ما يحدثه لأهل النار وأهل الجنة من أنواع العقاب وأصناف النعيم المستمر الكثير المتتابع الذي لا ينقطع ولا يتناهى[3]. فبقدرته أوجد الموجودات، وبقدرته دبّرها، وبقدرته سوّاها وأحكمها، وبقدرته يحيي ويميت، ويبعث العباد للجزاء، ويجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، وبقدرته يقلّب القلوب ويصرفها على ما يشاء الذي إذا أراد شيئاً قال له: ﴿**كُن فَيَكُونُ**﴾[4]. قال الله تعالى: ﴿**أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعًا إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[5].

22- الغَنِيُّ

قال الله تعالى: ﴿**وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى**﴾[6]. وقال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**﴾[7]. فهو تعالى (الغني) الذي له الغنى التام المطلق من كل الوجوه لكماله وكمال صفاته التي لا يتطرق إليها نقص بوجه من الوجوه، ولا يمكن أن يكون إلا غنياً، فإنّ غناه من لوازم ذاته، كما لا يكون إلا محسناً، جواداً، براً، رحيماً كريماً، والمخلوقات بأسرها لا تستغني عنه في حال من أحوالها، فهي مفتقرة إليه في إيجادها، وفي بقائها، وفي كل ما تحتاجه أو تضطر إليه، ومن سعة غناه أن خزائن السموات والأرض والرحمة بيده، وأن جوده على خلقه متواصل في جميع اللحظات والأوقات، وأن يده سحاء الليل والنهار، وخيره

(1) سورة الصافات، الآية: 96 .
(2) سورة البقرة، الآية: 249 .
(3) الحق الواضح المبين،ص45-46،وانظر شرح النونية للهراس،78/2،وتفسير السعدي،624/5.
(4) تفسير العلامة السعدي، 624/5، والآية من سورة يس: 82 .
(5) سورة البقرة، الآية: 148 .
(6) سورة النجم، الآية: 48 .
(7) سورة فاطر، الآية: 15 .

على الخلق مدرار.

ومن كمال غناه وكرمه أنّه يأمر عباده بدعائه، ويعدهم بإجابة دعواتهم وإسعافهم بجميع مراداتهم، ويؤتيهم من فضله ما سألوه وما لم يسألوه، ومن كمال غناه أنه لو اجتمع أول الخلق وآخرهم في صعيد واحد فسألوه، فأعطى كلاً منهم ما سأله وما بلغت أمانيه ما نقص من ملكه مثقال ذرّة.

ومن كمال غناه وسعة عطاياه ما يبسطه على أهل دار كرامته من النعيم واللذات المتتابعات، والخيرات المتواصلات، مما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

ومن كمال غناه أنه لم يتخذ صاحبةً، ولا ولداً، ولا شريكاً في الملك، ولا ولياً من الذل، فهو الغني الذي كمل بنعوته وأوصافه، المغني لجميع مخلوقاته[1].

والخلاصة أن الله الغني الذي له الغنى التام المطلق من كل الوجوه، وهو المغني جميع خلقه، غنىً عاماً، والمغني لخواص خلقه، بما أفاض على قلوبهم، من المعارف الربانية، والحقائق الإيمانية[2].

23- الحكيمُ

قال الله تعالى: ﴿**وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ**﴾[3].

وهو تعالى ((الحكيم)) الموصوف بكمال الحكمة وبكمال الحكم بين المخلوقات، فالحكيم هو واسع العلم والاطّلاع على مبادئ الأمور وعواقبها، واسع الحمد، تام القدرة، غزير الرحمة، فهو الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بها في خلقه وأمره، فلا يتوجه إليه سؤال، ولا يقدح في حكمته مقال.

وحكمته نوعان:

النوع الأول: الحكمة في خلقه؛ فإنه خلق الخلق بالحق ومشتملاً على الحق، وكان غايته والمقصود به الحق، خلق المخلوقات كلها

(1) الحق الواضح المبين، ص47-48، وشرح النونية للهراس، 78/2.
(2) تفسير الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، 629/5.
(3) سورة الأنعام، الآية: 18 .

بأحسن نظام، ورتبها أكمل ترتيب، وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به، بل أعطى كل جزء من أجزاء المخلوقات وكل عضو من أعضاء الحيوانات خلقته وهيئته، فلا يرى أحد في خلقه خللاً، ولا نقصاً، ولا فطوراً، فلو اجتمعت عقول الخلق من أولهم إلى آخرهم ليقترحوا مثل خلق الرحمن أو ما يقارب ما أودعه في الكائنات من الحسن والانتظام والإتقان لم يقدروا، وأنّى لهم القدرة على شيء من ذلك، وحسب العقلاء الحكماء منهم أن يعرفوا كثيراً من حكمه، ويطَّلعوا على بعض ما فيها من الحسن والإتقان. وهذا أمر معلوم قطعاً بما يُعلم من عظمته وكمال صفاته، وتَتَبُّع حكمه في الخلق والأمر، وقد تحدَّى عباده وأمرهم أن ينظروا ويكرّروا النظر والتأمل هل يجدون في خلقه خللاً أو نقصاً، وأنه لابد أن ترجع الأبصار كليلة عاجزة عن الانتقاد على شيء من مخلوقاته.

النوع الثاني: الحكمة في شرعه وأمره، فإنه تعالى شرع الشرائع، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل ليعرفه العباد ويعبدوه، فأي حكمة أجلّ من هذا، وأيّ فضل وكرم أعظم من هذا، فإنّ معرفته تعالى وعبادته وحده لا شريك له، وإخلاص العمل له وحمده، وشكره والثناء عليه أفضل العطايا منه لعباده على الإطلاق، وأجلّ الفضائل لمن يمنّ الله عليه بها. وأكمل سعادة وسرور للقلوب والأرواح، كما أنها هي السبب الوحيد للوصول إلى السعادة الأبدية والنعيم الدائم، فلو لم يكن في أمره وشرعه إلا هذه الحكمة العظيمة التي هي أصل الخيرات، وأكمل اللذات، ولأجلها خلقت الخليقة وحق الجزاء، وخلقت الجنة والنار، لكانت كافية شافية.

هذا وقد اشتمل شرعه ودينه على كل خير، فأخباره تملأ القلوب علماً، ويقيناً، وإيماناً، وعقائد صحيحة، وتستقيم بها القلوب ويزول انحرافها، وتثمر كل خلق جميل وعمل صالح وهدى ورشد.

وأوامره ونواهيه محتوية على غاية الحكمة والصلاح والإصلاح للدِّين والدنيا، فإنه لا يأمر إلا بما مصلحته خالصة أو راجحة، ولا ينهى إلا عما مضرّته خالصة أو راجحة.

ومن حكمة الشرع الإسلامي أنه كما أنه هو الغاية لصلاح القلوب، والأخلاق، والأعمال، والاستقامة على الصراط المستقيم، فهو الغاية لصلاح الدنيا، فلا تصلح أمور الدنيا صلاحاً حقيقياً إلا بالدين الحق الذي جاء به محمد ﷺ، وهذا مشاهد محسوس لكل عاقل، فإنّ أمّة محمد لما كانوا قائمين بهذا الدين أصوله وفروعه

وجميع ما يهدي ويرشد إليه، كانت أحوالهم في غاية الاستقامة والصلاح، ولمّا انحرفوا عنه وتركوا كثيراً من هداه، ولم يسترشدوا بتعاليمه العالية، انحرفت دنياهم كما انحرف دينهم.

وكذلك انظر إلى الأمم الأخرى التي بلغت في القوة، والحضارة، والمدنية مبلغاً هائلاً، ولكن لمّا كانت خالية من روح الدين ورحمته وعدله، كان ضررها أعظم من نفعها، وشرها أكبر من خيرها، وعجز علماؤها وحكماؤها وساستها عن تلافي الشرور الناشئة عنها، ولن يقدروا على ذلك ما داموا على حالهم؛ ولهذا كان من حكمته تعالى أنّ ما جاء به محمد ﷺ من الدين والقرآن أكبر البراهين على صدقه وصدق ما جاء به؛ لكونه محكماً كاملاً لا يحصل إلا به.

وبالجملة فالحكيم متعلقاته المخلوقات والشرائع، وكلها في غاية الإحكام، فهو الحكيم في أحكامه القدرية، وأحكامه الشرعية، وأحكامه الجزائية، والفرق بين أحكام القدر وأحكام الشرع أن القدر متعلّق بما أوجده وكوّنه وقدّره، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يَكُنْ، وأحكام الشرع متعلقة بما شرعه، والعبد المربوب لا يخلو منهما أو من أحدهما، فمن فعل منهم ما يحبّه الله ويرضاه فقد اجتمع فيه الحكمان، ومن فعل ما يضادّ ذلك فقد وجد فيه الحكم القدري؛ فإنّ ما فعله واقع بقضاء الله وقدره ولم يوجد في الحكم الشرعي لكونه ترك ما يحبه الله ويرضاه. فالخير، والشر والطاعات، والمعاصي كلها متعلقة وتابعة للحكم القدري، وما يحبه الله منها هو تابع الحكم الشرعي ومتعلّقه. والله أعلم[1].

24- الحَلِيمُ

قال الله تعالى: **﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾**[2].

الذي يَدِرُّ على خلقه، النعم الظاهرة والباطنة، مع معاصيهم وكثرة زلاّتهم، فيحلم عن مقابلة العاصين بعصيانهم. ويستعتبهم كي

(1) الحق الواضح المبين،ص48-54،وانظر:شرح النونية للهراس،80/2،وتفسير السعدي،621/5، وتوضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، لأحمد بن إبراهيم بن عيسى، 226/2.

(2) سورة البقرة، الآية: 235 .

يتوبوا، ويمهلهم كي ينيبوا[1].

وهو الذي له الحلم الكامل الذي وسع أهل الكفر والفسوق، والعصيان حيث أمهلهم ولم يعاجلهم بالعقوبة ليتوبوا، ولو شاء لأخذهم بذنوبهم فور صدورها منهم؛ فإن الذنوب تقتضي ترتب آثارها عليها من العقوبات العاجلة المتنوعة، ولكن حلمه سبحانه هو الذي اقتضى إمهالهم[2] كما قال تعالى: **﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴾**[3]، وقال تعالى: **﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ ﴾**[4].

25- العفوُّ، 26- الغفورُ، 27- الغفَّارُ

قال الله تعالى: **﴿إِنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾**[5].

الذي لم يزل، ولا يزال بالعفو معروفاً، وبالغفران والصفح عن عباده، موصوفاً.

كل أحد مضطر إلى عفوه ومغفرته كما هو مضطر إلى رحمته وكرمه.

وقد وعد بالمغفرة والعفو، لمن أتى بأسبابها، قال تعالى[6]: **﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾**[7].

والعفوّ هو الذي له العفو الشامل الذي وسع ما يصدر من عباده من الذنوب، ولا سيما إذا أتوا لما يسبب العفو عنهم من الاستغفار، والتوبة، والإيمان، والأعمال الصالحة فهو سبحانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، وهو عفوٌّ يحب العفو ويحب من عباده أن يسعوا في تحصيل الأسباب التي ينالون بها عفوه: من السعي في

(1) تفسير الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، 630/5 .
(2) شرح النونية للهراس، 86/2 .
(3) سورة فاطر، الآية: 45 .
(4) سورة النحل، الآية: 61 .
(5) سورة الحج، الآية: 60 .
(6) تفسير السعدي، 623/5. وانظر أيضاً: الحق الواضح المبين، ص56.
(7) سورة طه، الآية: 82 .

مرضاته، والإحسان إلى خلقه، ومن كمال عفوه أنه مهما أسرف العبد على نفسه ثم تاب إليه ورجع، غفر له جميع جرمه: صغيره، وكبيره، وأنه جعل الإسلام يجُبُّ ما قبله، والتوبة تجبُّ ما قبلها[1]، قال تعالى: **﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ الله إِنَّ الله يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾**[2]، وفي الحديث ((**إن الله يقول: ((يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة**))[3]، وقال تعالى: **﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ﴾**[4]، وقد فتح الله ﷻ الأسباب لنيل مغفرته بالتوبة، والاستغفار، والإيمان، والعمل الصالح، والإحسان إلى عباد الله، والعفو عنهم، وقوة الطمع في فضل الله، وحسن الظن بالله، وغير ذلك مما جعله الله مقرِّباً لمغفرته[5].

28- التَّوَّابُ

قال الله تعالى: **﴿أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ الله هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ الله هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾**[6].

((التَّوَّابُ)) الذي لم يزل يتوب على التائبين، ويغفر ذنوب المنيبين، فكل من تاب إلى الله توبة نصوحاً، تاب الله عليه.

فهو التائب على التائبين: أولاً بتوفيقهم للتوبة والإقبال بقلوبهم إليه. وهو التائب عليهم بعد توبتهم، قبولاً لها، وعفواً عن خطاياهم[7].

وعلى هذا تكون توبته على عبده نوعين:

أحدهما: يُوقع في قلب عبده التوبة إليه والإنابة إليه، فيقوم بالتوبة وشروطها من الإقلاع عن المعاصي، والندم على فعلها، والعزم على أن لا يعود إليها. واستبدالها بعمل صالح.

والثاني: توبته على عبده بقبولها وإجابتها ومحو الذنوب بها؛

---

(1) شرح القصيدة النونية للهراس، 86/2، والحق الواضح المبين، ص56.
(2) سورة الزمر، الآية: 53 .
(3) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات، باب خلق الله مائة رحمة، برقم 3540، وحسنه الألباني في صحيح الجامع 5/ 548..
(4) سورة النجم، الآية: 32 .
(5) الحق الواضح المبين، ص73-74.
(6) سورة التوبة، الآية: 104 .
(7) تفسير الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، 623/5.

فإن التوبة النصوح تجبّ ما قبلها[1].

قال الله تعالى: ﴿**فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً**﴾[2].

29- الرَّقيبُ

الرقيب: المطّلع على ما أكنّته الصدور، القائم على كل نفس بما كسبت. قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾[3].

والرقيب هو سبحانه الذي حفظ المخلوقات وأجراها، على أحسن نظام وأكمل تدبير[4].

30- الشَّهيدُ

الشهيد: أي المطّلع على جميع الأشياء. سمع جميع الأصوات، خفيّها وجليها. وأبصر جميع الموجودات، دقيقها وجليلها، صغيرها وكبيرها، وأحاط علمه بكل شيء، الذي شهد لعباده، وعلى عباده، بما عملوه[5].

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالي: ((الرقيب)) و((الشهيد)) مترادفان،وكلاهما يدلّ على إحاطة سمع الله بالمسموعات، وبصره بالمبصرات،وعلمِه بجميع المعلومات الجليّة والخفية،وهو الرقيب على ما دار في الخواطر،وما تحركت به اللواحظ،ومن باب أولى الأفعال الظاهرة بالأركان، قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾[6]، ﴿**وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾[7]. ولهذا كانت المراقبة التي هي من أعلى أعمال القلوب هي التعبّد لله باسمه الرقيب الشهيد،فمتى علم العبد أن حركاته الظاهرة والباطنة قد أحاط الله بعلمها،واستحضر هذا العلم في كل أحواله،أوجب له ذلك حراسة باطنة عن كل فكر وهاجس يبغضه الله، وحفظ ظاهره عن كل قول أو فعل يسخط الله، وتعبّد بمقام الإحسان فعبد الله كأنه

---

(1) الحق الواضح المبين، ص74.
(2) سورة النصر، الآية: 3.
(3) سورة النساء، الآية: 1 .
(4) تفسير السعدي، 623/5.
(5) المرجع السابق، 628/5،وانظر:شرح اسم (الشهيد) و(المؤمن) في مدارج السالكين، 466/3.
(6) سورة النساء، الآية: 1 .
(7) سورة المجادلة، الآية: 6 .

يراه، فإن لم يكن يراه فإن الله يراه[1].

فإذا كان الله رقيباً على دقائق الخفيات، مطلعاً على السرائر والنيات، كان من باب أولى شهيداً على الظواهر والجليات. وهي الأفعال التي تفعل بالأركان: أي الجوارح[2].

31- الحفيظ

قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ رَبِّي عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ**﴾[3] ((للحفيظ)) معنيان:

المعنى الأول: أنه قد حفظ على عباده ما عملوه من خير وشر وطاعة ومعصية؛ فإن علمه محيط بجميع أعمالهم ظاهرها وباطنها، وقد كتب ذلك في اللوح المحفوظ، ووكّل بالعباد ملائكة كراماً كاتبين ((**يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ**))، فهذا المعنى من حفظه يقتضي إحاطة علم الله بأحوال العباد كلها ظاهرها وباطنها وكتابتها في اللوح المحفوظ وفي الصحف التي في أيدي الملائكة، وعلمه بمقاديرها، وكمالها، ونقصها، ومقادير جزائها في الثواب والعقاب ثم مجازاته عليها بفضله وعدله.

والمعنى الثاني: من معنيي ((الحفيظ)) أنه تعالى الحافظ لعباده من جميع ما يكرهون ،وحفظه لخلقه نوعان: عام، وخاص.

النوع الأول:حفظه العام لجميع المخلوقات بتيسيره لها ما يقيتها ويحفظه بنيتها،وتمشي إلى هدايته وإلى مصالحها بإرشاده وهدايته العامة التي قال عنها: ﴿**أعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى**﴾[4]، أي هدى كل مخلوق إلى ما قدّر له، وقضى له من ضروراته وحاجاته، كالهداية للمأكل والمشرب والمنكح، والسعي في أسباب ذلك، وكدفعه عنهم أصناف المكاره والمضارّ، وهذا يشترك فيه البرّ والفاجر، بل الحيوانات وغيرها، فهو الذي يحفظ السموات والأرض أن تزولا، ويحفظ الخلائق بنعمه، وقد وكّل بالآدمي حفظةً من الملائكة الكرام يحفظونه من أمر الله، أي يدفعون عنه كل ما يضرّه مما هو بصدد

---

(1) الحق الواضح المبين، ص58-59 .
(2) شرح القصيدة النونية للهراس، 88/2 .
(3) سورة هود، الآية: 57 .
(4) سورة طه، الآية: 50 .

أن يضرّه لولا حفظ الله.

والنوع الثاني: حفظه الخاص لأوليائه سوى ما تقدم، يحفظهم عما يضرّ إيمانهم أو يزلزل إيقانهم من الشبه والفتن والشهوات، فيعافيهم منها ويخرجهم منها بسلامة وحفظ وعافية، ويحفظهم من أعدائهم من الجن والإنس، فينصرهم عليهم ويدفع عنهم كيدهم، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾[1]، وهذا عام في دفع جميع ما يضرّهم في دينهم ودنياهم، فعلى حسب ما عند العبد من الإيمان تكون مدافعة الله عنه بلطفه، وفي الحديث: ((**احفظ الله يحفظك**))[2]، أي احفظ أوامره بالامتثال، ونواهيه بالاجتناب، وحدوده بعدم تعدّيها، يحفظك في نفسك، ودينك، ومالك، وولدك، وفي جميع ما آتاك الله من فضله[3].

32- اللَّطيفُ

قال الله تعالى: ﴿**اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ**﴾[4]، وقال تعالى: ﴿**لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾[5].

((اللطيف)) من أسمائه الحسنى، وهو الذي يلطف بعبده في أموره الداخلية المتعلقة بنفسه، ويلطف بعبده في الأمور الخارجية عنه، فيسوقه ويسوق إليه ما به صلاحه من حيث لا يشعر. وهذا من آثار علمه وكرمه ورحمته؛ فلهذا كان معنى اللطيف نوعين:

النوع الأول:أنه الخبير الذي أحاط علمه بالأسرار والبواطن والخبايا والخفايا ومكنونات الصدور ومغيبات الأمور،وما لطف ودقّ من كل شيء.

النوع الثاني: لطفه بعبده ووليّه الذي يريد أن يُتم عليه إحسانه، ويشمله بكرمه ويُرقّيه إلى المنازل العالية فييسّره لليُسرى ويجنبه العُسرى، ويجري عليه من أصناف المحن التي يكرهها وتشق

(1) سورة الحج، الآية: 38 .
(2) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة، باب 59، برقم 2516، والحاكم، 541/3، وقال: ((هذا حديث كبير عال)). وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم 7957.
(3) الحق الواضح المبين، ص60-61 .
(4) سورة الشورى، الآية: 19 .
(5) سورة الأنعام، الآية: 103 .

عليه، وهي عين صلاحه والطريق إلى سعادته، كما امتحن الأنبياء بأذى قومهم وبالجهاد في سبيله، وكما ذكر الله عن يوسف ﷺ وكيف ترقت به الأحوال ولطف الله به وله بما قدّره عليه من تلك الأحوال التي حصل له في عاقبتها حسن العُقبى في الدنيا والآخرة، وكما يمتحن أولياءه بما يكرهونه ليُنيلهم ما يُحبون.

فكم لله من لُطْفٍ وكرمٍ لا تدركه الأفهام، ولا تتصوره الأوهام، وكم استشرف العبد على مطلوب من مطالب الدنيا من ولاية، أو رياسة، أو سبب من الأسباب المحبوبة، فيصرفه الله عنها ويصرفها عنه رحمةً به لئلا تضره في دينه، فيظل العبدُ حزيناً من جهله وعدم معرفته بربِّه، ولو علم ما ذُخر له في الغيب وأريد إصلاحه فيه لحمد الله وشكره على ذلك؛ فإنّ الله بعباده رؤوف رحيم لطيف بأوليائه، وفي الدعاء المأثور[1]: ((**اللهم ما رزقتني مما أحب فاجعله قوة لي فيما تحب، وما زويت عني مما أحبُّ فاجعله فراغاً لي فيما تُحبُّ**))[2].

33- القريبُ

قال الله تعالى: ﴿**هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ**﴾[3].

من أسماء الله تعالى: ((القريب))، وقربه نوعان:

النوع الأول: قرب عام وهو إحاطة علمه بجميع الأشياء، وهو أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد، وهو بمعنى المعية العامة.

النوع الثاني:وقرب خاص بالداعين والعابدين المحبين،وهو قرب يقتضي المحبة، والنصرة، والتأييد في الحركات والسكنات، والإجابة للداعين، والقبول والإثابة للعابدين[4]. قال تعالى: ﴿**وَإِذَا**

---

(1) الحق الواضح المبين، ص61-62، وانظر: شرح النونية للهراس، 91/2، وتوضيح المقاصد، 228/2 .

(2) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات، باب 73، برقم 4391، وحسنه، وقال عبد القادر الأرنؤوط: ((وهو كما قال)). انظر: جامع الأصول، 341/4، بينما ضعّف الحديث الشيخ الألباني في ضعيف الجامع، برقم 1172.

(3) سورة هود، الآية: 61 .

(4) الحق الواضح المبين، ص64، وشرح النونية للهراس، 92/2 .

سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[1].

وإذا فُهِمَ القرب بهذا المعنى في العموم والخصوص لم يكن هناك تعارض أصلاً بينه وبين ما هو معلوم من وجوده تعالى فوق عرشه، فسبحان من هو عليٌّ في دنوّه، قريب في علوّه))[2].

34- المُجيبُ

من أسماء الله تعالى ((المجيب)) لدعوة الداعين وسؤال السائلين وعبادة المستجيبين، وإجابته نوعان:

النوع الأول: إجابة عامة لكل من دعاه: دعاء عبادة، أو دعاء مسألة، قال الله تعالى: **﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾**[3]، فدعاء المسألة أن يقول العبد: اللهم أعطني كذا، أو اللهم ادفع عني كذا، فهذا يقع من البرّ والفاجر، ويستجيب الله فيه لكل من دعاه بحسب الحال المقتضية، وبحسب ما تقتضيه حكمته. وهذا يستدلّ به على كرم المولى وشمول إحسانه للبرّ والفاجر، ولا يدلّ بمجرّده على حسن حال الداعي الذي أجيبت دعوته إنْ لم يقترن بذلك ما يدلّ عليه وعلى صدقه وتعيّن الحق معه، كسؤال الأنبياء ودعائهم لقومهم وعلى قومهم فيُجيبهم الله؛ فإنه يدلّ على صدقهم فيما أخبروا به، وكرامتهم على ربهم؛ ولهذا كان النبي ﷺ كثيراً ما يدعو بدعاء يشاهد المسلمون وغيرهم إجابته، وذلك من دلائل نبوّته وآيات صدقه، وكذلك ما يذكرونه عن كثير من أولياء الله من إجابة الدعوات؛ فإنه من أدلة كراماتهم على الله.

النوع الثاني:أما الإجابة الخاصة فلها أسباب عديدة، منها دعوة المضطر الذي وقع في شدّة وكربة عظيمة، فإن الله يجيب دعوته، قال تعالى: **﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾**[4]، وسبب ذلك شدة الافتقار إلى الله، وقوة الانكسار وانقطاع تعلّقه بالمخلوقين، ولسعة رحمة الله التي يشمل بها الخلق بحس حاجتهم إليها، فكيف بمن اضطر إليها، ومن أسباب الإجابة طول السفر، والتوسل إلى الله بأحب الوسائل إليه من أسمائه وصفاته ونعمه، وكذلك دعوت

(1) سورة البقرة، الآية: 186 .
(2) شرح النونية للهراس، 92/2، وتوضيح المقاصد، 229/2 .
(3) سورة غافر، الآية: 60 .
(4) سورة النمل، الآية: 62 .

المريض، والمظلوم، والصائم، والوالد على ولده أو له، وفي الأوقات والأحوال الشريفة[1] مثل أدبار الصلوات، وأوقات السحر، وبين الأذان والإقامة، وعند النداء، ونزول المطر واشتداد البأس، ونحو ذلك[2]. ﴿ **إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ** ﴾[3].

35- الوَدودُ

قال تعالى: ﴿**وَاسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ**﴾[4]. وقال تعالى: ﴿**وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ** ﴾[5]، والودّ مأخوذ من الوُدّ بضم الواو بمعنى خالص المحبة، فالودود هو المحب المحبوب بمعنى وادّ مودود، فهو الواد لأنبيائه، وملائكته، وعباده المؤمنين، وهو المحبوب لهم، بل لا شيء أحب إليهم منه، ولا تعادل محبة الله من أصفيائه محبة أخرى، لا في أصلها، ولا في كيفيتها، ولا في متعلّقاتها، وهذا هو الفرض والواجب أن تكون محبة الله في قلب العبد سابقة لكل محبة، غالبة لكل محبة، ويتعيّن أن تكون بقية المحابّ تبعاً لها.

ومحبة الله هي روح الأعمال، وجميع العبودية الظاهرة والباطنة ناشئة عن محبة الله.

ومحبة العبد لربه فضلٌ من الله وإحسان، ليست بحول العبد ولا قوته، فهو تعالى الذي أحب عبده فجعل المحبة في قلبه، ثم لمّا أحبه العبد بتوفيقه جازاه الله بحبٍّ آخر، فهذا هو الإحسان المحض على الحقيقة، إذ منه السبب ومنه المسبّب، ليس المقصود منها المعاوضة، وإنما ذلك محبة منه تعالى للشاكرين من عباده ولشكرهم، فالمصلحة كلها عائدة إلى العبد، فتبارك الذي جعل وأودع المحبة في قلوب المؤمنين، ثم لم يزل يُنميها ويُقويها حتى وصلت في قلوب الأصفياء إلى حالة تتضاءل عندها جميع المحابّ، وتُسلّيهم عن الأحباب، وتُهوِّن عليهم المصائب، وتلذّذ لهم مشقّة الطاعات، وتثمر لهم ما يشاءون من أصناف الكرامات التي

---

(1) الحق الواضح المبين، ص65-66، وشرح النونية للهراس، 93/2 .
(2) شرح النونية للهراس، 93/2-49، وتوضيح المقاصد وتصحيح القواعد، 229/2 .
(3) سورة هود، الآية: 61 .
(4) سورة هود، الآية: 90 .
(5) سورة البروج، الآية: 14 .

أعلاها محبة الله والفوز برضاه والأنس بقربه.

فمحبة العبد لربه محفوفة بمحبتين من ربه: فمحبة قبلها صار بها محباً لربه، ومحبة بعدها شكراً من الله على محبة صار بها من أصفيائه المخلصين.

وأعظم سبب يكتسب به العبد محبّة ربه التي هي أعظم المطالب، الإكثار من ذكره والثناء عليه، وكثرة الإنابة إليه، وقوة التوكّل عليه، والتقرب إليه بالفرائض والنوافل، وتحقيق الإخلاص له في الأقوال والأفعال، ومتابعة النبي ﷺ ظاهراً وباطناً[1] كما قال تعالى: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ الله فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ الله** ﴾[2].

36- الشَّاكرُ، 37- الشَّكورُ

قال الله تعالى: ﴿**وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ الله شَاكِرٌ عَلِيمٌ** ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿**إِن تُقْرِضُوا الله قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَالله شَكُورٌ حَلِيمٌ** ﴾[4] ، ﴿**وَكَانَ الله شَاكِرًا عَلِيمًا** ﴾[5].

من أسمائه تعالى: ((الشاكرُ الشَّكور)) الذي لا يضيع سعي العاملين لوجهه بل يضاعفه أضعافاً مضاعفة؛ فإن الله لا يُضيع أجر من أحسن عملاً، وقد أخبر في كتابه وسنّة نبيِّه بمضاعفة الحسنات الواحدة بعشر إلى سبعمائة إلى أضعاف كثيرة، وذلك من شكره لعباده، فبعينه ما يحتمل المتحمّلون لأجله ومن فعل لأجله أعطاه فوق المزيد، ومن ترك شيئاً لأجله عوّضه خيراً منه، وهو الذي وفّق المؤمنين لمرضاته ثم شكرهم على ذلك وأعطاهم من كراماته، ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وكل هذا ليس حقاً واجباً عليه، وإنّما هو الذي أوجبه على نفسه جوداً منه وكرماً[6].

وليس فوقه سبحانه من يوجب عليه شيئاً،قال تعالى:﴿**لا يُسْأَلُ عَمَّا**

(1) الحق الواضح المبين، ص69-70، وشرح النونية للهراس، 96/2، وتوضيح المقاصد، 230/2 .
(2) سورة آل عمران، الآية: 31 .
(3) سورة البقرة، الآية: 158 .
(4) سورة التغابن، الآية: 17 .
(5) سورة النساء، الآية: 147 .
(6) الحق الواضح المبين، ص70 .

يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾[1]،فلا يجب عليه سبحانه إثابة المطيع،ولا عقاب العاصي،بل الثواب محض فضله وإحسانه،والعقاب محض عدله وحكمته؛ ولكنه سبحانه الذي أوجب على نفسه ما يشاء فيصير واجباً عليه بمقتضى وعده الذي لا يخلف كما قال تعالى: **﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾**[2]، وكما قال سبحانه: **﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾**[3]، ومذهب أهل السنة أنه ليس للعباد حق واجب على الله، وأنه مهما يكن من حق فهو الذي أحقه، وأوجبه ولذلك لا يضيع عنده عملٌ قام على الإخلاص والمتابعة للنبي ﷺ فإنهما الشرطان الأساسيان لقبول الأعمال[4].

فما أصاب العباد من النعم ودفع النقم، فإنه من الله تعالى فضلاً منه وكرماً، وإن نعّمهم فبفضله وإحسانه، وإن عذّبهم فبعدله وحكمته، وهو المحمود على جميع ذلك[5].

38- السَّيِّدُ، 39- الصَّمدُ

قال الله تعالى: **﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ ﴾**[6].

وقال النبي ﷺ: ((**السَّيِّدُ الله تبارك وتعالى**))[7] و((السيد)) يطلق على الرّب، والمالك، والشريف، والفاضل، والكريم، والحليم، والرئيس، والزوج، ومُتَحَمِّل أذى قومه، والله ﷻ هو السيد الذي يملك نواصي الخلق ويتولاهم، فالسؤدد كله حقيقة لله والخلق كلهم عبيده.

---

(1) سورة الأنبياء، الآية: 23 .
(2) سورة الأنعام، الآية: 54 .
(3) سورة الروم، الآية: 47 .
(4) شرح النونية للهراس، 98/2، وانظر: توضيح المقاصد وتصحيح القواعد، 231/2 .

(5) الحق الواضح المبين، ص72 .
(6) سورة الإخلاص، الآيتان: 1- 2 .
(7) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب في كراهية التمادح، برقم 4806، وابن السني في عمل اليوم والليلة، برقم 387، والنسائي في عمل اليوم والليلة، برقم 245، وأحمد، 24/4، 25، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم 3700، وإسناده صحيح، وانظر: فتح المجيد، ص613، بتحقيق الأرنؤوط .

وهذا لا يُنافي السِّيادة الإضافية المخصوصة بالأفراد الإنسانية، فسيادة الخالق تبارك وتعالى ليست كسيادة المخلوق الضعيف(1).

((الصمدُ)) المعنى الجامع الذي يدخل فيه كل ما فسّر به هذا الاسم الكريم، فهو الصمد الذي تَصْمُدُ إليه أي تقصده جميع المخلوقات بالذلّ والحاجة والافتقار، ويفزع إليه العالم بأسره،وهو الذي قد كَمُلَ في علمه، وحكمته،وحلمه،وقدرته،وعظمته،ورحمته، وسائر أوصافه،فالصمد هو كامل الصفات، وهو الذي تقصده المخلوقات في كل الحاجات(2).

فهو السيد الذي قد كُمل في سؤدده، والعليم الذي قد كمل في علمه، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والغني الذي قد كمل في غناه، والجبار الذي قد كَمُلَ في جبروته، والشريف الذي قد كمُلَ في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي كُمل في أنواع الشرف والسؤدد وهو الله ﷻ هذه صفته لا تنبغي إلا له، وليس له كفء، وليس كمثله شيء، سبحان الله الواحد القهار(3).

40- القاهِرُ، 41- القهَّارُ

قال الله تعالى: ﴿**قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**﴾(4). وقال تعالى: ﴿**يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**﴾(5). وقال ﷻ: ﴿**وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ**﴾(6).

وهو الذي قهر جميع الكائنات، وذلّت له جميع المخلوقات، ودانت لقدرته ومشيئته مواد وعناصر العالَم العلوي والسفلي، فلا يحدث حادث ولا يسكن ساكن إلا بإذنه، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وجميع الخلق فقراء إلى الله عاجزون، لا يملكون لأنفسهم

(1) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير،418/2،وانظر:عون المعبود شرح سنن أبي داود، 161/13 .
(2) الحق الواضح المبين، ص75 .
(3) شرح نونية ابن القيم للهراس، 100/2، وتوضيح المقاصد وتصحيح القواعد، 232/2 .
(4) سورة الرعد آية 16 .
(5) سورة غافر، الآية: 16 .
(6) سورة الأنعام، الآية: 18 .

نفعاً، ولا ضراً، ولا خيراً ولا شراً، وقهره مستلزم: لحياته، وعزته، وقدرته، فلا يتم قهره للخليقة إلا بتمام حياته وقوة عزّته واقتداره[1].

إذ لولا هذه الأوصاف الثلاثة لا يتم له قهر ولا سلطان[2].

42- الجبَّارُ

قال الله تعالى: **﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ ﴾**[3].

للجبار من أسمائه الحسنى ثلاثة معانٍ كلها داخلة باسمه ((الجبار)):

المعنى الأول:أنه الذي يجبر الضعيف وكل قلب منكسر لأجله، فيجبر الكسير،ويُغني الفقير،ويُيسّر على المعسر كل عسير،ويجبر المصاب بتوفيقه للثبات والصبر، ويعوِّضُهُ على مصابه أعظم الأجر إذا قام بواجبها، ويجبر جبراً خاصاً قُلوبَ الخاضعينَ لعظمته وجلاله، وقلوب المحبين بما يفيض عليها من أنواع كراماته، وأصناف المعارف والأحوال الإيمانية، فقلوب المنكسرين لأجله جبرها دان قريب وإذا دعا الداعي، فقال: ((اللهم أجبرني)) فإنه يريد هذا الجبر الذي حقيقته إصلاح العبد ودفع جميع المكاره عنه.

2- والمعنى الثاني: أنه القهَّار لكل شيء، الذي دان له كلُّ شيء، وخضع له كلُّ شيء.

3- والمعنى الثالث: أنَّهُ العليُّ على كل شيء.

فصار الجبار مُتضمناً لمعنى الرؤوف القهَّار العليّ.

4- وقد يُرادُ به معنى رابع وهو المتكبر عن كل سوء ونقص، وعن مماثلة أحد، وعن أن يكون له كفؤ أو ضد أو سمي أو شريك في خصائصه وحقوقه[4].

---

(1) الحق الواضح المبين، ص76 .

(2) شرح النونية للهراس، 101/2 .

(3) سورة الحشر، الآية: 23 .

(4) الحق الواضح المبين،ص77، وانظر: شرح النونية للهراس، 102/2، وتوضيح المقاصد، 233/2 .

43- الحَسيبُ

قال الله تعالى: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿أَلاَ لَهُ الْـحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْـحَاسِبِينَ ﴾[2]، والحسيبُ:

1- هو الكافي للعباد جميع ما أهمّهم من أمر دينهم ودنياهم من حصول المنافع ودفع المضارّ.

2- والحسيب بالمعنى الأخصّ هو الكافي لعبده المتّقي المتوكّل عليه كفاية خاصة يصلح بها دينه ودنياه.

3- والحسيب أيضاً هو الذي يحفظ أعمال عباده من خير وشرٍّ ويحاسبهم، إنْ خيراً فخير، وإن شراً فشر، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْـمُؤْمِنِينَ ﴾[3]، أي كافيك وكافي أتباعك. فكفاية الله لعبده بحسب ما قام به من متابعة الرسول ﷺ ظاهراً وباطناً، وقيامه بعبودية الله تعالى[4].

44- الهادي

قال الله تعالى: ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾[5]. وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَـهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[6].

[الهادي] أي: الذين يهدي ويرشد عباده إلى جميع المنافع، وإلى دفع المضار، ويُعلّمهم ما لا يعلمون، ويهديهم لهداية التوفيق والتسديد، ويُلْهِمُهُم التقوى، ويجعل قلوبهم منيبة إليه، منقادة لأمره[7].

والهداية: هي دلالة بلُطفٍ، وهداية الله تعالى للإنسان على أربعة أوجه[8]:

الأول: الهداية التي عم بجنسها كل مُكلفٍ من العقل، والفطنة،

(1) سورة النساء، الآية: 4 .
(2) سورة الأنعام، الآية: 62 .
(3) سورة الأنفال، الآية: 64 .
(4) الحق الواضح المبين، ص78، وشرح النونية للهراس، 103/2 .
(5) سورة الفرقان، الآية: 31 .
(6) سورة الحج، الآية: 54 .
(7) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، 631/5 .
(8) بدائع الفوائد، 36/2-38 .

والمعارف الضرورية التي أعمّ منها كل شيء بقدر فيه حسْبَ احتماله كما قال تعالى: ﴿**رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى**﴾[1].

الثاني: الهداية التي جعل للناس بدعائه إياهم على ألسنة الأنبياء وإنزال القرآن ونحو ذلك وهو المقصود بقوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا**﴾.

الثالث: التوفيق الذي يختصُّ به من اهتدى وهو المعْنيُّ بقوله تعالى:
﴿**وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى**﴾، وقوله تعالى: ﴿**وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ**﴾، وقوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ**﴾، وقوله: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**﴾...

الرابع: الهداية في الآخرة إلى الجنة المعنيُّ بقوله: ﴿**سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ**﴾... وقوله:﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا**﴾،وهذه الهداياتُ الأربع مترتِّبةٌ،فإنّ من لم تحصل له الأولى لا تحصل له الثانية،بل لا يصحُّ تكليفه، ومن لم تحصل له الثانية لا تحصل له الثالثة والرابعة، ومن حصل له الرابع فقد حصل له الثلاث التي قبلها،ومن حصل له الثالث فقد حصل له اللذان قبله.ثم ينعكس فقد تحصل الأولى ولا يحصل له الثاني، ولا يحصل الثالث، والإنسان لا يقدر أن يهدي أحداً إلا بالدعاء وتعريف الطرق دون سائر أنواع الهدايات وإلى الأول أشار بقوله: ﴿**وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾، ﴿**يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا**﴾، ﴿**وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾، أي داع. وإلى سائر الهدايات أشار بقوله: ﴿**إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ**﴾[2].

فهو الذي قوله رشد، وفعله كله رشد، وهو مرشد الحيران الضّال فيهديه إلى الصراط المستقيم بياناً، وتعليماً، وتوفيقاً، فأقواله القدرية التي يُوجد بها الأشياء ويُدبر بها الأمور، كلُّها حقٌّ لاشتمالها على الحكمة والحسن والإتقان، وأقواله الشرعية الدينية هي أقواله التي تكلّم بها في كتبه، وعلى ألسنة رسله المشتملة على الصدق التام في الإخبار، والعدل الكامل في الأمر والنهي، فإنه لا أصدق من الله قيلاً، ولا أحسن منه حديثاً: ﴿**وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا**

---

(1) سورة طه، الآية: 50 .
(2) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، ص538، والآية من سورة القصص: 56 .

وَعَدْلاً ﴾[1] في الأمر والنهي، وهي أعظم وأجلّ ما يرشد بها العباد، بل لا حصول إلى الرشاد بغيرها، فمن ابتغى الهدى من غيرها أضله الله، ومن لم يسترشد بها فليس برشيد، فيحصل بها الرشد العلمي وهو بيان الحقائق، والأصول، والفروع، والمصالح والمضار الدينية والدنيوية، ويحصل بها الرشد العملي؛ فإنها تُزكي النفوس، وتطهر القلوب، وتدعو إلى أصلح الأعمال وأحسن الأخلاق، وتحثّ على كل جميل، وتُرهِّب عن كل ذميم رذيل، فمن استرشد بها فهو المهتدي، ومن لم يسترشد بها فهو ضال، ولم يجعل لأحد عليه حجة بعد بعثته للرسل، وإنزاله الكتب المشتملة على الهدى المطلق، فكم هَدَى بفضله ضالاً وأرشد حائراً، وخصوصاً مَنْ تعلّق به وطلب منه الهدى من صميم قلبه، وعلم أنّه المنفرد بالهداية[2].

وكل هداية ذكر الله ﷻ أنّه منع الظالمين والكافرين فهي: الهداية الثالثة [وهي هداية التوفيق والإلهام] الذي يختص به المهتدون، والرابعة التي هي الثواب في الآخرة وإدخال الجنة كقوله ﷻ: **﴿وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾**، وقوله: **﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾**.

وكل هداية نفاها الله عن النبي ﷺ وعن البشر فهي ما عدا المختص من الدعاء وتعريف الطريق، وذلك كإعطاء العقل، والتوفيق، وإدخال الجنة كقوله تعالى: **﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾**، فأسأل الله أن يهدينا لما يحبه ويرضاه وهو المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلى بالله[3].

45- الحَكَمُ

قال الله تعالى:**﴿فَاصْبِرُواْ حَتَّى يَحْكُمَ اللّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾**[4]، وقال تعالى: **﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلِ لِكَلِمَاتِهِ ﴾**[5] وقال تعالى: **﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ ﴾**[6]، وقال

(1) سورة الأنعام، الآية: 115 .
(2) الحق الواضح المبين، ص78-79، وانظر: شرح النونية للهراس، 103/2 .
(3) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، ص539 بتصرف يسير .
(4) سورة الأعراف، الآية: 87 .
(5) سورة الأنعام، الآية: 115 .
(6) سورة النحل، الآية: 90 .

النبي ﷺ: ((**إن الله هو الحكمُ وإليه الحكم**))[1].

وقال تعالى: ﴿**أَفَغَيْرَ اللّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنَزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً** ﴾[2] الآية.

والله سبحانه هو الذي يحكم بين عباده في الدنيا والآخرة بعدله وقسطه، فلا يظلم مثقال ذرة، ولا يحمّل أحداً وزر أحد، ولا يجازي العبد بأكثر من ذنبه، ويؤدي الحقوق إلى أهلها. فلا يدع صاحب حق إلا وصَّل إليه حقه. وهو العدل في تدبيره وتقديره[3]، وهو سبحانه موصوف بالعدل في فعله، وأفعاله كلها جارية على سنن العدل والاستقامة، ليس فيها شائبة جور أصلاً، فهي كلها بين الفضل والرحمة، وبين العدل والحكمة كما قدمنا.

وما ينزله سبحانه بالعصاة والمكذبين من أنواع الهلاك والخزي في الدنيا،وما أعده لهم من العذاب المهين في الآخرة فإنما فعل بهم ما يستحقونه،فإنه لا يأخذ إلا بذنب،ولا يعذب إلا بعد إقامة الحجة، وأقواله كلها عدل،فهو لا يأمرهم إلا بما فيه مصلحة خالصة أو راجحة، ولا ينهاهم إلا عمّا مضرته خالصة أو راجحة، وكذلك حكمه بين عباده يوم فصل القضاء،ووزنه لأعمالهم عدلٌ لا جور فيه[4]،كما قال تعالى:﴿**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ**﴾[5].

وهو سبحانه ((الحكم)) بالعدل في وصفه وفي فعله وفي قوله وفي حكمه بالقسط. و هذا معنى قوله: ﴿**إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾[6]؛ فإنّ أقواله صدق، وأفعاله دائرة بين العدل والفضل،

---

(1) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب في تغيير الاسم القبيح، برقم 4955، والنسائي في كتاب آداب القضاة، باب إذا حكّموا رجلاً فقضى بينهم، برقم 5384، والحاكم، 23/1، والطبراني في الكبير، 179/22، 180، ورقم 466، 470، وابن حبان كما في الموارد، 214/6، برقم 1937، وإسناده جيد. انظر: فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد، لابن عبد الوهاب، بتحقيق عبد القادر الأرنؤوط، ص517. وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم 1845.

(2) سورة الأنعام، الآية: 114 .

(3) تفسير العلامة السعدي، 627/5 .

(4) شرح النونية للهراس، 104/2 .

(5) سورة الأنبياء، الآية: 47 .

(6) سورة هود، الآية: 56 .

فهي كلها أفعال رشيدة، وحكمه بين عباده فيما اختلفوا فيه أحكام عادلة لا ظلم فيها بوجهٍ من الوجوه، وكذلك أحكام الجزاء والثواب والعقاب[1].

46- القُدُّوسُ، 47- السَّلامُ

قال الله تعالى:﴿**هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْـمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ**﴾ الآية[2].

((القدوس السلام)) معناهما متقاربان؛ فإن القدوس مأخوذ من قدّس بمعنى: نزّهه وأبعده عن السوء مع الإجلال، والتعظيم، والسلام مأخوذ من السلامة. فهو سبحانه السالم من مماثلة أحد من خلقه، ومن النقص، ومن كل ما ينافي كماله[3].

فهو المقدَّس المعظَّم المنزّه عن كل سوء، السالم من مماثلة أحد من خلقه ومن النقصان، ومن كل ما ينافي كماله. فهذا ضابط ما ينزّه عنه: ينزّه عن كل نقص بوجه من الوجوه، وينزّه ويعظّم أن يكون له مثيل، أو شبيه، أو كفؤ، أو سمي، أو ندّ، أو مضادّ، وينزّه عن نقص صفة من صفاته التي هي أكمل الصفات وأعظمها وأوسعها. ومن تمام تنزيهه عن ذلك إثبات صفات الكبرياء والعظمة له؛ فإنَّ التنزيه مرادٌ لغيره، ومقصودٌ به حفظ كماله عن الظنون السيئة. كظنّ الجاهلية الذين يظنون به ظنَّ السوء، ظنّاً غير ما يليق بجلاله، وإذا قال العبد مثنياً على ربه: ((سبحان الله))، أو ((تقدّس الله))، أو ((تعالى الله)) ونحوها كان مثنياً عليه بالسلامة من كل نقص وإثبات كل كمال[4].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في اسم ((السلام)): [الله] أحق بهذا الاسم من كل مسمىً له؛ لسلامته سبحانه من كل عيب ونقص من كل وجه، فهو السلام الحق بكل اعتبار، والمخلوق سلام بالإضافة، فهو سبحانه سلام في ذاته عن كل عيب ونقص يتخيله وَهْمٌ، وسلام في صفاته من كل عيب ونقص، وسلام في أفعاله من

---

(1) الحق الواضح المبين، ص80 .
(2) سورة الحشر، الآية: 23 .
(3) شرح النونية للهراس، 105/2 .
(4) الحق الواضح المبين، ص81-82.

كل عيب ونقص وشر وظلم وفعل واقع على غيرِ وجه الحكمة، بل هو السلام الحق من كل وجه وبكل اعتبار، فَعُلِمَ أن استحقاقه تعالى لهذا الاسم أكمل من استحقاق كل ما يطلق عليه، وهذا هو حقيقة التنزيه الذي نزّه به نفسه، ونزّهه به رسوله، فهو السلام من الصاحبة والولد، والسلام من النظير والكفء والسمي والمماثل، والسلام من الشريك؛ ولذلك إذا نظرت إلى أفراد صفات كماله وجدت كل صفة سلاماً مما يضاد كما لها:

فحياته سلام من الموت ومن السِّنَةِ والنوم، وكذلك قيّوميّته وقدرته سلام من التعب واللغوب، وعلمه سلام من عزوب شيء عنه، أو عروض نسيان أو حاجة إلى تَذَكُّرٍ وتَفَكُّرٍ، وإرادته سلام من خروجها عن الحكمة والمصلحة، وكلماته سلام من الكذب والظلم، بل تمت كلماته صدقاً وعدلاً، وغناه سلام من الحاجة إلى غيره بوجهٍ ما، بل كل ما سواه محتاج إليه وهو غنى عن كل ما سواه، وملكه: سلام من منازع فيه، أو مشارك، أو معاون مظاهر، أو شافع عنده بدون إذنه، وإلاهيته سلام من مشارك له فيها، بل هو الله الذي لا إله إلا هو، وحلمه وعفوه وصفحه ومغفرته وتجاوزه سلام من أن تكون عن حاجة منه أو ذل أو مصانعة كما يكون من غيره، بل هو محض جوده وإحسانه وكرمه، وكذلك عذابه وانتقامه وشدة بطشه وسرعة عقابه سلام من أن يكون ظلماً، أو تشفيًّا، أو غلظة، أو قسوة، بل هو محض حكمته وعدله ووضعه الأشياء مواضعها، وهو مما يستحق عليه الحمد والثناء كما يستحقه على إحسانه، وثوابه، ونعمه، بل لو وضع الثواب موضع العقوبة لكان مناقضاً لحكمته ولعزّته، فوضعه العقوبة موضعها هو من عدله، وحكمته، وعزته، فهو سلام مما يتوهَّم أعداؤه الجاهلون به من خلاف حكمته.

وقضاؤه وقدره سلام من العبث والجور والظلم، ومن توهّم وقوعه على خلاف الحكمة البالغة. وشرعه ودينه سلام من التناقض والاختلاف والاضطراب وخلاف مصلحة العباد ورحمتهم والإحسان إليهم وخلاف حكمته، بل شرعه كله حكمة، ورحمة، ومصلحة، وعدل، وكذلك عطاؤه سلام من كونه معاوضة أو لحاجة إلى المعطى.

ومنعه سلام من البخل وخوف الإملاق، بل عطاؤه إحسان محض لا لمعاوضة ولا لحاجة، ومنعه عدل محض وحكمة لا يشوبه بخل ولا عجز.

واستواؤه وعلوّه على عرشه سلام من أن يكون محتاجاً إلى ما يحمله أو يستوي عليه، بل العرش محتاج إليه وحملته محتاجون إليه، فهو الغني عن العرش وعن حملته وعن كل ما سواه، فهو استواء وعلوّ لا يشوبه حصر ولا حاجة إلى عرش ولا غيره ولا إحاطة شيء به سبحانه وتعالى، بل كان سبحانه ولا عرش، ولم يكن به حاجة إليه وهو الغني الحميد، بل استواؤه على عرشه واستيلاؤه على خلقه من موجبات ملكه وقهره من غير حاجة إلى عرش ولا غيره بوجهٍ ما.

ونزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا سلام مما يضادّ علوّه، وسلام مما يضاد غناه. وكماله سلام من كل ما يتوهّم معطّل أو مشبّه، وسلام من أن يصير تحت شيء أو محصوراً في شيء، تعالى الله ربنا عن كل ما يضادّ كماله.

وغناه وسمعه وبصره سلام من كل ما يتخيّله مشبّه أو يتقوّله معطّل. وموالاته لأوليائه سلامٌ من أن تكون عن ذلّ كما يوالي المخلوق المخلوق ، بل هي موالاة رحمة، وخير، وإحسان، وبرّ كما قال الله تعالى: **﴿وَقُلِ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا * وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً﴾**(1) ، فلم ينف أن يكون له وليّ مطلقاً، بل نفى أن يكون له وليٌّ من الذلّ.

وكذلك محبته لمحبيه وأوليائه سلام من عوارض محبة المخلوق للمخلوق من كونها محبة حاجة إليه، أو تَمَلُّقٍ له، أو انتفاع بقربه، وسلام مما يتقوّله المعطّلون فيها.

وكذلك ما أضافه إلى نفسه من اليد والوجه، فإنّه سلام عما يتخيَّله مشبّه أو يتقوَّله معطّل.

فتأمل كيف تضمّن اسمه السلام كلّ ما نُزّه عنه تبارك وتعالى. وكم ممن حفظ هذا الاسم لا يدري ما تضمنه من هذه الأسرار والمعاني والله المستعان(2).

---

(1) سورة الإسراء، الآية: 111 .

(2) بدائع الفوائد للإمام ابن القيم رحمه الله، 2/150-152، والطبعة المصرية، نشر مكتبة القاهرة، الطبعة التي طبعتها مكتبة الرياض الحديثة، 2/135-137 بتصرف يسير جداً .

48- البَرُّ، 49- الوَهَّابُ

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾(1)، وقال سبحانه: ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾(2).

من أسمائه تعالى: ((البرّ الوهّاب)) الذي شمل الكائنات بأسرها ببرّه وهباته وكرمه، فهو مولى الجميل ودائم الإحسان وواسع المواهب، وصفُه البرّ وآثار هذا الوصف جميع النعم الظاهرة والباطنة، فلا يستغني مخلوق عن إحسانه وبرّه طرفة عين.

وإحسانه عام وخاص:

1- **فالعامّ** المذكور في قوله: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾(3)، ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾(4)، وقال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ﴾(5)، وهذا يشترك فيه البرُّ والفاجر وأهل السماء وأهل الأرض والمكلّفون وغيرهم.

2- **والخاصّ** رحمته ونعمه على المتقين حيث قال: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ ﴾ الآية(6)، وقال: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾(7)، وفي دعاء سليمان: ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾(8)، وهذه الرحمة الخاصة التي يطلبها الأنبياء وأتباعهم، تقتضي التوفيق للإيمان، والعلم، والعمل، وصلاح الأحوال كلها، والسعادة الأبدية، والفلاح، والنجاح، وهي المقصود الأعظم لخواص الخلق(9).

وهو سبحانه المتصف بالجود: وهو كثرة الفضل والإحسان،

(1) سورة الطور، الآية: 28 .
(2) سورة آل عمران، الآية: 8 .
(3) سورة غافر، الآية: 7 .
(4) سورة الأعراف، الآية: 156 .
(5) سورة النحل، الآية: 53 .
(6) سورة الأعراف، الآيتان: 155- 156 .
(7) سورة الأعراف، الآية: 56 .
(8) سورة النمل، الآية: 19 .
(9) الحق الواضح المبين، ص82-83، وانظر: شرح النونية للهراس، 106/2 .

وجوده تعالى أيضاً نوعان:

النوع الأول: جودٌ مطلق عمَّ جميع الكائنات وملأها من فضله وكرمه ونعمه المتنوعة.

النوع الثاني: وجودٌ خاص بالسائلين بلسان المقال أو لسان الحال من برٍّ وفاجرٍ ومسلمٍ وكافرٍ، فمن سأل الله أعطاه سؤله وأناله ما طلب، فإنه البرّ الرحيم: ﴿**وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ**﴾[1]. ومن جوده الواسع ما أعدَّه لأوليائه في دار النعيم مما لا عينٌ رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر[2].

50- الرَّحمنُ 51- الرَّحيمُ 52- الكريمُ 53- الأكرمُ 54- الرَّءوفُ

قال الله تعالى:﴿**الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ**﴾[3]. الآيات، وقال تعالى: ﴿**وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ**﴾[4]، وقال سبحانه:﴿**وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَاللهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ**﴾[5].

قال العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى: الرحمنُ، الرحيمُ، والبرُ، الكريمُ، الجوادُ، الرؤوفُ، الوهابُ - هذه الأسماء تتقارب معانيها، وتدلّ كلُّها على اتصاف الرب، بالرحمة، والبر، والجود، والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه التي عمَّ بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته. وخصَّ المؤمنين منها، بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل، قال تعالى: ﴿**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ**﴾[6] الآية. والنعم والإحسان، كله من آثار رحمته، وجوده، وكرمه. وخيرات الدنيا والآخرة، كلها من آثار رحمته[7]. وقال ابن تيمية رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ **اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ**

---

(1) سورة النحل، الآية: 53 .
(2) الحق الواضح المبين، ص66-67، وشرح النونية للهراس، 94/2 .
(3) سورة الفاتحة، الآيتان: 1-2 .
(4) سورة النمل، الآية: 40 .
(5) سورة آل عمران، الآية: 30 .
(6) سورة الأعراف، الآية: 156 .
(7) تفسير العلامة السعدي، 621/5 .

الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[1]، سمّى ووصف نفسه بالكرم، وبأنه الأكرم بعد إخباره أنه خلق ليتبين أنه ينعم على المخلوقين ويوصلهم إلى الغايات المحمودة كما قال تعالى: **﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴾**[2]، **﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾**[3]، **﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾**[4]، فالخلق يتضمن الابتداء والكرم تضمن الانتهاء. كما قال في سورة الفاتحة: **﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾**، ثم قال: **﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾**، ولفظ الكرم جامع للمحاسن والمحامد لا يراد به مجرد الإعطاء بل الإعطاء من تمام معناه؛ فإن الإحسان إلى الغير تمام والمحاسن والكرم كثرة الخير ويسرته... والله سبحانه أخبر أنه الأكرم بصيغة التفضيل والتعريف لها. فدل على أنه الأكرم وحده بخلاف ما لو قال: ((وربك الأكرم)) فإنه لا يدل على الحصر. وقوله: **﴿الأَكْرَمُ ﴾** يدل على الحصر، ولم يقل: ((الأكرم من كذا)) بل أطلق الاسم، ليبين أنه الأكرم مطلقاً غير مقيّد، فدلّ على أنه متصف بغاية الكرم الذي لا شيء فوقه ولا نقص فيه[5].

55- الفتَّاحُ

قال الله تعالى: **﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴾**[6].

الفاتح: الحاكم، والفتاح من أبنية المبالغة.

فالفتّاح هو الحكم المحسن الجواد، وفَتْحهُ تعالى قسمان:
القسم الأول: فتحه بحكمه الديني وحكمه الجزائي.
القسم الثاني: الفتاح بحكمه القدري. ففتحه بحكمه الديني هو شرعه على ألسنة رسله جميعَ ما يحتاجه المكلفون، ويستقيمون به على الصراط المستقيم.

وأما فتحه بجزائه فهو فتحه بين أنبيائه ومخالفيهم وبين أوليائه

---

(1) شورة العلق، الآيات: 3-5.
(2) سورة الأعلى، الآيتان: 2- 3.
(3) سورة طه، الآية: 50.
(4) سورة الشعراء، الآية: 78.
(5) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، 16/293-296 بتصرف يسير .
(6) سورة سبأ، الآية: 26 .

وأعدائه بإكرام الأنبياء وأتباعِهم ونجاتهم،وبإهانة أعدائهم وعقوباتهم. وكذلك فتحه يوم القيامة وحكمه بين الخلائق حين يوفّى كل عامل ما عمله.

وأما فتحه القدري فهو ما يقدّره على عباده من خير وشر ونفع وضرّ وعطاء ومنع، قال تعالى: ﴿**مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾[1]، فالربّ تعالى هو الفتاح العليم الذي يفتح لعباده الطائعين خزائن جوده وكرمه، ويفتح على أعدائه ضد ذلك، وذلك بفضله وعدله[2].

56- الرَّزَاقُ، 57- الرَّازِقُ

وهو مبالغة من:رازق للدلالة على الكثرة،والرزاق من أسمائه سبحانه.

قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ**﴾[3]، ﴿**وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا**﴾[4]، وقال النبي ﷺ: ((**إِنَّ اللهَ هوَ المسَعِّرُ القابضُ الباسطُ الرَّازقُ**))[5] ورزقه لعباده نوعان: عام، وخاص.

1 - فالعام إيصاله لجميع الخليقة جميع ما تحتاجه في معاشها وقيامها، فسهَّل لها الأرزاق، ودبّرها في أجسامها، وساق إلى كل عضو صغير وكبير ما يحتاجه من القوت، وهذا عام للبرّ والفاجر والمسلم والكافر، بل للآدميين والجن والملائكة والحيوانات كلها.

وعام أيضاً من وجه آخر في حق المكلّفين؛ فإنه قد يكون من الحلال الذي لا تبعة على العبد فيه، وقد يكون من الحرام ويسمى رزقاً ونعمة بهذا الاعتبار، ويقال: ((رزقه الله)) سواء ارتزق من حلال أو حرام، وهو مطلق الرزق.

---

(1) سورة فاطر، الآية: 2 .
(2) الحق الواضح المبين، ص83، وانظر: شرح النونية للهراس، 107/2 .
(3) سورة الذاريات، الآية: 58 .
(4) سورة هود، الآية: 6 .
(5) أخرجه أبو داود في كتاب البيوع والإجارات، باب في التسعير، برقم 3451، والترمذي في كتاب البيوع، باب في التسعير، برقم 1314، وابن ماجه في كتاب التجارات، باب من كره أن يسعر، برقم 2200، وأحمد في المسند، 156/3، وصححه الترمذي، وكذا الألباني في صحيح الجامع، برقم 1846.

2 - **وأما الرزق المطلق** فهو النوع الثاني، وهو الرزق الخاص، وهو الرزق النافع المستمر نفعه في الدنيا والآخرة، وهو الذي على يد الرسول ﷺ، وهو نوعان:

النوع الأول: رزق القلوب بالعلم والإيمان وحقائق ذلك، فإن القلوب مفتقرة غاية الافتقار إلى أن تكون عالمة بالحق مريدة له متألّهة لله متعبّدة، وبذلك يحصل غناها ويزول فقرها.

النوع الثاني: رزق البدن بالرزق الحلال الذي لا تبعة فيه؛ فإنَّ الرزق الذي خصَّ به المؤمنين والذي يسألونه منه شامل للأمرين، فينبغي للعبد إذا دعا ربه في حصول الرزق أن يستحضر بقلبه هذين الأمرين، فمعنى ((اللهم ارزقني)) أي ما يصلح به قلبي من العلم والهدى والمعرفة ومن الإيمان الشامل لكل عمل صالح وخلق حسن، وما به يصلح بدني من الرزق الحلال الهنيّ الذي لا صعوبة فيه ولا تبعة تعتريه[1].

58- الحيُّ، 59- القيُّومُ

قال الله تعالى: ﴿**اللهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْـحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾[2]، وقال سبحانه:
﴿**الم * اللهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْـحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾[3]، وقال ﷻ: ﴿**وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا**﴾[4]، الحيُّ القيُّوم من أسماء الله الحُسنى.

و((الحي القيوم)) جمعهما في غاية المناسبة كما جمعهما الله في عدة مواضع في كتابه، وذلك أنهما محتويان على جميع صفات الكمال، فالحي هو كامل الحياة، وذلك يتضمن جميع الصفات الذاتية لله: كالعلم، والعزّة، والقدرة، والإرادة، والعظمة، والكبرياء، وغيرها من صفات الذات المقدسة، والقيّوم هو كامل القيّوميّة وله معنيان:

المعنى الأول: هو الذي قام بنفسه، وعظمت صفاته، واستغنى

(1) الحق الواضح المبين، ص85-86، وانظر شرح النونية للهراس، 108/2، وتوضيح المقاصد، 234/2.
(2) سورة البقرة، الآية: 255 .
(3) سورة آل عمران، الآيتان: 1- 2 .
(4) سورة طه، الآية: 111 .

عن جميع مخلوقاته.

المعنى الثاني: هو الذي قامت به الأرض والسموات وما فيهما من المخلوقات، فهو الذي أوجدها وأمدَّها وأعدَّها لكل ما فيه بقاؤها وصلاحها وقيامها، فهو الغنيّ عنها من كل وجه وهي التي افتقرت إليه من كل وجه، فالحيُّ والقيّوم من له صفة كل كمال وهو الفَعَّالُ لما يريد[1].

60- نورُ السمواتِ والأرض[2]

قال تعالى: **﴿اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاء ﴾**[3]، وقال النبي ﷺ: ((**اللهم لك الحمد، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن...**))[4] الحديث.

وقال ﷺ: ((**إن الله ﷻ لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعُه، يُرفعُ إليه عملُ الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابُهُ النورُ لو كشفه لأحرقت سُبُحات وجهه ما انتهى إليه بصرُهُ من خلقه**))[5].

قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله: من أسمائه جلّ جلاله ومن أوصافه ((النور)) الذي هو وصفه العظيم، فإنه ذو الجلال والإكرام، وذو البهاء والسبحات الذي لو كشف الحجاب عن وجهه الكريم لأحرقت سبحاته ما انتهى إليه بصره من خلقه، وهو الذي استنارت به العوالم كلها، فبنور وجهه أشرقت الظلمات، واستنار به العرش والكرسي والسبع الطباق وجميع الأكوان.

والنور نوعان:

---

(1) الحق الواضح المبين، ص87-88، وانظر: شرح النونية للهراس، 2/ 109، وتوضيح المقاصد، 2/236.

(2) انظر: فتاوى ابن تيمية، فقد تكلم كلاماً نفيساً في هذا، 6/382-396.

(3) سورة النور، آية: 35 .

(4) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب الدعاء إذا انتبه بالليل، برقم 6317، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، برقم 769.

(5) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب في قوله ﷺ: إن الله لا ينام، برقم 179.

1 - حسيٌّ كهذه العوالم التي لم يحصل لها نور إلا من نوره.

2 - ونور معنوي يحصل في القلوب والأرواح بما جاء به محمد ﷺ من كتاب الله وسنة نبيّه. فعلم الكتاب والسُّنّة والعمل بهما ينير القلوب والأسماع والأبصار، ويكون نوراً للعبد في الدنيا والآخرة: ﴿**يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ**﴾[1]، لما ذكر أنه نور السموات والأرض، وسمّى الله كتابه نوراً، ورسوله نوراً، ووحيه نوراً...

ثم إن ابن القيم رحمه الله حذّر من اغترار من اغترّ من أهل التصوف، الذين لم يفرّقوا بين نور الصفات وبين أنوار الإيمان والمعارف؛ فإنّهم لمّا تألّهوا وتعبّدوا من غير فرقان وعلم كامل، ولاحت أنوار التعبد في قلوبهم؛ لأنّ العبادات لها أنوار في القلوب، فظنّوا هذا النور هو نور الذات المقدسة، فحصل منهم من الشطح والكلام القبيح ما هو أثر هذا الجهل والاغترار والضلال.

وأما أهل العلم والإيمان والفرقان فإنهم يفرِّقون بين نور الذات والصفات، وبين النور المخلوق الحسي منه والمعنوي، فيعترفون أن نور أوصاف الباري ملازم لذاته لا يفارقها، ولا يحلّ بمخلوق، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً. وأما النور المخلوق فهو الذي تتصف به المخلوقات بحسب الأسباب والمعاني القائمة بها.

والمؤمن إذا كَمُلَ إيمانه أنار الله قلبه، فانكشفت له حقائق الأشياء، وحصل له فرقان يفرّق به بين الحق والباطل، وصار هذا النور هو مادة حياة العبد وقوته على الخير علماً وعملاً، وانكشفت عنه الشبهات القادحة في العلم واليقين، والشهوات الناشئة عن الغفلة والظلمة، وكان قلبه نوراً، وكلامه نوراً، وعمله نوراً، والنور محيط به من جهاته.

والكافر، أو المنافق، أو المعارض، أو المعرض الغافل كل هؤلاء يتخبّطون في الظلمات، كل له من الظلمة بحسب ما معه من موادها وأسبابها، والله الموفق وحده[2].

---

(1) سورة النور، آية: 35 .

(2) الحق الواضح المبين، ص93-95، وانظر: توضيح المقاصد، 237/2، وشرح النونية للهراس، 114/2 بتصرف يسير .

61- الرَّبُّ

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[1].

الله ﷻ هو: المربِّي جميع عباده، بالتدبير، وأصناف النعم. وأخص من هذا، تربيته لأصفيائه، بإصلاح قلوبهم، وأرواحهم وأخلاقهم، ولهذا كثر دعاؤهم له بهذا الاسم الجليل؛ لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصة.

62- الله

والله ﷻ هو المألوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال، وقد تقدم أن هذا الاسم ترجع إليه جميع الأسماء، فيُقال: الرحمن من أسماء الله، ولا يُقال: الله من أسماء الرحمن، وهكذا في جميع الأسماء، واسم الله تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى، والصفات العُلا[2].

63- الملِكُ، 64- المليكُ، 65- مالكُ الملكِ

قال الله تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللهُ الْـمَلِكُ الْـحَقُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾[4]، وقال ﷻ: ﴿قُلِ اللهمَّ مَالِكَ الْـمُلْكِ تُؤْتِي الْـمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْـمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْـخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[5].

فهو الموصوف، بصفة الملك. وهي صفات العظمة والكبرياء، والقهر والتدبير، الذي له التصرف المطلق، في الخلق، والأمر، والجزاء.

وله جميع العالم، العلوي والسفلي، كلهم عبيد ومماليك،

(1) سورة الأنعام، الآية: 164 .
(2) انظر: بدائع الفوائد، لابن القيم، 2/ 249.
(3) سورة المؤمنون، الآية: 116 .
(4) سورة القمر، الآية: 55 .
(5) سورة آل عمران، الآية: 26 .

ومضطرون إليه[1].

فهو الربّ الحقّ، الملك الحقّ، الإله الحقّ، خلقهم بربوبيّته، وقهرهم بملكه، واستعبدهم بإلاهيته، فتأملْ هذه الجلالة وهذه العظمة التي تضمنتها هذه الألفاظ الثلاثة على أبدع نظام، وأحسن سياق. رب الناس، ملك الناس، إله الناس، وقد اشتملت هذه الإضافات الثلاث على جميع قواعد الإيمان، وتضمنت معاني أسمائه الحسنى، أما تضمنها لمعاني أسمائه الحُسنى فإنّ ((الربّ)): هو القادر، الخالق، البارئ، المصوِّرُ، الحيّ، القيّوم، العليم، السميع، البصير، المحسن، المنعم، الجواد، المعطي المانع، الضارّ النافع، المقدِّم، المؤخِّر، الذي يُضلُّ من يشاء، ويهدي من يشاء، ويُسعد من يشاء، ويُشقي ويُعزّ من يشاء، ويُذلّ من يشاء، إلى غير ذلك من معاني ربوبيته التي له منها ما يستحقه من الأسماء الحُسنى.

وأما ((الملك)) فهو الآمر، الناهي، المعزّ، المذلّ، الذي يُصرِّفُ أمور عباده كما يحبّ، ويقلّبهم كما يشاء، وله من معنى الملك ما يستحقّه من الأسماء الحسنى كالعزيز، الجبار، المتكبر، الحكَم، العدل، الخافض، الرافع، المعزّ، المذلّ، العظيم، الجليل، الكبير،الحسيب، المجيد، الوليّ، المتعالي، مالك الملك، المقسط، الجامع، إلى غير ذلك من الأسماء العائدة إلى الملك.

وأما ((الإله)): فهو الجامع لجميع صفات الكمال ونعوت الجلال، فيدخل في هذا الاسم جميع الأسماء الحسنى، ولهذا كان القول الصحيح إن الله أصله الإله كما هو قول سيبويه وجمهور أصحابه إلا من شذّ منهم، وإنّ اسم الله تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى والصفات العلا، فقد تضمنت هذه الأسماء الثلاثة جميع معاني أسمائه الحسنى، فكان المستعيذ بها جديراً بأن يُعاذ، ويُحفظ، ويُمنع من الوسواس الخناس، ولا يُسَلَّط عليه[2].

وإذا كان وحده هو ربنا، وملكنا، وإلهنا فلا مفزع لنا في الشدائد سواه، ولا ملجأ لنا منه إلا إليه، ولا معبود لنا غيره، فلا ينبغي أن يُدعى، ولا يُخاف، ولا يُرجى، ولا يُحب سواه، ولا يُذل لغيره، ولا يُخضع لسواه، ولا يتوكل إلا عليه؛ لأن من ترجوه، وتخافه،

(1) تفسير العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، 620/5.
(2) بدائع الفوائد لابن القيم رحمه الله، 249/2 .

وتدعوه، وتتوكل عليه إما أن يكون مربيك، والقيّم بأمورك، ومتولّي شأنك، وهو ربّك فلا ربّ سواه، أو تكون مملوكه وعبده الحقّ، فهو ملك الناس حقاً، وكلهم عبيده ومماليكه، أو يكون معبودك وإلهك الذي لا تستغني عنه طرفة عين، بل حاجتك إليه أعظم من حاجتك إلى حياتك، وروحك، وهو الإله الحق إله الناس الذي لا إله لهم سواه فمن كان ربهم، وملكهم، وإلههم فهم جديرون أن لا يستعيذوا بغيره، ولا يستنصروا بسواه، ولا يلجؤوا إلى غير حماه، فهو كافيهم، وحسبهم، وناصرهم، ووليّهم، ومتولّي أمورهم جميعاً بربوبيته، وملكه، وإلاهيته لهم. فكيف لا يلتجئ العبد عند النوازل ونزول عدوّه به إلى ربه، ومالكه، وإلهه؟[1].

66- الواحِدُ، 67- الأحدُ

قال الله تعالى: ﴿**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ**﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿**قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**﴾[3].

وهو الذي توحّد بجميع الكمالات، بحيث لا يشاركه فيها مشارك.

ويجب على العبيد توحيده، عقداً، وقولاً، وعملاً، بأن يعترفوا بكماله المطلق، وتفرّده بالوحدانية، ويفردوه بأنواع العبادة[4].

والأحد، يعني: الذي تفرّد بكل كمال، ومجد وجلال، وجمال وحمد، وحكمة ورحمة، وغيرها من صفات الكمال.

فليس له فيها مثيل ولا نظير، ولا مناسب بوجه من الوجوه. فهو الأحد في حياته وقيّوميّته، وعلمه وقدرته، وعظمته وجلاله، وجماله وحمده، وحكمته ورحمته، وغيرها من صفاته، موصوف بغاية الكمال ونهايته، من كل صفة من هذه الصفات.

ومن تحقيق أحديته وتفرّده بها أنه ((الصمد))، أي: الرب الكامل، والسيد العظيم، الذي لم يبقَ صفة كمال إلا اتّصف بها. ووُصف بغايتها وكمالها، بحيث لا تُحيط الخلائق ببعض تلك الصفات

---

(1) المرجع السابق، 248/2 .
(2) سورة الإخلاص، الآية: 1 .
(3) سورة الرعد، الآية: 16 .
(4) تفسير العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، 620/5.

بقلوبهم، ولا تُعبّر عنها ألسنتهم[1].

68- المُتَكَبِّرُ

قال الله تعالى: ﴿**هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾[2].

فهو سبحانه المتكبر عن السوء، والنقص والعيوب، لعظمته وكبريائه.

69- الخالقُ 70- البارئُ 71- المصوِّرُ 72- الخلاَّقُ

قال تعالى: ﴿**هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**﴾[3].

﴿**إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ**﴾[4].

الذي خلق جميع الموجودات وبرأها، وسوّاها بحكمته، وصوّرها بحمده وحكمته، وهو لم يزل، ولا يزال على هذا الوصف العظيم.

73- المُؤمنُ

الذي أثنى على نفسه بصفات الكمال، وبكمال الجلال والجمال، الذي أرسل رسله، وأنزل كتبه بالآيات والبراهين. وصدق رسله بكلّ آية وبرهان، يدلّ على صدقهم وصحة ما جاءوا به.

74- المُهيمِنُ

المطلع على خفايا الأمور، وخبايا الصدور، الذي أحاط بكل شيء علماً[5]. وقال البغوي: الشهيد على عباده بأعمالهم وهو قول ابن عباس ومجاهد وغيرهما، يقال:هيمن يهيمن فهو مهيمن إذا كان

(1) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، ص291، لعبد الرحمن السعدي.
(2) سورة الحشر، الآية: 23 .
(3) سورة الحشر، الآية: 24 .
(4) سورة الحجر، الآية: 86 .
(5) تفسير السعدي، 624/5 .

رقيباً على الشيء...[1].

75- المُحيطُ

قال الله تعالى: ﴿وَلله مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ الله بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴾[2]. وقال ﷻ: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ الله بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾[3].

وهو الذي أحاط بكل شيء علماً، وقدرة، ورحمة، وقهراً. وقد أحاط علمه بجميع المعلومات، وبصره بجميع المبصرات، وسمعه بجميع المسموعات، ونفذت مشيئته وقدرته بجميع الموجودات، ووسعت رحمته أهل الأرض والسموات، وقهر بعزّته كل مخلوق، ودانت له جميع الأشياء[4].

76- المُقيتُ

قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ الله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴾[5]، فهو سبحانه الذي أوصل إلى كل موجود ما به يقتات، وأوصل إليها أرزاقها وصرَّفها كيف يشاء، بحكمته وحمده[6].

قال الراغب الأصفهاني رحمه الله: ((القوت ما يمسك الرَّمق، وجمعه: أقوات، قال تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا ﴾[7]، وقاتَهُ يقوتُهُ قوتاً: أطعمه قوتَهُ. وأقاتهُ يُقيتُهُ جعل له ما يقوتُهُ، وفي الحديث: ((**كفى بالمرء إثماً أن يضيِّع من يقوتُ**))[8]، قال تعالى: ﴿وَكَانَ الله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴾، قيل: مقتدراً، وقيل: شاهداً. وحقيقته قائماً

---

(1) تفسير البغوي، 326/4 .
(2) سورة النساء، الآية: 126 .
(3) سورة آل عمران، الآية: 120 .
(4) تفسير العلامة السعدي، 179/2 .
(5) سورة النساء، الآية: 85 .
(6) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، 625/5 .
(7) سورة فصلت، الآية: 10 .
(8) أخرجه أبو داود في كتاب الزكاة، باب في صلة الرحم، برقم 1692، وأحمد في المسند، 160/2، والحاكم في المستدرك، 415/1، وقال: ((صحيح)). ووافقه الذهبي. وحسنه الألباني في صحيح الجامع، برقم 4481. وأصل الحديث عند مسلم بلفظ: ((كفى بالمرء إثماً أن يحبس عمَّن يملك قوته)) في كتاب الزكاة، باب فضل النفقة على العيال والمملوك وإثم من ضيعهم، برقم 996.

عليه يحفظُهُ ويُقيتهُ...))(1)، وقال في القاموس المحيط: ((المُقيتُ: الحافظ للشيء، والشاهد له، والمقتدر، كالذي يعطي كل أحد قوته))(2)، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: مقتدراً، أو مجازياً، وقال مجاهد: شاهداً، وقال قتادة: حافظاً، وقيل: معناه على كل حيوان مقيتاً: أي يوصل القوت إليه(3)، وقال ابن كثير: ﴿ **وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا** ﴾ أي حفيظاً، وقال مجاهد: شهيداً، وفي رواية عنه: حسيباً، وقيل: قديراً، وقيل: المقيت: الرازق، وقيل: مقيت لكل إنسان بقدر عمله(4).

77- الوَكيلُ

قال الله تعالى: ﴿**اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ** ﴾(5)، فهو سبحانه المتولّي لتدبير خلقه، بعلمه، وكمال قدرته، وشمول حكمته، الذي تولى أولياءه، فيسَّرهم لليُسرى، وجنّبهم العُسرى، وكفاهم الأمور.

فمن اتخذه وكيلاً كفاه: ﴿**اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ** ﴾(6).

78- ذو الجلال والإكرام

أي: ذو العظمة والكبرياء، وذوَ الرحمة، والجود، والإحسان العام والخاص.

المكرم لأوليائه وأصفيائه، الذين يُجلُّونه، ويُعظمونه، ويُحبونه(7). قال تعالى: ﴿**تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْـجَلالِ وَالإِكْرَامِ** ﴾(8).

79- جامعُ الناس ليومٍ لا ريبَ فيه

قال الله تعالى: ﴿**رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللهَ**

(1) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، ص414.
(2) القاموس المحيط، ص202.
(3) تفسير البغوي، 457/1 .
(4) تفسير ابن كثير، 531/1، بتصرف يسير.
(5) سورة الزمر، الآية: 62 .
(6) سورة البقرة، الآية: 257 .
(7) تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، 626/5.
(8) سورة الرحمن، الآية: 78 .

لاَ يُخْلِفُ الْـمِيعَادَ ﴾[1]. فالله ﷻ هو جامع الناس، وجامع أعمالهم وأرزاقهم، فلا يترك منها صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

وجامع ما تفرق واستحال من الأموات الأولين والآخرين، بكمال قدرته، وسعة علمه[2].

80- بديعُ السموات والأرض

قال الله تعالى: **﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾**[3].

أي: خالقهما ومبدعهما، في غاية ما يكون من الحسن والخلق البديع، والنظام العجيب المحكم.

وقال تعالى: **﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْـخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾**[4] ابتدأ خلقهم، ليبلوهم أيّهم أحسن عملاً، ثم يعيدهم، ليجزي الذين أحسنوا بالحُسنى، ويجزي المسيئين بإساءتهم.

وكذلك،هو الذي يبدأ إيجاد المخلوقات شيئاً فشيئاً،ثم يعيدها كل وقت.

وقال الله تعالى: **﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّـمَا يُرِيدُ ﴾**[5]، وقال سبحانه: **﴿ذُو الْعَرْشِ الْـمَجِيدُ * فَعَّالٌ لِّـمَا يُرِيدُ ﴾**[6].

وهذا من كمال قوته، ونفوذ مشيئته، وقدرته، أن كل أمر يريده يفعله بلا ممانع، ولا معارض. وليس له ظهير ولا عوين، على أيّ أمر يكون. بل إذا أراد شيئاً قال له: ((كن فيكون)). ومع أنه الفعّال لما يريد، فإرادته، تابعة لحكمته وحمده. فهو موصوف بكمال القدرة، ونفوذ المشيئة. وموصوف بشمول الحكمة، لكل ما فعله ويفعله[7].

---

(1) سورة آل عمران، الآية: 9 .
(2) تفسير السعدي، 627/5.
(3) سورة البقرة، الآية: 117 .
(4) سورة الروم، الآية: 27 .
(5) سورة هود، الآية: 107 .
(6) سورة البروج، الآيتان: 15- 16 .
(7) تيسير الكريم الرحمن، 628/5-629.

81- الكافي

قال الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾[1]، فهو سبحانه الكافي عباده جميع ما يحتاجون ويضطرون إليه. الكافي كفاية خاصة، من آمن به، وتوكل عليه، واستمد منه حوائج دينه ودنياه.

82- الواسعُ

قال الله تعالى: ﴿وَاللهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[2]. فهو ﷻ واسع الصفات، والنعوت، ومتعلّقاتها، بحيث لا يُحصِي أحد ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه.

واسع العظمة، والسلطان، والملك، واسع الفضل، والإحسان، عظيم الجود والكرم.

83- الحقُّ

الله ﷻ هو الحق في ذاته وصفاته، فهو واجب الوجود، كامل الصفات والنعوت، وجوده من لوازم ذاته، ولا وجود لشيء من الأشياء إلا به، فهو الذي لم يزل، ولا يزال، بالجلال، والجمال، والكمال، موصوفاً، ولم يزل ولا يزال بالإحسان معروفاً.

فقوله حق، وفعله، حق، ولقاؤه حق، ورسله حق، وكتبه حق، ودينه هو الحق، وعبادته وحده لا شريك له، هي الحق، وكل شيء ينسب إليه، فهو حق[3]. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾[4].

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[5]. ﴿فَذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ ﴾[6]، ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾[7]. وقال الله تعالى:

---

(1) سورة الزمر، الآية: 36 .
(2) سورة البقرة، الآية: 268 .
(3) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، 5/631-632، بتصرف يسير.
(4) سورة الحج، الآية: 62 .
(5) سورة الكهف، الآية: 29 .
(6) سورة يونس، الآية: 32 .
(7) سورة الإسراء، الآية: 81 .

﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾[1]. فأوصافه العظيمة حق، وأفعاله هي الحق، وعبادته هي الحق، ووعده حق، ووعيده وحسابه هو العدل الذي لا جور فيه[2].

84- الجَميلُ

قال النبي ﷺ: ((**إن الله جميلٌ يحبُ الجمال**))[3]، فهو سبحانه جميلٌ بذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، فلا يُمكن مخلوقاً أن يعبر عن بعض جمال ذاته، حتى أن أهل الجنة مع ما هم فيه من النعيم المقيم، واللذّات والسرور والأفراح التي لا يقدّر قدرها، إذا رأوا ربّهم، وتمتعوا بجماله، نسوا ما هم فيه من النعيم، وتلاشى ما هم فيه من الأفراح، وودّوا أنْ لو تدوم هذه الحال، واكتسبوا من جماله ونوره جمالاً إلى جمالهم، وكانت قلوبهم في شوق دائم ونزوع إلى رؤية ربِّهم، ويفرحون بيوم المزيد فرحاً تكاد تطير له القلوب.

وكذلك هو الجميل في أسمائه؛ فإنها كلها حسنى، بل أحسن الأسماء على الإطلاق وأجملها،قال تعالى **﴿وَلله الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾**[4]، وقال تعالى: **﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾**[5]، فكلها دالّة على غاية الحمد والمجد والكمال، لا يُسمّى باسم منقسم إلى كمال وغيره.

وكذلك هو الجميل في أوصافه؛ فإنّ أوصافه كلها أوصاف كمال، ونعوت ثناء وحمد، فهي أوسع الصفات وأعمّها وأكثرها تعلقاً، خصوصاً أوصاف الرحمة، والبرّ، والكرم، والجود.

وكذلك أفعاله كلها جميلة؛ فإنها دائرة بين أفعال البرّ والإحسان التي يحمد عليها، ويُثني عليه ويُشكَر، وبين أفعال العدل التي يُحمد عليها لموافقتها للحكمة والحمد، فليس في أفعاله عبث، ولا سفه، ولا سدى، ولا ظلم، كلها خير، وهدى، ورحمة، ورشد، وعدل: **﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾**[6]، فلكماله الذي لا يُحصي أحد عليه به ثناء كملت أفعاله، فصارت أحكامه من أحسن الأحكام،

---

(1) سورة النور، الآية: 25 .
(2) تفسير السعدي، 405/5، وابن كثير، 277/3 .
(3) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، برقم 91.
(4) سورة الأعراف، الآية: 180 .
(5) سورة مريم، الآية: 65 .
(6) سورة هود، الآية: 56 .

وصنعه وخلقه أحسن خلق وصنع: أتقن ما صنعه: **﴿صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾**(1)، وأحسن ما خلقه. **﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾**(2)، **﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾**(3).

والأكوان محتوية على أصناف الجمال، وجمالها من الله تعالى فهو الذي كساها الجمال، وأعطاها الحسن، فهو أولى منها لأن مُعطي الجمال أحقّ بالجمال، فكل جمال في الدنيا والآخرة باطني وظاهري، خصوصاً ما يعطيه المولى لأهل الجنّة من الجمال المفرط في رجالهم ونسائهم، فلو بدا كفّ واحدة من الحور العين إلى الدنيا، لطمس ضوءَ الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم، أليس الذي كساهم ذلك الجمال، ومنّ عليهم بذلك الحُسْن والكمال،أحقّ منهم بالجمال الذي ليس كمثله شيء، فهذا دليل عقلي واضح مُسلَّم المقدمات على هذه المسألة العظيمة وعلى غيرها من صفاته، قال تعالى: **﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىَ ﴾**(4)، فكل ما وجد في المخلوقات من كمال لا يستلزم نقصاً، فإنّ معطيه وهو الله أحقُّ به من المُعطَى بما لا نسبة بينه وبينهم، كما لا نسبة لذواتهم إلى ذاته، وصفاتهم إلى صفاته، فالذي أعطاهم السمع، والبصر، والحياة، والعلم، والقدرة، والجمال، أحقّ منهم بذلك، وكيف يعبّر أحد عن جماله وقد قال أعلم الخلق به: ((**لا أُحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك**))(5)،وقال ﷺ: ((**حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**))(6)، فسبحان الله وتقدّس عما يقوله الظالمون النافون لكماله علواً كبيراً، وحسبهم مقتاً و خساراً أنهم حُرموا من الوصول إلى معرفته والابتهاج بمحبته(7).

قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: ((**لا أحد أصبر على أذىً سمعه من الله، يجعلون له الولد وهو يعافيهم ويرزقهم**))(8)، وقال

(1) سورة النمل، الآية: 88 .
(2) سورة السجدة، الآية: 7 .
(3) سورة المائدة، الآية: 50 .
(4) سورة النحل، الآية: 60 .
(5) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، برقم 486.
(6) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب في قوله ﷺ: إن الله لا ينام، برقم 179.
(7) توضيح الحق المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص29-32، بتصرف يسير .
(8) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾، برقم 7378، ومسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب لا أحد أصبر

أيضاً في الصحيح: قال الله تعالى: ((**كذَّبني ابن آدم، ولم يكُن له ذلك. وشتمني ابن آدم، ولم يكُن له ذلك. فأما تكذيبه إيَّاي فقوله: لن يعيدني كما بدأني. وليس أول الخلق بأهون عليَّ من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله: إنَّ لي ولداً، وأنا الأحد الصَّمد الذي لم يلد ولم يولدْ، ولم يكُن له كفواً أحد**))[1]، فالله تعالى يدرّ على عباده الأرزاق المطيع منهم والعاصي، والعصاة لا يزالون في محاربته وتكذيبه وتكذيب رسله والسعي في إطفاء دينه، والله تعالى حليم على ما يقولون وما يفعلون، يتتابعون في الشرور، وهو يتابع عليهم النعم، وصبره أكمل صبر لأنّه عن كمال قدرة، وكمال غنى عن الخلق، وكمال رحمة وإحسان، فتبارك الربُّ الرحيم الذي ليس كمثله شيء، الذي يحب الصابرين ويعينهم في كل أمرهم[2].

85- الرَّفيقُ

مأخوذ من قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: ((**إن الله رفيق يحب الرفق، ويُعطي على الرفق ما لا يُعطي على العنف،وما لا يُعطي على ما سواه**))[3]، فالله تعالى رفيق في أفعاله، خلق المخلوقات كلها بالتدريج شيئاً فشيئاً بحسب حكمته ورفقه، مع أنه قادر على خلقها دفعة واحدة وفي لحظة واحدة.

ومن تدبّر المخلوقات، وتدبّر الشرائع كيف يأتي بها شيئاً بعد شيء شاهد من ذلك العجب العجيب، فالمتأني الذي يأتي الأمور برفق وسكينة ووقار، اتباعاً لسنن الله في الكون، واتّباعاً لنبيه ﷺ؛ فإنّ هذا هديه وطريقه تتيسر له الأمور، وبالأخصّ الذي يحتاج إلى أمر الناس ونهيهم وإرشادهم، فإنه مضطر إلى الرفق واللين، وكذلك من آذاه الخلق بالأقوال البشعة وصان لسانه عن مشاتمتهم، ودافع عن نفسه برفق ولين، اندفع عنه من أذاهم ما لا يندفع بمقابلتهم بمثل مقالهم وفعالهم، ومع ذلك فقد كسب الراحة

على أذى من الله ﷻ، برقم 2804.

(1) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب سورة الإخلاص، برقم 4974.

(2) الحق الواضح المبين، ص57-58، بتصرف يسير .

(3) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، برقم 2593، وأخرج البخاري الجزء الأول منه في كتاب استتابة المرتدين، باب إذا عرّض الذمي وغيره بسب النبي ﷺ، برقم 6927.

والطمأنينة والرزانة والحلم[1].

والله ﷻ يغيث عباده إذا استغاثوا به سبحانه، فعن أنس بن مالك أن رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة... ورسول الله ﷺ يخطب... ثم قال: يا رسول الله! هلكت الأموال وانقطعت السبل فادعُ الله يغيثنا، فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: ((**اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا**))[2]. فالله ﷻ يغيث عباده في الشدائد والمشقات، فهو يغيث جميع المخلوقات عندما تتعسّر أمورها وتقع في الشدائد والكربات: يُطعم جائعهم، ويكسو عاريهم، ويخلص مكروبهم، ويُنزّل الغيث عليهم في وقت الضرورة والحاجة، وكذلك يُجيب إغاثة اللهفان، أي دعاء من دعاه في حالة اللهف والشدة والاضطرار، فمن استغاثه أغاثه.

وفي الكتاب والسنة من ذكر تفريجه للكربات، وإزالته الشدائد، وتيسيره للعسير شيء كثير جداً معروف[3].

86- الحَيِيُّ، 87- السِّتِّيرُ

هذا مأخوذ من قول النبي ﷺ: ((**إن الله حيي يستحي من عبده إذا مدَّ يديه إليه أن يردهما صفراً**))[4] وقال ﷺ: ((**إن الله ﷻ حليمٌ، حييٌ ستِّيرٌ يُحبّ الحياءَ والستر، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر**))[5]، وهذا من رحمته، وكرمه، وكماله، وحلمه أن العبد يجاهره بالمعاصي مع فقره الشديد إليه، حتى أنه لا يمكنه أن يعصي إلا أن

(1) الحق الواضح المبين، ص63.

(2) أخرجه البخاري في كتاب الاستسقاء، باب الاستسقاء في خطبة الجمعة غير مستقبل القبلة، برقم 1014، ومسلم في كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء، برقم 897.

(3) الحق الواضح المبين، ص67.

(4) أخرجه أبو داود في كتاب الوتر، باب الدعاء، برقم 1488، والترمذي في كتاب الدعوات، باب 104، برقم 3556، وابن ماجه في كتاب الدعاء، باب رفع اليدين في الدعاء، برقم 3865، وأحمد في المسند، 438/5، والحاكم في المستدرك، 497/1، وقال: ((إسناده صحيح على شرط الشيخين)). ووافقه الذهبي. وقال أبو عيسى الترمذي: ((هذا حديث حسن غريب)). وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم 1757.

(5) أخرجه أبو داود في كتاب الحمّام، باب النهي عن التعري، برقم 4012، والنسائي في كتاب الغسل، باب الاستتار عند الاغتسال، برقم 404، وأحمد، 224/4، والبيهقي في سننه الكبرى، 198/1، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم 1756، وفي إرواء الغليل، برقم 2335.

يتقوى عليها بنعم ربه، والرب مع كمال غناه عن الخلق كلّهم من كرمه يستحيي من هتكه وفضيحته وإحلال العقوبة به، فيستره بما يقيض له من أسباب الستر، ويعفو عنه ويغفر له، فهو يتحبب إلى عباده بالنعم وهم يتبغَّضون إليه بالمعاصي، خيره إليهم بعدد اللحظات [نازل]، وشرّهم إليه صاعد، ولا يزال الملك الكريم يصعد إليه منهم بالمعاصي وكل قبيح.

ويستحي تعالى ممن شاب في الإسلام أن يعذبه، وممن يمدّ يديه إليه أن يردّهما صفراً، ويدعو عباده إلى دعائه ويعدهم بالإجابة، وهو الحيي السِّتِّير يحب أهل الحياء والستر، ومن ستر مسلماً ستر الله عليه في الدنيا والآخرة؛ ولهذا يكره من عبده إذا فعل معصية أن يذيعها، بل يتوب إليه فيما بينه وبينه ولا يظهرها للناس، وإن من أمقت الناس إليه من بات عاصياً والله يستره، فيصبح يكشف ستر الله عليه، وقال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَـهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ﴾**[1]، وهذا كله من معنى اسمه «الحليم» الذي وسع حلمه أهل الكفر والفسوق والعصيان، ومنع عقوبته أن تحلَّ بأهل الظلم عاجلاً، فهو يمهلهم ليتوبوا، ولا يهملهم إذا أصرّوا واستمروا في طغيانهم ولم يُنيبوا[2].

88- الإلهُ

اسم الإله: هو الجامع لجميع صفات الكمال ونعوت الجلال، فقد دخل في هذا الاسم جميع الأسماء الحسنى؛ ولهذا كان القول الصحيح أنَّ «الله » أصله «الإله»، وأن اسم «الله» هو الجامع لجميع الأسماء الحسنى والصفات العلا، والله أعلم[3]. قال الله تعالى: **﴿إِنَّمَا الله إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِالله وَكِيلاً ﴾**[4].

89- القابضُ، 90- الباسِطُ، 91- المُعطي

قال الله تعالى: **﴿وَالله يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾**[5]، وقال

(1) سورة النور، الآية: 19 .
(2) الحق الواضح المبين، ص54-55.
(3) الحق الواضح المبين، ص 54-55.
(4) سورة النساء، الآية: 171 .
(5) سورة البقرة، الآية: 245 .

النبي ﷺ: **((إن الله هو المُسعِّرُ، القابضُ، الباسطُ، الرَّازقُ..))**[1].

وقال ﷺ: **((من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، والله المعطي وأنا القاسم...))**[2].

وقال النبي ﷺ: **((إن الله ﷻ لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعُهُ، يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل...))**[3] الحديث.

وقال تعالى: **﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**[4]، وقال ﷺ: **((إن الله يرفعُ بهذا الكتاب أقواماً ويضَعُ به آخرين))**[5]، وقد كان ﷺ يقول بعد السلام من الصلاة حينما ينصرف إلى الناس: **((لا إله إلا الله وحده لا شريك له. له الملك وله الحمدُ وهو على كل شيءٍ قدير. اللهم لا مانع لما أعطيت ولا مُعطي لما منعت ولا ينفع ذا الجدِّ منك الجدُّ))**[6].

هذه الصفات الكريمة من الأسماء المتقابلات التي لا ينبغي أن يُثنى على الله بها إلا كل واحد منها مع الآخر؛ لأن الكمال المطلق من اجتماع الوصفين، فهو القابض للأرزاق والأرواح والنفوس، والباسط للأرزاق والرحمة والقلوب، وهو الرافع لأقوام قائمين بالعلم والإيمان، الخافض لأعدائه، وهو المعزّ لأهل طاعته، وهذا عز حقيقي؛ فإن المطيع لله عزيز وإن كان فقيراً ليس له أعوان،

---

(1) أخرجه أبو داود في كتاب البيوع والإجارات، باب في التسعير، برقم 3451، والترمذي في كتاب البيوع، باب في التسعير، برقم 1314، وابن ماجه في كتاب التجارات، باب من كره أن يسعر، برقم 2200، وأحمد في المسند، 156/3، وصححه الترمذي. وكذا الألباني في صحيح الجامع، برقم 1846.

(2) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، برقم 71، ومسلم في كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، برقم 100/1037.

(3) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب في قوله ﷺ: ((إن الله لا ينام))، برقم 179.

(4) سورة آل عمران، الآية: 26 .

(5) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، برقم 817، وابن ماجه في المقدمة، باب فضل من تعلم القرآن وعلمه، برقم 218، والدارمي في كتاب فضائل القرآن، باب إن الله يرفع بهذا القرآن أقواماً ويضع آخرين، برقم 3368.

(6) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب الذكر بعد الصلاة، برقم 844، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، برقم 593.

المذلّ لأهل معصيته وأعدائه ذلاً في الدنيا والآخرة. فالعاصي وإن ظهر بمظاهر العز فقلبه حشوه الذلّ وإنْ لم يشعر به لانغماسه في الشهوات؛ فإنّ العزّ كلّ العزّ بطاعة الله، والذلّ بمعصيته: ﴿**وَمَن يُهِنِ اللّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ**﴾[1]، ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا**﴾[2]، ﴿**وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ**﴾[3]. وهو تعالى المانع المعطي فلا معطي لما منع، ولا مانع لما أعطى، وهذه الأمور كلها تبع لعدله وحكمته وحمده؛ فإنّ له الحكمة في خفض من يخفضه ويذلّه ويحرمه، ولا حجّة لأحد على الله، كما له الفضل المحض على من رفعه وأعطاه وبسط له الخيرات، فعلى العبد أن يعترف بحكمة الله، كما عليه أن يعترف بفضله ويشكره بلسانه وجنانه وأركانه.

وكما أنه هو المنفرد بهذه الأمور وكلها جارية تحت أقداره، فإن الله جعل لرفعه وعطائه وإكرامه أسباباً، ولضد ذلك أسباباً من قام بها ترتبت عليه مسبباتها، وكل ميسر لما خلق له، أما أهل السعادة فييسّرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسّرون لعمل أهل الشقاوة، وهذا يُوجب للعبد القيام بتوحيد الله، والاعتماد على ربِّه في حصول ما يحبّ، ويجتهد في فعل الأسباب النافعة فإنها محلّ حكمة الله[4].

92- المُقَدِّمُ، 93- المُؤَخِّرُ

كان من آخر ما يقول النبي ﷺ بين التشهد والتسليم: ((**اللهم اغفر لي ما قدّمت، وما أخّرت، وما أسررتُ، وما أعلنتُ، وما أسرفت، وما أنت أعلمُ به مني. أنتَ المقدِّمُ، وأنت المؤخِّرُ. لا إله إلا أنت**))[5].

المقدِّمُ والمؤخِّر هما كما تقدم من الأسماء المزدوجة المتقابلة التي لا يطلق واحد بمفرده على الله إلا مقروناً بالآخر؛ فإن الكمال

---

(1) سورة الحج، الآية: 18 .
(2) سورة فاطر، الآية: 10 .
(3) سورة المنافقون، الآية: 8 .
(4) الحق الواضح المبين، ص89-90.
(5) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها،باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه،برقم 771، وأخرجه بنحوه البخاري في كتاب الدعوات، باب قول النبي × : ((اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت))، برقم 6398، وليس فيه: ((بين التشهد والتسليم)).

من اجتماعهما، فهو تعالى المقدّم لمن شاء والمؤخّر لمن شاء بحكمته.

وهذا التقديم يكون كونياً كتقديم بعض المخلوقات على بعض، وتأخير بعضها على بعض، وكتقديم الأسباب على مسبباتها، والشروط على مشروطاتها.

وأنواع التقديم والتأخير في الخلق والتقدير بحر لا ساحل له، ويكون شرعياً كما فضّل الأنبياء على الخلق، وفضّل بعضهم على بعض، وفضّل بعض عباده على بعض، وقدّمهم في العلم، والإيمان، والعمل، والأخلاق، وسائر الأوصاف، وأخّر من أخّر منهم بشيء من ذلك، وكل هذا تبع لحكمته.

وهذان الوصفان وما أشبههما من الصفات الذاتية لكونهما قائمين بالله والله متصف بهما، ومن صفات الأفعال؛ لأن التقديم والتأخير متعلق بالمخلوقات ذواتها، وأفعالها، ومعانيها، وأوصافها، وهي ناشئة عن إرادة الله وقدرته.

فهذا هو التقسيم الصحيح لصفات الباري، وإنّ صفات الذات متعلقة بالذات، وصفات أفعاله متصفة بها الذات، ومتعلقة بما ينشأ عنها من الأقوال والأفعال[1].

قال الله ﷻ: ﴿ **(وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ** ﴾[2]، وقال الله تعالى: ﴿**قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا** ﴾[3].

وصفة الضر والنفع هما كما تقدم من الأسماء المزدوجة المتقابلة، فالله تعالى النافع لمن شاء من عباده بالمنافع الدينية والدنيوية، الضار لمن فعل الأسباب التي توجب ذلك، وكل هذا تبع لحكمته وسننه الكونية وللأسباب التي جعلها موصلة إلى مسبباتها، فإن الله تعالى جعل مقاصد للخلق وأموراً محبوبة في الدين والدنيا، وجعل لها أسباباً وطرقاً، وأمر بسلوكها ويسّرها لعباده غاية التيسير، فمن سلكها أوصلته إلى المقصود النافع، ومن تركها أو ترك بعضها، أو فوّت كماله أو أتاها على وجه ناقص ففاته الكمال

(1) الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين، ص100.
(2) سورة الأنعام، الآية: 17 .
(3) سورة الفتح، الآية: 11 .

المطلوب، فلا يلومنّ إلا نفسه، وليس له حجة على الله؛ فإن الله أعطاه السمع، والبصر، والفؤاد، والقوة، والقدرة، وهداه النجدين، وبين له الأسباب، والمسببات، ولم يمنعه طريقاً يوصل إلى خير ديني ولا دنيوي، فتخلفه عن هذه الأمور يوجب أن يكون هو الملوم عليها المذموم على تركها.

واعلم أن صفات الأفعال كلها متعلقة وصادرة عن هذه الصفات الثلاث: القدرة الكاملة، والمشيئة النافذة، والحكمة الشاملة التامة، وهي كلها قائمة بالله، والله متصف بها، وآثارها ومقتضياتها جميع ما يصدر عنها في الكون كله من التقديم والتأخير، والنفع والضر، والعطاء والحرمان، والخفض والرفع، لا فرق بين محسوسها ومعقولها، ولا بين دينها ودنيويها. فهذا معنى كونها أوصاف أفعال لا كما ظنه أهل الكلام الباطل[1].

94- المُبينُ

المُبينُ: اسم الفاعل من أبان يُبينُ فهو مُبين، إذا أظهر وبَيَّن إما قولاً، وإما فعلاً.

والبيِّنة هي الدلالة الواضحة عقلية كانت أو محسوسة، والبيان هو الكشف عن الشيء... وسمّي الكلام بياناً لكشفه عن المقصود وإظهاره، نحو: ﴿**هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ**﴾.

فالله ﷻ هو الُمبيّن لعباده سبيل الرشاد، والموضِّح لهم الأعمال التي يستحقون الثواب على فعلها، والأعمال التي يستحقون العقاب عليها، وبيّن لهم ما يأتون، وما يذرون، يقال: أبان الرجل في كلامه ومنطقه فهو مُبينٌ والبيان: الكلام، ويقال: بان الكلامُ وأبان بمعنىً واحد، فهو: مُبِّينٌ ومُبينٌ[2]، وقد سمى الله نفسه بالمبين: ﴿**يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ**﴾[3].

وهو سبحانه الذي بيّن لعباده طرق الهداية وحذّرهم، وبين لهم طرق الضلال، وأرسل إليهم الرسل، وأنزل الكتب ليبين لهم، قال الله ﷻ:

(1) توضيح الكافية الشافية للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص131-132 .
(2) انظر مفردات القرآن للراغب الأصفهاني، ص68و69، واشتقاق الأسماء للزجاجي، ص180 .
(3) سورة النور، الآية: 25 .

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْـهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَـئِكَ يَلعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ﴾[1]، وهذا وعيد شديد لمن كتم ما جاءت به الرسل من الدلالات البينة على المقاصد الصحيحة والهدى النافع للقلوب من بعدما بينه الله تعالى في كتبه التي أنزلها على رسله عليهم الصلاة والسلام.

وقال ﷻ: **﴿وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ لَوْلاَ يُكَلِّمُنَا اللهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾**[2]، **﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾**[3]، **﴿يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾**[4]، وقال ﷻ: **﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾**[5].

ويقول ﷻ: **﴿انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَـهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾**[6]. **﴿وَيُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾**[7]، والله ﷻ يُبيِّن للناس الأحكام الشرعية ويوضّحها، ويُبيِّن الحكم القدرية، وهو عليم بما يصلح عباده، حكيم في شرعه وقدره[8]، فله الحكمة البالغة، والحجة الدامغة.

وقال ﷻ: **﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾**[9]، وقال: **﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَـهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾**[10]، يخبر الله عن نفسه الكريمة وحكمه العادل أنه لا يضل قوماً إلا بعد إبلاغ الرسالة إليهم حتى يكونوا قد

---

(1) سورة البقرة، الآية: 195 .
(2) سورة البقرة، الآية: 118 .
(3) سورة البقرة، الآية: 266 .
(4) سورة النساء، الآية: 26 .
(5) سورة المائدة، الآيتان: 15-16 .
(6) سورة المائدة، الآية: 75 .
(7) سورة النور، الآية: 18 .
(8) تفسير ابن كثير، 274/3 .
(9) سورة آل عمران، الآية: 103 .
(10) سورة التوبة، الآية: 115 .

قامت عليهم الحجة[1].

95- المنَّانُ

المنّان من أسماء الله الحسنى التي سماه بها رسول الله ﷺ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمع النبي ﷺ رجلاً يقول: ((اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت [وحدك لا شريك لك] المنّان، [يا] بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حيُّ يا قيوم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار. فقال النبي ﷺ: **((لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا سُئل به أعطى، وإذا دُعي به أجاب))**[2].

قال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث: ((المنّان)) هو المنعم المعطي من المنِّ: العطاء، لا من المنة. وكثيراً ما يرد المنّ في كلامهم: بمعنى الإحسان إلى من لا يستثيبه ولا يطلب الجزاء عليه، فالمنّان من أبنية المبالغة... كالوهاب[3]. ومنه الحديث الذي أخرجه البخاري وغيره أن النبي ﷺ قال: ((**إنه ليس من الناس أحدٌ أمنَّ عليَّ في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي قحافة، ولو كنت متخذاً من الناس خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن خُلّةُ الإسلام أفضل))**[4]، ومعنى ((**إن من أمنّ الناس**)) أكثرهم جوداً لنا بنفسه، وماله، وليس هو من المنّ الذي هو الاعتداد بالصنيعة))[5].

والله عز وجل هو المنَّان: من المن العطاء، والمنّان: هو عظيم المواهب؛ فإنه أعطى الحياة، والعقل، والنطق، وصوّر فأحسن، وأنعم فأجزل، و أسنى النعم، وأكثر العطايا والمنح))[6]، قال وقوله الحق: **﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ**

---

(1) تفسير ابن كثير، 396/2 .

(2) أخرجه أبو داود في كتاب الوتر، باب الدعاء، برقم 1493-1495، والترمذي في كتاب الدعوات، باب ما جاء في جامع الدعوات عن النبي × ، برقم 3475، وابن ماجه في كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم، برقم 3857، 3858، وقال الترمذي: ((هذا حديث حسن غريب)). وانظر: صحيح النسائي للألباني، 279/1، وصحيح ابن ماجه، 329/2، وصفة الصلاة للألباني، ص204 .

(3) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، 365/4 .

(4) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب الخوخة والممر في المسجد، برقم 467، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، برقم 2382.

(5) فتح الباري، 558/1 .

(6) الأسماء والصفات للبيهقي، 120/1 .

﴾[1].

ومن أعظم النعم، بل أصل النعم التي امتن الله بها على عباده الامتنان عليهم بهذا الرسول ﷺ الذي أنقذهم الله به من الضلال، وعصمهم به من الهلاك[2]. قال الله تعالى: ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ**﴾[3].

فالله ﷻ هو الذي منّ على عباده: بالخلق، والرزق، والصحة في الأبدان، والأمن في الأوطان، وأسبغ عليهم النعم الظاهرة والباطنة، ومن أعظم المنن وأكملها وأنفعها - بل أصل النعم - الهداية للإسلام ومنته بالإيمان، وهذا أفضل من كل شيء[4].

ومعنى ((**لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**)) أي تفضّل على المؤمنين المصدقين والمنان: المتفضل))[5].

والمنة: النعمة العظيمة. قال الأصفهاني: المنة: النعمة الثقيلة، وهي على نوعين:

النوع الأول: أن تكون هذه المنَّة بالفعل فيقال: منَّ فلانٌ على فلان إذا أثقله بالنعمة، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ**﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿**كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُواْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**﴾[7]، وقال ﷻ: ﴿**وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ**﴾[8]، ﴿**وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى**﴾[9]، ﴿**وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ**

(1) سورة إبراهيم، الآية: 34 .
(2) تفسير العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله، 449/1 .
(3) سورة آل عمران، الآية: 164 .
(4) انظر تفسير السعدي، 142/7 .
(5) الأسماء والصفات للبيهقي، 49/1 .
(6) سورة آل عمران، الآية: 164 .
(7) سورة النساء، الآية: 94 .
(8) سورة الصافات، الآية: 114 .
(9) سورة طه، الآية: 37 .
(10) سورة القصص، الآية: 5 .

الله عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴾[1]، **﴿وَلَـكِنَّ الله يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾**[2].

وهذا كله على الحقيقة لا يكون إلا من الله تعالى، فهو الذي منّ على عباده بهذه النعم العظيمة، فله الحمد حتى يرضى، وله الحمد بعد رضاه، وله الحمد في الأولى والآخرة.

النوع الثاني: أن يكون المنّ بالقول. وذلك مستقبح فيما بين الناس، ولقبح ذلك قيل: المنة تهدم الصنيعة، قال الله تعالى: **﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُم بَلِ الله يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾**[3]، فالمنَّة من الله عليهم بالفعل وهو هدايتهم للإسلام[4]، والمنَّة منهم بالقول المذموم، وقد ذم الله في كتابه ونهى عن المنّ المذموم: وهو المنَّة بالقول فقال: **﴿وَلا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴾**[5]، قال ابن كثير: ((لا تمنن بعملك على ربك تستكثره))[6]، وقيل غير ذلك.

وقال الله ﷻ: **﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَـهُمْ فِي سَبِيلِ الله ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُواُ مَنّاً وَلاَ أَذًى لَّـهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَالله غَنِيٌّ حَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْـمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَالله لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾**[7].

وقد ذمَّ رسول الله ﷺ المنَّ بالعطية، فقال عليه الصلاة والسلام: ((**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم**))، فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرات. قال أبو ذر: خابوا وخسروا، من هم يا رسول الله؟ قال: ((**المُسبلُ، والمنانُ،**

(1) سورة الطور، الآية: 27 .
(2) سورة إبراهيم، الآية: 11 .
(3) سورة الحجرات، الآية: 17 .
(4) مفردات غريب القرآن للأصفهاني، ص474.
(5) سورة المدثر، الآية: 6 .
(6) تفسير ابن كثير، 242/4.
(7) سورة البقرة، الآيات: 262-264.

والمنفق سلعته بالحلِفِ الكاذب))[1].

هذا هو المنّ المذموم، أما المنّ بمعنى العطاء، والإحسان، والجود، فهو المحمود.

والخلاصة: أنّ الله تبارك وتعالى هو المنّان الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وهو عظيم المواهب، أعطى الحياة، والعقل، والنطق، وصوّر فأحسن، وأنعم فأجزل، وأكثر العطايا، والمنح، وأنقذ عباده المؤمنين، ومنّ عليهم بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، وإخراجهم من الظلمات إلى النور بمنّه وفضله، ومنّ على عباده أجمعين: بالخلق، والرزق، والصحة، والأمن لعباده المؤمنين.

وأسبغ على عباده النعم مع كثرة معاصيهم وذنوبهم.

فاللهمّ منَّ علينا بنعمة الإيمان، واحفظنا وأجزل لنا من كل خير، واصرف عنا كل شرّ، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، يا كريم يا منّان، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، يا بديع السموات والأرض، يا الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد.

96- الوليُّ

الولي:يطلق على كل من وَلي أمراً أو قام به،والنصير،والمُحبّ، والصديق، والحليف،والصهر،والجار،والتابع،والمُعتِق،والمُطيع،يُقال: المؤمنُ وليُّ الله،والمطر يسقط بعد المطر،والولي ضد العدو،والناصر والمتولي لأمور العالم والخلائق،ويقال للقيِّم على اليتيم:الولي،وللأمير الوالي[2].

قال الراغب الأصفهاني: الولاءُ والتَّوالي يطلق على القرب من حيث المكان، ومن حيث النسب، ومن حيث الدين، ومن حيث الصداقة، ومن حيث النُّصرة، ومن حيث الاعتقاد، والولاية النصرة، والولاية تولّي الأمر... والوليّ والموْلى يستعملان في ذلك

(1) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية، برقم 106.

(2) انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، 227/5، والمعجم الوسيط، ص1058، والقاموس المحيط، ص1732، والمصباح المنير، ص672، ومختار الصحاح، ص306.

كل واحد منهما يقال في معنى الفاعل أي المُوالي، وفي معنى المفعول أي المُوالَى، يقال للمؤمن: هو وليُّ الله، ويقال الله وليّ المؤمنين[1].

وولاية الله ﷻ ليست كغيرها: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[2]. فهو سبحانه الولي الذي تولى أمور العالم والخلائق، وهو مالك التدبير، وهو الوليّ الذي صرف لخلقه ما ينفعهم في دينهم وأخراهم))[3].

وقد سمّى الله تعالى نفسه بهذا الاسم، فهو من الأسماء الحسنى، قال الله ﷻ: ﴿**أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[4]، وقال ﷻ: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ**﴾[5].

فالله ﷻ هو الولي الذي يتولاه عبده بعبادته وطاعته والتقرب إليه بما أمكن من القُربات، وهو الذي يتولى عباده عموماً بتدبيرهم، ونفوذ القدر فيهم، ويتولى عباده بأنواع التدبير.

ويتولى عباده المؤمنين خصوصاً بإخراجهم من الظلمات إلى النور، ويتولى تربيتهم بلطفه، ويعينهم في جميع أمورهم وينصرهم، ويؤيّدهم بتوفيقه، ويسدّدهم، قال الله ﷻ: ﴿**اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾[6]، وقال ﷻ: ﴿**وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ**﴾[7].

فالله ﷻ هو نصير المؤمنين وظهيرهم، يتولاهم بعونه وتوفيقه، ويخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان.. وإنما جعل الظلمات للكفر مثلاً؛ لأن الظلمات حاجبة للأبصار عن إدراك الأشياء

(1) مفردات الراغب الأصفهاني، ص533.
(2) سورة الشورى، الآية: 11 .
(3) انظر: تفسير ابن كثير، 116/4، و277/1، وتفسير العلامة السعدي، 617/6، و595/6 .
(4) سورة الشورى، الآية: 9 .
(5) سورة الشورى، الآية: 28 .
(6) سورة البقرة، الآية: 257 .
(7) سورة الجاثية، الآية: 19 .

وإثباتها، وكذلك الكفر حاجب لأبصار القلوب عن إدراك حقائق الإيمان، والعلم بصحته وصحة أسبابه، فأخبر ﷻ عباده أنه وليّ المؤمنين، ومُبَصِّرُهم حقيقة الإيمان، وسبله، وشرائعه، وحججه، وهاديهم لأدلته المزيلة عنهم الشكوك بكشفه عنهم دواعي الكفر، وظلم سواتر أبصار القلوب(1).

والخلاصة: أن الله تعالى أخبر أن الذين آمنوا بالله ورسله، وصدقوا إيمانهم بالقيام بواجبات الإيمان، وتَرْك كل ما ينافيه، أنه وليّهم، يتولاّهم بولايته الخاصة، ويتولى تربيتهم فيخرجهم من ظلمات الجهل والكفر، والمعاصي، والغفلة، والإعراض، إلى نور العلم، واليقين، والإيمان والطاعة، والإقبال الكامل على ربهم، وينوِّر قلوبهم بما يقذف فيها من نور الوحي والإيمان، وييسّرهم لليُسرى، ويجنّبهم العُسرى، ويجلب لهم المنافع، ويدفع عنهم المضارّ، فهو يتولى الصالحين: **﴿إِنَّ وَلِيِّـيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾**(2) الذين صلحت نياتهم، وأقوالهم، فهم لـمَّا تولّوا ربهم بالإيمان والتقوى، ولم يتولّوا غيره ممن لا ينفع ولا يضر، تولاّهم الله ولطف بهم، وأعانهم على ما فيه، الخير، والمصلحة في دينهم ودنياهم ودفع عنهم بإيمانهم كل مكروه(3)،كما قال ﷻ: **﴿إِنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾**(4).

وأما الذين كفروا، فإنهم لما تولّوا غير وليّهم، ولاّهم الله ما تولّوا لأنفسهم، وخذلهم ووكلهم إلى رعاية من تولاهم ممن ليس عنده نفع ولا ضر، فأضلّوهم، وأشقوهم، وحرموهم هداية العلم النافع، والعمل الصالح، وحرموهم السعادة الأبدية وصارت النار مثواهم خالدين فيها مخلّدين: اللهم تولّنا فيمن تولّيت(5).

والله ﷻ يحب أولياءه وينصرهم ويسدّدهم، والوليّ لله هو العالم

---

(1) تفسير الطبري ببعض التصرف، 14/3.
(2) سورة الأعراف، الآية: 196 .
(3) تفسير العلامة السعدي ببعض التصرف، 318/1، و 132/3، وانظر: تفسير ابن كثير، 312/1.

(4) سورة الحج، الآية: 38 .
(5) تفسير العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله، 318/1، وانظر: تفسير ابن كثير، 312/1، والأسماء والصفات للبيهقي، 123/1، تحقيق عماد الدين أحمد.

بالله، المواظب على طاعته، المخلص في عبادته، المبتعد عن معصية الله.

ومن عادى هذا الوليَّ لله فالله ﷻ يعلمه بالحرب ،قال ﷺ: فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى: ((**إن الله يقول: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرّب إليّ عبدي بشيءٍ أحبّ إليّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرّب إليَّ بالنوافل حتى أحبَّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينّه، ولئن استعاذني لأعيذنّه، وما تردّدت عن شيء أنا فاعله تردّدي عن نفس المؤمن يكره الموت، وأنا أكره مساءته**))[1].

والمعنى أنه إذا كان ولياً لله ﷻ فالله يحفظه ويسدّده، ويوفّقه حتى لا يسمع إلاّ إلى ما يرضي مولاه، ولا ينظر إلاّ إلى ما يحبه مولاه، ولا تبطش يداه إلاّ فيما يرضي الله، ولا تمشي قدماه إلاّ إلى الطاعات، فهو موفَّق مُسدّد مُهتدٍ مُلْهَم من المولي وهو الله ﷻ، ولهذا فسّر هذا الحديث بهذا أهل العلم كابن تيمية وغيره؛ ولأنه جاء في رواية الحديث رواية أخرى: ((**فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش وبي.. يمشي**))[2]، هذا يدل على نصرة الله لعبده، وتأييده، وإعانته، فيوفقه الله للأعمال التي يباشرها بهذه الأعضاء، ويعصمه عن مواقعة ما يكره الله ﷻ[3].

97- الــمَوْلَى

((المولى)) اسم يقع على جماعة كثيرة، فهو: الربُّ، والمالكُ، والسَّيدُ، والمُنعمُ، والمُعتِقُ، والناصرُ، والمُحبُّ، والتابعُ، والجارُ، وابنُ العم، والحليفُ، والصِّهرُ، والعبدُ، والمنعمُ عليه، وأكثرها قد جاء في الحديث، فيضاف كل واحدٍ إلى ما يقتضيه الحديث الوارد فيه، وكل من ولي أمراً أو قام به فهو مولاهُ، ووَليُّهُ، وقد تختلف مصادر هذه الأسماء: فالوَلايةُ - بالفتح - في النسب، والنصرة والمُعتِق.

والوِلاية - بالكسر- في الإمارة،والوَلاءُ المُعتق،والموالا من والى

(1) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب التواضع، برقم 6502.
(2) فتح الباري، 344/11 .
(3) فتح الباري، 344/11.

القوم[1].

والله ﷻ هو المولى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[2] ، فهو المولى، والربُّ، الملكُ، السيدُ، وهو المأمول منه النصر والمعونة؛ لأنه هو المالك لكل شيء، وهو الذي سمى نفسه ﷻ بهذا الاسم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿**فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ**﴾[3]. وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ مَوْلاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ**﴾[4]، وقال الله سبحانه: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ**﴾[5].

والله سبحانه وتعالى هو مولى الذين آمنوا، وهو سيدهم وناصرهم على أعدائهم، فنعم المولى ونعم النصير[6]، فالله ﷻ هو الذي يتولّى عباده المؤمنين، ويوصل إليهم مصالحهم، وييسّر لهم منافعهم الدينية والدنيوية «**وَنِعْمَ النَّصِيرُ**» الذي ينصرهم، ويدفع عنهم كيد الفجار وتكالب الأشرار، ومن كان الله مولاه وناصره فلا خوف عليه، ومن كان الله عليه فلا عِزّ له ولا قائمة تقوم له[7]. فالله سبحانه هو مولى المؤمنين فيدبرهم بحسن تدبيره فنعم المولى لمن تولاّه فحصل له مطلوبه، ونعم النصير لمن استنصره فدفع عنه المكروه»، وقال الله ﷻ: ﴿**بَلِ اللهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ**﴾[8]، ومن دعاء المؤمنين لربهم تبارك وتعالى ما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿**أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾[9]، أي أنت ولينا وناصرنا وعليك توكّلنا، وأنت المستعان، وعليك التكلان، ولا حول

(1) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، 228/5، وانظر: القاموس المحيط، ص1782، والمعجم الوسيط، ص1058، والمصباح المنير، 672/2 .
(2) سورة الشورى، الآية: 11 .
(3) سورة الحج، الآية: 78 .
(4) سورة الأنفال، الآية: 40 .
(5) سورة محمد، الآية: 11.
(6) انظر تفسير ابن كثير، 310/4 .
(7) انظر تفسير العلامة السعدي، 168/3، و331/5، وتفسير ابن كثير، 310/4، و238/2، و344/1 .
(8) سورة آل عمران، الآية: 150 .
(9) سورة البقرة، الآية: 286 .

ولا قوة لنا إلا بك[1]. وقال ﷻ: ﴿**إِن تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[2]. وقال: ﴿**قَدْ فَرَضَ اللهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**﴾[3].

وقد أرشد النبي ﷺ الصحابة حينما قال لهم أبو سفيان لنا العُزى ولا عُزى لكم فقال: ((**قولوا الله مولانا ولا مولى لكم**))[4].

98- النَّصِيرُ

النصير: فعيل بمعنى فاعل أو مفعول؛ لأن كل واحد من المتناصرين ناصرٌ ومنصورٌ وقد نصره ينصره نصراً إذا أعانه على عدوه وشدّ منه[5].

والنصير هو الموثوق منه بأن لا يسلم وليه ولا يخذله[6]. والله ﷻ النصير، ونصره ليس كنصر المخلوق: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[7]، وقد سمى نفسه تبارك وتعالى باسم النصير فقال: ﴿**وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا**﴾[8]، وقال تعالى: ﴿**وَاللهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللهِ نَصِيرًا**﴾[9]، وقال ﷻ: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ**﴾[10]، سبحانه: ﴿**فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ مَوْلاَكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ**﴾[11].

والله ﷻ هو النصير الذي ينصر عباده المؤمنين ويعينهم كما

---

(1) تفسير ابن كثير، 344/1.
(2) سورة التحريم، الآية: 4.
(3) سورة التحريم، الآية: 2.
(4) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب وعقوبة من عصى إمامه، برقم 3039، وفي كتاب المغازي، باب غزوة أحد، برقم 4043.
(5) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، 64/5 .
(6) الأسماء والصفات للبيهقي، بتحقيق الشيخ عماد الدين أحمد، 127/1-128 .
(7) سورة الشورى، الآية: 11 .
(8) سورة الفرقان، الآية: 31.
(9) سورة النساء، الآية: 45 .
(10) سورة الحج، الآية: 78 .
(11) سورة الأنفال، الآية :40 .

قال ﷻ:
﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾(1). وقال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾(2)، وقال سبحانه: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾(3)، وقال جلَّ وعلا: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾(4)، وقال سبحانه: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾(5)، وقال ﷻ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾(6)، وقال تعالى:
﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾(7).

ونُصرةُ الله للعبد ظاهرة من هذه الآيات وغيرها، فهو ينصر من ينصره، ويعينه ويسدّده. أما نُصْرَة العبد لله فهي:أن ينصر عباد الله المؤمنين والقيام بحقوق اللهﷻ، ورعاية عهوده، واعتناق أحكامه، والابتعاد عما حرّم الله عليه، فهذا من نصرة العبد لربه، كما قال ﷻ: ﴿إِن تَنصُرُوا اللهَ يَنصُرْكُمْ﴾ وقال: ﴿كُونُوا أَنصَارَ اللهِ﴾(8)، وقال: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾(9)، ومن نصر الله بطاعته والابتعاد عن معصيته نصره الله نصراً مؤزّراً(10).

والله ﷻ: ينصر عباده المؤمنين على أعدائهم، ويبين لهم ما يحذرون منهم، ويعينهم عليهم، فولايته تعالى فيها حصول الخير،

(1) سورة آل عمران، الآية: 160 .
(2) سورة محمد، الآية: 7 .
(3) سورة غافر، الآية: 51 .
(4) سورة الروم، الآيتان: 4- 5 .
(5) سورة الحج، الآية: 40 .
(6) سورة الروم، الآية: 47.
(7) سورة الحج، الآية: 15.
(8) سورة الصف، الآية:14 .
(9) سورة الحديد، الآية: 25 .
(10) انظر مفردات الأصفهاني، ص495 .

ونصره فيه زوال الشر[1].

وقد كان النبي ﷺ يقول إذا غزا: **((اللهم أنت عضدي، وأنت نصيري، بك أجُول وبك أصول، وبك أقاتل))**[2].

والله ﷻ ينصر عباده المؤمنين في قديم الدهر وحديثه في الدنيا، ويُقرّ أعينهم ممن آذاهم، ففي صحيح البخاري يقول الله تبارك وتعالى: **((من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب))**[3]؛ ولهذا أهلك الله قوم نوح، وعاد، وثمود، وأصحاب الرس، وقوم لوط، وأهل مدين، وأشباههم ممن كذّب الرسل وخالف الحق، وأنجى الله تعالى من بينهم المؤمنين، فلم يهلك منهم أحداً، وعذب الكافرين فلم يفلت منهم أحداً.

وهكذا نصر الله نبيه محمداً ﷺ وأصحابه على من خالفه وكذبه، وعاداه، فجعل كلمته هي العليا، ودينه هو الظاهر على سائر الأديان... ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وانتشر دين الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها[4].

وقد وعد الله من ينصره بالنصر والتأييد، فمن نصر الله بالقيام بدينه والدعوة إليه، وجهاد أعدائه، وقصد بذلك وجه الله، نصره الله وأعانه وقوّاه،والله وعده وهو الكريم،وهو أصدق قيلاً،وأحسن حديثاً، فقد وعد أن الذي ينصره بالأقوال والأفعال سينصره مولاه،وييسّر له أسباب النصر من الثبات وغيره[5].وقد بيّن الله ﷻ علامة من ينصر الله فمن ادّعى أنّه ينصر الله وينصر دينه،ولم يتصف بهذا الوصف،فهو كاذب.قال ﷻ: **﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾**[6]،فهذه علامة من ينصر الله وينصره الله[1].

---

(1) تفسير السعدي، 76/2 .
(2) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب ما يدعى عند اللقاء، برقم 2623، والترمذي في كتاب الدعوات، باب في الدعاء إذا غزا، برقم 3584، وقال: ((هذا حديث حسن غريب)). وانظر: صحيح الترمذي، 183/3 .
(3) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب التواضع، برقم 6502.
(4) تفسير ابن كثير، 84/4 .
(5) تفسير العلامة السعدي، 66/6 .
(6) سورة الحج، الآيتان: 40-41 .

وقد أمر الله عباده المؤمنين بنصره ﷻ فقال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ**﴾، ومن نصر دين الله تعلّم كتاب الله وسنة رسوله، والحث على ذلك، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[2].

99- الشَّافِي

الشفاء في اللغة هو البرء من المرض. يقال:شفاه الله يشفيه، واشتفى افتعل منه، فنقله من شفاء الأجسام إلى شفاء القلوب والنفوس[3].

والله ﷻ هو الشافي، فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يعوِّذ بعض أهله يمسح بيده اليمنى ويقول: ((**اللهم ربّ الناس، أذهب البأس، اشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً**))[4].

وقال أنس رضي الله عنه لثابت البناني حينما اشتكى إليه: ألا أرقيك برقية رسول الله ﷺ؟ قال: بلى. قال: ((**اللهم ربّ الناس، مذهب البأس، اشف أنت الشافي، لا شافي إلا أنت، شفاء لا يُغادِرُ سَقَماً**))[5].

فالله ﷻ هو الشافي من الأمراض والعلل والشكوك،وشفاؤه شفاءان أو نوعان:

النوع الأول:الشفاء المعنوي الروحي،وهو الشفاء من علل القلوب.

النوع الثاني: الشفاء المادي، وهو الشفاء من علل الأبدان. وقد ذكر الله ﷻ هذين النوعين في كتابه، وبيّن ذلك رسوله ﷺ في سنته فقال ﷺ: ((**ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء**))[6].

=

(1) انظر: تفسير السعدي، 302/5 .
(2) المرجع السابق، 374/7 .
(3) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، 488/2، وانظر: مختار الصحاح، ص144 .
(4) أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب رقية النبي ﷺ ، برقم 5743، ومسلم في كتاب السلام، باب استحباب رقية المريض، برقم 2191.
(5) أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب رقية النبي ﷺ، برقم 5742.
(6) أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء، برقم 5678.

النوع الأول: شفاء القلوب والأرواح.

قال الله ﷻ: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ**﴾(1).

والموعظة: هي ما جاء في القرآن الكريم من الزواجر عن الفواحش، والإنذار عن الأعمال الموجبة لسخط الله ﷻ المقتضية لعقابه، والموعظة هي الأمر والنهي بأسلوب الترغيب والترهيب، وفي هذا القرآن الكريم شفاءٌ لما في الصدور من أمراض الشُّبَهِ، والشكوك، والشهوات، وإزالة ما فيها من رجسٍ ودنسٍ. فالقرآن الكريم فيه الترغيب والترهيب، والوعد، والوعيد، وهذا يوجب للعبد الرغبة والرهبة، وإذا وجدت فيه الرغبة في الخير، والرهبة عن الشرّ، ونمتا على تكرر ما يرد إليها من معاني القرآن،أوجب ذلك تقديم مراد الله على مراد النفس،وصار ما يرضي الله أحبّ إلى العبد من شهوة نفسه.

وكذلك ما فيه من البراهين والأدلة التي صرّفها الله غاية التصريف، وبينها أحسن بيان مما يزيل الشُّبَهَ القادحة في الحق،ويصل به القلب إلى أعلى درجات اليقين.وإذا صلح القلب من مرضه تبعته الجوارح كلها، فإنها تصلح بصلاحه،وتفسد بفساده.

وهذا القرآن هدى ورحمة للمؤمنين. وإنما هذه الهداية والرحمة للمؤمنين المصدقين كما قال تعالى: ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَارًا**﴾(2)، وقال: ﴿**قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ**﴾(3)، فالهدى هو العلم بالحقّ، والعمل به، والرحمة ما يحصل من الخير والإحسان، والثواب العاجل والآجل، لمن اهتدى بهذا القرآن العظيم.

فالهدى أجلُّ الوسائل، والرحمة أكمل المقاصد والرغائب، ولكن لا يهتدى به، ولا يكون رحمة إلا في حقّ المؤمنين، وإذا حصل الهدى، وحصلت الرحمة الناشئة عن الهدى حصلت السعادة، والربح، والنجاح، والفرح والسرور؛ ولذلك أمر الله بالفرح بذلك

(1) سورة يونس، الآية: 57 .
(2) سورة الإسراء، الآية: 82 .
(3) سورة فصلت، الآية: 44 .

فقال: ﴿**قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ**﴾[1].

والقرآن مشتملٌ على الشفاء والرحمة، وليس ذلك لكل أحد، وإنما ذلك كله للمؤمنين به، المصدقين بآياته، العاملين به.

أما الظالمون بعدم التصديق به، أو عدم العمل به، فلا تزيدهم آياته إلا خساراً، إذ به تقوم عليهم الحجة.

والشفاء الذي تضمنه القرآن شفاء القلوب... وشفاء الأبدان من آلامها وأسقامها.

فالله ﷻ يهدي المؤمنين: ﴿**قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ**﴾ يهديهم لطريق الرشد، والصراط المستقيم، ويعلمهم من العلوم النافعة ما به تحصل الهداية التامة.

ويشفيهم الله تبارك وتعالى بهذا القرآن من الأسقام البدنية، والأسقام القلبية؛ لأن هذا القرآن يزجر عن مساوئ الأخلاق وأقبح الأعمال، ويحث على التوبة النصوح التي تغسل الذنوب، وتشفي القلوب.

وأما الذين لا يؤمنون بالقرآن ففي آذانهم صَمَمٌ عن استماعه، وإعراض، وهو عليهم عمىً، فلا يبصرون به رشداً ولا يهتدون به، ولا يزيدهم إلا ضلالاً.

وهم يُدعون إلى الإيمان فلا يستجيبون، وهم بمنزلة الذي يُنادى وهو في مكان بعيد لا يسمع داعياً، ولا يجيب منادياً، والمقصود: أن الذين لا يؤمنون بالقرآن، لا ينتفعون بهداه، ولا يبصرون بنوره، ولا يستفيدون منه خيراً؛ لأنهم سدّوا على أنفسهم أبواب الهدى بإعراضهم وكفرهم[2].

ويجد الإنسان مصداق هذا القول في كل زمان، وفي كل بيئة، فناس يفعل هذا القرآن في نفوسهم فينشئها إنشاءً، ويحييها إحياءً، ويصنع بها ومنها العظائم في ذاتها، وفيما حولها، وناس يثقل هذا القرآن على آذانهم وعلى قلوبهم، ولا يزيدهم إلا صمماً وعمىً، وقلوبهم مطموسة لا تستفيد من هذا القرآن.

---

(1) سورة يونس، الآية: 58 .

(2) انظر: تفسير العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، 363/3، و309/4، و584/6، وتفسير ابن كثير، 422/2، و60/3، و104/4، وتفسير الجزائري أبو بكر، 286/2 .

وما تَغَيَّرَ القرآنُ، ولكن تغيرت القلوب[1].

والله ﷻ يشفي صدور المؤمنين بنصرهم على أعدائهم وأعدائه، قال سبحانه: **﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ * وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾**[2].

فإن في قلوب المؤمنين الحنق والغيظ عليهم، فيكون قتالهم وقتلهم شفاء لما في قلوب المؤمنين من الغمِّ، والهمِّ؛ إذ يرون هؤلاء الأعداء محاربين لله ولرسوله، ساعين في إطفاء نور الله، فيزيل الله ما في قلوبهم من ذلك، وهذا يدل على محبة الله للمؤمنين، واعتنائه بأحوالهم[3].

النوع الثاني شفاء الله للأجساد والأبدان:

والقرآن كما أنه شفاء للأرواح والقلوب فهو شفاء لعلل الأبدان كما تقدم؛ فإن فيه شفاء الأرواح والأبدان. فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنَّ ناساً من أصحاب النبي ﷺ أتوا على حي من أحياء العرب، فلم يُقْرُوهم، فبينما هم كذلك إذ لُدِغ سيد أولئك، فقالوا: هل معكم من دواء أو راقٍ؟ فقالوا إنكم لم تُقْرونا ولا نفعل حتى تجعلوا لنا جعلاً، فجعلوا لهم قطيعاً من الشاء فجعل يقرأ بأم القرآن، ويجمع بزاقه ويتفل، فبرأ، فأتوا بالشاء فقالوا: لا نأخذ حتى نسأل النبي ﷺ فسألوه، فضحك وقال: ((**وما أدراك أنها رقية، خذوها واضربوا لي بسهم**))[4].

وعن عائشة رضي الله عنها ((أن النبي ﷺ **كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح عنه بيده، رجاء بركتها**))[5]. والمعوذات هي: **﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾**، و**﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾**، و**﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾**.

قال ابن القيم رحمه الله: ((ومن المعلوم أن بعض الكلام له

(1) في ظلال القرآن، 3128/5 .

(2) سورة التوبة، الآيتان: 14- 15.

(3) تفسير العلامة السعدي رحمه الله، 206/3 .

(4) أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب الرقى بفاتحة الكتاب، برقم 5736، ومسلم في السلام، باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار، برقم 2201.

(5) أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب الرقى بالقرآن والمعوذات، برقم 5735، ومسلم في كتاب السلام، باب رقية المريض بالمعوذات والنفث، برقم 2192.

خواص ومنافع مجربة، فما الظنُّ بكلام رب العالمين الذي فضله على كل كلام كفضل الله على خلقه الذي هو الشفاء التام والعصمة النافعة، والنور الهادي والرحمة العامة، الذي لو أُنزلَ على جبلٍ لتصدع من عظمته وجلالته،قال تعالى:**﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾**(1)، ومن هنا لبيان الجنس لا للتبعيض، هذا هو أصحُّ القولين))(2).

وعلى هذا فالقرآن فيه شفاءٌ لأرواح المؤمنين، وشفاء لأجسادهم.

والله ﷻ هو الشافي من أمراض الأجساد، وعلل الأبدان، قال ﷻ:

﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(3).

قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى: **﴿يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾**: ما بين أبيض، وأصفر، وأحمر، وغير ذلك من الألوان الحسنة على اختلاف مراعيها ومأكلها منها، وقوله: **﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾**، أي في العسل شفاء للناس من أدواء تعرض لهم.

قال بعض من تكلم على الطب النبوي لو قال: فيه الشفاء لكان دواء لكل داء، ولكن قال فيه شفاء للناس، أي يصلح لكل أحدٍ من أدواءٍ باردة؛ فإنه حارٌ، والشيء يُداوى بضده... والدليل على أن المراد بقوله تعالى: **﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾** هو العسل،ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال:جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن أخي استطلق بطنه؟ فقال رسول الله ﷺ:((**اسقه عسلاً**)) فسقاه،ثم جاءه فقال:إني سقيتُهُ فلم يزده إلا استطلاقاً،فقال له ثلاث مرات،ثم جاءه الرابعة فقال:((**اسقه عسلاً**))،فقال:لقد سقيته فلم يزده إلا استطلاقاً،فقال رسول الله

(1) سورة الإسراء، الآية: 82 .

(2) زاد المعاد لابن القيم، 177/4 .

(3) سورة النحل، الآيتان: 68- 69 .

ﷺ: ((**صدق الله وكذب بطن أخيك**)) فسقاه فَبَرأ[1].

قال بعض العلماء بالطب: كان هذا الرجل عنده فضلات، فلما سقاه عسلاً وهو حار تحللت فأسرعت في الاندفاع فزاده إسهالاً فاعتقد الأعرابي أن هذا يضره وهو مصلحة لأخيه، ثم سقاه، فازداد، ثم سقاه فكذلك، فلما اندفعت الفضلات الفاسدة المضرة بالبدن استمسك بطنه، وصلح مزاجه، واندفعت الأسقام والآلام ببركة إشارته عليه الصلاة والسلام[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((**الشفاء في ثلاث: شربةِ عسلٍ، وشرطة محجم، وكية نار، وأنا أنهى أمتي عن الكي**))[3] رفع الحديث.

والله ﷻ هو الذي هدى النحلة الصغيرة هذه الهداية العجيبة، ويسّر لها المراعي ثم الرجوع إلى بيوتها التي أصلحتها بتعليم الله لها وهدايته لها، ثم يخرج من بطونها هذا العسل اللذيذ مختلف الألوان بحسب اختلاف أرضها ومراعيها، فيه شفاء للناس من أمراض عديدة، فهذا دليل على كمال عناية الله تعالى وتمام لطفه بعباده، وأنه الذي ينبغي أن لا يُحَب ولا يُدعى سواه[4].

وأخبر الله ﷻ عن عبده ورسوله وخليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام بقوله تبارك وتعالى: ﴿**الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ**﴾[5].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ**﴾: أسند إبراهيم عليه الصلاة والسلام المرض إلى نفسه، وإن كان عن قدر الله وقضائه، وخلقه، ولكنه أضافه إلى نفسه أدباً.

ومعنى ذلك: إذا وقعت في مرض فإنه لا يقدر على شفائي أحد

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب الدواء بالعسل، برقم 5684، ومسلم في كتاب السلام، باب التداوي بسقي العسل، برقم 2217.

(2) تفسير ابن كثير، 576/2 .

(3) أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب الشفاء في ثلاث، برقم 5680، موقوفاً. ورقم 5681 مرفوعاً.

(4) تفسير العلامة السعدي، 218/4 .

(5) سورة الشعراء، الآيات: 78-80 .

غيره بما يُقدِّر تبارك وتعالى من الأسباب الموصلة إلى الشفاء[1].

وقد كان النبي ﷺ يرشد الأمة إلى طلب الشفاء من الله الشافي الذي لا شفاء إلا شفاءه، ومن ذلك ما رواه مسلم وغيره عن عثمان بن العاص أنه اشتكى إلى رسول الله ﷺ وجعاً يجده في جسده منذ أسلم، فقال له رسول الله ﷺ: ((**ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل: بسم الله ثلاثاً، وقل سبع مرات: أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذِر**))[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: ((**من عاد مريضاً لم يحضر أجله فقال سبع مرات: أسأل الله العظيم، رب العرش العظيم، أن يشفيك، إلاّ عافاه الله من ذلك المرض**))[3].

فهذا من تعليم النبي ﷺ لأمته أن يعتمدوا على ربهم مع الأخذ بالأسباب المشروعة؛ فإن الله ﷻ هو الشافي، لا شفاء إلا شفاءه، وقد كان النبي ﷺ يدعو ربه بالشفاء؛ لأنه هو الذي يملك الشفاء، والشفاء بيده تبارك وتعالى، قال ﷺ لسعدٍ: ((**اللهم اشف سعداً، اللهم اشف سعداً، اللهم اشف سعداً**))[4].

وقد كان النبي ﷺ يرقي بعض أصحابه، ويطلب الشفاء من الله الشافي: ((**بسم الله تربة أرضنا، بريقة بعضنا، يُشفى سقيمنا بإذن ربنا**))[5].

وقد أوضح ﷺ أن الله هو الذي ينزل الدواء وهو الشافي، فقال ﷺ: ((**ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاءً**))[6].

وعن جابر رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال: ((**لكل داء دواءٌ، فإذا**

---

(1) تفسير ابن كثير بتصرف، 339/3 .
(2) أخرجه مسلم في كتاب السلام، باب استحباب وضع يده على موضع الألم مع الدعاء، برقم 2202.
(3) أخرجه أبو داود في كتاب الجنائز، باب الدعاء للمريض عند العيادة، برقم 3106، والترمذي في كتاب الطب، باب 32، برقم 2083، وأحمد، 239/1، وقال أبو عيسى: ((هذا حديث حسن غريب)). وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم 6388.
(4) أخرجه البخاري في كتاب المرضى، باب وضع اليد على المريض، برقم 5659، ومسلم في كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث، برقم 8/1628.
(5) أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب رقية النبي × ، برقم 5745، ومسلم في كتاب السلام، باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة، برقم 2194.
(6) أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء، برقم 5678.

أصيب دواءُ الداءِ بَرأ بإذن الله ﷻ))[1]، وقال ﷺ: **((إن الله أنزل الداء والدواء، وجعل لكل داء دواءً، فتداووا، ولا تداووا بحرام))**[2].

وجاءت الأعراب فقالت: يا رسول الله ألا نتداوى؟ فقال ﷺ: **((نعم يا عباد الله تداووا، فإن الله لم يضع داءً إلا وضع له شفاءً أو دواءً، إلا داءً واحداً))** فقالوا يا رسول الله ما هو؟ قال: **((الهرم))**[3].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **((ما أنزل الله من داء إلا قد أنزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله))**[4].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: ((فقد تضمنت هذه الأحاديث إثبات الأسباب والمسببات، وإبطال قول من أنكرها، ويجوز أن يكون قوله: ((**لكل داء دواء**)) على عمومه حتى يتناول الأدواء القاتلة، والأدواء التي لا يمكن للطبيب أن يبرئها، ويكون الله ﷻ قد جعل لها أدوية تبرئها، ولكن طوى علمها عن البشر، ولم يجعل لهم إليه سبيلاً؛ لأنه لا علم للخلق إلا ما علمهم الله...))[5].

فالله ﷻ هو الشافي الذي يشفي من يشاء ويطوي علم الشفاء عن الأطباء إذا لم يرد الشفاء.

فنسأل الله الذي لا إله إلا هو بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يشفي قلوبنا وأبداننا من كل سوء، ويحفظنا بالإسلام، وجميع المسلمين؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه، ولا حول ولا قوة إلا بالله

---

(1) أخرجه مسلم في كتاب السلام، باب لكل داء دواء واستحباب التداوي، برقم 2204.

(2) أخرجه أبو داود في كتاب الطب، باب في الأدوية المكروهة، برقم 3874. قال المنذري: ((في إسناده إسماعيل بن عياش فيه مقال)). وضعفه الألباني في ضعيف الجامع، برقم 1569، ويغني عنه ما تقدم من الأحاديث، وما سيأتي.

(3) أخرجه أبو داود في كتاب الطب،باب في الرجل يتداوى،برقم 3855،والترمذي في كتاب الطب،باب ما جاء في الدواء والحث عليه،برقم 2038،وابن ماجه في كتاب الطب،باب ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء، برقم 3436، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم 2930.

(4) أخرجه أحمد،377/1، وبترتيب الشيخ شاكر، 201/5، برقم 3578، وصححه. والحميدي في المسند، 50/1، برقم 90، وأبو يعلى في المسند، 113/9، برقم 5183، وابن ماجه في كتاب الطب، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء، برقم 3438، 3439 مختصراً. والحاكم، 196/4-197، وسكت عنه الحاكم والذهبي، وصحح الألباني رواية ابن ماجه في صحيح الجامع، برقم 5558، 5559.

(5) زاد المعاد في هدي خير العباد، 14/4 .

العلي العظيم.

المبحث السادس عشر: من فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في الأسماء الحسنى

فتوى رقم 11865 وتاريخ 1409/3/30هـ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه، وبعد:

فقد اطلعت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء على الأسئلة المقدمة من د. مروان إبراهيم العيش إلى سماحة الرئيس العام والمحالة إليها برقم 169 في 1409/1/8هـ، وأجابت عن كل منها عقبه فيما يلي:

س1: صفات الذات التي وردت في الكتاب والسنة، هل تعني الواحدة منها معنى واحداً في كل النصوص التي وردت بها، أم أن لكل سياق معناه الخاص به. يرجى تزويدنا بما تعنيه صفات الذات الآتية في السياق الخاص بها:

أ - اليد: ما المراد بها في كل نص من النصوص الآتية: ﴿**قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾[1]، ﴿**قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ**﴾[2] الآية، ((**يد الله مع الجماعة**))، وفي حديث آخر: ((**يد الله على الجماعة**)) حديث، وفي آية كريمة: ﴿**يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**﴾[3]، وما المراد بجمع اليدين في قوله: ﴿**بِأَيْدٍ**﴾[4].

ب - العين: ما المراد بها في كل نص من النصوص الآتية: ﴿**وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا**﴾[5]، ﴿**وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا**﴾[6]، ﴿**وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي**﴾[7]، وما الدليل على أن لله تعالى عينين؟

ج - الوجه: ما المراد بالوجه في كل نص من النصوص الآتية:

---

(1) سورة المؤمنون، الآية: 88 .
(2) سورة آل عمران، الآية: 73 .
(3) سورة الفتح، الآية: 10 .
(4) سورة الذاريات، الآية: 47 .
(5) سورة هود، الآية: 37 .
(6) سورة الطور، الآية: 48 .
(7) سورة طه، الآية: 39 .

﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ الله ﴾[1]، ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ الله ﴾[2]، ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ الله ﴾[3]، ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾[4]، من المفيد أن تتضمن الإجابة عن هذه الأسئلة مراجع نرجع إليها لمزيد من العلم المفيد؟

ج1: أ - كلمة (يد) في النصوص المذكورة في فقرة ((أ)) يراد بها معنى واحد هو إثبات صفة اليد لله تعالى حقيقة على ما يليق بجلاله دون تشبيه ولا تمثيل لها بيد المخلوقين، ودون تحريف لها ولا تعطيل، فكما أن له تعالى ذاتاً حقيقة لا تشبه ذوات العباد، فصفاته لا تشبه صفاتهم، وقد وردت نصوص أخرى كثيرة تؤيد هذه النصوص في إثبات صفة اليد لله مفردة ومثناة ومجموعة، فيجب الإيمان بها على الحقيقة مع التفويض في كيفيتها عملاً بالنصوص كتاباً وسنة، واتباعاً لما عليه أئمة سلف الأمة.

وأما كلمة - بأيد - في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾، فهي مصدر (فعله) آد يئد أيداً، ومعناه القوة، ويضعّف فيقال: أيّده تأييداً، ومعناه قوّاه، وليس جمعاً ليد، فليست من آيات الصفات المتنازع فيها بين مثبتة الصفات ومؤوّليها لأن وصف الله سبحانه بالقوة ليست محل نزاع.

وأما معنى الجمل في هذه النصوص فمختلف باختلاف سياقها وما اشتملت عليه من قرائن فقوله: ﴿قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ يدل على كمال قدرة الله من جهة جعل ملكوت كل شيء بيده، ومن جهة سياق الكلام سابقه ولاحقه، وقوله: ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ الله ﴾ يدل على أن الفضل والإنعام إلى الله وحده. وقوله: ((يد الله على الجماعة)) يراد به الحث على التآلف والاجتماع والوعد الصادق برعاية الله لهم، وتأييدهم ونصرهم على غيرهم إذا اجتمعوا على الحق. وقوله: ﴿يَدُ الله فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ يراد به توثيق البيعة وإحكامها بتنزيل بيعتهم للرسول منزلة بيعتهم لله تعالى، وذلك لا يمنع من إثبات اليد لله حقيقة على ما يليق به، كما لا يمنع من إثبات الأيدي حقيقة للمبايعين لرسوله

(1) سورة البقرة، الآية: 115 .
(2) سورة البقرة، الآية: 272 .
(3) سورة الإنسان، الآية: 9 .
(4) سورة الرحمن، الآية: 27 .

ﷺ على ما يليق بهم[1].

جـ 2 ب - كلمة (بأعيننا وبعيني) في النصوص المذكورة في فقرة - ب - يراد بها إثبات صفة العين لله حقيقة على ما يليق بجلاله من غير تشبيه ولا تمثيل لها بعين المخلوقين، ولا تحريف لها عن مسماها في لغة العرب، فسياق الكلام لا تأثير له في صرف تلك الكلمات عن مسماها، وإنما تأثيره في المراد بالجمل التي وردت فيها هذه الكلمات، فالمقصود بهذه الجمل كلها هو:

أولاً: أمر نوح عليه السلام أن يصنع السفينة وهو في رعاية الله وحفظه.

وثانياً: أمر نبينا محمد عليه الصلاة والسلام أن يصبر على أذى قومه حتى يقضي الله بينه وبينهم بحكمه العدل، وهو مع ذلك بمرأى من الله وحفظه ورعايته.

وثالثاً: إخبار موسى عليه الصلاة والسلام بأن الله تعالى قد منّ عليه مرة أخرى إذ أمر أمّه بما أمرها به ليربيه تربية كريمة في حفظه تعالى ورعايته، ثم يدلّ على أن لله تعالى عينين كلمة - بأعيننا - في النصوص المذكورة في السؤال، فإن لفظ عينين إذا أضيف إلى ضمير الجمع جمع كما يجمع مثنى قلب إذا أضيف إلى ضمير مثنى أو جمع، كما في قوله تعالى: **﴿إن تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾**[2]، ويدل على ذلك أيضاً ما ورد في حديث النبي ﷺ عن الله وعن الدجال **((من أن الدجال أعور))**[3]، وأن الله ليس بأعور، فقد استدل به أهل السنة على إثبات العينين لله سبحانه[4].

جـ - كلمة (وجه الله) في الجملة الأولى يراد بها قبلة الله كما ذكر

---

(1) كتاب التوحيد لابن خزيمة، وكتاب التدمرية لابن تيمية، مختصر الصواعق المرسلة للموصلي، 2/ 153، وشرح النونية 2/ 307.

(2) سورة التحريم، الآية :4 .

(3) فعن أنس ﷺ قال: قال النبي ﷺ: ((ما بُعِثَ نبيٌّ إلا أنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور...))، أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، برقم 7131، ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفة ما معه، برقم 2933.

(4) كتاب التوحيد لابن خزيمة، وكتاب التدمرية لابن تيمية، و مختصر الصواعق المرسلة للموصلي، 1/ 34- 37 .

مجاهد والشافعي رحمهما الله تعالى، فإن دلالة الكلام في كل موضع بحسب سياقه، وما يحفّ به من قرائن، وقد دلّ السياق والقرائن على أن المراد بالوجه في هذه الجملة ـ القبلة ـ؛ لقوله تعالى: ﴿**وَلله الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ الله** ﴾[1]، فذكر تعالى الجهات والأماكن التي يستقبلها الناس، فتكون هذه الآية كآية: ﴿**وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا** ﴾[2]، وإذن فليس الآية من آيات الصفات المتنازع فيها بين المثبتة والنفاة، وأما كلمة (وجه) في الجمل الباقية في السؤال فالمراد بها إثبات صفة الوجه لله تعالى حقيقة على ما يليق بجلاله سبحانه؛ لأن الأصل الحقيقة، ولم يوجد ما يصرف عنها، ولا يلزم تمثيله بوجه المخلوقين؛ لأن لكل وجهاً يخصه ويليق به[3].

س2: تسمية الخلق بأسماء الخالق، ما الأدلة على تحريمها؟ وإن كانت مباحة فهل هناك قيود معينة؟ إنني أقصد الأسماء لا الصفات. إذ من المعلوم أنه يجوز وصف الخلق بصفات الخالق، وقد ورد ذلك كثيراً في كتاب الله تعالى، وسؤالي عن التسمية لا الوصف. فهل لكم أن تبينوا القواعد الفاصلة في الموضوع؟

أولاً: الفرق بين الاسم والصفة أن الاسم ما دلّ على الذات، وما قام بها من صفات، وأما الصفة فهي ما قام بالذات مما يميزها عن غيرها من معانٍ ذاتية كالعلم والقدرة، أو فعليه كالخلق والرزق والإحياء والإماتة.

ثانياً: قد يسمى المخلوق بما سمى الله به نفسه، كما يوصف بما وصف سبحانه به نفسه، لكن على أن يكون لكل من الخصائص ما يليق به، ويُمَيزُ به عن الآخر، فلا يلزم تمثيل الخلق بخالقهم، ولا تمثيله بهم، وإن حصلت الشركة في التعبير والمعنى الكلي للفظ؛ لأن المعنى الكلي ذهني فقط لا وجود له في الخارج.

ومن ذلك أن الله سمّى نفسه حياً، فقال: ﴿**الله لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ** ﴾[4]،وسمّى بعض عباده حياً، فقال:﴿**يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ**

(1) سورة البقرة، الآية: 115 .
(2) سورة البقرة، الآية: 148 .
(3) كتاب مختصر الصواعق المرسلة للموصلي،2/ 299- 307 .
(4) سورة البقرة، الآية: 254 .

الْـمَيِّتِ﴾[1]، وليس الحي كالحي، بل لكل منهما في الخارج ما يخصه وسمّى أحد ابني إبراهيم حليماً، وابنه الآخر عليمًا عليهم الصلاة والسلام، كما سمّى نفسه عليما حليماً، ولم يلزم ذلك من التمثيل؛ لأن لكل مسمّى بذلك ما يخصه ويميز به في خارج الأذهان، وإن اشتركوا في مطلق التسمية والتعبير، وسمّى نفسه سميعاً وبصيراً، فقال: **﴿إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾**[2]، وسمّى بعض خلقه سميعاً بصيراً، فقال: **﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾**[3]، ولم يلزم التمثيل؛ لأن لكل مسمى ما يخصه ويتميز به عن الآخر كما تقدم إلى أمثال ذلك.

ومن ذلك أن الله وصف نفسه بالعلم فقال: **﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء ﴾**، ووصف بعض عباده بالعلم فقال: **﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾**[4]، ووصف نفسه بالقوة فقال: **﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْـمَتِينُ ﴾**[5]، ووصف بعض عباده بالقوة فقال: **﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ﴾**[6] الآية، وليست القوة كالقوة، وإن اشتركا في العبارة والمعنى الكلي، لكن لكل من الموصوفين ما يخصه ويليق به، إلى أمثال ذلك من الصفات[7].

س3: هل يصح ما يأتي دليلاً على تحريم تسمية الخلق بأسماء الخالق؟

أ - حيث إن تسمية المخلوق بالاسم العلم (الله) ممنوعة، كانت تسمية المخلوق بأسماء الخالق الأخرى أيضاً ممنوعة؛ إذ لا وجود للتفرقة بين أسماء الله تعالى؟

ب - من المعلوم في اللغة أن الجار والمجرور إذا سبق المعرفة أفاد القصر، فملاحظ ذلك في قوله تعالى: **﴿وَللهِ الأَسْمَاءُ الْـحُسْنَى ﴾**، فتفيد الآية قصر الأسماء الحسنى على الله، وعدم جواز تسمية

---

(1) سورة الأنعام، الآية: 95 .
(2) سورة النساء، الآية: 58 .
(3) سورة الإنسان، الآية : 2 .
(4) سورة الإسراء، الآية: 85 .
(5) سورة الذاريات، الآية: 58 .
(6) سورة الروم، الآية: 54 .
(7) كتاب التوحيد لابن خزيمة وكتاب التدمرية لابن تيمية، ومختصر الصواعق المرسلة للموصلي، 37/2.

الخلق بها، فهل يصح هذا دليلاً؟

ج3: ما كان من أسماء الله تعالى علم شخص كلفظ (**الله**) امتنع تسمية غير الله به؛ لأن مسماه معين لا يقبل الشركة، وكذا ما كان من أسمائه في معناه في عدم قبول الشركة كالخالق والبارئ، فإن الخالق من يوجد الشيء على غير مثال سابق، والبارئ من يوجد الشيء بريئاً من العيب، وذلك لا يكون إلا من الله وحده، فلا يسمى به إلا الله تعالى، أما ما كان له معنى كلي تتفاوت فيه أفراده من الأسماء والصفات، كالملك، والعزيز، والجبار، والمتكبر، فيجوز تسمية غيره بها، فقد سمى الله نفسه بهذه الأسماء، وسمّى بعض عباده بها، مثال: **﴿قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ﴾**، وقال: **﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾**، إلى أمثال ذلك، ولا يلزم التماثل؛ لاختصاص كل مسمى بسمات تميزه عن غيره، وبهذا يعرف الفرق بين تسمية الله بلفظ الجلالة، وتسميته بأسماء لها معانٍ كلية تشترك أفرادها فيها، فلا تقاس على لفظ الجلالة.

أما الآية: **﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾**، فالمراد منها قصر كمال الحسن في أسمائه تعالى؛ لأن كلمة الحسنى اسم تفضيل، وهي صفة للأسماء، لا قصر مطلق أسمائه عليه تعالى. كما في قوله تعالى: **﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾**، فالمراد قصر كمال الغنى والحمد عليه تعالى، لا قصر اسم الغني والحميد عليه، فإن غير الله يسمى غنياً وحميداً.

س4: إذا ثبت أن أسماء الله تعالى لا يجوز تسمية الخلق بها، فهل من أسماء الله تعالى ما لا يجوز تسمية الخلق بها؟ وهل يدخل ضمن هذا المنع الرحمن، والقيوم، وهل هناك أسماء أخرى لا يجوز وصف الخلق بها؟

ج4: تقدم في جواب السؤال الثاني والثالث بيان الضابط مع أمثلة لما يجوز تسمية المخلوق به من أسماء الله تعالى وما لا يجوز، وبناء على ذلك لا يجوز تسمية المخلوق بالقيوم؛ لأن القيوم هو المستغني بنفسه عن غيره، المفتقر إليه كل ما سواه، وذلك مختص بالله لا يشركه فيه غيره، قال ابن القيم رحمه الله في النونية:

هذا ومن أوصافه القيوم   والقيوم في أوصافه أمران

إحداهما القيوم قام بنفسه	**والكون قام به هما الأمران**
فالأول استغناؤه عن غيره	**والفقر من كل إليه الثاني**

وكذا لا يسمي المخلوق - بالرحمن - لأنه بكثرة استعماله اسماً لله تعالى صار علماً بالغلبة عليه، مختصاً به، كلفظ الجلالة، فلا يجوز تسمية غيره به[1].

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	نائب رئيس اللجنة	الرئيس
عبد الله بن غديان	عبد الرزاق عفيفي	عبد العزيز بن عبد الله بن باز

(1) تفسير آية ((الله لا إله إلا هو الحي القيوم))لابن كثير،1/ 278،وغيره،مختصر الصواعق المرسلة للموصلي، 2/ 110، وكتاب النونية لابن القيم مع شرحها للشيخ أحمد بن عيسى، 2/ 236 .

فتوى رقم 3862 وتاريخ 1401/8/12هـ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه، وبعد:

فقد اطّلعت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء علي السؤال المقدم من معالي وزير المعارف السعودية إلى سماحة الرئيس العام، والمحال إليها برقم 818 في 1401/5/3هـ، ونصه: ((أحيل لسماحتكم استفسار إدارة الامتحانات في الوزارة رقم 2121، وتاريخ 1401/4/7هـ مع جدول لأسماء الله الحسنى بشأن الاستفسار حول اسم ((الفضيل)) هل هو من أسماء الله الحسنى؟ وماذا يعمل مع من اسمه عبد الفضيل، هل يعدل الاسم أم يبقى على حالته؟ وحيث إن الاستفسار قد بدأ يتكرر من كثير من الجهات حول الأسماء الحسنى نتيجة لوجود عدد من المتعاقدين يحملون من الأسماء ما لا يقره الشرع، مثل: عبد النبي، وعبد الإمام، وعبد الزهراء، وغيرها من الأسماء. آمل موافاتنا ببيان تحدد فيه الأسماء التي تجوز إضافة ((العبد)) إليها، والتسمي بها، خاصة وإن كثيراً من الكتب تشير إلى أن أسماء الله تعالى لا تنحصر في التسعة والتسعين اسماً، بل إن الروايات تختلف حتى في تعداد هذه الأسماء التسعة والتسعين، ويتجه بعض العلماء إلى أن أسماء الله فوق الحصر، مستشهدين بالحديث: ((**اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك...**)) الحديث.

وأجابت بما يلي:

أولاً: قال الله تعالى: ﴿**وَلِلّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾(1)، فأخبر سبحانه عن نفسه بأنه اختص بالأسماء الحسنى المتضمنة لكمال صفاته، ولعظمته وجلاله، وأمر عباده أن يدعوه بها تسمية له بما سمى به نفسه، وأن يدعوه بها تضرعاً وخفية في السراء والضراء، ونهاهم عن الإلحاد فيها بجحدها أو إنكار معانيها، أو بتسميته بما لم يسمِّ به نفسه، أو بتسمية غيره بها، وتوعّد من خالف في ذلك بسوء العذاب.

وقد سمّى الله نفسه بأسماء في محكم كتابه، وفيما أوحاه إلى رسوله ﷺ من السنة الثابتة، وليس من بينها اسم الفضيل، وليس لأحد أن يسميه بذلك؛ لأن أسماءه تعالى توقيفية؛ فإنه سبحانه هو

(1) سورة الأعراف، الآية: 180.

أعلم بما يليق بجلاله، وغيره قاصر عن ذلك، فمن سماه بغير ما سمّى به نفسه، أو سماه به رسوله ﷺ، فقد ألحد في أسمائه، وانحرف عن سواء السبيل، وليس لأحد من خلقه أن يُعبِّد أحداً لغيره من عباده، فلا تجوز التسمية بعبد الفضيل، أو عبد النبي، أو عبد الرسول، أو عبد علي، أو عبد الحسين، أو عبد الزهراء، أو غلام أحمد، أو غلام مصطفى، أو نحو ذلك من الأسماء التي فيها تعبيد مخلوق لمخلوق؛ لما في ذلك من الغلو في الصالحين والوجهاء، والتطاول على حق الله؛ ولأنه ذريعة إلى الشرك والطغيان، وقد حكى ابن حزم إجماع العلماء على تحريم التعبيد لغير الله، وعلى هذا يجب أن يغير ما ذكر في السؤال من الأسماء وما شابهها.

ثانياً: ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **((إن الله تسعاً وتسعين اسما مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة))** رواه البخاري ومسلم[1].

وروى هذا الحديث الترمذي، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم، والبيهقي، وغيرهم، وزادوا فيه تعيين الأسماء التسعة والتسعين، مع اختلاف في تعيينها، وللعلماء في ذلك مباحث:

أ - منها - أن المراد بإحصائها معرفتها وفهم معانيها، والإيمان بها، والثقة بمقتضاها، والاستسلام لما دلت عليه، وليس المراد مجرد حفظ ألفاظها وسردها عدّاً.

ب - ومنها أن المعوّل عليه عند العلماء أن تعيين التسعة والتسعين اسماً مدرج في الحديث استخلصه بعض العلماء من القرآن فقط، أو من القرآن والأحاديث الصحيحة، وجعلوها بعد الحديث كتفسير له وتفصيل للعدد المجمل فيه، وعملاً بترغيب النبي ﷺ في إحصائها رجاء الفوز بدخول الجنة.

جـ - ومنها أنه ليس المقصود من الحديث حصر أسماء الله في تسعة وتسعين اسماً - لأن صيغته ليست من صيغ الحصر - وإنما المقصود الإخبار عن خاصة من خواص تسعة وتسعين اسماً من أسماء الله تعالى، وبيان عظم جزاء إحصائها، ويُؤيِّده ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **((ما أصاب أحداً قط هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك ابن**

(1) البخاري، برقم 2736، ومسلم، برقم 2677.

عبدك ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك، عدل فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علّمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي، إلا أذهب الله حزنه وهمه، وأبدله مكانه فرحاً)) فقيل: يا رسول الله، أفلا نتعلمها؟ فقال: ((**بل ينبغي لكل من سمعها أن يتعلمها**))(1).

فبين ﷺ أنه استأثر بعلم بعض أسمائه فلم يطلع عليها أحداً من خلقه، فكانت من الغيبيات التي لا يجوز لأحد أن يخوض فيها بخرص ولا تخمين؛ لأن أسماءه تعالى توقيفية كما سيجيء إن شاء الله.

د - ومنها أن أسماء الله توقيفية فلا يسمَّى سبحانه إلا بما سمى به نفسه، أو سماه به رسوله ﷺ، ولا يجوز أن يُسمَّى باسم عن طريق القياس أو الاشتقاق من فعل ونحوه، خلافاً للمعتزلة والكرامية، فلا يجوز تسميته بَنَّاءً، ولا ماكراً، ولا مستهزئاً أخذاً من قوله تعالى: **﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾**، وقوله: **﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّهُ﴾**، وقوله: **﴿اللّهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ﴾**، ولا يجوز تسميته زارعاً، ولا ماهداً، ولا فَالِقاً، ولا منشئاً، ولا قابلاً، ولا شديداً، ونحو ذلك أخذا من قوله تعالى: **﴿أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾**، وقوله: **﴿فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾**، وقوله: **﴿أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِؤُونَ﴾**، وقوله تعالى: **﴿فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾**، وقوله: **﴿قَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾**؛ لأنها لم تستعمل في هذه النصوص إلا مضافة، وفي أخبار علي غير طريق التسمي، لا مطلقة فلا يجوز استعمالها إلا على الصفة التي وردت عليها في النصوص الشرعية.

فيجب ألا يعبَّد في التسمية إلا لاسم من الأسماء التي سمى الله بها نفسه صريحاً في القرآن، أو سماه بها رسوله ﷺ فيما ثبت عنه من الأحاديث، كأسمائه التي في آخر سورة الحشر، والمذكورة في أول سورة الحديد، والمنشورة في سور أخرى من القرآن. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(1) أخرجه أحمد، 391/1، وأبو يعلى، 198/9-199، برقم 5297، والحاكم، 509/1-510، وابن السني في عمل اليوم والليلة، برقم 339، 340، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم 199.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	عضو	نائب رئيس اللجنة	الرئيس
عبد الله بن قعود	عبد الله بن غديان	عبد الرزاق عفيفي	عبد العزيز بن عبد الله بن باز

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله، وخيرته من خلقه، وأمينه على وحيه، نبينا وإمامنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الرسالة الخامسة: الفوز العظيم والخسران المبين

تمهيد

لا شك أن الفوز الحقيقي: هو الفوز بالجنة، والنجاة من النار، قال الله تعالى: ﴿ **فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ** ﴾[1]. وذلك أعظم المطالب؛ ولهذا قال النبي ﷺ لِرَجُلٍ: ((**ما تقول في الصلاة**))؟ قال: أتشهَّدُ، ثم أسأل الله الجنة، وأعوذ به من النار. أمَا والله ما أُحسِنُ دَنْدنَتَكَ، ولا دندنة معاذ، فقال ﷺ: ((**حَولَها نُدَنْدِنُ**))[2].

والمعنى: حول سؤال الله الجنة، والاستعاذة به من النار ندندن وندعو الله تعالى. ومما يدل على ما وصل إليه الصحابة من الكمال البشري، والرغبة العظيمة، ورجاحة العقل ما فعله ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه، قال: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته، فقال لي: ((**سَلْ**))، فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة، قال: ((**أوْ غير ذلك**))؟ قلت: هو ذاك. قال: ((**فأعني على نفسك بكثرة السجود**))[3]، وكان النبي ﷺ يُرغِّب أصحابه وأمته في الجنة، ويُحذِّرهم وينذرهم من النار؛ ولهذا قال ﷺ: ((**إذا وُضِعَتِ الجنازة فاحتملها الرجالُ على أعناقهم، فإن كانت صالحةً قالت: قدموني، قدموني، وإن كانت غير صالحة قالت: يا ويلها أين تذهبون بها؟ يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان،ولو سمعها الإنسان لَصَعِقَ**))[4] [5].

ولهذه الأهمية العظيمة الكبيرة البالغة في علوِّ مكانة الفوز

---

(1) سورة آل عمران، الآية: 185.

(2) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب في تخفيف الصلاة، برقم 792، وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما يقال في التشهد والصلاة على النبي ﷺ، برقم 910.

(3) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب فضل السجود والحث عليه، برقم 489.

(4) لَصَعِقَ:أي لَغُشِيَ عليه من شدة ما يسمعه،وربما أطلق الصعْقُ على الموت،انظر:الفتح،185/3.

(5) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب حمل الرجال الجنائز دون النساء، برقم 1314، وفي باب قول الميت وهو على الجنازة: قدموني، برقم 1316، وفي باب كلام الميت على الجنازة، برقم 1380، والنسائي في كتاب الجنائز، باب السرعة بالجنازة، برقم 1882، 1883.

العظيم، وسعادة من وفقه الله لهذه المكانة بدخول جنات النعيم: دار السلام ودار المتقين - جعلنا الله منهم -، وخسارة وغَبْن من حُرِم هذا الفوز الكبير، وخسره بدخول دار البوار:النار، وبئس القرار، وبئس مثوى المتكبرين - نعوذ بالله منها، ومن كل عمل يقرب إليها -؛ لهذا كلّه كتبت بتوفيق الله تعالى المباحث الآتية:.

المبحث الأول: مفهوم الفوز العظيم والخسران المبين

أولاً: مفهوم الفوز العظيم:

الفوز:الظَّفَرُ بالخير مع حصول السلامة والنجاة من كل مكروه،أو هلاك[1].

العظيم: يُقال عَظُمَ الشيءُ: أصله كَبُرَ عظْمُهُ، ثم استعير لكل كبير، فأُجرِيَ مجراه محسوساً كان أو معقولاً، عيناً كان أو معنىً، قال الله تعالى: ﴿ **قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ * أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ** ﴾[2]، وقال تعالى:﴿ **عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ** ﴾[3]،والعظيمُ إذا استُعمل في الأعيان فأصله أن يُقال في الأجزاء المتصلة[4]،والكثير يُقال في المنفصلة،ثم قد يُقال في المنفصل عظيم،نحو:جيش عظيم، ومال عظيم،وذلك في معنى الكثير[5].

قال الله تعالى عن الفوز العظيم الكبير: ﴿ **وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾[6]، وقال سبحانه: ﴿ **وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ**

---

(1) انظر: القاموس المحيط، ص669، ومختار الصحاح، ص215، ومفردات غريب القرآن للأصفهاني، ص647.
(2) سورة ص، الآيتان: 67 - 68.
(3) سورة النبأ، الآيتان: 1 - 2.
(4) أي يُقال في الأجزاء المتصلة عظيم: أي كبير. انظر: المعجم الوسيط، 609/1.
(5) مفردات غريب القرآن للأصفهاني، ص573.
(6) سورة التوبة، الآية: 72.

الْعَظِيمُ ﴾[1]. وقد بيّن الله تعالى في القرآن الكريم أن من أُدْخِلَ الجنة فقد حصل وحاز، وظَفُرَ بالفوز العظيم، ولِعِظَمِ ((الفوز العظيم)) ذكره الله ﷻ في القرآن الكريم في ستة عشر موضعاً[2]، ووصف هذا الفوز العظيم بالفوز الكبير في قوله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴾**[3]، ووصفه تعالى بالفوز المبين في قوله ﷻ: **﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴾**[4]. وفي قوله تعالى: **﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴾**[5].

فالفوز العظيم الكبير المبين: هو النجاة من النار، ودخول الجنة، كما قال ﷻ: **﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾**[6].

وقال تعالى في كلام بعض أهل الجنة: **﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ * إِلا مَوْتَتَنَا الأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾**[7].

وقال سبحانه: **﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ * كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ * يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ * لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلا الْمَوْتَةَ الأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * فَضْلاً مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾**[8]، وقال ﷻ في الصادقين، ومنهم عيسى بن مريم ﷺ:

---

(1) سورة التوبة، الآية: 100.
(2) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص527.
(3) سورة البروج، الآية: 11.
(4) سورة الأنعام، الآيتان: 15 - 16.
(5) سورة الجاثية، الآية: 30.
(6) سورة آل عمران، الآية: 185.
(7) سورة الصافات، الآيات: 58 - 61.
(8) سورة الدخان، الآيات: 51 - 57.

﴿قَالَ اللّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[1]، وغير ذلك من الآيات[2].

وقد بيّن ﷻ طريق هذا الفوز العظيم، والعمل الذي يُوصل إليه، فقال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾**[3]، وقال تعالى: **﴿تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾**[4]. وقال تعالى: **﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾**[5].

ثانياً: الخسران المبين:

خَسِرَ: خسْراً، وخَسَراً، وخُسْراً، وخُسُراً، وخُسْراناً، وخَسارَةً، وخَسَاراً: ضل فهو خاسرٌ وخسيرٌ، يقال: خَسِرَ التاجر: غُبِنَ في تجارته، ونقص ماله فيها، ويُقال: خسر فلانٌ: هلك وضل فهو خاسر، ويُستعمل ذلك في المقتنيات الخارجة:كالمال، والجاه: وهو الأكثر، وفي المقتنيات النفسية: كالصحة والسلامة، والعقل، والإيمان، والثواب: وهو الذي جعله الله تعالى الخسران المبين[6]، فقال سبحانه: **﴿قُل إنَّ الخـاسرينَ الذينَ خَسِروا أنفُسَهُم وأهليهِم يومَ القيامةِ ألا ذلكَ هُوَ الخُسرانُ المُبينُ ﴾**[7].

وقال ﷻ في الظالمين: **﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِّن بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ * وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ**

---

(1) سورة المائدة، الآية: 119.

(2) انظر: سورة التوبة، الآيات: 100، 119، و111، وسورة الحديد، الآية: 12، والصف، الآية: 12، والتغابن الآية 9.

(3) سورة الأحزاب، الآيتان: 70 - 71.

(4) سورة النساء، الآية: 13.

(5)سورة النور، الآية: 52.

(6) انظر: القاموس المحيط، ص491، والمعجم الوسيط، 233/1، ومفردات غريب القرآن للأصفهاني، ص282، ومختار الصحاح، ص74.

(7) سورة الزمر، الآية: 15.

وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴾[1]، وقال ﷻ في العمل الذي يوصل إلى هذا الخسران المبين: **﴿وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾**[2]، وقال تعالى: **﴿أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴾**[3]، وقال تعالى: **﴿وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾**[4]، وقال ﷻ: **﴿ومَن يَكفُرْ بالإيمَانِ فقدْ حبطَ عملُهُ وهُوَ في الآخِرةِ منَ الخَاسِرينَ ﴾**[5]، وقد بيَّن الله ﷻ في مواضع كثيرة من كتابه العزيز[6]أن جميع أنواع الخسارة في الدنيا والآخرة بسبب معصية الله ورسوله.

المبحث الثاني: التبشير بالجنة والإنذار من النار

أولاً: الترغيب في الجنة:

قال الله تعالى: **﴿وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُوْلَـئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾**[7].

وقال سبحانه بعد أن ذكر شهوات الدنيا: **﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ * الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ**

---

(1) سورة الشورى، الآيتان: 44 - 45.
(2) سورة النساء، الآية: 14.
(3) سورة التوبة، الآية: 63.
(4) سورة النساء، الآية: 119.
(5) سورة المائدة، الآية: 5.
(6) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص231 - 232.
(7) سورة آل عمران، الآيات: 133 - 136.

بالأَسْحَارِ ﴾[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((**يقول الله تعالى: أعددتُ لعباديَ الصالحين ما لا عينٌ رأتْ، ولا أُذنٌ سمعتْ، ولا خَطَر على قلب بشر، ذخراً بَلْهَ**[2] **ما أطلعكم الله عليه، فاقرأوا إن شئتم: ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَـهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾**[3]))[4].

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**موضع سوطٍ في الجنة خيرٌ من الدنيا وما فيها**))[5].

وعن أنس رضي الله عنه يرفعه: ((**غدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها، ولَقابُ**[6] **قوسِ أحدكم أو موضع قدم من الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطّلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما، ولملأت ما بينهما ريحاً، ولنَصيفها على رأسها** - يعني خمارها - **خير من الدنيا وما فيها**))[7].

ثانياً: الإنذار من النار:

قال الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾**[8].

والمعنى: اعملوا بطاعة الله، وانتهوا عما نهاكم عنه، ومروا

---

(1) سورة آل عمران، الآيات: 15 - 17.
(2) بَلْهَ ما أطلعكم الله عليه: دع عنك ما أطلعكم الله عليه، فالذي لم يطلعكم عليه أعظم.
(3) سورة السجدة، الآية: 17.
(4) أخرجه البخاري في تفسير القرآن، باب قوله: ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَـهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾، برقم 4780، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب، برقم 4/2824.
(5) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، برقم 3250، وفي كتاب الرقاق، باب مثل الدنيا في الآخرة، برقم 6415، والترمذي في كتاب فضائل الجهاد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل الغدو والرواح في سبيل الله، برقم 1648.
(6) لقاب قوس أحدكم: أي قدره، والقاب معناه القدر، وكذلك القيد، فتح الباري، 14/6.
(7) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب الحور العين وصفتهن، برقم 2796، وفي كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، رقم 6568، وأخرج مسلم الفقرة الأولى منه في كتاب الإمارة، باب فضل الغدوة والروحة في سبيل الله، برقم 1880، 1881.
(8) سورة التحريم، الآية: 6.

أهليكم بالخير، وانهوهم عن الشر، وعلّموهم وأدّبوهم، وساعدوهم على فعل الخير، وأعينوهم عليه، وأوصوهم بتقوى الله تعالى[1].

وقال سبحانه: **﴿فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾**[2].

وقال ﷻ: **﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى * لا يَصْلاهَا إِلا الأَشْقَى * الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾**[3].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: لما أُنزلت هذه الآية: **﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾**[4] دعا رسول الله ﷺ قريشاً فاجتمعوا، فعمَّ وخصَّ فقال: ((**يا بني كعب ابن لؤي: أنقذوا أنفسكم من النار...**)) [وذكر في الحديث أنه نادى قريشاً بطناً بطناً إلى أن قال]: ((...**يا فاطمة! أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئاً، غير أن لكم رَحِماً سأبُلُّها ببلالها**[5]**...**))[6].

وعن أنس، عن أبي طلحة رضي الله عنهما أن نبي الله ﷺ، أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش، فقُذفوا في طويٍّ من أطواء بدر[7] خَبيث مُخبثٍ، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليالٍ، فلما كان ببدرٍ اليوم الثالث أمر براحلته، فشُدَّ عليها رحلها، ثم مشى وتبعه أصحابه، وقالوا: ما نُرى ينطلق إلا لبعض حاجته حتى قام على شفةِ الركيِّ، فجعل يناديهم بأسمائهم، وأسماء آبائهم: ((**يا فلانُ ابن فلانٍ، ويا فلانُ ابن فلانٍ، أيسرّكم أنكم أطعتم الله ورسوله؟ فإنَّا وجدنا ما وعدنا ربنا حقّاً، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقّاً؟**)) فقال عمر: يا رسول الله ما تُكلّم من أجسادٍ لا أرواح لها؟ فقال ﷺ: ((**والذي نفس محمدٍ بيده ما أنت بأسمعَ لِمَا أقولُ منهم**)). قال قتادة: أحياهم الله حتى أسمعهم قوله، توبيخاً،

(1) انظر: تفسير الإمام ابن كثير، 392/4، وتفسير البغوي، 367/4.
(2) سورة البقرة، الآية: 24.
(3) سورة الليل، الآيات: 14 - 16.
(4) سورة الشعراء، الآية: 214.
(5) سأبلّها ببلالها: سأصلها. شبهت قطيعة الرحم بالحرارة، ووصلها بإطفاء الحرارة ببرودة، ومنه: ((بلوا أرحامكم)) أي: صلوها. شرح النووي على مسلم، 80/3.
(6) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾، برقم 204، وبنحوه أخرجه البخاري في كتاب الوصايا، باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب، برقم 2753.
(7) طويّ: بئر مطوية بالحجارة، والركي: البئر قبل أن تطوى. قالوا: فكأنها كانت مطوية ثم استهدمت كالركي.

وتصغيراً، ونقمةً، وحسرةً وندماً[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((**مَثَلي كمَثَل رجلٍ استوقد ناراً، فلما أضاءت ما حولها جعل الفراشُ وهذه الدوابُّ التي في النار يقعن فيها، وجعل يَحْجُزُهُنَّ ويَغْلِبْنَهُ فيَتَقحَّمْنَ فيها[2]. قال:فذلكم مَثَلي ومَثَلُكُم أنا آخذٌ بحُجَزِكُم عن النار، هلمَّ عن النَّار، هلمَّ عن النار، فتَغْلِبُوني تقحَّمون فيها**))[3].

المبحث الثالث: أسماء الجنة وأسماء النار

أولاً: أسماء الجنة:

1- الجنة، وهو الاسم العام المتناول لتلك الدار، وما اشتملت عليه من أنواع النعيم، واللذَّة، والبهجة، والسرور، وقرّةِ العين، وأصل اشتقاق هذه اللفظة من الستر والتغطية، ومنه سُمِّيَ الجنين لاستتاره في البطن، ومنه سُمِّي البستان: جَنة؛ لأنه يستر داخله بالأشجار ويغطيه، ولا يستحق هذا الاسم إلا موضع كثير الأشجار مختلف الأنواع[4].

والجنة: الحديقة ذات الشجر والنخل، وجمعها جنات، والجنة كل بستان يستر بأشجاره الأرض[5]، قال الله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ**﴾[6]، والحديقة: جمع ((حدائق))، وهي الروضة ذات الشجر والنخيل، وهي البستان، وسُميت حديقة تشبيهاً بحدقة العين في الهيئة، وحصول الماء

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل، برقم 3976، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، برقم 2873-2875.

(2) التقحم: هو الإقدام والوقوع في الأمور الشاقة من غير تثبت، والحجز: جمع حجزة، وهي: معقد الإزار والسراويل، شرح النووي، 55/15.

(3) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب شفقته ﷺ على أمته ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم، برقم 18/2284.

(4) انظر: حادي الأرواح لابن القيم، ص111.

(5) انظر: لسان العرب، 99/13، ومفردات القرآن للأصفهاني، ص204، والمصباح المنير، 112/1.

(6) سورة سبأ، الآية: 15.

فيها[1]. قال الله تعالى:
﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴾[2]، وقد ذكر الله تعالى الجنة في القرآن الكريم بلفظ المفرد ((جنة)) ستاً وستين مرة، ولفظ الجمع ((جنات)) تسعاً وستين مرة[3].

2 - **دار السلام**، قال سبحانه: **﴿لَـهُمْ دَارُ السَّلاَمِ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾**[4]. **﴿وَاللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ ﴾**[5]. فهي دار سلامٍ من كل بليَّةٍ وآفة[6].

3 - **دار الخلد**، وسُمْيت بذلك؛ لأن أهلها لا يظعنون عنها أبداً، قال الله تعالى: **﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾**[7]، أي غير مقطوع. وقال تعالى:
﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْـخُلُودِ ﴾[8]، وقال تعالى: **﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ ﴾**[9].

4- **دار المقامة**، قال الله تعالى: **﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْـمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾**[10].

5- **جنة المأوى**، قال تعالى: **﴿عِندَهَا جَنَّةُ الْـمَأْوَى ﴾**[11].

6- **جنات عدن**،قال سبحانه:**﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ ﴾**[1].

---

(1) انظر: مفردات غريب القرآن للأصفهاني، ص223، والقاموس المحيط، ص1127، وتفسير ابن كثير، 466/4.
(2) سورة النبأ، الآيتان: 31 - 32.
(3) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص 80 - 82.
(4) سورة الأنعام، الآية: 127.
(5) سورة يونس، الآية: 25.
(6) حادي الأرواح، ص113.
(7) سورة هود، الآية: 108.
(8) سورة ق، الآية: 34.
(9) سورة ص، الآية: 54.
(10) سورة فاطر، الآية: 35.
(11) سورة النجم، الآية: 15.
(1) سورة مريم، الآية: 16.

7- الفردوس، قال تعالى: ﴿**أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾[1].

والفردوس: هو البستان الذي يجمع كل شيء يكون في البساتين[2].

8- جنات النعيم،قال تعالى:﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ**﴾[3]، وقال تعالى: ﴿**إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ**﴾[4].

9- المقام الأمين، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ**﴾[5].

والمقام : موضع الإقامة.

والأمين: الآمن مِنْ كل سوءٍ، وآفةٍ، ومكروهٍ، وهو الذي قد جمع صفات الأمن كله[6].

10- مقعد صدق، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ**﴾[7]، سمَّى الله تعالى الجنة مقعد صدقٍ؛ لحصول كل ما يُراد من المقعد الحسن فيها، كما يُقال مودة صادقة، إذا كانت ثابتة تامة[8].

ثانياً: أسماء النار:

1- النار،قال الله تعالى:﴿**وَالَّذِينَ كَفَرواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾[9]،وقد ذكر الله ﷻ النار في القرآن الكريم بلفظ ((النار)) مائة وستاً وعشرين مرة،وبلفظ ((ناراً)) تسع عشرة مرة[1]، كقوله تعالى: ﴿ **سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ** ﴾[2].

2- جهنم، قال ﷻ: ﴿**إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا * لِلطَّاغِينَ مَآبًا**

---

(1) سورة المؤمنون، الآيتان: 10 - 11.
(2) فتح الباري، 13/6، والقاموس المحيط، ص725.
(3) سورة لقمان، الآية: 8.
(4) سورة القلم، الآية: 34.
(5) سورة الدخان، الآية: 51.
(6) حادي الأرواح لابن القيم، ص116.
(7) سورة القمر، الآيات: 54 - 55.
(8) حادي الأرواح لابن القيم، ص117.
(9) سورة البقرة، الآية: 39.
(1) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص723 - 725.
(2) سورة المسد، الآية: 3.

﴾[1].

3- الجحيم، قال ﷻ: **﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى ﴾**[2].

4- السعير،قال تبارك وتعالى:**﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾**[3].

5- سقر، قال تعالى: **﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ * لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ ﴾**[4].

6- الحطمة، قال تعالى: **﴿كَلا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴾**[5].

7- الهاوية، قال تعالى: **﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾**[6].

8- دار البوار، قال تعالى: **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴾**[7].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى: ((... وأما دار البوار فهي جهنم))[8]، وأشار إلى ذلك الإمام البغوي رحمه الله تعالى[9].

المبحث الرابع: مكان الجنة ومكان النار

أولاً: مكان الجنة:

قال الله تعالى: **﴿كَلا إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴾**[1].

عليون: قال ابن عباس: الجنة، وقيل: علّيون في السماء السابعة تحت العرش[2]، وقال ابن كثير رحمه الله تعالى: ((والظاهر أن

---

(1) سورة النبأ، الآيتان: 21 - 22.
(2) سورة النازعات، الآية: 36.
(3) سورة الشورى، الآية: 7.
(4) سورة المدثر، الآيتان: 27 - 28.
(5) سورة الهمزة، الآية: 4.
(6) سورة القارعة، الآيات: 8 - 11.
(7) سورة إبراهيم، الآيتان: 28 - 29.
(8) تفسير ابن كثير، 539/2.
(9) تفسير البغوي، 35/3.
(1) سورة المطففين، الآيتان: 18 - 19.
(2) انظر: تفسير البغوي، 460/4، وتفسير ابن كثير، 487/4.

عليين مأخوذ من العلو، وكلما علا الشيء وارتفع عظم واتَّسع؛ ولهذا قال تعالى معظِّماً أمره، ومفخِّماً شأنه: **﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴾**[1]، وقال ﷻ: **﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾**[2].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى: **﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾** ((**وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ**)) يعني المطر، ((**وَمَا تُوعَدُونَ**)) يعني الجنة[3]، وقد ثبت في الحديث الصحيح أن الجنة تحت العرش فوق السماء السابعة، قال النبي ﷺ: ((**...فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس؛ فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تُفَجَّر أنهار الجنة**))[4].

2 ـ مكان النار:

قال الله تعالى: **﴿كَلا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ * كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴾**[5].

والمعنى أن مأواهم ومصيرهم لفي سجِّين، فعيل من السجن، وهو الضيق، كما يُقال: فتِّيق، وشرِّيب، وخمّير، وسكّير، ونحو ذلك؛ ولهذا عظم أمره فقال تعالى: **﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴾** أي هو أمرٌ عظيم، وسجن مقيم، وعذاب أليم[6]، وقد ذكر الإمام البغوي، والإمام ابن كثير، والإمام ابن رجب الحنبلي رحمهم الله آثاراً، تُبيِّن وتذكر أن سجِّين تحت الأرض السابعة: أي تحت سبع أرضين، كما أن الجنة فوق السماء السابعة[1].

وقال ابن كثير: والصحيح أن سجِّيناً مأخوذ من السجن، وهو الضيق؛ فإن المخلوقات كل ما تسافل منها ضاق، وكل ما تعالى منها اتَّسع؛ فإن الأفلاك السَّبعة كُلٌّ واحدٍ منها أوسع، وأعلى من الذي دونه، وكذلك الأرضون كل واحدة أوسع من التي دونها، حتى

---

(1) تفسير ابن كثير، 487/4.
(2) سورة الذاريات، الآية: 22.
(3) تفسير ابن كثير، 236/4.
(4) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله، برقم 2790، وفي كتاب التوحيد، باب ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾، برقم 7423.
(5) سورة المطففين، الآيات: 7 - 9.
(6) تفسير ابن كثير، 485/4، وتفسير البغوي، 458/4.
(1) انظر: تفسير البغوي، 458/4-459، وتفسير ابن كثير، 485/4-486، والتخويف من النار لابن رجب، ص62-63.

ينتهي السفول المطلق، والمحل الأضيق إلى المركز في وسط الأرض السابعة[1].

ثم ذكر رحمه الله تعالى: ((أن مصير الفجار إلى جهنم، وهي أسفل سافلين كما قال تعالى: **﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ * إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾**[2]. وقال هَهنا: **﴿كَلا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾**، وهو يجمع الضيق والسفول، كما قال تعالى: **﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾**[3]. وقوله تعالى: **﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾** ليس تفسيراً لقوله: **﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾**، وإنما هو تفسير لما كتب لهم من المصير إلى سجين، أي مرقوم، مكتوب، مفروغ منه، لا يُزاد فيه أحد، ولا يُنقص منه أحد))[4].

قال ابن رجب رحمه الله: ((وقد استدلَّ بعضهم لهذا[5] بأن الله تعالى أخبر أن الكفار يُعرضون على النار غدواً وعشيًّا - يعني في مدة البرزخ - وأخبر أنه لا تفتح لهم أبواب السماء، فدل على أن النار في الأرض... وفي حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما عن النبي ﷺ في صفة قبض الروح، قال في روح الكافر: **((حتى يُنتهى به إلى السماء الدنيا، فيُستفتَحُ له، فلا يُفتحُ له))**، ثم قرأ رسول الله ﷺ: **﴿لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾**[1]، فيقول الله ﷻ: **((اكتبوا كتابه في سجِّين في الأرض السُّفلى))** ثم قال: **((... فتُطرَحُ رُوحُه طرحاً ...))** الحديث[2] بطوله[3].

(1) تفسير ابن كثير، 4/446.
(2) سورة التين، الآيتان: 5 - 6.
(3) سورة الفرقان، الآية: 13.
(4) تفسير ابن كثير، 4/486.
(5) وقد استدل بعضهم لهذا: أي على أن النار في الأرضين السبع في الأرض السابعة السفلى.
(1) سورة الأعراف، الآية: 40.
(2) التخويف من النار، والتعريف بحال دار البوار، ص63.
(3) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب المسألة في القبر وعذاب القبر، برقم 4753، والنسائي في كتاب الجنائز، باب مسألة الكافر، برقم 2059، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب ذكر القبر والبلى، برقم 4269، وأحمد في المسند، 4/287، 295، 296، =

المبحث الخامس: وجود الجنة والنار الآن

عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قصة الإسراء أنه قال: **((...ثم انطلق بي جبريلُ حتى انتهى بي إلى سدرة المنتهى، فغشيها ألوان لا أدري ما هي، قال: ثم دخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ**[1]**، وإذا ترابها المسك))**[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **((لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبرائيل إلى الجنة فقال: انظر إليها، وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فجاء فنظر إليها، وإلى ما أعدّ الله لأهلها فيها... ثم قال: اذهب إلى النار فانظر إليها، وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فنظر إليها فإذا هي يركب بعضها بعضاً...))**[3] الحديث.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **((إن أحدكم إذا مات عُرِضَ عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يُقالُ هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة))**[1].

وعن كعب بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **((إنما نَسَمَةُ المؤمن طائرٌ يَعْلُقُ في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه))**[2].

= والحاكم في المستدرك، 1/37-38، وهناد في الزهد، برقم 339، وقد جمع طرقه واعتنى بتخريجه وتصحيحه العلامة الألباني في أحكام الجنائز، ص158.

(1) الجَنَابِذ: هي القباب، واحدتها: جنبذة، ووقع في كتاب الأنبياء من صحيح البخاري كذلك. وفي هذا الحديث دلالة لمذهب أهل السنة والجماعة: أن الجنة والنار مخلوقتان، وأن الجنة في السماء. والله أعلم. انظر: شرح النووي، 579/2.

(2) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء، برقم 349، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات، برقم 163.

(3) أخرجه الترمذي في كتاب صفة الجنة، باب ما جاء حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات، برقم 2560، وأبو داود في كتاب السنة، باب في خلق الجنة والنار، برقم 4744، والنسائي في كتاب الأيمان والنذور، باب الحلف بعزة الله تعالى، برقم 3761، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقال عنه الشيخ الألباني (((صحيح)))، صحيح سنن الترمذي، برقم 2698.

(1) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز،باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة،والعشي،برقم 1379، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، برقم 2866.

(2) أخرجه النسائي في كتاب الجنائز، باب أرواح المؤمنين، برقم 2071، وابن ماجه في =

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عندما سُئل عن قوله تعالى: **﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾**[1] قال: أمَا إنّا قد سألنا عن ذلك فقال: ((**أرواحهم في جوف طيرٍ خُضْرٍ، لها قناديل معلقةٌ بالعرش تسرحُ من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربّهم اطلاعةً فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أيَّ شيءٍ نشتهي، ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا، فعل ذلك بهم ثلاث مرات. فلما رأوا أنهم لن يُتركوا من أن يُسألوا، قالوا: يا ربِّ نريدُ أن تردّ أرواحنا في أجسادنا حتى نُقتل في سبيلك مرة أخرى...**)) الحديث[2].

المبحث السادس: السَّوْقُ إلى الجنة وإلى النار

أولاً: سَوْقُ المؤمنين إلى الجنة:

قال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ * وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((**أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دُرّيٍّ في السماء إضاءةً، لا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يتفلون، ولا يمتخطون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوّة الألنجوج عود الطيب، وأزواجهم الحور العين، على خَلْقِ رجُلٍ واحدٍ، على صورة أبيهم آدم ستون ذِراعاً في السماء**))[1].

= كتاب الزهد، باب ذكر القبر والبلى، برقم 4271، وأحمد، 455/3، وصححه الألباني في صحيح النسائي، 445/2، وصحيح ابن ماجه، 423/2، والأحاديث الصحيحة، 730/2 برقم 995، وقال ابن كثير رحمه الله في تفسيره، 302/4 بعد أن ذكر إسناد الإمام أحمد لهذا الحديث: ((وهذا إسناد عظيم ومتن قويم)).

(1) سورة آل عمران، الآية: 169.

(2) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة، وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون، برقم 1887.

(3) سورة الزمر، الآيتان: 73-74.

(1) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته، برقم 3327، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، برقم 2834.

ثانياً: سَوْقُ الكافرين إلى النار:

قال الله ﷻ: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ * قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾(1).

وقال سبحانه: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ * تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلا فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ * وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ * فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾(2).

وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾(3).

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا * ذَلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا وَقَالُواْ أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾(4).

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ * يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴾(1).

وقال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * إِذِ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ * فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾(2).

وقال ﷻ: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ * إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللهِ الْعَظِيمِ

(1) سورة الزمر، الآيتان: 71 - 72.
(2) سورة الملك، الآيات: 6 - 11.
(3) سورة الفرقان، الآية: 13.
(4) سورة الإسراء، الآيتان: 97- 98.
(1) سورة القمر، الآيتان: 47 - 48.
(2) سورة غافر، الآيات: 70 - 72.

﴾[1].

المبحث السابع: أبواب الجنة وأبواب النار

أولاً: أبواب الجنة ثمانية:

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إن النبي ﷺ قال: ((**ما منكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، إلا فُتِحَتْ له أبواب الجنة الثمانية، يدخل من أيها شاء**))[2].

وعن عتبة بن غزوان رضي الله عنه في حديثه في الدنيا والجنة والنار قال: ((ولقد ذُكِرَ لنا أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة، وليأتينَّ عليها يومٌ وهي كظيظٌ من الزحام))[3].

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**في الجنة ثمانية أبواب، فيها بابٌ يُسمَّى الريَّان، لا يدخله إلا الصائمون**))[4].

وقد يدخل المسلم من تلك الأبواب كلِّها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((**من أنفق زوجين في سبيل الله نُودي من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خيرٌ، فمن كان من أهل الصلاة دُعِيَ من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دُعيَ من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دُعِيَ من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دُعيَ من باب الصدقة**)). فقال أبو بكر رضي الله عنه: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما على من دُعيَ من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يُدعى أحَدٌ من تلك الأبواب كلِّها؟ قال: ((**نعم، وأرجو أن تكون منهم**))[1].

ثانياً: أبواب النار:

قال الله تعالى: ﴿**وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ**

---

(1) سورة الحاقة، الآيات: 30 - 33.
(2) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، باب الذكر المستحب عقب الوضوء، برقم 234.
(3) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، برقم 2967.
(4) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب صفة أبواب الجنة، برقم 3257، ومسلم في كتاب الصيام، باب فضل الصيام، برقم 1152.
(1) أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب الريان للصائمين، برقم 1897، ومسلم في كتاب الزكاة، باب من جمع الصدقة وأعمال البر، برقم 1027.

أبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾[1].

وتفتح أبواب جهنم لأهلها عند وصولهم إليها، قال الله تعالى: **﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾**[2]. وهي مغلقة على أهلها، قال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴾**[3].

وقال تعالى: **﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ * فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾**[4].

يقال:أوْصدْت الباب وآصدتُهُ:أي أطبقته، وأحكمته[5]، فأبواب النار على أهلها مطبقة مغلقة، لا يدخل فيها سرور، ولا يخرج منها غم[6].

وأبواب النار تغلق في رمضان، فعن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: **((إذا كان أوَّلُ ليلةٍ من شهر رمضان صُفِّدت الشياطين، ومَرَدَةُ الجنّ، وغُلِّقت أبوابُ النار، فلم يُفتح منها بابٌ، وفُتِّحت أبواب الجنة، فلم يُغْلَقْ منها بابٌ، وينادي منادٍ: يا باغي الخير أقبِلْ، ويا باغي الشر أقصِرْ، ولله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة))**[7].

المبحث الثامن: حجاب الجنة وحجاب النار

عن أبي هريرة ﵁ عن رسول الله ﷺ قال: **((لـمَّا خلق الله الجنة والنار، أرسل جبرائيل إلى الجنة فقال: انظر إليها، وإلى ما أعددتُ لأهلها فيها، قال: فجاءها فنظر إليها، وإلى ما أعد الله لأهلها فيها، قال: فرجع إليه، قال: وعِزَّتِكَ لا يسمع بها أحدٌ إلا دخلها، فأمر بها فحُفَّتْ بالمكاره، فقال: ارجعْ إليها، فانظرْ إليها، وإلى ما أعددتُ لأهلها فيها، قال: فرجع إليها، فإذا هي قد حُفَّت**

(1) سورة الحجر، الآيتان: 43- 44.
(2) سورة الزمر، الآية: 71.
(3) سورة البلد، الآيتان: 19 - 20.
(4) سورة الهمزة، الآيتان: 8 - 9.
(5) مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني، ص872.
(6) تفسير الإمام البغوي، 491/4، 524، وتفسير ابن كثير، 516/4، 549.
(7) أخرجه الترمذي في كتاب الصوم، باب ما جاء في فضل شهر رمضان، برقم 682، والنسائي في كتاب الصيام، باب ذكر الاختلاف على معمر فيه، برقم 2105، وابن ماجه في كتاب الصيام، باب ما جاء في فضل شهر رمضان، برقم 1642. وأصل الحديث عند البخاري في كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، برقم 3277، ومسلم في كتاب الصيام، باب فضل شهر رمضان، برقم 1079.

بالمكاره، فرجع إليه، فقال: وعِزَّتِكَ لقد خفتُ أن لا يدخلَها أحد، قال: اذهب إلى النار فانظر إليها، وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فنظر إليها فإذا هي يركب بعضها بعضاً، فرجع إليه فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها، فأمر بها فحفت بالشهوات، فقال: ارجع فانظر إليها، [فرجع إليها] فنظر إليها فإذا هي قد حُفَّت بالشهوات، فرجع وقال: وعِزَّتِكَ لقد خشيتُ أن لا ينجوَ منها أحدٌ إلا دخلها))[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((**حُجبت النار بالشهوات، وحجبت الجنة بالمكاره**))[2].

والمراد بالشهوات هنا ما أُمر المكلف بمجاهدة نفسه فيه فعلاً وتركاً، كالإتيان بالعبادات على وجهها، والمحافظة عليها، واجتناب المنهيات، قولاً وفعلاً[3].

وهذا الحديث من بديع الكلام، وفصيحه، وجوامعه التي أوتيها رسول الله ﷺ من التمثيل الحسن، ومعناه لا يوصل إلى الجنة إلا بارتكاب المكاره، والنار بارتكاب الشهوات، وكذلك هما محجوبتان بهما، فمن هتك الحجاب وصل إلى المحجوب، فهَتْكُ حجاب الجنة بارتكاب المكاره، وهَتْكُ حجاب النار بارتكاب الشهوات، فأما المكاره فيدخل فيها: الاجتهاد في العبادات، والمواظبة عليها، والصبر على مشاقها، وكظم الغيظ، والعفو، والحلم، والصدقة، والإحسان إلى المسيء، والصبر عن الشهوات، ونحو ذلك.

وأما الشهوات التي حُفَّت وحُجبت بها النار، فالظاهر أنها الشهوات المحرمة كالخمر، والزنا، والنظر إلى الأجنبية، والغيبة، والنميمة، واستعمال الملاهي، ونحو ذلك.

أما الشهوات المباحة فلا تدخل في هذه، لكن لا يكثر منها مخافة أن يجره ذلك إلى المحرَّمة، أو يقسِّي القلب، أو يشغل عن الطاعة،

---

(1) أخرجه الترمذي في كتاب صفة الجنة، باب ما جاء حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات، برقم 2560، والنسائي وغيرهما، وما بين المعقوفين من لفظ الترمذي، وحسنه الألباني في صحيح النسائي، 797/2، برقم 3523، وفي صحيح الترمذي، 318/2، برقم 2075.

(2) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب حجبت النار بالشهوات، برقم 6487، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، برقم 2822، 2823.

(3) انظر: فتح الباري، لابن حجر، 320/11.

أو يُحْوِجُ إلى الاعتناء بتحصيل الدنيا[1].

المبحث التاسع: أول من يدخل الجنة وأول من يدخل النار

أولاً: أول داخل إلى الجنة:

1 - أول من يدخل الجنة: محمد ﷺ.

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **((آتي باب الجنة يوم القيامة، فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول محمد، فيقول: بك أُمِرتُ لا أفتحُ لأحدٍ قبلك))**[2].

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **((أنا أكثر الأنبياء تَبَعاً يومَ القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة))**[3].

2 - أمة محمد ﷺ.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **((نحن الآخِرون الأوَّلون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة، بَيْدَ أنهم أُوتوا الكتاب من قبْلِنا، وأُوتيناه من بعدهم، فاختلفوا، فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق، فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه، هدانا الله له (قال: يوم الجمعة)، فاليوم لنا، وغداً لليهود، وبعد غد للنصارى))**[4].

3 - الفقراء:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **((يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام، نصف يوم))**[1]. وفي لفظ: **((يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم، وهو**

---

(1) انظر: شرح النووي، 165/17.

(2) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان،باب في قول النبي ﷺ:((أنا أول الناس يشفع في الجنة...))،برقم 197.

(3) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب في قول النبي ﷺ: ((أنا أول الناس يشفع في الجنة...))، برقم 196.

(4) أخرجه مسلم في كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة، برقم 855.

(1) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد، باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم، برقم 2353، 2354، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب منزلة الفقراء، برقم 4122، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، 275/2، وفي صحيح ابن ماجه، 396/2.

خمسمائة عام))[1].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **((يدخل فقراء المسلمين قبل أغنيائهم بأربعين خريفاً))**[2].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **((إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفاً))**[3].

والجمع بين الحديثين، والله أعلم: أن الفقراء منهم من يسبق الأغنياء بخمسمائة عام، ومنهم من يسبق بأربعين عام، بحسب أحوال الفقراء والأغنياء، كما يتأخر مكث العصاة الموحِّدين بحسب أحوالهم. ولا يلزم من سبق الفقراء في الدخول ارتفاعُ منازلهم عليهم؛ بل قد يكون المتأخر أعلى منزلةً، وإن سبقه غيره في الدخول، فالغني إذا حوسب على غناه فوُجِدَ قد شكر الله تعالى فيه، وتقرّب إليه بأنواع البر، والخير، والصدقة، والمعروف كان أعلى درجة من الفقير الذي سبقه في الدخول، ولم يكن له تلك الأعمال، ولا سيما إذا شاركه الغني في أعماله، وزاده عليه فيها، والله لا يُضيع أجر من أحسن عملاً.

فالمزيَّة مزيتان: السبق، والرفعة، وقد يجتمعان وينفردان، فيحصل لواحد السبق والرفعة، ويعدمهما آخر، ويحصل لآخر السبق دون الرفعة، ولآخر الرفعة دون السبق، وهذا بحسب المقتضى للأمرين، أو لأحدهما، وعدمه، وبالله التوفيق[1].

ثانياً: أول من يُقضى عليه يوم القيامة ثلاثة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **((إن أول من يُقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد، فأُتي به، فعرَّفه نِعَمَهُ فعرَفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدتُ،**

---

(1) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد، باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم، برقم 2354، وقال عنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع، 2/ 1342: ((صحيح)).

(2) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد، باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم، برقم 2355، وانظر: صحيح الترمذي، 2/275، وتحفة الأحوذي، 7/18 – 23، وقال الألباني: ((صحيح بلفظ: ((فقراء المهاجرين)).

(3) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، برقم 2979.

(1) انظر حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح للإمام ابن القيم، ص134.

قال: كذبت، ولكنك قاتلت، لأن يقال جريءٌ، فقد قيل، ثم أُمر به فسُحبَ على وجهه حتى أُلقي في النار. ورجلٌ تعلَّم العلم وعلَّمه، وقرأ القرآن، فأُتي به فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلَّمتُ العلمَ، وعلمتُهُ، وقرأتُ فيك القرآن، قال: كذبتَ، ولكنك تعلمتَ العلم ليُقالَ: عالم، وقرأت القرآن ليُقالَ: هو قارئٌ، فقد قيل،ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار، ورجل وسَّعَ الله عليه، وأعطاه من أصناف المال كلِّه، فأُتي به فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركتُ من سبيلٍ تحبُّ أن يُنفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليُقال هو جوادٌ، فقد قيل، ثم أُمر به فسُحب على وجهه ثم أُلقي في النار))[1].

فقوله ﷺ في الغازي، والعالم، والجواد، وعقابهم على فعلهم ذلك لغير الله، وإدخالهم النار، دليل على تغليظ تحريم الرياء، وشدة عقوبته، وعلى الحث على وجوب الإخلاص في الأعمال، وفيه أن العمومات الواردة في فضل الجهاد إنما هي لمن أراد الله تعالى بذلك مخلصاً، وكذلك الثناء على العلماء، وعلى المنفقين في وجوه الخيرات، كله محمولٌ على من فعل ذلك لله تعالى مخلصاً[2].

والله أسأل لي ولجميع المسلمين الإخلاص في القول والعمل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

المبحث العاشر: تحية أهل الجنة وتحية أهل النار

أولاً: تحية أهل الجنة:

قال الله تعالى: **﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾**[1].

وقال تعالى: **﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَلاَ يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ*وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ* وَالَّذِينَ صَبَرُواْ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَؤُونَ**

(1) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار، برقم 1905.

(2) شرح النووي على صحيح مسلم، 54/13، بتصرف يسير.

(1) سورة يونس، الآيتان: 9 - 10.

بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ*جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ*سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾[1]، فينبغي للمؤمن أن يرغب في هذا الخير العظيم ﴿وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [2].

ثانياً: تحية أهل النار:

قال الله تعالى في تحية أهل النار: ﴿قَالَ ادْخُلُواْ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّن الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لاَّ تَعْلَمُونَ ﴾[3]. وقال تعالى: ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ * هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ * وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ * هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ * قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴾[4].

وقال تعالى في أهل النار: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾[1].

المبحث الحادي عشر: أكثر أهل الجنة وأكثر أهل النار

أولاً: أكثر أهل الجنة:

1 ـ أمة محمد ﷺ:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: ((**يقول الله تعالى: ياآدم! فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك، فيقول: أخرج بعث**

---

(1) سورة الرعد، الآيات: 20 - 24.
(2) سورة الشرح، الآية: 8.
(3) سورة الأعراف، الآية: 38.
(4) سورة ص، الآيات: 55 - 60.
(1) سورة العنكبوت، الآية: 25.

النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعةً وتسعين، فعنده يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سُكارى وما هم بسُكارى، ولكن عذاب الله شديد))، فاشتد ذلك عليهم، قالوا: يا رسول الله! وأيّنا ذلك الواحد؟ قال: ((**أبشروا فإن منكم رجلاً، ومن يأجوج ومأجوجٍ ألف**)). ثم قال: ((**والذي نفسي بيده إني لأرجو أن تكونوا ربُع أهل الجنة**)). فكبرنا فقال: ((**أرجو أن تكونوا ثُلثَ أهل الجنة**))،فكبرنا، فقال: ((**أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة**))، فكبرنا، فقال: ((**ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلدِ ثورٍ أبيض، أو كشعرة بيضاء في جلدِ ثور أسودَ**))[1].

2 ـ الفقراء:

عن عمران بن حصين رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: ((**اطّلعت في الجنة فرأيتُ أكثر أهلها الفقراء، واطّلعت في النار فرأيتُ أكثر أهلها النساء**))[2].

3 ـ النساء:

النساء أكثر أهل الجنة بإضافة الحور العين إلى نساء الدنيا في الجنة، أما نساء الدنيا فهن أقل أهل الجنة، وأكثر أهل النار[3]. ففي صحيح مسلم أن ابن عُلية قال: أخبرنا أيوب عن محمد قال: إما تفاخروا وإما تذاكروا: الرجالُ في الجنة أكثر أم النساء؟ فقال أبو هريرة رضي الله عنه: أو لم يقل أبو القاسم ﷺ: ((**إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على أشدّ كوكب دُريٍّ في السماء إضاءة، لكل امرئٍ منهم زوجتان اثنتان، يُرى مُخّ سوقهما من وراء اللحم، وما في الجنة أعزب**))[1].

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج، برقم 3348، ومسلم في كتاب الإيمان، باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة، برقم 221.

(2) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، برقم 3241، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب أكثر أهل الجنة الفقراء، برقم 2737.

(3) حادي الأرواح لابن القيم، ص142.

(1) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، برقم 3246، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر... ، برقم 2834 واللفظ له.

ثانياً: أكثر أهل النار:

1 ـ يأجوج ومأجوج:

لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن الله ينادي آدم أن يخرج بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، ثم بيَّن النبي ﷺ أن من أمته واحد، ومن يأجوج ومأجوج ألف[1].

2 ـ النساء:

أكثر أهل النار النساء؛ لحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((**يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار، فإني رأيتكن أكثر أهل النار**، فقالت امرأة منهن جزلة: وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار؟ قال: **تُكْثِرْنَ اللَّعنَ، وتَكْفُرْنَ العشير**))[2].

وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: ((**اطّلعتُ في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطّلعتُ في النار فرأيت أكثر أهلها النساء**))[3].

المبحث الثاني عشر: درجات الجنة ودركات النار

أولاً: درجات الجنة:

قال الله تعالى: ﴿**لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا * دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾[1].

---

(1) الحديث تقدم تخريجه، وهو في البخاري، برقم 6530، ومسلم، برقم 222.

(2) أخرجه البخاري في كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم، برقم 304، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات، وبيان إطلاق لفظ الكفر على غير الكفر بالله، ككفر النعمة والحقوق، برقم 79.

(3) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، برقم 3241، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء...، باب أكثر أهل الجنة الفقراء، برقم 2737.

(1) سورة النساء، الآيتان: 95- 96.

وقال ﷻ: **﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللّهِ كَمَن بَاء بِسَخْطٍ مِّنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللّهِ واللّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾**[1].

وقال سبحانه: **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّـهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾**[2].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **((إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر**[3] **من الأفق من المشرق أو من المغرب لِتَفَاضُلِ ما بينهم))**. قالوا: يا رسول الله! تلك منازل الأنبياء، لا يبلغها غيرهم. قال: **((بلى والذي نفسي بيده رجالٌ آمنوا بالله وصدَّقوا المرسلين))**[4].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال نبي الله ﷺ: **((يُقال لصاحب القرآن يوم القيامة إذا دخل الجنة: اقرأ واصعد، فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه))**[1].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: **((يُقال لصاحب القرآن: اقرأ، وارقَ، ورتِّل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منـزلتك عند آخر آية تقرؤها))**[2].

---

(1) سورة آل عمران: الآيتان: 162- 163.

(2) سورة الأنفال، الآيات: 2 - 4.

(3) الغابر: الذاهب الماشي الذي تدلى للغروب وبعد عن العيون.

(4) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، برقم 3256، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب ترائي أهل الجنة أهل الغرف كما يرى الكوكب في السماء، برقم 2831.

(1) أخرجه ابن ماجه في كتاب الأدب،باب ثواب القرآن،برقم 3780،وأحمد في المسند، 40/3، وأبو يعلى في المسند،برقم 1094،وقال الألباني عنه في صحيح ابن ماجه،برقم 3780: ((صحيح)).

(2) أخرجه أبو داود في كتاب الوتر، باب استحباب الترتيل في القراءة، برقم 1464، والترمذي في كتاب فضائل القرآن، باب 18، برقم 2914، وأحمد، 191/2، وابن حبان كما في الموارد، برقم 1790، والحاكم، 552/1-553، وصححه، ووافقه الذهبي. وقال أبو عيسى:((هذا حديث حسن صحيح))، وقال الألباني عنه في صحيح الجامع الصغير، 1029/2: ((صحيح)).

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((**من آمن بالله ورسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضان، كان حقاً على الله أن يدخله الجنة هاجر في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها**)). قالوا: يا رسول الله! ألا ننبئ الناس بذلك؟ قال: ((**إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس؛ فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجَّر أنهار الجنة**))(1).

وأعلى درجات الجنة الوسيلة، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول: ((**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليَّ؛ فإنه من صلى عليَّ صلاةً صلَّى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله ليَ الوسيلة؛ فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلّت له الشفاعة**))(2)، وسُمّيت درجة النبي ﷺ الوسيلة؛ لأنها أقرب الدرجات إلى عرش الرحمن، وهي أقرب الدرجات إلى الله تعالى(3).

ثانياً: دركات النار وعمقها:

الدرج إذا كان بعضها فوق بعض، والدرك إذا كان بعضها أسفل من بعض، فالجنة درجات، والنار دركات، وقد تُسمَّى النار درجات أيضاً(1). كما قال الله تعالى بعد أن ذكر أهل الجنة وأهل النار: ﴿**وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا**﴾(2).

وقال ﷻ في المنافقين: ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**﴾(3).

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله، برقم 2790، وفي كتاب التوحيد، باب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾، برقم 7423.

(2) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، ثم يصلي على النبي ﷺ، برقم 384.

(3) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم، ص99.

(1) انظر: التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، لابن رجب، ص69.

(2) سورة الأنعام، الآية: 132.

(3) سورة النساء، الآية: 145.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: ((أنه رأى في النوم كأن ملكين أخذاه فذهبا به إلى النار، فإذا هي مطوية كطي البئر، وإذا لها قرنان، قال: وإذا فيها أناس قد عرفتهم، فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار، قال: فلقينا ملكٌ آخر فقال: لم تُرَعْ، قال: فقصصتها على حفصة، فقصتها حفصة على رسول الله ﷺ فقال: ((**نِعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل**)). فكان بعدُ لا ينام من الليل إلا قليلاً[1].

وعن عتبة بن غزوان قال عن قعر جهنم: ((...فإنه قد ذُكِرَ لنا أن الحجر يُلقى من شفةِ جهنم فيهوي فيها سبعين عاماً، لا يدرك لها قعراً، ووالله لتملأن أفعجبتم))؟[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ إذ سمع وجبة فقال النبي ﷺ: ((**أتدرون ما هذا؟**)) قال: قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: ((**هذا حجر رُمي به في النار منذُ سبعين خريفاً، فهو يهوي في النار الآن حتى انتهى إلى قعرها**))[3].

المبحث الثالث عشر: أدنى أهل الجنة منزلة، وأهون أهل النار عذاباً

أولاً: أدنى أهل الجنة منـــزلة:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها، وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة، رجل يخرج من النار حبواً، فيقول الله تبارك وتعالى: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها فيُخَيَّل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملأى، فيقول الله تبارك وتعالى له: اذهب فادخل الجنة، قال: فيأتيها فيُخَيَّل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملأى، فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها، أو إن لك عشرة أمثال الدنيا، قال فيقول: أتسخر بي [أو تضحك بي] وأنت الملك**))؟ قال: فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه، قال: ((فكان يقال: ذاك أدنى أهل الجنة

---

(1) أخرجه البخاري في أبواب التهجد، باب فضل قيام الليل، برقم 1121- 1122. ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، برقم 2479.

(2) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، برقم 2967.

(3) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها وما تأخذ من المعذبين، برقم 2844.

منـزلة))[1].

وفي حديث ابن مسعود وحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنهما قصة صاحب الشجرة، وهو أدنى أهل الجنة منـزلة، وفيه: **((ويُذكِّره الله: سل كذا، وكذا، فإذا انقطعت به الأماني قال الله: هو لك وعشرةُ أمثاله، ثم يدخل بيته فتدخل عليه زوجتاهُ من الحور العين، فتقولان: الحمد لله الذي أحياك لنا وأحيانا لك، فيقول: ما أُعطي أحدٌ مثل ما أُعطيتُ))**[2].

وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه يرفعه: **((سأل موسى ربه: ما أدنى أهل الجنة منـزلة؟ قال: هو رجل يجيء بعدما أدخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: ادخل الجنة. فيقول: أي ربِّ كيف وقد نزل الناس منازلهم، وأخذوا أخذاتهم[3]؟ فيقال له:أترضى أن يكون لك مثل مُلْكِ مَلِكٍ من ملوك الدنيا؟ فيقول:رضيتُ ربِّ،فيقول:لك ذلك ومثْلُهُ،ومثْلُهُ، ومثْلُهُ، فقال في الخامسة: رضيت ربِّ، فيقول: هذا لك وعشرةُ أمثالِه، ولك ما اشتهت نفسك، ولذَّت عينُكَ، فيقول: رضيت ربِّ ...))** الحديث[1].

ثانياً: أهون أهل النار عذاباً وشدة حرارتها، وتفاوتهم فيها:

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت النبي الله صلى الله عليه وسلم يقول: **((إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة رجل على أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه كما يغلي الْمِرْجَلُ[2] بالقُمْقُمْ))**[3]، وفي رواية لمسلم: **((ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً، وإنه لأهونهم**

(1) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، برقم 6571، ومسلم في كتاب الإيمان، باب آخر أهل النار خروجاً، برقم 186.

(2) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب آخر أهل النار خروجاً، رقم 187.

(3) أخذوا أخذاتهم: هو ما أخذوه من كرامة مولاهم وحصلوه.

(1) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، برقم 189.

(2) الْمِرْجَل: قِدر من نحاس، وهو الإناء الذي يُغلى فيه الماء، والميم زائدة؛ لأنه إذا نصب كأنه أقيم على أرجل، ويقال لكل إناء يُغلى فيه الماء من أي صنف كان. والقمقم: معروف من آنية العطار، ويقال: هو إناء ضيق الرأس، يسخن فيه الماء، ويكون من نحاس وغيره، ورواه بعضهم: ((كما يغلي المرجل والقمقم))، وهو أبين إن ساعدته صحة الرواية. انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، 4/110، 315، وفتح الباري لابن حجر، 11/430-431.

(3) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، برقم 6562، ومسلم في كتاب الإيمان، باب أهون أهل النار عذاباً، برقم 213، واللفظ للبخاري.

عذاباً))[1].

وعن أبي هريرةٍ ﷺ يرفعه: ((**ناركم هذه التي يُوقد ابنُ آدم سبعين جزءاً من حرِّ جهنم**، قالوا: والله إن كانت لكافية يا رسول الله! قال: **فإنها فُضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلها مثل حرها))**[2].

وعن أبي هريرة ﷺ قال:قال رسول الله ﷺ:((**اشتكت النارُ إلى ربها فقالت:يا ربِّ أكل بعضي بعضاً،فأذِنَ لها بنفسين:نفسٍ في الشتاء ونفسٍ في الصيف،فهو أشدُّ ما تجدون من الحرِّ،وأشد ما تجدون من الزمهرير))**[3].

وعن شقيق عن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((**يُؤتى بجهنم يومئذٍ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف مَلَكٍ يجرونها))**[4].

وعن سمرة ﷺ أنه سمع نبي الله ﷺ يقول: ((**منهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه النار إلى حُجْزَته**[1]**، ومنهم من تأخذه النار إلى ترقُوَتِه**[2]**))**[3].

وهذا الحديث نص في تفاوت عقاب أهل النار، نعوذ بالله منها ومن كل ما يقرب إليها من قول أو عمل[4].

---

(1) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب أهون أهل النار عذاباً، برقم 364/213.
(2) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في شدة حر نار جهنم، وبُعد قعرها، وما تأخذ من المعذبين، برقم 2843.
(3) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة، برقم 3260، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الإبراد بالظهر في شدة الحر لمن يمضي إلى جماعة ويناله الحر في طريقه، برقم 617، والزمهرير: شدة البرودة.
(4) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب في شدة حر نار جهنم، وبُعد قعرها، برقم 2842.
(1) حُجزته: هي معقد الإزار والسراويل.
(2) ترقُوته: العظم الذي بين ثغر النحر والعاتق، شرح النووي، 186/17.
(3) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب في شدة حر نار جهنم وبُعد قعرها، برقم 2845.
(4) شرح الأبي على صحيح مسلم، 287/9.

المبحث الرابع عشر:لباس أهل الجنة ولباس أهل النار

أولاً: لباس أهل الجنة:

قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً * أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا**﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿**عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا**﴾[2].

وقال ﷻ: ﴿**إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ**﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ **جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ**﴾[4].

الإستبرق: ما غلظ من الحرير والإبريسم[1]، وقيل: هو الديباج الغليظ، أو ديباج يعمل بالذهب، أو ثياب حرير صِفاقٌ نحو الديباج[2].

الديباج: الثياب المتخذة من الإبريسم[3].

السندس: نوع من رقيق الديباج[4].

الدُّرةُ: اللؤلؤة العظيمة[1].

---

(1) سورة الكهف، الآيتان: 30- 31.
(2) سورة الإنسان، الآية: 21.
(3) سورة الحج، الآية: 23.
(4) سورة فاطر، الآية: 33.
(1) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، 47/1.
(2) القاموس المحيط، ص1120.
(3) النهاية في غريب الحديث، 96/2.
(4) القاموس المحيط، ص710.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت خليلي ﷺ يقول: ((**تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء**))[2].

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((**أول زمرة يدخلون الجنة كأن وجوههم ضوء القمر ليلة البدر، والزمرة الثانية على لون أحسن كوكب دُرِّيّ في السماء، لكل واحد منهم زوجتان من الحور العين، على كل زوجة سبعون حلة يُرى مخ سُوقِها من وراء لحومها وحللها، كما يُرى الشرابُ الأحمرُ في الزجاجة البيضاء**))[3].

أُهدي لرسول الله ﷺ حريرٌ، فجعلوا يعجبون من لينه، فقال رسول الله ﷺ: ((**تعجبون من هذه؟ لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسنُ من هذا**))[4].

ثانياً: لباس أهل النار:

بيَّن الله تعالى لباس أهل النار - أعاذنا الله منها - وبيَّنه رسول الله ﷺ، ومن ذلك:

قال الله تعالى: ﴿**هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ**﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿**وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ * سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ**﴾[2].

=

(1) الدُّرةُ: بالضم هي اللؤلؤ العظيمة، وبالكسر ((الدِّرَّةُ: التي يُضرب بها. ودُرِّيٌّ: مضيءٌ، يقال دُرِّيّ السيف: تلألؤهُ وإشراقه)). القاموس المحيط، ص550، والمعجم الوسيط، 279/1.

(2) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، باب تبلغ الحلية حيث يبلغ الوضوء، برقم 250.

(3) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير، 198/10،برقم 10321،والبزار كما في الكشف،202/4، برقم 3536، وقال ابن القيم في كتابه حادي الأرواح، ص215: ((وهذا الإسناد على شرط الصحيح))، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، 411/10: ((وإسناد ابن مسعود صحيح)).

(4) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم 3249، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل سعد بن معاذ ﷺ، برقم 2468، 2469.

(1) سورة الحج، الآيتان: 19- 20.

(2) سورة إبراهيم، الآيتان: 49-50.

قُطِّعَتْ لهم ثياب من نار: أي فُصِّلتْ لهم مقطعات من النار. قال سعيد بن جبير: من نحاس، وهو أشد حرارة إذا حُمِّي.

يُصبُّ من فوق رؤوسهم الحميم: وهو الماء الحار في غاية الحرارة، وقال سعيد بن جبير: هو النحاس المذاب، أذاب ما في بطونهم من الشحم والأمعاء، وتذوب جلودهم وتتساقط(1).

مقرنين في الأصفاد: أي القيود بعضهم إلى بعضٍ، قد جُمِعَ بين النظراء، أو الأشكال منهم كل صنف إلى صنف(2).

سرابيلهم: أي ثيابهم التي يلبسونها من قطران: وهو الذي تُطلى به الإبل، وقال ابن عباس: القَطِرَانُ: هو النحاس المذاب الحار(3).

وعن أبي مالك الأشعري ﵁ قال: إن النبي ﷺ قال: **((أربعٌ في أمتي من أمر الجاهلية، لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة، وقال: والنائحة إذا لم تتب تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب))**(4).

المبحث الخامس عشر: فُرُشُ أهل الجنة وَفُرُشُ أهل النار

أولاً: فرش أهل الجنة جعلنا الله من أهلها:

قال الله تعالى: **﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾**(1).

وقال سبحانه: **﴿وفُرُشٍ مرفُوعةٍ ﴾**(2).

وقال ﷻ: **﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾**(3).

وقال تعالى: **﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ***

---

(1) انظر: تفسير ابن كثير، 213/3، 42/4، 465، وتفسير البغوي، 67/4، 438.
(2) انظر: تفسير ابن كثير، 545/2.
(3) انظر: المرجع السابق، 546/2.
(4) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة، برقم 934.
(1) سورة الرحمن، الآية: 54.
(2) سورة الواقعة، الآية: 34.
(3) سورة الرحمن، الآية: 76.

وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾[1].

النمارق: الوسائد[2].

العبقريّ: قيل: البسط، وقيل: كل شيء من البسط عبقريّ، وصار العبقريّ اسماً ونعتاً لكل ما بُولغ في صفته[3].

الزرابيّ: البسط.

الرفرف: قيل: الوسائد، وقيل: المحابس، وقيل: طرف البساط[4].

ثانياً: فرش أهل النار ولحفهم:

قال الله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ * لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾**[5].

وقال تعالى: **﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴾**[1].

﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ ﴾: أي فرش[2].

﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾: أي لُحُف[3].

﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾: أي قطع عذاب كالسحاب العظيم، وأطباق من النار، ودخان، ولهب، وحر من فوقهم ومن تحتهم[4].

---

(1) سورة الغاشية، الآيات: 13-16.
(2) تفسير ابن كثير، 504/4، وحادي الأرواح لابن القيم، ص220.
(3) حادي الأرواح، ص221، وتفسير ابن كثير، 281/4.
(4) حادي الأرواح لابن القيم، ص220، وتفسير ابن كثير، 281/4.
(5) سورة الأعراف، الآيتان: 40- 41.
(1) سورة الزمر، الآية: 16.
(2) تفسير ابن كثير، 215/2، وتفسير البغوي، 160/2.
(3) انظر: المرجعين السابقين، 215/2، 160/2.
(4) تفسير البغوي، 74/4، وأيسر التفاسير للجزائري، 34/4، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي،
=

المبحث السادس عشر: طعام أهل الجنة وطعام أهل النار

أولاً: طعام أهل الجنة:

قال الله تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ * يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ * فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ * وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ * يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لا لَغْوٌ فِيهَا وَلا تَأْثِيمٌ ﴾[2].

وقال ﷻ: ﴿وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ * فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾[2].

ثانياً: طعام أهل النار:

1- طعام الزقوم: قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ* لآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ * فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ * فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ * هَذَا نُزُلُهُمْ

=

.457/6

(1) سورة الزخرف، الآيات: 70-73.

(2) سورة الطور، الآيات: 17-23.

(1) سورة الواقعة، الآيتان: 20- 21.

(2) سورة الواقعة، الآيات: 18-24.

يَوْمَ الدِّينِ ﴾[1].

وقال ﷻ: **﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الأَثِيمِ * كَالْـمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلْيِ الْـحَمِيمِ ﴾**[2].

الزقوم: شجرة خبيثة كريهة الطعم، يُكره أهلُ النار على تناوُلِها، فهم يتزقمونها على أشد كراهة. ومنه قولهم:... تزقّم الطعام إذا تناوله على كره ومشقة[3].

طعام الأثيم: أي الفاجر صاحب الإثم[4].

كالمهل يغلي في البطون:كعكر الزيت يغلي كغلي الماء الحار إذا اشتدّ غليانه[5].

2- طعام الغِسلين: قال الله تعالى: **﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ * وَلا طَعَامٌ إِلا مِنْ غِسْلِينٍ * لا يَأْكُلُهُ إِلا الْـخَاطِؤُونَ ﴾**[6].

والغسلين هو: غسالة أبدان الكفار في النار.

وقيل: صديد أهل النار كأنه غسالة جروحهم وقروحهم.

وقيل: الماء والدم يسيل من لحوم أهل النار[1].

3- طعام ذا غصة: قال سبحانه: **﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيمًا * وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾**[2].

ذا غصة: يأخذ بالحلق، فينشب في الحلق، فلا يدخل ولا يخرج، وقيل: هو الزقوم، والضَّريع[3].

4- طعام الضريع: قال الله تعالى: **﴿لَّيْسَ لَـهُمْ طَعَامٌ إِلا مِن**

---

(1) سورة الواقعة، الآيات: 51-56.
(2) سورة الدخان، الآيات: 43-46.
(3) تفسير البغوي، 154/4.
(4) المرجع السابق، 146/4- 154.
(5) تفسير البغوي، 154/4، وتفسير ابن كثير، 146/4.
(6) سورة الحاقة، الآيات: 35-37.
(1) غريب القرآن للأصفهاني، ص361، وتفسير البغوي، 390/4، وابن كثير، 417/4.
(2) سورة المزمل، الآيتان: 12- 13.
(3) تفسير ابن كثير، 438/4، وتفسير البغوي، 410/4.

ضَرِيعٍ * لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴾[1].

الضَّريع: قيل هو نبت ذو شوك، تُسَمِّيه قريش الشبرق، فإذا يبس سُمِّي الضريع، وهو أخبث طعام وأبشعه[2].

المبحث السابع عشر:شراب أهل الجنة وأنهارها وشراب أهل النار

أولاً: شراب أهل الجنة وأنهارها:

1- شراب أهل الجنة:

قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا** ﴾[3].

فقوله تعالى: ﴿**يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا** ﴾، أي: يشربون من كأس فيه شراب كان مزاجه كافوراً: وقد عُلِمَ ما في الكافور من الرائحة الطيبة والتبريد، مع ما يُضاف إلى ذلك من اللذاذة في الجنة[4]. وقيل: يمزج بالكافور، ويختم بالمسك[5].

﴿**يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا** ﴾: يقودونها، ويتصرفون فيها حيث شاءوا من قصورهم ومجالسهم[1].

وقال تعالى: ﴿**وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا * قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا * وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً * عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً** ﴾[2].

﴿**وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا** ﴾: أي يسقون في هذه الأكواب خمراً ممزوجاً بالزنجبيل، فتارةً يُمزج لهم الشراب بالكافور، وهو بارد، وتارةً بالزنجبيل، وهو حارّ.

﴿**عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً** ﴾: اسم عين في الجنة، سلسلة، منقادة لهم، يُصَرِّفُونَها حيث شاءوا[3].

---

(1) سورة الغاشية، الآيتان: 6- 7.
(2) انظر: غريب القرآن للأصفهاني، ص290، وتفسير البغوي، 478/4.
(3) سورة الإنسان، الآيتان: 5- 6.
(4) تفسير ابن كثير، 455/4.
(5) تفسير البغوي، 427/4.
(1) تفسير ابن كثير، 455/4، وتفسير البغوي، 428/4.
(2) سورة الإنسان، الآيات: 15-18.
(3) تفسير ابن كثير، 457/4، والبغوي، 430/4.

وقال سبحانه:﴿**يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ*خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ*وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ*عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ** ﴾[1].

الرحيق: أي يسقون من خمر من الجنة، والرحيق: من أسماء الخمر، ختامه مسك: أي ممزوج. ختامه: أي آخر طعمه وعاقبته مسك.

وقيل: شراب أبيض مثل الفضة يختمون به شرابهم[2].

﴿**وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ** ﴾: أي ومزاج هذا الرحيق الموصوف من تسنيم... أي من شراب يقال له تسنيم، وهو أشرف شراب أهل الجنة وأعلاه؛ ولهذا قال: ﴿**عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ** ﴾: أي يشرب المقربون التسنيم خالصاً صِرْفاً، وتمزج لأصحاب اليمين مزجاً[3].

2- أنهار الجنة:

قال الله تعالى: ﴿**مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ** ﴾[1].

﴿**مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ** ﴾: أي غير متغير[2].

- **ونهر الكوثر** الذي أعطيه النبي ﷺ، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((**حوضي مسيرة شهر، ماؤهُ أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، فمن شرب منه فلا يظمأ أبداً**))[3] .

- وطوله وعرضه سواء: أي طوله مسيرة شهر، وعرضه

(1) سورة المطففين، الآيات: 25-28.
(2) ابن كثير، 487/4، 488، والبغوي، 461/4.
(3) تفسير ابن كثير، 488/4، والبغوي، 462/4.
(1) سورة محمد، الآية: 15.
(2) تفسير ابن كثير، 177/4، والبغوي، 181/4.
(3) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب في الحوض، برقم 6579، ومسلم في كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، برقم 2292.

مسيرة شهر[1].

وعن أنس ﷺ قال: لمّا عُرِجَ بالنبي ﷺ إلى السماء قال: ((**أتيتُ على نهرٍ حافَّتاه قباب اللؤلؤ مجوَّفٌ، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر**))[2]، وفي رواية: ((**بينما أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهرٍ حافتاه قبابُ الدُّرِّ المجوَّف، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربُّك، فإذا طينه أو طيبه مِسكٌ أذفر**))[3]. قال الله تعالى: ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ**﴾[4]، وقد ثبت أنه ﷺ قال: ((**ليَردنَّ عليَّ أناسٌ من أصحابي الحوض**)) وفي رواية: ((**أقوامٌ أعرفهم ويعرفوني، ثم يُحال بيني وبينهم فأقول: إنهم مني، فيُقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سُحقاً سُحقاً لمن غيَّر بعدي**)) وقال ابن عباس: سُحقاً: بُعداً[5].

ثانياً: شراب أهل النار أعاذنا الله منها:

1- الحميم: قال الله تعالى:﴿**وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ**﴾[1]:أي حاراً شديد الحرارة لايُستطاع،فقطَّع ما في بطونهم من الأمعاء والأحشاء[2].

﴿**يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ**﴾[3].

2- الصديد: قال الله ﷻ: ﴿**وَاسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ * مِّن وَرَآئِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ * يَتَجَرَّعُهُ وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ**

(1) انظر: شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، للمؤلف، ص64.
(2) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب سورة الكوثر، برقم 4964.
(3) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب في الحوض، برقم 6581.
(4) سورة الكوثر، الآيات: 1-3.
(5) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب في الحوض، برقم 6583، ومسلم في كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، برقم 2290، 2291.
(1) سورة محمد، الآية: 15.
(2) تفسير ابن كثير، 176/4.
(3) سورة الحج، الآيتان: 19-20.

﴾[1].

والصديد: قيل: هو ما يسيل من أبدان الكفار، وأجوافهم، من القيح والدم[2].

وعن جابر ﷺ، عن النبي ﷺ قال: ((**كلّ مُسكرٍ حرامٌ، إنّ على الله ﷻ عهداً لمن شرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال**)) قالوا: يا رسول الله! وما طينة الخبال؟ قال: ((**عَرَقُ أهل النار، أو عُصارة أهل النار**))[3].

3 - الماء الذي كالمهل: والمهل: هو: دُرْدِيُّ الزيت[4]، وهو ماءٌ غليظٌ، أسود، حارٌّ، منتنٌ، إذا أراد الكافر أن يشربه وَقَرَّبَهُ من وجهه شواه حتى تسقط جلدة وجهه فيه[5].

قال الله تعالى: ﴿**إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا**﴾[6].

4 - الغسَّاق: قال تعالى: ﴿**لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا * إِلا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا * جَزَاءً وِفَاقًا * إِنَّهُمْ كَانُوا لا يَرْجُونَ حِسَابًا * وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا * وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا * فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلا عَذَابًا**﴾[1].

والغسَّاق: هو البارد الذي لا يُستطاع من شدة برده، يحرقهم ببَرْدِهِ، كما تحرقهم النار بحرّها، وهو الزمهرير، وهو ما اجتمع من صديد أهل النار، وعرقهم، وجروحهم، ودمعهم، فهو بارد مُنْتِنٌ[2].

---

(1) سورة إبراهيم، الآيات: 15-17.
(2) تفسير ابن كثير، 537/2، والبغوي، 29/3.
(3) أخرجه مسلم في كتاب الأشربة، باب بيان أن كل مسكر خمر وأن كل خمر حرام، برقم 2002، وانظر: أحاديث في الموضوع صحيح الترمذي، 169/2، وصحيح أبي داود، 701/2.
(4) مفردات غريب القرآن للأصفهاني، ص476.
(5) تفسير ابن كثير، 82/3، 421/4.
(6) سورة الكهف، الآية: 29.
(1) سورة النبأ، الآيات: 24-30.
(2) تفسير ابن كثير، 465/42/4، والبغوي، 67/4، 438.

5 - **عينٌ آنية:** قال الله تعالى: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ * تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً * تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ**﴾[1]. و((آنية)) متناهية في الحرارة والغليان[2].

وقال تعالى: ﴿**يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ**﴾[3]. وكانت العرب تقول للشيء إذا انتهى حرّه حتى لا يكون أحرَّ منه: قد آنَ حرُّهُ[4].

المبحث الثامن عشر: قصور أهل الجنة ومساكن أهل النار

أولاً: قصور أهل الجنة وخيامهم وغرفهم:

قال الله تعالى: ﴿**لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَعْدَ اللهِ لا يُخْلِفُ اللهُ الْمِيعَادَ**﴾[5].

قال ابن كثير رحمه الله: أخبر ﷻ عن عباده السعداء أن لهم غرفاً في الجنة، وهي القصور الشاهقة، من فوقها غرف مبنيَّة، طباق فوق طباق، مبنيّات محكمات، مزخرفات عاليات[6].

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**إنَّ في الجنة غرفاً يرى ظاهرُها من باطنها، وباطنُها من ظاهرها، أعدّها الله تعالى لمن أطعم الطعام، وألانَ الكلام، وتابع الصيام، وأفشى السلام، وصلّى بالليل والناس نيام**))[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ((**بينما أنا نائم**

---

(1) سورة الغاشية، الآيات: 2-5.
(2) تفسير ابن كثير، 4/503، وتفسير البغوي، 4/478.
(3) سورة الرحمن، الآية: 44.
(4) التخويف من النار، لابن رجب الحنبلي، ص150.
(5) سورة الزمر، الآية: 20.
(6) تفسير ابن كثير، 4/50.
(1) أخرجه أحمد في المسند، 5/343، وابن حبان (موارد)، برقم 641، والبيهقي في شعب الإيمان، برقم 3892، عن أبي مالك الأشعري، والترمذي عن علي رضي الله عنه في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في قول المعروف، برقم 1984، وفي كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة الجنة ونعيمها، برقم 2527، وقال في الموضعين:هذا حديث غريب،وأحمد في المسند عن عبد الله بن عمرو، 2/173، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، 2/311، وفي صحيح الجامع، 2/220، برقم 2119.

رأيتني في الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، فقلت: لمن هذا القصر؟ فقالوا: لعمر بن الخطاب، فذكرت غيرتك فوليت مدبراً))، فبكى عمر وقال: ((أعليك أغار يا رسول الله؟))[1].

وعن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((**دخلت الجنة فإذا أنا بقصرٍ من ذهب، فقلت: لمن هذا؟ فقالوا: لرجل من قريش، فما منعني أن أدخله يا ابن الخطاب إلا ما أعلمه من غيرتك**)). قال: ((وعليك أغار يا رسول الله؟))[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ((**يا رسول الله! هذه خديجة قد أتتك معها إناءٌ فيه إدامٌ، أو طعام، أو شراب، فإذا هي أتتك[3] فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشِّرها ببيتٍ في الجنة من قصَبٍ لا صَخَبَ فيه ولا نَصَب**))[4].

قوله: **من قصب:** أي من لؤلؤة مجوفة، واسعة، كالقصر المنيف، وقيل بيت من القصب المنظوم بالدر، واللؤلؤ، والياقوت[1].

وقال الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم: ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا**﴾[2].

وعن عبد الله بن قيس عن أبيه رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((**في الجنة خيمة من لؤلؤةٍ مُجوَّفةٍ عرضها ستون ميلاً، في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين، يطوف عليهم المؤمن**)). وفي رواية لمسلم: ((**إن**

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، برقم 3242، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر رضي الله عنه، برقم 2395.

(2) أخرجه البخاري في كتاب التعبير، باب القصر في المنام، برقم 7024، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر رضي الله عنه، برقم 2394.

(3) أتتك: أي وصلتك.

(4) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي صلى الله عليه وسلم خديجة وفضلها رضي الله عنها، برقم 3820، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها، برقم 2432.

(1) فتح الباري، 138/7.

(2) سورة الفرقان، الآية: 10.

للمؤمن في الجنة لخيمةً من لؤلؤةٍ واحدةٍ مُجوَّفةٍ، طولُها في السماء ستون ميلاً))[1].

ولا منافاة بين طولها وعرضها في الروايتين، فعرضها في مساحة أرضها ستون ميلاً، وطولها في السماء ستون ميلاً في العلو، فطولها وعرضها متساويان[2].

وعن عثمان بن عفان ﷺ، عن النبي ﷺ قال: **((من بنى مسجداً لله بنى الله له بيتاً في الجنة))**[3].

ويقول الله ﷻ لمن حَمِدَ واسترجع عند موت ولده: **((ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسمُّوه بيتَ الحمد))**[4].

وعن أمِّ حبيبة زوج النبي ﷺ أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **((ما من مسلم يصلي لله كلَّ يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعاً غير فريضة إلاَّ بنى الله له بيتاً في الجنة، أو إلاّ بُني له بيتٌ في الجنة))**[5].

وقد فسرها الترمذي أنها السنن الرواتب.

وقال الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾**[1].

وفي حديث أبي هريرة الطويل عندما اشتكوا قلوبهم إذا فارقوا

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾، برقم 4879، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها،باب في صفة خيام الجنة،وما للمؤمنين فيها من الأهلين،برقم 2838.

(2) شرح الإمام النووي، 175/17.

(3) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب من بنى مسجداً، برقم 450، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل بناء المساجد والحث عليها، برقم 533.

(4) أخرجه الترمذي في كتاب الجنائز، باب فضل المصيبة إذا احتسب، برقم 1021، وقال: ((حسن غريب))، وأحمد في المسند، 415/4، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة، 399/3، برقم 1408: ((فالحديث بمجموع طرقه حسن على أقل الأحوال)).

(5) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل السنن الراتبة قبل الفرائض وبعدهن وبيان عددهن، برقم 103/728.

(1) سورة الصف، الآيات: 10-12.

النبي ﷺ، وفيه أنهم سألوا رسول الله ﷺ عن بناء الجنة، فقال عليه الصلاة والسلام: ((**لبنة من فضة، ولبنة من ذهب، وملاطها المسك الأذفر**[1]**، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران، من يدخلها ينعم ولا ييأس، ويخلد ولا يموت، لا تبلى ثيابهم، ولا يفنى شبابهم**)). ثم قال: ((**ثلاثة لا تُردّ دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم يرفعها فوق الغمام، ويفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب تبارك وتعالى: وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين**))[2].

ثانياً: مساكن أهل النار وسلاسلهم وأنكالهم ومقامعهم:

قال الله تعالى: ﴿**بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا * إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا * وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا * لا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا**﴾[3].

﴿**مُقَرَّنِينَ**﴾: أي مكتفين قد قُرنت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال[4].

﴿**دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا**﴾: أي دعوا بالويل، والحسرة، والهلاك، والخيبة، والخسارة، والدمار[1].

وقال ﷻ: ﴿**إِذِ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ * فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ**﴾[2].

﴿**الأَغْلالُ**﴾: جمع غِلٍّ، وهو الحديدة التي تجمع يد الأسير إلى عنقه، والمعنى أن الأغلال في أعناقهم، والسلاسل متصلة بالأغلال بأيدي الزبانية، يسحبونهم على وجوههم، تارةً إلى الجحيم، وتارةً

---

(1) ملاطها: الطين الذي يملط به الحائط، أي يخلط، وفي الحديث: ((إن الإبل يمالطها الأجرب)). أي يخالطها. النهاية في غريب الحديث، 357/4.

(2) أخرجه الترمذي في كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة غرف الجنة، برقم 2526، وأحمد، 305/2، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، 311/2.

(3) سورة الفرقان، الآيات: 11-14.

(4) تفسير ابن كثير، 312/3، والبغوي، 362/3.

(1) انظر: المرجعين السابقين، 312/3، 362/3.

(2) سورة غافر، الآيتان: 71- 72.

إلى الحميم[1].

وقال تبارك وتعالى: ﴿**خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ * إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللهِ الْعَظِيمِ * وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ * فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ * وَلا طَعَامٌ إِلا مِنْ غِسْلِينٍ * لا يَأْكُلُهُ إِلا الْخَاطِؤُونَ**﴾[2].

وقال ﷻ: ﴿**إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاسِلا وَأَغْلالاً وَسَعِيرًا**﴾[3].

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيمًا**﴾[4].

والأنكال: هي القيود العظام لا تنفك أبداً،وقيل:أغلالاً من حديد[5].

وقال تعالى: ﴿ **هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ * وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ * كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ**﴾[6].

والمقامع: جمع مِقْمَع، وهو ما يُضرب به ويُذلّل، يقال: قمعته فانقمع[1]، وهي سياط من حديد، واحدتها مقمعة، من قولهم: قمعتُ رأسه: إذا ضربته ضرباً عنيفاً[2].

المبحث التاسع عشر:عِظم أجسام أهل الجنة،وعِظم أجسام أهل النار

أولاً: عظم أجسام أهل الجنة، وأعمارهم، وقُوَّتهم:

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ في صفة أهل الجنة، وفيه: ((**أزواجهم الحور العين على خَلْق رجلٍ واحدٍ على صورة أبيهم**

---

(1) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، 380/3، وتفسير ابن كثير، 89/4.
(2) سورة الحاقة، الآيات: 30-37.
(3) سورة الإنسان، الآية: 4.
(4) سورة المزمل، الآية: 12.
(5) تفسير ابن كثير، 438/4، وتفسير البغوي، 410/4.
(6) سورة الحج، الآيات: 19-22.
(1) مفردات غريب القرآن للأصفهاني، ص684.
(2) تفسير الإمام البغوي، 281/3، وتفسير ابن كثير، 213/3.

آدم ستون ذراعاً في السماء))[1].

وعن معاذ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **((يدخل أهل الجنة الجنة جُرداً مُرداً، مكحلين، أبناء ثلاثين أو ثلاث وثلاثين سنة))**[2].

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **((يُعطى المؤمنُ في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع))**. قيل: يا رسول الله أوَ يُطيق ذلك؟ قال: **((يعطى قوة مائة))**[3].

ثانياً: عظم أجسام أهل النار وأضراسهم وغلظ جلودهم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **((ما بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع))**[4].

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **((ضِرسُ الكافر أو ناب الكافر مثل أُحدٍ، وغِلَظُ جلده مسيرة ثلاث))**[5].

وقال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ﴾**[1].

وقال سبحانه: **﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾**[2]، قد بدت أسنانهم ككلوح الرأس النضيج، أو المُشَيَّط بالنار، حتى بدت أسنانهم، وتقلّصت شفاههم[3].

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب آدم وذريته، برقم 3327، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها،باب أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر،برقم 2834.

(2) أخرجه الترمذي في كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في سن أهل الجنة، برقم 2545، وقال: ((هذا حديث حسن غريب)). وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، 2/313-314.

(3) أخرجه الترمذي في كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة جماع أهل الجنة، برقم 2536، وقال: ((هذا حديث صحيح غريب)). وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، 2/313.

(4) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، برقم 6551، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، برقم 2852.

(5) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، برقم 2851.

(1) سورة النساء، الآية: 56.

(2) سورة المؤمنون، الآية: 104.

(3) التخويف من النار لابن رجب، ص171.

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولاَ ﴾[1].

وإنَّما عَظُمَ خَلْق الكافر في النار ليعظُم عذابُه، ويُضاعَف ألمه وعقابه، ولا شكّ أن أهل النار يتفاوتون في العذاب، كما عُلِمَ من الكتاب والسنة، بدليل الحديث الآخر[2]، فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: **((يُحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذرّ في صور الرجال، يغشاهم الذلُّ من كل مكان، يُساقون إلى سِجْنٍ في جهنم، يُسمَّى بولس، تعلوهم نارُ الأنيار، يُسقون من عصارة أهل النار طينة الخَبَال))**[3].

المبحث العشرون: أشجار الجنة وظلّها، وأشجار النار وظلها

أولاً: أشجار الجنة وظلها:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **((إن في الجنة شجرةً يسير الراكب الجواد المضمر السريع في ظلها مائة عام ما يقطعها))**[4].

قال الله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ * فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ * وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ * وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ * وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ *، لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ ﴾[1].

قال العلماء: المراد بظلها: كنفها، وذراها، وهو ما يستر أغصانها[2].

وقال تعالى ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ * وَفَوَاكِهَ مِمَّا

---

(1) سورة الأحزاب، الآية: 66.

(2) فتح الباري، 423/11.

(3) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة، باب 47، برقم 2492، وأحمد، 179/2، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، 304/2، وفي صحيح الجامع، 327/6.

(4) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، برقم 6553، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها،باب إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها،برقم 2828.

(1) سورة الواقعة، الآيات: 27-33.

(2) شرح النووي على صحيح مسلم، 167/17.

يَشْتَهُونَ ﴾[1].

وقال سبحانه: **﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * ذَوَاتَا أَفْنَانٍ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾**[2].

وقال ﷻ في الجنة الأخرى: **﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾**[3].

وقال تعالى: **﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً ﴾**[4]، وقال سبحانه: **﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾**[5]، وقال تعالى: **﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا * وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا * وَكَأْسًا دِهَاقًا * لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا كِذَّابًا * جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴾**[6].

وقد رأى النبي ﷺ وهو يصلي صلاة الكسوف عناقيد العنب، ففي حديث ابن عباس رضي الله عنهما: قالوا: يا رسول الله رأيناك تناولت شيئاً في مقامك، ثم رأيناك كففت؟ قال: ((**إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقوداً، ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار فلم أرَ كاليوم منظراً قط أفظع، ورأيت أكثر أهلها النساء**))[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يوماً يُحدِّث وعنده رجل من أهل البادية: ((**أن رجلاً من أهل الجنة استأذن ربه في الزَّرع فقال: أو لست فيما شئت؟ قال: بلى، ولكني أحبُّ الزرع، فأسرع وبذر فتبادر الطرفَ نباتُهُ واستواؤُه، واستحصاؤه، وتكويره أمثال الجبال، فيقول الله تعالى: دونك يا ابن آدم؛ فإنه لا يشبعك شيء**))، فقال الأعرابي: يا رسول الله لا تجدُ هذا إلا قرشياً أو أنصارياً؛

---

(1) سورة المرسلات، الآيتان: 41- 42.

(2) سورة الرحمن، الآيات: 46-52.

(3) سورة الرحمن، الآية: 68.

(4) سورة الإنسان، الآية: 14.

(5) سورة الحاقة، الآيات: 21-24.

(6) سورة النبأ، الآيات: 31- 36.

(1) أخرجه البخاري في كتاب الكسوف، باب صلاة الكسوف جماعة، برقم 1052، ومسلم في كتاب الكسوف،باب ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار،برقم 907.

فإنهم أصحاب زرع، فأما نحن فلسنا بأصحاب زرع، **فضحك الرسول ﷺ**[1].

وهذا الحديث يبيّن أن كل ما اشتهاه أهل الجنة يحصل لهم؛لأن لهم فيها ما تشتهيه الأنفس،وتلذّ الأعين،وهم فيها خالدون،جعلنا الله منهم[2].

ثانياً: أشجار النار وظلها:

قال الله تعالى: **﴿ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴾**[3].

وقال سبحانه: **﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ * لآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ * فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ * فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴾**[4].

وقال سبحانه: **﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ * فَإِنَّهُمْ لآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴾**[5].

وقال تبارك وتعالى: **﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ * فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ * وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ * لا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ *، إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ * وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴾**[1].

وقوله تعالى: **﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴾**: ظل الدخان كقوله تعالى: **﴿انطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ * لا ظَلِيلٍ وَلا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ * إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ * كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾**[2].

والظل المذكور هو الدخان الأسود المنتن، لا ظليل هو نفسه،

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب كلام الرب مع أهل الجنة، برقم 7519.
(2) انظر: فتح الباري، 27/5.
(3) سورة الدخان، الآيات: 43-46.
(4) سورة الواقعة، الآيات: 51-55.
(5) سورة الصافات، الآيات: 64-67.
(1) سورة الواقعة، الآيات: 41-46.
(2) سورة المرسلات، الآيات: 30-34.

ولا يغني من اللهب: يعني: ولا يقيهم حر اللهب[1]. وقوله: ﴿فِي سَمُومٍ﴾ هو الهواء الحار، ﴿وَحَمِيمٍ﴾ وهو الماء الحار[2].

المبحث الحادي والعشرون:خدم أهل الجنة، وزبانية أهل النار

أولاً: خدم أهل الجنة وخزنتها:

قال الله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَاْ * قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾[4].

وقال سبحانه: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾[5].

وقال سبحانه: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾[6].

وقال الله تعالى في السابقين: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ * عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ * مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ * يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ * لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنزِفُونَ * وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ * وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ * جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيمًا * إِلاَّ قِيلاً سَلامًا سَلامًا﴾[1].

وقال تعالى في خزنة الجنة: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَت أبوابها وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا

---

(1) تفسير ابن كثير، 461/4، 495.
(2) تفسير ابن كثير، 295/4.
(3) سورة الزخرف، الآية: 71.
(4) سورة الإنسان، الآيتان: 15-16.
(5) سورة الإنسان، الآية: 19.
(6) سورة الطور، الآية: 24.
(1) سورة الواقعة، الآيات: 10-26.

سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلوها خالِدِينَ ﴾[1].

ثانياً: زبانية أهل النار وخزنتها:

قال الله تعالى: **﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ * وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلا مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾**[2].

وقد وصف الله الملائكة الذين على النار بالغلظ والشِّدّة، والقوّة، فقال تعالى: **﴿عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾**[3].

وقال تعالى: **﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ * سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴾**[4]. والزبانية هم ملائكة العذاب، جمع زبنيّ، مأخوذ من الزبن، وهو الدفع، وأصلها: الشُرَط، وسُمِّي بها بعض ملائكة العذاب؛ لأنهم يدفعون أهل النار إليها[5].

وقال تعالى: **﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ * لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾**[6].

وقال تعالى: **﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾**[1].

وقال سبحانه: **﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ* قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلا فِي ضَلالٍ ﴾**[2].

---

(1) سورة الزمر، الآية: 73.
(2) سورة المدثر، الآيتان: 30-31.
(3) سورة التحريم، الآية: 6.
(4) سورة العلق، الآيتان: 17-18.
(5) انظر: القاموس المحيط، ص1552، والمعجم الوسيط، 388/1، وتفسير البغوي، 508/4، وتفسير ابن كثير، 526/4.
(6) سورة الزخرف، الآيتان: 77-78.
(1) سورة الزمر، الآية: 71.
(2) سورة غافر، الآيتان: 49-50.

المبحث الثاني والعشرون: اجتماع المؤمنين بأحبتهم، وفراق أهل النار لأحبتهم

أولاً: اجتماع المؤمنين بأهليهم وذرياتهم:

قال الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ** ﴾[1].

وقد فسّر ذلك حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: بأن الله تعالى يرفع ذرية المؤمن الذي يموتون على الإيمان في درجته، وإن كانوا دونه في العمل؛ لتقرَّ بهم عينه، فيجمع بينهم على أحسن الوجوه بفضله وكرمه[2].

وهذا فضله تعالى على الأبناء ببركة عمل الآباء، وأما فضله على الآباء ببركة دعاء الأبناء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة، فيقول: يا ربِّ أنَّى لي هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك**))[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علمٍ يُنتفع به، أو ولدٍ صالح يدعو له**))[4].

ثانياً: فراق أهل النار لأحبتهم وأهليهم:

قال الله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ** ﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿**وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ * وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ**

---

(1) سورة الطور، الآية: 21.

(2) تفسير ابن كثير 242/4.

(3) أخرجه أحمد في المسند، 209/2، قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره، 243/4: ((إسناده صحيح)).

(4) أخرجه مسلم في كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، برقم 1631.

(1) سورة الزمر، الآية: 15.

مُّقِيمٍ ﴾[1]: أي تفارقوا فلا التقاء لهم أبداً، وسواء ذهب أهلوهم إلى الجنة، وذهبوا هم إلى النار، أو أن الجميع في النار أُسكِنُوها، ولكن لا اجتماع لهم، ولا سرور، وهذا هو الخسران المبين الواضح الظاهر؛لأنهم ذُهِبَ بِهِمِ إلى النار،وخسروا لذتهم في دار الأبد، وخسروا أنفسهم، وفُرِّقَ بينهم وبين أحبابهم، وأصحابهم، وأهاليهم، وقراباتهم فخسروهم[2].

المبحث الثالث والعشرون: نعيم أهل الجنة النفسي وعذاب أهل النار النفسي

أولاً: النعيم النفسي لأهل الجنة:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة! فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب، وقد أعطيتنا ما لم تُعْطِ أحداً من خلقك، فيقول: ألا أُعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون؟ يا ربِّ! وأيّ شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أُحِلّ عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبداً**))[3].

وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ((**يُجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح، فيُوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ فيشرئبّون**[4]**، وينظرون، ويقولون: نعم هذا الموت، ويُقال: يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون ويقولون: نعم هذا الموت، فيؤمر به فيُذْبَح، ثم يقال: يا أهل الجنة خلودٌ فلا موت، ويا أهل النار خلودٌ فلا موتٌ**))[1].

وفي حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ نحوه وقال: ((**فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم،ويزداد أهل النار حُزْناً إلى**

---

(1) سورة الشورى، الآيتان: 44-45.

(2) انظر: تفسير ابن كثير، 4/49، 121.

(3) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، برقم 6549، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب إحلال الرضوان على أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبداً، برقم 2829.

(4) يشرئبون: أي يرفعون رؤوسهم إلى المنادي.

(1) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء، برقم 2849.

حُزْنِهم))[1].

ثانياً: العذاب النفسي لأهل النار:

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ * قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ * قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ * إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ * فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ * إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[3].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ * قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ * ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ للهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ * قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلا فِي ضَلالٍ﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ * لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾[2].

---

(1) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء، برقم 2850.

(2) سورة إبراهيم، الآية: 22.

(3) سورة المؤمنون، الآيات: 105-111.

(4) سورة غافر، الآيات: 10-12.

(1) سورة غافر، الآيتان: 49-50.

(2) سورة الزخرف، الآيتان: 77- 78.

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُواْ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَاء أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ * الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَاء يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾[2].

المبحث الرابع والعشرون: أعظم نعيم أهل الجنة وأعظم نعيم أهل النار

أولاً: أعظم نعيم أهل الجنة:

قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾[3].

فالحُسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله الكريم[4].

وقال تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾[5]. والمزيد هو: النظر إلى وجه الله الكريم[6].

وقال سبحانه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[7].

وعن أبي هريرة ﷺ، أن ناساً قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: ((**هل تُضارُّون في القمر ليلة البدر**[1]؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: **فهل تُضارُّون في الشمس ليس دونها سحاب؟** قالوا: لا يا رسول الله، قال: **فإنكم ترونه**

---

(1) سورة الأعراف، الآية: 44.
(2) سورة الأعراف، الآيتان: 50- 51.
(3) سورة يونس، الآية: 26.
(4) انظر: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح للإمام ابن القيم، ص288.
(5) سورة ق، الآية: 35.
(6) انظر: حادي الأرواح، ص291.
(7) سورة القيامة، الآيتان: 22-23.

(1) هل تضارّون، وفي الرواية الأخرى: هل تضامون، وروي تضارّون بتشديد الراء وبتخفيفها، والتاء مضمومة فيهما، ومعنى المشدد: هل تضارّون غيركم في حالة الرؤية بزحمة أو مخالفة في الرؤية، أو غيرها، لخفائه، كما تفعلون أول ليلة من الشهر. ومعنى المخفف: هل يلحقكم في رؤيته ضير: وهو الضرر، وروي أيضاً تضامّون بتشديد الميم وتخفيفها، فمن شددها فتح التاء، ومن خففها ضم التاء، ومعنى المشدد: هل تتضامّون وتتلطفون في التوصل إلى رؤيته، ومعنى المخفف: هل يلحقكم ضيم، وهو المشقة والتعب. شرح النووي، 21/3.

كذلك))[1].

وعن جرير ﷺ قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ، إذ نظر إلى القمر ليلة البدر قال: ((**إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تُغلبوا على صلاةٍ قبل طلوع الشمس، وصلاةٍ قبل غروب الشمس، فافعلوا**))[2].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قلنا يا رسول الله! هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: ((**هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحواً**؟ قلنا: لا، قال: **فإنكم لا تضارّون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما**))[3].

وعن صهيب ﷺ ، عن النبي ﷺ قال: ((**إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيِّض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنة وتنجِّنا من النار؟ فيكشف الحجاب، فما أُعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم ﷻ**))[4].

وعن أنس يرفعه: ((**إن في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة، فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسناً وجمالاً، فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً، فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً، فيقولون: وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً**))[1].

وعن عبد الله بن قيس عن أبيه عن النبي ﷺ قال: ((**جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه**

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد،باب قول الله تعالى:﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ ، برقم 7437، ومسلم في كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، برقم 182.

(2) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى:﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ*إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ ، برقم 7434، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، برقم 633.

(3) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد،باب قول الله تعالى:﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ ، برقم 7439، ومسلم في كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، برقم 183.

(4) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم ﷻ، برقم 181.

(1) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في سوق الجنة وما ينالون فيها من النعيم والجمال، برقم 2833.

في جنة عدن))[1].

ثانياً: أعظم عذاب أهل النار:

من أعظم عذاب أهل النار حجابهم عن ربهم تبارك وتعالى. قال تعالى: **﴿كَلا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ * ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ * ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾**[2].

ومن أعظم عذابهم العذاب المتواصل للكفار والمنافقين، قال تعالى:
﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾[3].

وقال تعالى: **﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلا عَذَابًا﴾**[4].

وقال تعالى: **﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لا يَسْمَعُونَ﴾**[5].

وقال تعالى: **﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾**[6].

وقال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ * وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾**[1].

وعن عبد الله بن قيس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **((إن أهل النار ليبكون حتى لو أُجريت السفن في دموعهم لجرت، وإنهم ليبكون**

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾، برقم 4878، ومسلم في كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم ﷻ، برقم 180.

(2) سورة المطففين، الآيات: 15-17.

(3) سورة الزخرف، الآيتان: 74-75.

(4) سورة النبأ، الآية: 30.

(5) سورة الأنبياء، الآية: 100.

(6) سورة هود، الآية: 106.

(1) سورة فاطر، الآيتان: 36-37.

الدم)) يعني مكان الدمع(1).

المبحث الخامس والعشرون:الطريق إلى الجنة، والطُّرُق إلى النار

أولاً: الطريق إلى الجنة:

الطريق إلى الجنة: هو طاعة الله ورسوله ﷺ، قال الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لله وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ الله يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾**(2).

وقال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ الله وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾**(3).

وقال تعالى: **﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾**(4).

وقال تعالى: **﴿ قُلْ أَطِيعُوا الله وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾**(5).

وقال سبحانه: **﴿لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ الله الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾**(6).

وقال تعالى: **﴿وَمَن يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾**(1).

وقال تعالى: **﴿ وَمَن يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾**(2)، وقد أفلح من زكّى نفسه بطاعة الله تعالى: **﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾**(3).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **((كلّ أمّتي يدخلون**

---

(1) أخرجه الحاكم، 605/4، وصححه ووافقه الذهبي، وحسنه العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، 245/4، برقم 1679.
(2) سورة الأنفال، الآية: 24.
(3) سورة الأنفال، الآية: 20.
(4) سورة الحشر، الآية: 7.
(5) سورة النور، الآية: 54.
(6) سورة النور، الآية: 63.
(1) سورة الأحزاب، الآية: 71.
(2) سورة النساء، الآية: 13.
(3) سورة الشمس، الآية: 9.

الجنة إلا من أبى)). قالوا: يا رسول الله! ومن يأبى؟ قال: **((من أطاعني دخل الجنة،ومن عصاني فقد أبى))**[1].

وعنه رضي الله عنه قال:قال رسول الله ﷺ: **((من أطاعني فقد أطاع الله،ومن عصاني فقد عصى الله))**[2].

ومن أعظم وأجلّ الأعمال التي تُوصِلُ إلى الجنة:طلب العلم النافع: علم الكتاب والسنة، والعمل بما فيهما، ولهذا قال ﷺ: **((ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهَّل الله له به طريقاً إلى الجنة))**[3]، فالعبد إذا عمل أعمال أهل الجنة وصل إلى الجنة بتوفيق الله تعالى،وقد قال الله تعالى: ﴿ **وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى** ﴾[4]، **ومن هذه الأعمال على وجه التفصيل والإيجاز ما يأتي:**

الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر: خيره، وشره، والعمل بالشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ﷺ، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحجّ البيت لمن استطاع إليه سبيلاً، وأن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وصِدْق الحديث، وأداء الأمانة، والوفاء بالعهد، والوفاء بالوعد، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والإحسان إلى الجار، واليتيم والمسكين، والمملوك من الآدميين، والبهائم، وإكرام الضيف، وتنفيس الكُرَب عن المكروب من المسلمين، والتيسير على المعسر، وستر المسلم، وإعانته، والإخلاص لله، والتوكل عليه، والمحبة له ولرسوله ﷺ، وخشية الله، ورجاء رحمته، والتوبة والإنابة إليه، والصبر على حكمه، والشكر لنعمه، وقراءة القرآن، وذكر الله، ودعاؤه، ومسألته، والرغبة إليه، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله للكفار والمنافقين، وأن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، فإن الله أعد الجنة للمتقين: ﴿**الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ**

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، برقم 7280.

(2) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب قول الله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾، برقم 7137، ومسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية، برقم 1835.

(3) أخرجه البخاري معلقاً في كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل ووصله مسلم من حديث أبي هريرة في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، برقم 2699.

(4) سورة الضحى، الآية: 4.

والله يُحبُّ المـُحسنينَ ﴾[1].

والعدل في جميع الأمور وعلى جميع الخلق حتى على الكفار، وإطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام، وحسن الخُلُق، والدعوة إلى الله، والنصيحة لله، ولرسوله، ولكتابه، ولأئمة المسلمين، وعامتهم، وغير ذلك من أمثال هذه الأعمال التي هي أعمال أهل الجنة، وبها بتوفيق الله يصل العبدُ إلى جنات النعيم وذلك هو الفوز العظيم[2].

ولا يمكن تفصيل كل الأعمال التي يصل بها الإنسان والجان إلى الجنة؛ لكن أعمال أهل الجنة كلها تدخل في طاعة الله ورسوله ﷺ: **﴿وَمَن يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾**[3].

ثانياً: الطُّرُقُ إلى النار:

الطُّرُقُ إلى النار كثيرة، ويجمعها معصية الله ورسوله ﷺ، وهذا الطريق هو الذي يجمع أعمال أهل النار، ويَصِلُ به العبد إلى الخسران المبين، فلا بدّ من الابتعاد عن جميع أعمال أهل النار، **ومن هذه الأعمال على وجه التفصيل والإيجاز ما يأتي:**

الإشراك بالله تعالى، والتكذيب بالرسل، والكفر، والحسد، والكذب، والفجور، والخيانة، والظلم، والفواحش ما ظهر منها وما بطن، والغدر، وقطيعة الرحم، والجبن عن الجهاد، والبخل، والشح، واختلاف السر والعلانية، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله، والجزع عند المصائب، والفخر والبطر عند النعم، وترك فرائض الله تعالى، واعتداء حدوده، وانتهاك حرماته، وخوف المخلوق دون الخالق، ورجاء المخلوق دون الخالق، والتوكل على المخلوق دون الخالق، والعمل رياءً وسمعةً، ومخالفة الكتاب والسنة، وطاعة المخلوق في معصية الخالق، والتعصب بالباطل، والاستهزاء بآيات الله، وجحد الحق، والكتمان لما يجب إظهاره من علم وشهادة، والسحر، وعقوق الوالدين، وقطيعة الأرحام، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا،

---

(1) سورة آل عمران، الآية: 134.

(2) انظر: معظم هذه الأعمال في فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية عندما سئل عن أعمال أهل الجنة وأعمال أهل النار فأجاب على ذلك، 10/422-423.

(3) سورة النساء، الآية: 13.

وإعطاء الرشوة وأخذها، وأكل أموال الناس بالباطل، والفرار من الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات، والغيبة، والنميمة، وشهادة الزور، وشرب الخمر، والكبر، والخيلاء، والسرقة، واليمين الغموس، وتشبّه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال، والمنّ بالعطية، وإنفاق السلعة بالحلف الكاذبة، وتصديق الكاهن والمنجم، والتصوير لذوات الأرواح، واتخاذ القبور مساجد، والنياحة على الميت، وإسبال الإزار، ولبس الحرير أو الذهب للرجال، وأذى الجار، وإخلاف الوعد، وغير ذلك من أمثال هذه الأعمال التي يصل بها الإنسان والجان إلى جهنم نعوذ بالله منها[1].

ولا يمكن تفصيل الأعمال التي توصل إلى النار، لكن أعمال أهل النار كلها تدخل في معصية الله ورسوله ﷺ: **﴿وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾**[2]، وقال الله تعالى: **﴿وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُّبِينًا﴾**[3].

ويجمع ما تقدم كله قوله تعالى: **﴿وَالْعَصْرِ*إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾**[4].

والله أسأل بأسمائه الحُسنى، وصفاته العُلا، أن يهدينا سواء السبيل، ونسأل الله الجنة دار أهل الفوز العظيم، وما يقرب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بالله من النار دار أهل الخسران المبين، وما يقرب إليها من قول أو عمل، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

❁ ❁ ❁

(1) انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، 10/423-424، والكبائر للذهبي، وتنبيه الغافلين وتحذير السالكين من أفعال الهالكين، لأحمد بن إبراهيم النحاس.

(2) سورة النساء، الآية: 14.

(3) سورة الأحزاب، الآية: 36.

(4) سورة العصر، الآيات: 1- 3.

الرسالة السادسة: النور والظلمات في الكتاب والسنة

التمهيد:

لا ريب أن الله ﷻ أنزل على نبينا محمد ﷺ الوحي، وسمّاه روحاً؛ لأن الروح يحيا به الجسد، والقرآن تحيا به القلوب والأرواح، وتحيا به مصالح الدين والدنيا والآخرة، وجعله الله نوراً يهدي به من يشاء من عباده، فيستضيئون به في ظلمات الكفر، والشبهات والضلال، ويهتدون به إلى صراط مستقيم، قال الله ﷻ: **﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلاَ إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأَمُورُ ﴾**(1).

والله ﷻ يُخْرِجُ الناس بالوحي من ظلمات الجهل والكفر والأخلاق السيئة إلى نور العلم والإيمان والأخلاق الحسنة، قال ﷻ: **﴿الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾**(2).

وسأبيِّن ذلك بالتفصيل والإيجاز في المبحثين الآتيين:

المبحث الأول: النور والظلمات في الكتاب الكريم

جاء في كتاب الله ﷻ ذكر النور والظلمات في آيات كثيرة،وهذا فيه دلالة على الترغيب في العمل لاكتساب النور،وسؤال الله ذلك، والترهيب من الظلمات والاستعاذة بالله من ذلك،ومن هذه الآيات ما يأتي:

1 - قال الله ﷻ في شأن المنافقين: **﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ * صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ ﴾**(3).

جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة، ومقاتل، والضّحاك، والسُّدّي أن هذه الآيات نزلت في المنافقين، يقول: مَثَلُهم في نفاقهم

---

(1) سورة الشورى، الآيتان: 52-53 .
(2) سورة إبراهيم، الآية: 1 .
(3) سورة البقرة، الآيتان: 17-18 .

كمَثَلِ رجل أوقد ناراً في ليلة مظلمة في مفازة، فاستدفأ ورأى ما حوله، فاتقى مما يخاف، فبينما هو كذلك إذ طَفئت نارُه، فبقي في ظلمة خائفاً متحيِّراً، فكذلك المنافقون بإظهار كلمة الإيمان أَمِنوا على أموالهم، وأولادهم، وناكحوا المؤمنين، ووارثوهم، وقاسموهم الغنائم، فذلك نورهم، فإذا ماتوا عادوا إلى الظلمة والخوف[1].

واختار الإمام ابن جرير الطبري هذا القول، فقال: ((وأولى التأويلات بالآية: ما قاله قتادة، والضحاك، وما رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس))[2]، وذكر رحمه الله أن هؤلاء المنافقين أظهروا إيمانهم بالله، وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، حتى حُكِمَ لهم بذلك في الدنيا: في حقن الدماء والأموال، والأمن على الذرِّية، كمثل استضاءة الموقد للنار بالنار، حتى إذا انتفع بضيائها، وأبصر ما حوله خمدت النار، فذهب نوره، وعاد في ظلمة وحيرة، فالله ﷻ يُطفئ نورهم يوم القيامة، فيستنظروا المؤمنين؛ ليقتبسوا من نورهم، فيقال لهم: ((**ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً**))[3]، فقد حصل لهم في الآخرة ظلمة القبر، وظلمة الكفر، وظلمة النفاق، وظلمة المعاصي على اختلاف أنواعها[4].

واختار الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى أن هؤلاء آمنوا ثم كفروا فقال: ((وتقدير هذا المثل أن الله سبحانه شبَّههم في اشترائهم الضلالة بالهدى، وصيرورتهم بعد البصيرة إلى العمى بمن استوقد ناراً، فلما أضاءت ما حوله،وانتفع بها،وأبصر بها ما عن يمينه وشماله، واستأنس بها، فبينما هو كذلك إذ طفئت ناره، وصار في ظلام شديد، لا يُبصر ولا يهتدي، وهو مع هذا أصمٌّ لا يسمع، أبكمُ لا ينطق، أعمى لو كان ضياءٌ لما أبصر؛ فلهذا لا يرجع إلى ما كان عليه قبل ذلك، فكذلك هؤلاء المنافقون في استبدالهم الضلالة عوضاً عن الهدى، واستحبابهم الغيّ على الرشد، وفي هذا المثل دلالة على أنهم آمنوا ثم كفروا))[5]، وقال رحمه الله: ((وزعم ابن جرير أن المضروب لهم المثل هاهنا لم يؤمنوا في وقت من الأوقات، واحتج بقوله

(1) تفسير البغوي، 53/1 .
(2) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 324/1، وذكر سنده لقولهم في: 323/1 .
(3) انظر:جامع البيان عن تأويل آي القرآن،326/1،والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، 230/1 .
(4) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص27 .
(5) تفسير القرآن العظيم، 1/ 51 .

تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ** ﴾[1]، والصواب أن هذا إخبار عنهم في حال نفاقهم وكفرهم، وهذا لا ينافي أنه كان حصل لهم إيمان قبل ذلك، ثم سُلبوه، وطبع على قلوبهم، ولم يستحضر ابن جرير هذه الآية: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ** ﴾[2])) انتهى[3].

قال العلامة السعدي رحمه الله تعالى: ((مثلهم المطابق لما كانوا عليه كمثل الذي استوقد ناراً: أي كان في ظلمة عظيمة، وحاجة إلى النار شديدة، فاستوقدها من غيره، ولم تكن عنده مُعدَّةً، بل هي خارجة عنه، فلما أضاءت النار ما حوله، ونظر المحل الذي هو فيه، وما فيه من المخاوف، وأمنها، وانتفع بتلك النار، وقرت بها عينه، وظن أنه قادر عليها، فبينما هو كذلك ذهب الله بنوره، فزال عنه النور، وذهب معه السرور، وبقي في الظلمة العظيمة، والنار محرقة فذهب ما فيها من الإشراق، وبقي ما فيها من الإحراق، فبقي في ظلمات متعددة: ظلمة الليل، وظلمة السحاب، وظلمة المطر، والظلمة الحاصلة بعد النور، فكيف يكون حال هذا الموصوف؟ فكذلك هؤلاء المنافقون، استوقدوا نار الإيمان من المؤمنين، ولم تكن صفةً لهم، فاستضاؤوا بها مؤقتاً، وانتفعوا، فحُقنت بذلك دماؤهم، وسَلِمت أموالهم، وحصل لهم نوع من الأمن في الدنيا، فبينما هم كذلك إذ هجم عليهم الموتُ فسلبهم الانتفاع بذلك النور، وحصل لهم كلُّ همٍّ وغمٍّ وعذاب، وحصل لهم: ظلمة القبر، وظلمة الكفر، وظلمة النفاق، وظلمة المعاصي، على اختلاف أنواعها، وبعد ذلك ظلمة النار وبئس القرار؛ فلهذا قال تعالى: ﴿ **صُمٌّ** ﴾ أي عن سماع الخير، ﴿**بُكْمٌ** ﴾ أي عن النطق به، ﴿**عُمْيٌ** ﴾ أي عن رؤية الحق، ﴿**فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ** ﴾ ؛ لأنهم تركوا الحق بعد أن عرفوه، فلا يرجعون إليه، بخلاف من ترك الحق عن جهل، فإنه لا يعقل، وهو أقرب رجوعاً منهم))[4].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: ((شبَّه سبحانه أعداءه المنافقين بقوم أوقدوا ناراً؛ لتضيء لهم، وينتفعوا بها، فلما أضاءت لهم النار

(1) سورة البقرة، الآية: 8 .
(2) سورة المنافقون، الآية: 3 .
(3) تفسير القرآن العظيم، 51/1 .
(4) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص27 .

فأبصروا في ضوئها ما ينفعهم ويضرهم، وأبصروا الطريق بعد أن كانوا حيارى تائهين، فهم قوم سَفَر ضلُّوا الطريق فأوقدوا النار تضيء لهم الطريق، فلما أضاءت لهم وأبصروا وعرفوا طفئت تلك الأنوار، وبقوا في الظلمات لا يبصرون، وقد سُدّت عليهم أبواب الهدى الثلاثة؛ فإن الهدى يدخل إلى العبد من ثلاثة أبواب: مما يسمعه بأذنه، ويراه بعينه، ويعقله بقلبه، وهؤلاء قد سُدَّت عليهم أبواب الهدى، فلا تسمع قلوبهم شيئاً، ولا تبصره، ولا تعقل ما ينفعها))[1].

وبيَّن رحمه الله تعالى أن الله ﷻ: ((سَمَّى كتابه نوراً، ورسوله ﷺ نوراً، ودينه نوراً، وهُدَاه نوراً، ومن أسمائه النور، والصلاة نور، فذهابه سبحانه بنورهم ذهاب بهذا كله))[2]، وبيّن رحمه الله: ((أن الخارجين عن طاعة الرسل يتقلّبون في عشر ظلمات: ظلمة الطبع، وظلمة الجهل، وظلمة الهوى، وظلمة القول، وظلمة العمل، وظلمة المدخل، وظلمة المخرج، وظلمة القبر، وظلمة القيامة، وظلمة دار القرار، فالظلمة لازمة لهم في دورهم الثلاث، وأتباع الرسل صلوات الله وسلامه عليهم يتقلبون في عشرة أنوار، ولهذه الأمة ونبيها ﷺ من النور ما ليس لأمة غيرها، ولنبيها ﷺ من النور ما ليس لنبي غيره))[3].

2 - وقول الله تعالى: **﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ واللّهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ * يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ وَلَوْ شَاءَ اللّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**[4]، وهذا مثل آخر ضربه الله ﷻ للمنافقين، بمعنى: إن شئت مثّلهم بالمستوقد، وإن شئت بأهل الصيِّب، وهو المطر الذي يصوب: أي ينزل من السماء إلى الأرض، وقيل: **﴿أَوْ﴾** بمعنى الواو، يريد: وكصيِّبٍ **﴿فِيهِ ظُلُمَاتٌ﴾** أي: ظلمة الليل، وظلمة السحاب، وظلمة المطر، **﴿وَرَعْدٌ﴾**: وهو الصوت الذي يسمع من السحاب، **﴿وَبَرْقٌ﴾**، وهو الضوء اللامع المشاهد مع السحاب **﴿كُلَّمَا أَضَاءَ**

(1) اجتماع الجيوش الإسلامية، 63/2 .
(2) المرجع السابق، 35/2، وانظر: 44/2 .
(3) المرجع السابق، 43/2 .
(4) سورة البقرة، الآيتان: 19-20 .

لَـهُمْ ﴾البرق في تلك الظلمات ﴿مَّشَوْاْ فِيهِ ﴾، ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ ﴾: أي وقفوا متحيرين[1].

فالله تعالى شَبَّههم في كفرهم ونفاقهم بقوم كانوا في مفازة وسواد في ليلة مظلمة، أصابهم فيها مطرٌ فيه ظلمات، من صفتها أن السَّاري لا يمكنه المشي فيها، وصواعق من صفتها أن يضم السامعون أصابعهم إلى آذانهم من هولها، وقوة صوتها المخيفة، وبرق من صفته أن يقرب من خطف أبصارهم، ويعميها من شدة توقُّده. فهذا مَثَلٌ ضربه الله للقرآن وصنيع الكافرين والمنافقين معه، فالمطر: القرآن؛ لأنه حياة القلوب، كما أن المطر حياة الأبدان، والظلمات: الكفر والشرك الذي حذَّر عنه القرآن، والرعد ما خوِّفوا به من الوعيد، وذكر النار، والبرق ما فيه من الهدى والبيان، والوعد، وذكر الجنة، فالمنافقون يسدُّون آذانهم عند قراءة القرآن، مخافة ميل القلب إليه؛ لأن الإيمان عندهم كفر، والكفر موت ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ﴾: أي يبهر قلوبهم[2].

وقال العلامة السعدي رحمه الله بعد أن ذكر تفسير الآية: ((فهكذا حالة المنافقين إذا سمعوا القرآن، وأوامره، ونواهيه، ووعده، ونهيه، ووعيده جعلوا أصابعهم في آذانهم، وأعرضوا عن أمره ونهيه، ووعده، ووعيده، فيروعهم وعيده، وتزعجهم وعوده، فهم يعرضون عنها غاية ما يمكنهم، ويكرهونها كراهة صاحب الصيِّب الذي يسمع الرعد فيجعل أصابعه في أذنيه خشية الموت، فهذا ربما حصلت لـه السلامة، وأما المنافقون فأنَّى لهم السلامة، وهو تعالى محيط بهم: قدرةً، وعلماً، فلا يفوتونه، ولا يعجزونه، بل يحفظ عليهم أعمالهم، ويجازيهم عليها أتمَّ الجزاء، ولَمّا كانوا مُبتلين بالصَّمَم، والبكم، والعمى المعنوي، ومسدودة عليهم طرق الإيمان، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ﴾ أي الحسية، ففيه تخويف لهم، وتحذير من العقوبة الدنيوية؛ ليحذروا فيرتدعوا عن بعض شرهم، ونفاقهم ﴿إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾، فلا يعجزه شيء، ومن قدرته أنه إذا شاء شيئاً فعله من غير

---

(1) انظر: جامع البيان عن تأويل القرآن، للطبري، 1/333-362، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، 1/233-242، وتفسير البغوي، 1/53-54، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، 1/53، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص27 .

(2) تفسير البغوي، 1/54 .

ممانع ولا معارض))[1].

وقد تكلّم الإمام ابن القيم رحمه الله كلاماً نفيساً بعد أن ذكر المثل الناري للمنافقين، فقال: ((ثم ذكر حالهم بالنسبة إلى المثل المائي، فشبههم بأصحاب صيِّب، وهو المطر الذي يصوِّب: أي ينزل من السماء، فيه ظلمات، ورعد، وبرق؛ فلضعف بصائرهم وعقولهم اشتدت عليهم زواجر القرآن، ووعده، ووعيده، وتهديده، وأوامره، ونواهيه، وخطابه الذي يشبه الصواعق، فحالهم كحال من أصابه مطر فيه ظلمة، ورعد، وبرق؛ فلضعفه وخوفه جعل أصبعيه في أذنيه خشيةً من صاعقة تصيبه))[2].

3 - قال الله ﷻ: ﴿**اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾[3].

لا شك أن الله ﷻ نصير المؤمنين، وظهيرهم، ويتولاهم بعونه وتوفيقه، ويخرجهم من ظلمات: الكفر، والشرك، والضلالة، إلى نور: الإيمان، والتوحيد، والهداية، وقد جعل سبحانه الظلمات للكفر مثلاً؛ لأن الظلمات حاجبة للأبصار عن إدراك الأشياء وإثباتها، وكذلك الكفر حاجبٌ أبصار القلوب عن إدراك حقائق الإيمان والعلم بصحة أسبابه، فالله ﷻ وليُّ المؤمنين، ومُبصِّرهم حقيقة الإيمان، وسبله، وشرائعه، وحججه، وهاديهم فموفِّقهم لأدلته المزيلة عنهم الشكوك بكشفه عنهم دواعي الكفر، وظُلَم سواتره عن إبصار القلوب، والذين كفروا بجحد وحدانيته، نُصراؤهم وظُهراؤهم الذين يتولونهم ﴿**الطَّاغُوتُ**﴾ وهم: الأنداد، والأوثان الذين يعبدونهم من دون الله، يخرجونهم من نور الإيمان إلى ظلمات الكفر، وشكوكه الحائلة دون إبصار القلوب، ورؤية ضياء الإيمان وحقائق أدلته وسُبُله[4].

4 - وقال الله ﷻ: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً * فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ بِاللّهِ وَاعْتَصَمُواْ بِهِ**

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص27 .

(2) أمثال القرآن، ص18، وانظر: اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، لابن القيم، 68/2، ففيه كلام عظيم النفع.

(3) سورة البقرة، الآية: 257 .

(4) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، 318/1، و424/5، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، 282/3 .

فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾[1].

فبيّن الله ﷻ أنه قد جاء جميع الناس حجة منه سبحانه، وبرهان قاطع للعذر، والحجة المزيلة للشبهة، وهو محمد ﷺ الذي جعله الله حجة قطع بها أعذار الناس، وأنزل الله معه النور الواضح المبين ((وهو القرآن الكريم)) الذي يُبيّن الحجة الواضحة، والسبل الهادية إلى ما فيه النجاة من عذاب الله، وأليم عقابه، لمن سلكها واستنار بضوئها[2]. والله ﷻ قد جعل النور في كتبه التي أنزلها على رسله، قال الله ﷻ: **﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾**[3]، وقال ﷻ: **﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ﴾**[4]، وقال تعالى في عيسى ﷺ: **﴿وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ﴾**[5]، وقد أنزل الله ﷻ القرآن الكريم، وختم به هذه الأنوار، فهو النور الأعظم، قال الله تعالى: **﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ ﴾**[6].

5 - وقال الله ﷻ: **﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾**[7]: يعني بالنور محمداً ﷺ الذي أنار الله به الحق، وأظهر به الإسلام، ومحق به الشرك، فهو نور لمن استنار به، يُبيّن الحق، قال الله ﷻ: **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾**[8]، ومن إنارته ﷺ للحق تبيينه لليهود كثيراً مما كانوا يخفون من الكتاب، وقوله تعالى: **﴿وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾** يعني كتاباً فيه بيان ما اختلفوا فيه بينهم: من توحيد الله، وحلاله، وحرامه، وشرائع دينه، وهو القرآن الذي أنزله على نبينا محمد ﷺ يُبين للناس ما بهم الحاجة إليه من أمر دينهم، ويوضحه لهم، حتى

(1) سورة النساء، الآيتان: 174-175 .
(2) انظر:جامع البيان عن تأويل آي القرآن،للطبري، 427/9،وتفسير القرآن العظيم،لابن كثير، 560/1 .
(3) سورة المائدة، الآية: 44 .
(4) سورة الأنعام، الآية: 91 .
(5) سورة المائدة، الآية: 46 .
(6) سورة المائدة، الآية: 48 .
(7) سورة المائدة، الآيتان: 15-16 .
(8) سورة الأحزاب، الآيتان: 45-46 .

يعرفوا حقَّه من باطله[1].

﴿يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ سبل السلام: طرق السلام، والسلام هو الله ﷻ، وسبيل الله الذي شرعه لعباده، ودعاهم إليه، وابتعث به رسله: هو الإسلام الذي لا يقبل من أحد عملاً إلا به، ويخرجهم من الظلمات إلى النور: يعني من ظلمات الكفر والشرك إلى نور الإسلام وضيائه[2].

وقال السعدي رحمه الله: ((ظلمات: الكفر، والبدعة، والمعصية، والجهل والغفلة، إلى نور: الإيمان، والسنة، والطاعة، والعلم والذكر))[3].

6 - وقال ﷻ: ﴿الْحَمْدُ للّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ﴾[4]، قال الإمام القرطبي رحمه الله في تفسير هذه الآية: ((واختلف العلماء في المعنى المراد بالظلمات والنور، فقال السدي، وقتادة، وجمهور المفسرين: المراد سواد الليل، وضياء النهار، وقال الحسن: الكفر، والإيمان، قلت: اللفظ يعمُّه))[5]، وقال السعدي رحمه الله: ((فحَمِد نفسه على خلق السموات والأرض الدّالّة على كمال قدرته، وسَعَة علمه، ورحمته، وعموم حكمته، وانفراده بالخلق والتدبير، وعلى جعله الظلمات والنور، وذلك شامل للحسِّي من ذلك: كالليل والنهار، والشمس والقمر، والمعنوي: ظلمات: الجهل، والشك، والشرك، والمعصية، والغفلة، ونور العلم، والإيمان، واليقين، والطاعة، وهذا كله يدلّ دلالة قاطعة أنه تعالى هو المستحق للعبادة وإخلاص الدين لـه[6].

7 - وقال ﷻ: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ

(1) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، 143/10 .
(2) المرجع السابق، 145/10 .
(3) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص188 .
(4) سورة الأنعام، الآية: 1 .
(5) الجامع لأحكام القرآن، 361/6 .
(6) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص212 .

مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[1].

هذا مثل ضربه الله للمؤمن الذي كان ميتاً: أي في الضلالة حائراً، فأحيا الله قلبه بالإيمان، وهداه لـه ووفقه لاتِّباع رسوله ﷺ[2]، فقد كان ميِّت القلب بعدم روح العلم والهدى والإيمان، وبجهله بتوحيد الله وشرائع دينه، وتَرْكِهِ العمل لله بما يؤدي إلى نجاته، فأحياه الله بروح أخرى غير الروح التي أحيا بها بدنه، وهي روح هدايته للإسلام، ومعرفة الله وتوحيده، ومحبته، وعبادته وحده لا شريك لـه، وجعل لـه نوراً يمشي به بين الناس، وهو نور القرآن والإسلام، فهل يستوي هذا بمن هو في الظلمات: ظلمات الجهل، والكفر، والشرك، والشكّ، والغيّ والإعراض، والمعاصي؟ ليس بخارج منها؛ قد التبست عليه الطرق وأظلمت عليه المسالك، فحضره الهمُّ، والغمُّ، والحزن، والشقاء، فنبه ﷻ العقول بما تدركه وتعرفه، أنه لا يستوي هذا ولا هذا، كما لا يستوي الليل والنهار، والضياء والظلمة، والأحياء والأموات، فكأنه قيل: فكيف يُؤثِر من لـه مسكة من عقل أن يكون بهذه الحالة، وأن يبقى في الظلمات متحيِّراً؛ فأجاب بأنه **﴿زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾**، فلم يزل الشيطان يُحَسِّن لهم أعمالهم، ويُزَيِّنُها في قلوبهم، حتى استحسنوها ورأوها حقاً،وصار ذلك عقيدة في قلوبهم،وصفة راسخة ملازمة لهم[3].

8 - وقال ﷻ: **﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾**[4].

بيّن وأوضح ﷻ أن اليهود والنصارى ومن معهم من المشركين **﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾** ونور الله: دينه الذي أرسل به محمداً ﷺ، وسمّاه الله نوراً؛ لأنه يستنار به في ظلمات الجهل، والأديان الباطلة؛ فإنه علمٌ بالحق، وعملٌ بالحق، ويدخل في هذا النور حجج الله على توحيده؛ فإنّ البراهين نور لما فيها من

---

(1) سورة الأنعام، الآية: 122 .
(2) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، 163/2 .
(3) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، 88/12، ومدارج السالكين، لابن القيم، 258/3، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، 163/2، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص234 .
(4) سورة التوبة، الآية: 32 .

البيان، فهؤلاء اليهود والنصارى ومن ضاهاهم من المشركين يريدون أن يطفئوا نور الله بمجرد أقوالهم الباطلة، وجدالهم، وافترائهم، فمثلهم كمثل من يريد أنْ يُطفئ شعاع الشمس أو نور القمر بنفخه، وهذا لا سبيل إليه، فلا على مرادهم حصلوا، ولا سلمت عقولهم من النقص والقدح فيها[1]، قال الله ﷻ: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الإِسْلامِ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾[2].

9 - وقال ﷻ: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ**﴾[3]، قال قتادة: ((أما الأعمى والبصير: فالكافر والمؤمن، وأما الظلمات والنور: فالهدى والضلالة))[4].

10 - وقال ﷻ: ﴿**كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**﴾[5]، قال قتادة: ﴿**لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**﴾ أي: من الضلالة إلى الهدى))[6]، قال السعدي رحمه الله: ليخرج الناس من ظلمات الجهل، والكفر، والأخلاق السيئة، وأنواع المعاصي إلى نور العلم، والإيمان، والأخلاق الحسنة))[7].

11 - وقال سبحانه: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ**﴾[8]: أي ادعهم من الضلالة إلى الهدى[9].

وقال السعدي رحمه الله: ((أي ظلمات الجهل والكفر، وفروعه

---

(1) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، 14/213-214، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، 8/614، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، 2/334، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص295، وص797 .

(2) سورة الصف، الآيتان: 7-8 .

(3) سورة الرعد، الآية: 16 .

(4) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، 16/407 .

(5) سورة إبراهيم، الآية: 1 .

(6) جامع البيان عن تأويل أي القرآن، للطبري، 16/512 .

(7) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص375 .

(8) سورة إبراهيم، الآية: 5 .

(9) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، 16/518 .

إلى نور العلم والإيمان وتوابعه))[1].

12 - وقال الله ﷻ: **﴿اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾**[2].

وقد فُسِّرَ قوله تعالى: **﴿اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾** فقيل في تفسير ذلك أقوال:

1 - الله هادي أهل السموات والأرض.

2 - الله يُدبِّر الأمر في السموات والأرض: نجومها، وشمسها، وقمرها، فهو سبحانه مُنوِّر السموات والأرض.

3 - الله ضياء السموات والأرض[3].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: ((والحق أنه نور السموات والأرض بهذه الاعتبارات كلّها))[4].

فالله ﷻ هادي أهل السموات والأرض، فهم بنوره إلى الحق يهتدون، وبهداه من الضلالة ينجون، وهو سبحانه منوِّر السموات والأرض، ومُدَبِّر الأمر فيهما: بنجومها، وشمسها، وقمرها، وهو ﷻ نور؛ فقد سمَّى نفسه نوراً، وجعل كتابه نوراً، ورسوله نوراً، ودينه نوراً، واحتجب عن خلقه بالنور، وجعل دار أوليائه نوراً تتلألأ[5].

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رحمه الله: ((**﴿اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾**، الحسي والمعنوي، وذلك أنه تعالى بذاته نور، وحجابه نور، الذي لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه، وبه استنار العرش، والكرسي، والشمس،

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص316 .

(2) سورة النور، الآية: 35 .

(3) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، 177/19، وتفسير البغوي، 345/3، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، 258/11، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، 280/3، واجتماع الجيوش الإسلامية، لابن القيم، 44/2 .

(4) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، 46/2 .

(5) انظر: المرجع السابق، 44/2 .

والقمر، والنور، وبه استنارت الجنة. وكذلك المعنوي يرجع إلى الله: فكتابه نور، وشرعه نور، والإيمان والمعرفة في قلوب رسله وعباده المؤمنين نور، فلولا نوره تعالى لتراكمت الظلمات؛ ولهذا كل محل يفقد نوره فثَمَّ الظلمة والحصر))[1].

والنور يضاف إلى الله ﷻ على وجهين: إضافة صفة إلى موصوفها، وإضافة مفعول إلى فاعله، فالأول كقوله تعالى: ﴿**وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا**﴾[2]، فهذا إشراقها يوم القيامة بنوره تعالى إذا جاء لفصل القضاء[3]، وقد ثبتت الأحاديث عن النبي ﷺ في إثبات صفة النور والفعل لله ﷻ ، وأنه نور السموات والأرض وما فيهما، ومُنوِّرهما وما فيهما، وهي على النحو الآتي:

الحديث الأول:حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال:كان النبي ﷺ إذا قام يتهجَّد من الليل قال: ((**اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت قيِّم السموات والأرض ومن فيهن...**)) الحديث[4].

الحديث الثاني: حديث أبي موسى رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: ((**إن الله ﷻ لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابُه النور، لو كشفه لأحرقت سُبُحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**))[5].

فالله ﷻ لا ينام وهو منزه عن ذلك، قال الله ﷻ: ﴿**اللهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ**﴾[6]، والسِّنة: النعاس. وهو ﷻ يخفض الميزان ويرفعه، وسُمِّي الميزان قسطاً؛ لأن القسط العدل وبالميزان يقع العدل. والمراد أن الله تعالى يخفض الميزان ويرفعه بما يوزن من أعمال العباد المرتفعة، ويوزن من أرزاقهم

---

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص517 .
(2) سورة الزمر، الآية: 69 .
(3) انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، 45/2 .
(4) متفق عليه: البخاري، كتاب التهجد، باب التهجد بالليل، 532/1، برقم 1120، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، برقم 769 .
(5) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب قوله ﷺ: ((إن الله لا ينام))، 162/1، برقم 179 .
(6) سورة البقرة، الآية: 255 .

النازلة، وقيل: المراد بالقسط: الرزق الذي هو قسط كل مخلوق يخفضه فيقتره، ويرفعه فيوسعه، والله أعلم[1]، وهو ﷻ يُرفَع إليه عمل الليل قبل عمل النهار الذي بعده، وعمل النهار قبل عمل الليل الذي بعده؛ فإن الملائكة الحَفَظَة يصعدون بأعمال الليل بعد انقضائه في أول النهار، ويصعدون بأعمال النهار بعد انقضائه في أول الليل، والله أعلم[2]، والله تبارك وتعالى حجابه النور: أي الحجاب المانع والساتر من رؤيته النور، وسبحات وجهه: نوره وجلاله، ولو كشف وأزال الحجاب المُسمَّى نوراً، وتجلّى لخلقه لأحرقت سبحات وجهه جميع مخلوقاته؛ لأن بصره ﷻ محيط بجميع الكائنات[3].

الحديث الثالث:حديث أبي ذر ﷺ قال:سألت رسول الله ﷺ:هل رأيت ربك؟ قال:((**نورٌ أنَّى أراه**))،وفي رواية:((**رأيتُ نوراً**))[4]،والمعنى حجابه النور فكيف أراه[5]،قال الإمام ابن القيم رحمه الله:((...سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول:((معناه كان ثَمَّ نور،أو حال دون رؤيته نور،فأنّى أراه))[6].

وقوله ﷻ: ﴿**مَثَلُ نُورِهِ**﴾ قيل في تفسير ((الهاء)) أقوال على النحو الآتي:

القول الأول: مثل نور الله: أي مثل: هدى الله في قلب المؤمن.
القول الثاني: مثل نور المؤمن الذي في قلبه من القرآن والإيمان.
القول الثالث: مثل نور محمد ﷺ.
القول الرابع: مثل نور القرآن[7].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: والصحيح أنه يعود على الله ﷻ ، والمعنى: مثل نور الله ﷻ في قلب عبده، وأعظم عباده نصيباً من

(1) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، 16/3 .
(2) انظر: المرجع السابق، 17/3 .
(3) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ، 17/3 .
(4) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب قوله ﷺ: ((نور أنى أراه)) 161/1، برقم 178 .
(5) شرح النووي على صحيح مسلم، 15/3 .
(6) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، 47/2 .
(7) انظر:جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، 178/19-179، وتفسير البغوي، 345/3، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، 261/11، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، 280/3 .

هذا النور رسوله ﷺ، فهذا مع تضمُّن عود الضمير إلى المذكور، وهو وجه الكلام، يتضمن التقادير الثلاثة، وهو أتمّ معنىً ولفظاً، وهذا النور يضاف إلى الله تعالى إذ هو معطيه لعبده، وواهبه إياه، ويُضاف إلى العبد إذ هو محله وقابله، فيضاف إلى الفاعل والقابل، ولهذا النور فاعل، وقابل، ومحل، وحامل، ومادة، وقد تضمَّنت الآية ذكر هذه الأمور كلها على وجه التفصيل: فالفاعل هو الله تعالى، مُفيض الأنوار، الهادي لنوره من يشاء، والقابل العبد المؤمن، والمحل قلبه، والحامل: همته، وعزيمته، وإرادته، والمادة: قوله وعمله))[1].

وقوله ﷻ: ﴿كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ﴾ فيه أقوال النحو الآتي:

القول الأول: المشكاة:كلّ كُوَّةٍ لا منفذ لها،وهذا مثل ضربه الله لمحمد ﷺ، والمصباح قلبه، والزجاجة صدره.

القول الثاني: المشكاة: صدر المؤمن، والمصباح القرآن والإيمان، والزجاجة قلبه.

القول الثالث: هو مثل للمؤمن غير أن المصباح وما فيه مثل لفؤاده، والمشكاة مثل لجوفه، ومعنى نور على نور: يعني إيمانه وعمله.

القول الرابع: مثل القرآن في قلب المؤمن.

واختار الإمام ابن جرير رحمه الله أن أولى الأقوال بالصواب في ذلك قول من قال: ذلك مثل ضربه الله للقرآن في قلوب أهل الإيمان به، فقال: مثل نور الله الذي أنار به لعباده سبيل الرشاد الذي أنزله إليهم، فآمنوا به وصدّقوا بما فيه، في قلوب المؤمنين مثل مشكاة، وهي عمود القنديل الذي في الفتيلة، وذلك هو نظير الكوّة التي تكون في الحيطان لا منفذ لها، وإنما جعل ذلك العمود مشكاة لأنه غير نافذ، وهو أجوف مفتوح الأعلى، فهو كالكوّة التي في الحائط لاتنفذ، ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾: والمصباح هو السراج، وجعل السراج هو المصباح مثلاً لما في قلب المؤمن من القرآن والآيات البينات، ﴿ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ﴾: يعني أن السراج الذي في المشكاة في القنديل: وهو الزجاجة وذلك مثل القرآن، يقول القرآن الذي في قلب المؤمن الذي أنار الله قلبه في صدره، ثم مثل الصدر في خلوصه من الكفر بالله، والشك فيه واستنارته بنور القرآن،

(1) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، 2/49-50 .

واستضاءته بآيات ربه البينات، ومواعظه فيها بالكوكب الدّري، فقال: ﴿**الزُّجَاجَةُ**﴾، وذلك صدر المؤمن الذي فيه قلبه، كأنه كوكب دُرّيّ))(1).

وقوله تعالى: ﴿**يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ**﴾، وفي تفسيرها أقوال:

1 - قيل: شرقية غربية تطلع عليها الشمس بالغداة، وتغرب عليها، فيصيبها حر الشمس بالغداة والعشي، وهذا أجود لزيتها.
2 - وقيل: هي شجرة وسط الشجر ليست من الشرق ولا من الغرب.
3 - وقيل: هي شجرة ليست من شجر الدنيا.

قال الإمام الطبري رحمه الله: ((وأولى هذه الأقوال قول من قال: إنها شرقية غربية، وقال: ومعنى الكلام: ليست شرقية تطلع عليها الشمس بالعشي دون الغداة، ولكن الشمس تشرق عليها وتغرب، فهي شرقية غربية))(2).

وقوله تعالى: ﴿**نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾.

والمعنى: هذا القرآن نور من عند الله أنزله إلى خلقه يستضيئون به
﴿**عَلَى نُورٍ**﴾ على الحجج والبيان الذي قد نصبه لهم قبل مجيء القرآن، مما يدل على حقيقة وحدانيته، وذلك بيان من الله، ونور على البيان، والنور الذي كان وضعه لهم ونصبه قبل نزوله، والله ﷻ يوفق لاتّباع نوره من يشاء من عباده، ويُمثّل الأمثال والأشباه للناس، كما مثّل لهم هذا القرآن في قلب المؤمن بالمصباح في المشكاة، وسائر ما في هذه الآية من الأمثال، وهو سبحانه يضرب الأمثال عن علم سبحانه ﷻ(3).

وذكر ابن كثير رحمه الله أن أُبي بن كعب رضي الله عنه قال في تفسير: ﴿**نُّورٌ عَلَى نُورٍ**﴾ [إيمان العبد وعمله]: ((فهو يتقلب في خمسة

(1) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 184/19، بتصرف يسير.
(2) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 187/19، وانظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، 261/11، وتفسير البغوي، 347/3، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، 281/3، واجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، 51/2، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص517.

(3) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، 188/19 .

أنوار:فكلامه نور، وعمله نور،ومدخله نور،ومخرجه نور،ومصيره إلى النور يوم القيامة إلى الجنة))[1].

وتكلم العلامة عبد الرحمن السعدي رحمه الله على تفسير: **﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾** الذي يهدي إليه، وهو نور الإيمان والقرآن في قلب المؤمن **﴿كَمِشْكَاةٍ﴾** أي كوة **﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾**؛ لأن الكوة تجمع نور المصباح بحيث لا يتفرق ذلك **﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ﴾** من صفائها وبهائها **﴿كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾** أي مضيء إضاءة الدُّرِّ، **﴿يُوقَدُ﴾** ذلك المصباح الذي في تلك الزجاجة الدرية **﴿مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ﴾**: أي يوقد من زيت الزيتون، الذي ناره من أنور ما يكون **﴿لا شَرْقِيَّةٍ﴾** فقط، فلا تصيبها الشمس آخر النهار، **﴿وَلا غَرْبِيَّةٍ﴾** فقط، فلا تصيبها الشمس أول النهار، وإذا انتفى عنها الأمران، كانت متوسطة من الأرض كزيتون الشام، تصيبه الشمس أول النهار وآخره، فيحسن ويطيب، ويكون أصفى لزيتها؛ ولهذا قال: **﴿يَكَادُ زَيْتُهَا﴾** من صفائها **﴿يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾** فإذا مسته النار أضاء إضاءة بليغة **﴿نُّورٌ عَلَى نُورٍ﴾** أي نور النار ونور الزيت ووجه هذا المثل الذي ضربه الله، وتطبيقه على حالة المؤمن ونور الله في قلبه، أن فطرته التي فُطِر عليها بمنزلة الزيت الصافي، ففطرته صافية، مستعدة للتعاليم الإلهية، والعمل المشروع، فإذا وصل إليه العلم والإيمان اشتعل ذلك النور في قلبه، بمنزلة إشعال النار فتيلة ذلك المصباح، وهو صافي القلب: من سوء القصد، وسوء الفهم عن الله، إذا وصل إليه الإيمان أضاء إضاءةً عظيمة؛ لصفائها من الكدورات، وذلك بمنزلة صفاء الزجاجة الدّريّة، فيجتمع لـه: نور الفطرة، ونور الإيمان، ونور العلم، وصفاء المعرفة، ونور على نوره، ولما كان هذا من نور الله تعالى، وليس كل أحد يصلح لـه ذلك قال: **﴿يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾** ممن يعلم زكاءه وطهارته، وأنه يزكى معه وينمو، **﴿وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾** ليعقلوا عنه، ويفهموا لطفاً منه بهم، وإحساناً إليهم؛ وليتضح الحق من الباطل، فإن الأمثال تُقرِّب المعاني المعقولة من المحسوسة، فيعلمها العباد علماً واضحاً **﴿وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾**، فعلمه محيط بجميع الأشياء، فلْتَعْلموا أن ضربه الأمثال ضربُ من يعلم حقائق الأشياء، وتفاصيلها، وأنها مصلحة للعباد، فليكُن اشتغالكم بتدبُّرها وتعقُّلها، لا بالاعتراض عليها، ولا

(1) تفسير القرآن العظيم، 281/3، وانظر: تفسير البغوي، 347/3 .

بمعارضتها، وأنتم لا تعلمون))[1]، وهذه الآية من أولها إلى آخرها فيها فوائد عظيمة، وأمثال حكيمة بليغة؛ ولهذا قال الإمام ابن القيم رحمه الله: ((وهذا التشبيه العجيب الذي تضمنته الآية فيه من الأسرار والمعاني، وإظهار تمام نعمته على عبده المؤمن بما أناله من نوره ما تقرّ به عيون أهله، وتبتهج به قلوبُهم، وفي التشبيه لأهل المعاني طريقتان:

أحدهما: طريقة التشبيه المركب، وهي أقرب مأخذاً، وأسلم من التكلف، وهي أن تشبه الجملة برمّتها بنور المؤمن من غير تعرض لتفصيل كل جزء من أجزاء المشبَّه، ومقابلته بجزء من المشبَّه به، وعلى هذا عامة أمثال القرآن الكريم، فتأمّل صفة مشكاة، وهو كوّة لا تنفذ لتكون أجمع للضوء، وقد وضع فيها مصباح، وذلك المصباح داخل زجاجة تشبه الكوكب الدّرّيّ في صفائها وحسنها، ومادته من أصفى الأدهان وأتمها وقوداً من زيت شجرة ﴿ **لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ**﴾: بحيث تصيبها الشمس في أحد طرفي النهار، بل تصيبها الشمس أعدل إصابة، فمن شدة إضاءة زيتها وصفائه وحسنه يكاد يضيء من غير أن تمسه نار، فهذا المجموع المركب هو مثل نور الله تعالى الذي وضعه في قلب عبده المؤمن وخصه به.

والطريقة الثانية: طريقة التشبيه المفصَّل، فقيل: المشكاة: صدر المؤمن، والزجاجة قلبه، وشُبِّه قلبه بالزجاجة لرقّتها، وصفائها، وصلابتها، وكذلك قلب المؤمن، فإنه قد جمع الأوصاف الثلاثة: فهو يرحم، ويحسن، ويتحنّن، ويُشفق على الخلق برأفته، وبصفائه تتجلى فيه صور الحقائق والعلوم على ما هي عليه، ويباعد الكدر والدرن والوسخ بحسب ما فيه من الصفاء، وبصلابته يشتدّ في أمر الله تعالى، ويتصلّب في ذات الله تعالى، ويغلظ على أعداء الله تعالى، ويقوم بالحق لله تعالى، وقد جعل الله القلوب كالآنية، كما قال بعض السلف: ((القلوب آنية الله في أرضه، وأحبها إليه: أرقّها وأصلبها وأصفاها))[2]، والمصباح: هو نور الإيمان في قلبه، والشجرة المباركة: هي شجرة الوحي المتضمنة للهدى، ودين

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص517 .

(2) عن خالد بن معدان، عن أبي أمامة يرفعه: ((إن لله تبارك وتعالى في الأرض آنية، وأحب آنية الله إليه ما رقّ منها وصفا، وآنية الله في الأرض قلوب عباده الصالحين)). أحمد في الزهد، ص283، برقم 827، وصححه الألباني بعد أن ذكر طرقه في سلسلة الأحاديث الصحيحة، 263/4، برقم 1691 .

الحق، وهي مادة المصباح، التي يَتَّقِد منها، والنور على النور: نور الفطرة الصحيحة، والإدراك الصحيح، ونور الوحي والكتاب، فينضاف أحد النورين إلى الآخر، فيزداد العبد نوراً على نور؛ ولهذا يكاد ينطق بالحق والحكمة قبل أن يسمع ما فيه من الأثر، ثم يبلغه الأثر بمثل ما وقع في قلبه، ونطق به، فيتفق عنده شاهد العقل، والشرع، والفطرة، والوحي، فيريه عقله، وفطرته، وذوقه أن الذي جاء به الرسول ﷺ هو الحق، لا يتعارض عنده العقل والنقل البتة، بل يتصادقان ويتوافقان، فهذا علامة النور على النور عكس من تلاطمت في قلبه أمواج الشُّبَه الباطلة، والخيالات الفاسدة[1].

13 - وضرب الله ﷻ مثلين لبُطلانِ عمل الكفار فقال سبحانه وتعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ * أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ** ﴾[2].

فالمثل الأول ضربه الله ﷻ لأعمال الكفرة الذين جحدوا توحيده، وكذّبوا بالقرآن وبما جاء به، مَثَلُ أعمالهم التي عملوها كسرابٍ بقِيعةٍ - جمع قاع - يحسبه العطشان ماءً، حتى إذا جاءه ملتمساً ماءً يستغيث به من عطشه لم يجد السراب شيئاً، فكذلك الكافرون بالله من أعمالهم التي عملوها في غرور، يحسبون أنها منجيتهم عند الله من عذابه كما حسب الظمآن السراب ماءً، فظنه يرويه من ظمئه، حتى إذا هلك وصار إلى الحاجة إلى عمله الذي كان يرى أنه نافعه عند الله لم يجده ينفعه شيئاً؛ لأنه عمله على كفرٍ بالله، ووجد هذا الكافرُ اللهَ عند هلاكه بالمرصاد، فوفّاه يوم القيامة حساب أعماله التي عملها في الدنيا، وجازاه بها جزاءه الذي يستحقه عليها منه.

والمثل الثاني: ضربه الله ﷻ في بطلان أعمال الكفار، مثل ظلمات في بحر عميق كثير الماء، يغشاه موج، ومن فوق الموج موج آخر يغشاه، ومن فوق الموج الثاني سحاب، فجعل الظلمات مثلاً لأعمالهم، والبحر اللُّجِّيِّ مثلاً لقلب الكافر الذي مثل عمله مثل

(1) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، 2/49-52، بتصرف يسير.

(2) سورة النور، الآيتان: 39-40 .

هذه الظلمات: يغشاه الجهل بالله؛ لأن الله ختم عليه فلا يعقل عن الله، وختم على سمعه فلا يسمع مواعظ الله، وجعل على بصره غشاوة فلا يبصر به حق الله، فتلك ظلمات بعضها فوق بعض[1]، وهذا كقوله ﷻ: ﴿**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَـهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ**﴾[2]، قال السعدي رحمه الله: ((فالكفار تراكمت على قلوبهم الظلمات: ظلمة الطبيعة التي لا خير فيها، وفوقها ظلمة الكفر، وفوق ذلك ظلمة الجهل، وفوق ذلك ظلمة الأعمال الصادرة عما ذكر، فبقوا في الظلمة متحيّرين، وفي غمرتهم يعْمَهُون، وعن الصراط المستقيم مُدبرون، وفي طرق الغي والضلال يتردّدون، وهذا؛ لأن الله خذلهم فلم يُعطِهم من نوره))[3].

وذكر الإمام ابن القيم رحمه الله كلاماً نفيساً بعد أن فسَّر الآيات من قول الله تعالى: ﴿**اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ إلى قوله تعالى: ﴿**وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُورٍ**﴾، هذا مضمونه: فانظر كيف تضمنت هذه الآيات طوائف بني آدم كلّهم أتمّ انتظام، واشتملت عليهم أكمل اشتمال؛ فإن الناس قسمان:

القسم الأول: أهل الهدى والبصائر الذين عرفوا أن الحق فيما جاء به الرسول ﷺ عن الله، وأن كل ما عارضه فشبهات تشتبه على من قلّ نصيبه من العقل والسمع... وهؤلاء هم أهل الهدى ودين الحق، أصحاب العلم النافع والعمل الصالح.

القسم الثاني: أهل الجهل والظلم، وهؤلاء قسمان:

1- الذين يحسبون أنهم على علم وهدى، وهم أهل الجهل المركب الذين يجهلون الحق ويعادونه ويعادون أهله، وينصرون الباطل ويوالونه ويوالون أهله، وهم يحسبون أنهم على شيء ﴿**أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ**﴾.

2- أصحاب الظلمات، وهم المنغمسون في الجهل، بحيث قد أحاط بهم من كل جهة، فهم بمنزلة الأنعام، بل هم أضل سبيلاً، فأعمالهم التي عملوها على غير بصيرة، كظلمات: ظلمة الجهل،

---

(1) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، 19/195-199، وأمثال القرآن، لابن القيم، ص22، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، 3/286 .

(2) سورة الجاثية، الآية: 23 .

(3) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص519 .

وظلمة الكفر، وظلمة الظلم واتباع الهوى، وظلمة الشك والريب، وظلمة الإعراض عن الحق؛ فإن المعرض عما بعث الله تعالى به محمداً ﷺ من الهدى ودين الحق يتقلّب في خمس ظلمات: قوله ظلمة، وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة، ومصيره إلى الظلمة: فقلبه مظلم، ووجهه مظلم، وكلامه مظلم، وحاله مظلم[1].

ثم ذكر رحمه الله أن شيخه ابن تيمية قال: الناس في الهدى الذي بعث الله تعالى به رسوله ﷺ أربعة أقسام:

* **القسم الأول:** قبلوه ظاهراً وباطناً، وهم نوعان:

- **النوع الأول:** أهل الفقه فيه، والفهم، والتعليم، وهم الأئمة الذين عقلوا عن الله تعالى كتابه، وفهموا مراده، وبلّغوه إلى الأمة، واستنبطوا أسراره، وكنوزه، فهؤلاء كمثل الأرض الطيبة التي قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، فرعى الناس فيه ورعت أنعامهم، وأخذوا من ذلك الكلأ الغذاء والقوت، والدواء، وسائر ما يصلح لهم.

- **النوع الثاني:**حفظوه،وضبطوه وبلّغوا ألفاظه إلى الأمة،فحفظوا عليهم النصوص،وليسوا من أهل الاستنباط والفقه في مراد الشارع، فهم أهل حفظ وضبط،وأداء لِمَا سمعوه،وهؤلاء بمنزلة الأرض التي أمسكت الماء للناس،فوردوه،وشربوا منه،وسقوا منه أنعامهم،وزرعوا به.

* **القسم الثاني:** من ردّه ظاهراً وباطناً، وكفر به، ولم يرفع به رأساً، وهؤلاء أيضاً نوعان:

النوع الأول: عرفه وتيقَّن صحته، وأنه حق، ولكن حمله الحسد، والكِبر، وحب الرئاسة، والملك، والتقدم بين قومه على جحده، ودفعه بعد البصيرة واليقين.

النوع الثاني: أتباع هؤلاء الذين يقولون هؤلاء سادتنا وكبراؤنا، وهم أعلم منا بما يقبلونه وما يردونه، ولنا أسوة بهم، ولا نرغب بأنفسنا عن أنفسهم، ولو كان حقاً لكانوا هم أهله، وأولى بقبوله، وهؤلاء بمنزلة الدوّابّ والأنعام، يساقون حيث يسوقهم راعيهم[1].

---

(1) انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية على المعطلة والجهمية، 2/53-58 .

(1) انظر: وصف الله لهم في سورة البقرة، الآيتان: 166-167، وسورة الأحزاب، الآيات:

* **القسم الثالث:** الذين قبلوا ما جاء به الرسول ﷺ، وآمنوا به ظاهراً، وجحدوه وكفروا به باطناً، وهم المنافقون، وهم أيضاً نوعان:

النوع الأول: من أبصر ثم عمي، وعلم ثم جهل، وأقرّ ثم أنكر، وآمن ثم كفر، فهؤلاء رؤوس أهل النفاق، وسادتهم، وأئمتهم، ومثلهم مثل من استوقد ناراً، ثم حصل بعدها على الظلمة.

النوع الثاني: ضعفاء البصائر الذين أعشى بصائرهم ضوء البرق فكاد أن يخطفها، لضعفها وقوته، وأصمّ آذانهم صوت الرعد، فهم يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق، فلا يقربون من سماع القرآن والإيمان؛ بل يهربون منه، ويكون حالهم حال من يسمع الرعد الشديد، فمن شدة خوفه منه يجعل أصابعه في أذنيه.

* **القسم الرابع:** يكتمون إيمانهم في أقوامهم، ولا يتمكنون من إظهاره، ومن هؤلاء مؤمن آل فرعون، الذي يكتم إيمانه، ومن هؤلاء النجاشي الذي صلّى عليه رسول الله ﷺ؛ فإنه كان ملك نصارى الحبشة، وكان في الباطن مؤمناً، وغير هؤلاء كثير[1].

14 - وقال ﷻ: **﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾**[2]: أي الله ﷻ الذي يذكركم ويثني عليكم، وملائكته يدعون لكم، ويستغفرون لكم، وبسبب رحمته بكم وثنائه عليكم، ودعاء ملائكته لكم، يخرجكم من ظلمات الجهل والضلال، والكفر، والمعاصي والذنوب إلى نور الهدى والإيمان، واليقين، والتوفيق، والعلم والعمل[3]، قال القرطبي رحمه الله: ((ومعنى هذا التثبيت على الهداية، لأنهم كانوا في وقت الخطاب على الهداية))[4].

15 - وقال ﷻ: **﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ * وَلا الظُّلُمَاتُ وَلا النُّورُ * وَلا الظِّلُّ وَلا الْحَرُورُ * وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلا**

= 66-68، وسورة غافر، الآيتان: 47-48، وسورة ص، الآيات: 57-61 .

(1) انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، 2/72-76، بتصرف يسير.

(2) سورة الأحزاب، الآية: 43 .

(3) انظر: جامع البيان، للطبري، 2/280، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، 3/446، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص614 .

(4) الجامع لأحكام القرآن، 14/193 .

الأَمْوَاتُ إِنَّ اللهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴾[1].

هذه أمثال ضربها الله ﷻ للمؤمن والإيمان، والكافر والكفر، كما أن هذه الأشياء المذكورات المتباينة المختلفة لا تتساوى، فكذلك فلتعلموا أن عدم تساوي المتضادات المعنوية أولى وأولى، فلا يستوي الكافر والمؤمن، والجاهل والعالم، والضال والمهتدي، ولا أصحاب النار وأصحاب الجنة، ولا أموات القلوب وأحياؤها؛ فإن بين هذه الأشياء من التفاوت ما لا يعلمه إلا الله تعالى، فإذا علمت المراتب، وميزت الأشياء، وبان الذي ينبغي أن يُتنافس في تحصيله من ضدّه، فليختر الحازم لنفسه ما هو أولى وأحق بالإيثار[2].

وقد جاء هذا التفسير عن السلف الصالح، فقد ذكر الإمام ابن جرير رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في تفسير قوله تعالى: **﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ﴾**، قال: ((هو مثل ضربه الله لأهل الطاعة وأهل المعصية، يقول: وما يستوي الأعمى، والظلمات، والحرور، ولا الأموات، فهو مثل أهل المعصية، ولا يستوي البصير، والنور، ولا الظل، والأحياء، فهو مثل أهل الطاعة))[3]، وقال قتادة: ((... خلقاً فُضِّل بعضه على بعض، فأما المؤمن فَعَبْدٌ حي الأثر، حي البصر، حي النية، حي العمل، وأما الكافر فعَبْدٌ ميت: ميت البصر، ميت القلب، ميت العمل))[4] فاتضح بذلك أن الأعمى عن دين الله لا يستوي هو والذي قد أبصر دينه، وعلم وعمل، قال الله ﷻ: **﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾**[5].

وقد قال الله ﷻ عن أصحاب الظلمات: **﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَإِ اللهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ**

---

(1) سورة فاطر، الآيات: 19-22 .
(2) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، 457/20، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، 327/14، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، 530/3، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص634 .
(3) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، 458/20 .
(4) المرجع السابق، 458/20 .
(5) سورة الأنعام، الآية: 122 .

مُّسْتَقِيمٍ ﴾[1]،فهم صم عن سماع الحق،بكم عن النطق به،فلا ينطقون إلا بالباطل،في الظلمات منغمسون:ظلمات الجهل،والكفر،والشرك، والظلم،والعناد،والإعراض،والمعاصي،وهذا من إضلال الله إيَّاهم؛ فإنه المنفرد بالهداية والإضلال بحسب ما اقتضاه فضله، وحكمته، وعدله[2].

16 - وقال الله ﷻ: ﴿ **أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ ﴾**[3]، يقول تعالى: أفمن فسح الله قلبه، وشرح صدره لمعرفته، والإقرار بوحدانيته، والإذعان لربوبيته، والخضوع لطاعته، فهو على نور من ربه، وعلى بصيرة مما هو عليه، ويقين بتنوير الحق في قلبه، فهو لذلك الأمر متَّبع، وعما نهاه الله عنه منتهٍ، وقد انشرح صدره للإسلام، فاتَّسع لتلقي أحكام الله والعمل بها، منشرحاً قرير العين، كمن أقسى الله قلبه فأخلاه من ذكره، وضيَّقه عن استماع الحق، واتِّباع الهدى، والعمل بالصواب، فهو لا يلين لكتاب الله، ولا يتذكر آياته، ولا يطمئن بذكره؛ بل هو معرض عن ربه ملتفت إلى غيره،فهذا لـه الويل الشديد،والشر الكبير[4]، قال الله ﷻ: ﴿**فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾**[5].

17 - وقال الله ﷻ: ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ**

---

(1) سورة الأنعام، الآية: 39 .
(2) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، 350/11، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص218 .
(3) سورة الزمر، الآية: 22 .
(4) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، 277/21، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، 236/15، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، 51/4، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص668 .
(5) سورة الأنعام، الآية: 125 .

﴾[1].

كما كان الله ﷻ يوحي إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، كذلك أوحى إلى محمد ﷺ هذا القرآن العظيم، وسمّاه روحاً؛ لأن الروح يُحْيِى به الجسد، والقرآن تَحْيا به القلوب والأرواح، وتحيا به مصالح الدنيا والدين؛ لِمَا فيه من الخير الكثير والعلم الغزير، وما كان محمد ﷺ قبل نزول القرآن يدري ما شرائع الإيمان ومعالمه على التفصيل الذي شرع لـه في القرآن، ولكن جعل الله القرآن نوراً يرشد به، ويهدي من يشاء من عباده، فيستضيئون بهذا القرآن في ظلمات الكفر، والشبهات، والضلال، والبدع، والشرك، والشهوات، والأهواء المردية، ويعرفون به الحقائق، ويهتدون به إلى الصراط المستقيم[2]، كقوله ﷻ: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾**[3].

فهذا القرآن يعظ عن الأعمال الموجبة لسخط الله المقتضية لعقابه، ويحذر عنها ببيان آثارها ومفاسدها، وهو شفاء لِمَا في الصدور من أمراض الشهوات الصادرة عن [عدم][4] الانقياد للشرع، وأمراض الشبهات القادحة في العلم اليقيني؛ فإن ما فيه من المواعظ والترغيب والترهيب، والوعد والوعيد مما يوجب للعبد الرغبة في الخير، والرهبة عن الشر[5]، وكقوله تعالى: **﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَارًا﴾**[6]، فالقرآن مشتمل على الشفاء والرحمة للمؤمنين به، المصدقين بآياته، العاملين بها، وأما الظالمون بعدم التصديق به، أو عدم العمل به، فلا تزيدهم آياته إلا خساراً؛ لأن الحجة تقوم عليهم به، فالشفاء الذي تضمنه القرآن عام لشفاء القلوب من الشُّبَه،

---

(1) سورة الشورى، الآيتان: 52-53 .

(2) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، 21/599-561، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، 16/53-59، وتفسير البغوي، 4/132، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، 4/124، واجتماع الجيوش الإسلامية، لابن القيم، 2/87-88، والضوء المنير على التفسير، من كتب ابن القيم، جمع: علي الصالحي، 5/323 .

(3) سورة يونس، الآية: 57 .

(4) زيادة يقتضيها السياق، أو الصادرة عن الانقياد للشرع.

(5) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص323 .

(6) سورة الإسراء، الآية: 82 .

والجهالات، والآراء الفاسدة، والانحراف السيئ، والقصود الرديئة؛ لأنه مشتمل على العلم اليقين الذي تزول به كل شبهة وجهالة، والوعظ والتذكير الذي يزول به كل شهوة تخالف أمر الله، ولشفاء الأبدان من آلامها وأسقامها، فمتى عمل به العبد فاز بالرحمة والسعادة الأبدية، والثواب العاجل والآجل[1]، كقوله ﷻ: ﴿**قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ**﴾[2]، فهو يهديهم لطريق الرشد، والصراط المستقيم، ويعلمهم من العلوم النافعة ما به تحصل الهداية التامة، وهو شفاء لهم من الأسقام القلبية؛ لأنه يزجر عن مساوئ الأخلاق، ويحث على التوبة النصوح، التي تغسل الذنوب، وتشفي القلوب، أما الذين لا يؤمنون بالقرآن ففي آذانهم صمم عن استماعه وإعراض عنه، وهو عليهم عمى، فلا يبصرون به رشداً، ولا يهتدون به، ولا يزيدهم إلا ضلالاً؛لأنهم إذا ردّوا الحق ازدادوا عمىً إلى عماهم،وغيّاً إلى غيهم، وينادون إلى الإيمان ويدعون إليه فلا يستجيبون،بمنزلة الذي يُنادى وهو في مكان بعيد لا يسمع داعياً، ولا يجيب منادياً،والمقصود أن الذين لا يؤمنون بالقرآن لا ينتفعون بهداه، ولا يبصرون بنوره، ولا يستفيدون منه خيراً،لأنهم سدوا على أنفسهم أبواب الهدى،بإعراضهم وكفرهم[3].

وفي قوله ﷻ في أول الآية: ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا**﴾ مال الإمام ابن جرير رحمه الله إلى أن الروح هنا هو القرآن الكريم، وجزم به الحافظ ابن كثير رحمه الله، والسعدي رحمه الله، وقيل: إن الروح هنا: النبوة، وقيل: الرحمة، وقيل: الوحي[4].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله في تفسير هذه الآية: ((أي جعلنا ذلك الروح نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا، فَسمَّى وحيه روحاً، لِمَا يحصل به من حياة القلوب والأرواح، التي هي الحياة الحقيقية، ومن عدمها فهو ميت لا حي، والحياة الأبدية السرمدية في دار النعيم هي ثمرة حياة القلب بهذا الروح الذي أوحى إلى رسوله ﷺ

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص416 .
(2) سورة فصلت، الآية: 44 .
(3) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص697 .
(4) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 559/21، وتفسير البغوي، 132/4، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، 53/16، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، 124/4 .

فمن لم يحيَ به في الدنيا فهو ممن لـه جهنم، لا يموت فيها ولا يحيا، وأعظم حياة في الدور الثلاث: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار الجزاء أعظمهم نصيباً من هذه الحياة بهذه الروح، وسمّاه نوراً لِمَا يحصل به من استنارة القلوب، وإضاءتها، وكمال الروح بهاتين الصفتين: بالحياة، والنور، ولا سبيل إليهما إلا على أيدي الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، والاهتداء بما بعثوا به، وتلقي العلم النافع والعمل الصالح من مشكاتهم، وإلا فالروح ميتة مظلمة، فإن كان العبد مشاراً إليه: بالزهد، والفقه، والفضيلة؛ فإن الحياة والاستنارة بالروح الذي أوحاه الله تعالى إلى رسوله ﷺ، وجعله نوراً يهدي به من يشاء من عباده وراء ذلك كله، فليس العلم كثرة النقل، والبحث، والكلام، ولكن نور يميز به صحيح الأقوال من سقيمها، وحقها من باطلها، وما هو من مشكاة النبوة مما هو من آراء الرجال))[1].

وقد أمر الله ﷻ بالإيمان بهذا النور العظيم فقال: ﴿**فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾[2].

ولا شك أن ما في الكتاب الكريم من الأحكام، والشرائع، والأخبار أنوار يهتدى بها في ظلمات الجهل؛ ولهذا سماه الله نوراً[3].

وقد كتب الله الفوز والفلاح لمن آمن بالنبي ﷺ ونصره، واتَّبع النور الذي أُنزل معه، فقال ﷻ: ﴿**فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[4]، ومع هذا البيان الواضح، والنور الساطع فقد كذَّب المشركون واليهود النبيَّ ﷺ، فعزَّاه الله مُسلّياً لـه[5] فقال: ﴿**فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآؤُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ**﴾[1]، وقال

---

(1) اجتماع الجيوش الإسلامية، 88/2 .
(2) سورة التغابن، الآية: 8 .
(3) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، 419/23، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، 132/18، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص803 .
(4) سورة الأعراف، الآية: 157 .
(5) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، 450/7، 459/17، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، 304/4، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، 434/1، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص126 .
(1) سورة آل عمران، الآية: 184 .

ﷻ: **﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾**[1].

وقد ذم الله ﷻ من يجادل بالباطل بغير علم صحيح، ولا هدى، ولا كتاب منير يوضح الحق ويبينه، فلا عقل مرشد، ولا متبوع مهتدٍ، ولا حجة عقلية ولا نقلية، قال الله ﷻ: **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾**[2].

18 - وقال الله ﷻ: **﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾**[3]، الله ﷻ الذي ينزل على عبده محمد ﷺ آياتٍ واضحات، وحججاً دامغاتٍ، ودلائل باهراتٍ، وبراهين قاطعاتٍ، وأعظمها القرآن الكريم؛ ليخرج الناس بإرسال الرسول ﷺ وما أنزله عليه من الكتاب والحكمة: من ظلمات الضلالة، والشرك والكفر، والجهل، والآراء المتضادة، إلى نور الإيمان والتوحيد، والعلم والهدى، وهذا من رحمته بعباده وإحسانه إليهم، فله الشكر والحمد والثناء الحسن، لا إله غيره ولا رب سواه[4]، وهذا كقوله ﷻ: **﴿فَاتَّقُوا اللهَ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَّسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾**[5].

19 - وقال ﷻ: **﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ*يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ**

---

(1) سورة فاطر، الآية: 25 .

(2) سورة الحج، الآية: 8، وسورة لقمان، الآية: 2، وانظر: تفسير السعدي، ص483، 598 .

(3) سورة الحديد، الآية: 9 .

(4) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، 173/23، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، 230/17، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، 307/4، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص778 .

(5) سورة الطلاق، الآيتان: 10-11 .

أَمْرُ اللهِ وَغَرَّكُم بِاللهِ الْغَرُورُ*فَالْيَوْمَ لا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾[1].

وفي قوله سبحانه: ﴿**يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم** ﴾ جاء عن الضحاك أن معنى ذلك: يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى هداهم بين أيديهم، وبأيمانهم كتبهم[2].

وقيل: ﴿**وَبِأَيْمَانِهِم** ﴾ الباء بمعنى في: أي في أيمانهم، أو بمعنى عن: أي عن أيمانهم[3].

وقال أكثر المفسرين يعطي الله المؤمنين نوراً يوم القيامة على قدر أعمالهم، يمشون به على الصراط، ويُعطى المنافقون أيضاً نوراً خديعة لهم، كما قال ﷻ: ﴿**يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ** ﴾[4].

وقيل: إنما يعطون النور؛ لأن جميعهم أهل دعوة دون الكافر، ثم يسلب المنافق نوره؛ لنفاقه، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما.

وقيل: بل يستضيء المنافقون بنور المؤمنين، ولا يُعطون النور، فبينما هم يمشون إذ بعث الله فيهم ريحاً وظلمة، فأطفأ بذلك نور المنافقين، فيخشى المؤمنون أن يُسْلَبوا نورهم كما سُلبه المنافقون، فيسألون الله ﷻ أن يتمَّ لهم نورهم، قال سبحانه عن ذلك: ﴿**يَوْمَ لا يُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾[5]، فإذا بقي المنافقون في الظلمة لا يبصرون مواضع أقدامهم قالوا للمؤمنين: ﴿**انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا** ﴾[6].

---

(1) سورة الحديد، الآيات: 12-15 .
(2) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 179/23، واختاره ابن جرير في هذا الموضع.
(3) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، 235/17 .
(4) سورة النساء، الآية: 142 .
(5) سورة التحريم، الآية: 8 .
(6) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، 178/23-187، و493-496، وتفسير البغوي، 295/4، و367، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، 233/17-239، و191/18، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، 308/4-310، و392، واجتماع الجيوش الإسلامية، لابن القيم، 86/3، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص779-809 .

وقد جاء في هذا النور أحاديث وآثار كثيرة، منها ما يأتي:

الحديث الأول: حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه سئل عن الورود، وفيه رؤية الله تعالى: ((فيتجلى لهم يضحك، قال: فينطلِقُ بهم ويتبعونه، ويُعطى كل إنسانٍ منهم - منافق أو مؤمن - نوراً، ثم يتبعونه، وعلى جسر جهنم كلاليب وحسك تأخذ من شاء الله، ثم يُطفأ نور المنافقين، ثم ينجو المؤمنون، فتنجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر، سبعون ألفاً لا يحاسبون، ثم الذين يلونهم كأضواء نجم في السماء...))(1).

الحديث الثاني: حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿**يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ**﴾، قال:((يُؤتَوْن نورهم على قدر أعمالهم:فمنهم من يُؤتى نوره كالجبل،ومنهم من يُؤتى نوره كالنخلة،ومنهم من يُؤتى نوره كالرجل القائم،وأدناهم نوراً من نوره على إبهامه يطفأُ مرة ويَقِدُ مرة))(2).

الحديث الثالث:حديث بريدة أن النبي ﷺ بيَّن أن إكثار المشي في الظلم إلى المساجد يُثمر إعطاء النور التام يوم القيامة،فعن بريدة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال:((**بشّر المشّائين في الظّلم إلى المساجد بالنُّور التَّامّ يوم القيامة**))(3).

الحديث الرابع:حديث أبي هريرة رضي الله عنه ،أن رسول الله ﷺ قال: ((**إن الله ليضيء للذين يتخلّلون إلى المساجد في الظلم بنور ساطع يوم القيامة**))(1)، وذكر الطيبي، والمناوي، ثم المباركفوري: أن هذا

(1) مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة، 178/1، برقم 191 .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 179/23، والحاكم، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي على شرط البخاري، 478/2 .

(3) أخرجه أبو داود، في كتاب الصلاة، باب ما جاء في المشي إلى الصلاة، 154/1، برقم 561، والترمذي،كتاب الصلاة، باب ما جاء في فضل العشاء والفجر في الجماعة، 435/1، برقم 223، وقال: ((هو صحيح مسند موقوف إلى أصحاب النبي ﷺ)). وأخرجه ابن ماجه من حديث سهل بن سعد، وأنس رضي الله عنهما، في كتاب المساجد والجماعات، باب المشي إلى الصلاة 256/1، برقم 780، ورقم 781، والحاكم في المستدرك، 53/1، وقال الإمام المنذري عن رواية أبي داود والترمذي: ((ورجال إسناده ثقات)) الترغيب والترهيب، 289/1، وقال العلامة الألباني في تحقيقه لمشكاة المصابيح للتبريزي، 224/1: ((الحديث صحيح لشواهده الكثيرة، عن جماعة من الصحابة جاوزوا العشرة، وقد خرجتها في صحيح أبي داود، برقم 570)).

(1) الطبراني في المعجم الأوسط، 43/2، برقم 680، [مجمع البحرين في زوائد المعجمين]، وقال الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب، 290/1: ((رواه الطبراني

النور يحيط بالمشَّائين إلى المساجد في الظُّلَم من جميع جوانبهم على الصراط، لـمَّا قاسوا مشقة المشي في ظلمة الليل جوزوا بنور يضيء لهم ويحيط بهم على الصراط ووصف النور بالتامّ، وتقييده بيوم القيامة تلميح إلى وجه المؤمنين يوم القيامة، وقولهم فيه: ﴿**رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا** ﴾، وإلى قصة المنافقين وقولهم للمؤمنين: ﴿**انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ** ﴾، وفيه أن من انتهز هذه الفرص، وهي المشي إلى المساجد في الظلم في الدنيا كان مع النبيين، والذين آمنوا: من الصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً[1].

ولا شك أن سرعة المرور على الصراط بحسب النور، فمن كان نوره أعظم كان مروره على الجسر أسرع، وهو أحدُّ من السيف، وأدقُّ من الشعر، فمن الناس من يمرّ عليه ويتجاوزه كلمح البصر، ومنهم من يمرّ كالبرق، ومنهم من يمرّ كالريح، ومنهم من يتجاوزه كالطير، ومنهم من يمرّ كالفرس الجواد، ومنهم من يمرّ كركاب الإبل[2]، ومنهم من يزحف زحفاً[3] حتى يجيء آخرهم يسحب سحباً[4].

وقد ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله أن الأنوار تقسم دون الجسر على حسب الأعمال، فيُعطى العبد من النور هناك بحسب قوة نوره، وإيمانه، ويقينه، وإخلاصه، ومتابعته للرسول ﷺ في دار الدنيا، فقال رحمه الله: ((**فمنهم من يكون نوره كالشمس**[5]**، ودون ذلك كالقمر، ودونه كأشدِّ كوكبٍ في السماء إضاءة، ومنهم من يكون نوره كالسراج في قوّته وضعفه، وما بين ذلك، ومنهم من**

في الأوسط بإسناد حسن))، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ((وإسناده حسن)) 30/2 .

(1) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، 941/3-942، وفيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي، 201/3، وتحفة الأحوذي، للمباركفوري، 14/2 .

(2) هذه الدرجات الست في صحيح مسلم، كتاب الإيمان، معرفة طريقة الرؤية، 169/1، برقم 183، قال أبو سعيد الخدري: ((بلغني أن الجسر أدق من الشعر، وأحد من السيف))، مسلم، 171/1، رواية الحديث رقم 183، والبخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ* إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾، 228/8، برقم 7439 .

(3) من رواية لمسلم، 187/1، برقم 195 .

(4) من رواية للبخاري، برقم 7439، وانظر: معارج القبول، للشيخ حافظ الحكمي، 850/2-857 .

(5) انظر: مسند الإمام أحمد، 77/2، 222/2، وشرح أحمد شاكر للمسند، برقم 6650، 7072 .

يُعطى نوراً على إبهام قدمه يضيء مرة ويطفأ أخرى، بحسب ما كان معه من نور الإيمان في دار الدنيا، فهو هذا النور الذي بعينه أبرزه الله لعبده في الآخرة ظاهراً يُرى عِياناً بالأبصار، ولا يستضيء به غيره، ولا يمشي أحدٌ إلا في نور نفسه، إن كان لـه نور مشى في نوره، وإن لم يكن لـه نورٌ أصلاً لم ينفعه نور غيره، ولما كان المنافق في الدنيا قد حصل لـه نور ظاهر غير مستمر ولا متصل بباطنه، ولا لـه مادة من الإيمان أُعطي في الآخرة نوراً ظاهراً لا مادة لـه، ثم يُطفأ عنه أحوج ما كان إليه))[1].

وبيّن رحمه الله أن مشي الناس على الصراط بحسب سرعتهم في الخير في الدنيا، فقال: ((مشيهم على الصراط في السرعة والبطء بحسب سرعة سيرهم وبطئه على صراط الله المستقيم في الدنيا، فأسرعهم سيراً هنا أسرعهم هناك، وأبطأهم هنا أبطأهم هناك، وأشدهم ثباتاً على الصراط المستقيم هنا أثبتهم هناك، ومن خطفته كلاليب الشهوات، والشبهات، والبدع المضلّة هنا خطفته الكلاليب التي كأنها شوك السعدان هناك، ويكون تأثير الكلاليب فيه هناك على حسب تأثير كلاليب الشهوات والشبهات والبدع فيه هاهنا، فناج مُسَلّم، ومخدوش مُسَلّم، ومخزول - أي مقطع بالكلاليب - مُكردس في النار كما أثّرت فيه تلك الكلاليب في الدنيا **﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴾**، **﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾**[2].

20 - وقال الله ﷻ: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾**[3].

ضَمِن الله ﷻ للمؤمنين بالتقوى ثلاثة أمور:

الأمر الأول: أعطاهم نصيبين من رحمته: نصيباً في الدنيا ونصيباً في الآخرة، وقد يضاعف لهم نصيب الآخرة فيصير نصيبين.

الأمر الثاني: أعطاهم نوراً يمشون به في الظلمات.

الأمر الثالث: مغفرة ذنوبهم، وهذا غاية التيسير، فقد جعل

---

(1) اجتماع الجيوش الإسلامية، لابن القيم، 86/2 .

(2) المرجع السابق، 86/2-87 .

(3) سورة الحديد، الآية: 28 .

سبحانه التقوى سبباً لكل يسر، وتَرْكَ التقوى سبباً لكل عسر[1].

وهذا الخطاب في هذه الآية فيه قولان لأهل التفسير:

1 - قيل تُحمل على مؤمني أهل الكتاب، وأنهم يُؤتَوْن أجرهم مرتين؛ لإيمانهم بأنبيائهم، ثم إيمانهم بمحمد ﷺ، فيُعطون بذلك: نصيبين من الأجر، كما قال ﷻ: **﴿أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾**[2].

فلا شك أن من آمن من أهل الكتاب بنبيه،ثم آمن بمحمد ﷺ فإنه يُعطى أجرين،قال النبي ﷺ: ((**ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين:رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي ﷺ فآمن به، واتّبعه، وصدّقه، فله أجران، وعبد مملوك أدّى حقّ الله تعالى،وحقَّ سيّده فله أجران،ورجل كانت لـه أمةٌ فغذّاها فأحسن غذاءها،ثم أدبها فأحسن أدبها،ثم أعتقها وتزوّجها،فله أجران**))[3].

2 - وقيل: هي في حق هذه الأُمَّة؛ لِمَا ذكره سعيد بن جبير أن أهل الكتاب افتخروا بأنهم يؤتون أجرهم مرتين، فأنزل الله ﷻ هذه الآية في حق هذه الأمة[4].

ومما يؤيّد هذا القول ما رواه أبو موسى عن النبي ﷺ أنه قال: ((**مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجُلٍ استأجر قوماً يعملون لـه يوماً إلى الليل على أجر معلوم، فعملوا لـه نصف النهار، فقالوا: لا حاجة لنا إلى أجرك الذي شرطت لنا، وما عملنا باطل، فقال لهم: لا تفعلوا، أكملوا بقية عملكم، وخذوا أجركم كاملاً، فأبوا وتركوا، واستأجر آخرين بعدهم فقال: أكملوا بقية يومكم هذا، ولكم الذي شرطتُ لهم من الأجر، فعملوا، حتى إذا كان حين صلاة العصر قالوا: لك ما عملنا باطل، ولك الأجر الذي جعلت لنا فيه، فقال لهم: أكملوا بقية عملكم فانما بقي من النهار شيء يسير، فأبوا، فاستأجر قوماً أن يعملوا لـه بقية يومهم، فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس، واستكملوا أجر الفريقين**

(1) الضوء المنير على التفسير، من كتب ابن القيم، للصالحي، 624/5 .
(2) سورة القصص، الآية: 54 .
(3) متفق عليه من حديث أبي موسى ﷺ: البخاري، كتاب الجهاد، باب فضل من أسلم من أهل الكتابين، 25/4، برقم 3011، ومسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ، 134/1، برقم 154، واللفظ لـه.
(4) أخرجه ابن جرير بسنده، في جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 209/23 .

كليهما، فذلك مثلهم ومَثَل ما قبلوا من هذا النور))[1].

قال العلامة السعدي رحمه الله: ((ويُحتمل أن يكون الأمر عاماً يدخل فيه أهل الكتاب وغيرهم، وهذا هو الظاهر، وأن الله أمرهم بالإيمان والتقوى الذي يدخل فيه جميع الدين: ظاهره وباطنه، أصوله وفروعه، وأنهم إن امتثلوا هذا الأمر العظيم أعطاهم **﴿كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ ﴾**: لا يعلم قدرهما ولا وصفهما إلا الله تعالى: أجر على الإيمان، وأجر على التقوى، وأجر على امتثال الأوامر، وأجر على اجتناب النواهي، أو أن التثنية المراد بها تكرار الإيتاء مرة بعد أخرى))[2].

وقوله تعالى: **﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ﴾**: وفي هذا أقوال:

1 - قيل: النور هنا: القرآن الكريم.

2 - وقيل: الهدى.

قال الإمام الطبري رحمه الله: ((وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذِكْرُهُ: وعد هؤلاء القوم أن يجعل لهم نوراً يمشون به، والقرآن مع اتّباع النبي ﷺ نور لمن آمن بهما، وصدّقهما، وهدىً؛ لأن من آمن بذلك فقد اهتدى))[3].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: ((يعني هدى يتبصّرون به من العمى والجهالة، ويغفر لكم، ففضلهم بالنور والمغفرة... وهذه الآية[4] كقوله تعالى: **﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾**[5].

وقال العلامة السعدي رحمه الله: **﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ﴾**: أي يُعطيكم علماً، وهدىً، ونوراً تمشون به في ظلمات الجهل، ويغفر لكم السيئات **﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾**، فلا يستغرب كثرة هذا الثواب على فضل ذي الفضل العظيم، الذي عمّ فضله أهل السموات والأرض، فلا يخلو مخلوق من فضله طرفة عين، ولا

(1) البخاري، كتاب الإجارة، باب الإجارة من العصر إلى الليل، 69/3، برقم 2271 .
(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص782 .
(3) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 213/23 .
(4) تفسير القرآن العظيم، 318/4 .
(5) سورة الأنفال، الآية: 29 .

أقلّ من ذلك))[1].

وقوله تعالى: ﴿**تَمْشُونَ بِهِ** ﴾، قيل: تمشون به في الناس تدعونهم إلى الإسلام[2].

وقيل: تمشون به على الصراط[3].

وقد جمع بين هذين القولين الإمام ابن القيم رحمه الله، فقال: ((وفي قوله: ﴿**تَمْشُونَ بِهِ** ﴾ إعلام بأن تصرفهم وتقلّبهم الذي ينفعهم إنما هو بالنور، وأنّ مشيهم بغير نور غير مجدٍ عليهم، ولا نافع لهم، بل ضرره أكثر من نفعه، وفيه أن أهل النور هم أهل المشي، ومن سواهم أهل الزمانة والانقطاع، فلا مشي لقلوبهم، ولا لأحوالهم، ولا لأقوالهم، ولا لأقدامهم إلى الطاعات، وكذلك لا تمشي على الصراط، إذا مشت بأهل الأنوار أقدامهم، وفي قوله تعالى: ﴿**تَمْشُونَ بِهِ** ﴾ نكتة بديعة، وهي أنهم يمشون على الصراط بأنوارهم، كما يمشون بها بين الناس في الدنيا، ومن لا نور لـه فإنه لا يستطيع أن ينقل قدماً عن قدم على الصراط، فلا يستطيع المشي أحوج ما يكون إليه))[4].

المبحث الثاني: النور والظلمات في السنة النبوية

جاء في أحاديث النبي ﷺ ذكر النور والحث على اكتسابه والترغيب فيه، وسؤال الله ﷻ ذلك، وجاء ذكر الظلمات والتحذير من أسباب ذلك، ومن الأحاديث والآثار في ذلك ما يأتي:

1 - كان النبي ﷺ يقول في دعائه في آخر الليل إذا ذهب إلى الصلاة في المسجد: ((**اللهم اجعل في قلبي نوراً، وفي لساني نوراً،وفي سمعي نوراً،وفي بصري نوراً،ومن فوقي نوراً،ومن تحتي نوراً، وعن يميني نوراً، وعن شمالي نوراً، ومن أمامي نوراً، ومن خلفي نوراً، واجعل في نفسي نوراً، وأعظم لي نوراً، وعظّم لي نوراً، واجعل لي نوراً، واجعلني نوراً، اللهم أعطني نوراً، واجعل في عصبي نوراً، وفي لحمي نوراً، وفي دمي نوراً،**

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص783 .
(2) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، 256/17 .
(3) تفسير البغوي، 302/4 .
(4) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، 43/2 .

وفي شعري نوراً، وفي بشري نوراً))[1].

قال ابن الأثير رحمه الله: ((أراد ضياء الحق، وبيانه، كأنه قال: اللهم استعمل هذه الأعضاء منّي في الحق، واجعل تصرفي وتقلّبي فيها على سبيل الصواب والخير))[2].

وقال الإمام النووي رحمه الله: ((قال العلماء سأل النور في أعضائه، وجسمه، وتصرفاته، وتقلباته، وحالاته، وجملته في جهاته الست، حتى لا يزيغ شيء منها عنه))[3].

ويزيد لك وضوحاً ما بيّنه الإمام القرطبي رحمه الله حيث قال: ((يمكن أن تحمل على ظاهرها، فيكون معنى سؤاله: أن يجعل الله لـه في كل عضو من أعضائه نوراً يوم القيامة يستضيء به في تلك الظلم، هو ومن تبعه، أو من شاء الله ممن تبعه، والأولى أن يقال: هذه الأنوار هي مستعارة للعلم والهداية، كما قال تعالى: ﴿**أَفَمَن شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ**﴾[4]، وكما قال تعالى: ﴿**أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ**﴾[5] أي علماً وهداية))، ثم قال: ((والتحقيق في معنى النور مظهرٌ ما ينسب إليه، وهو يختلف بحسبه، فنور الشمس: مظهرٌ للمبصرات، ونور القلب: كاشفٌ عن المعلومات، ونور الجوارح: ما يبدو عليها من أعمال الطاعات، فكأنه دعا بإظهار الطاعات عليها دائماً، والله أعلم))[6].

وذكر الطيبي رحمه الله: أن معنى طلب النور للأعضاء: عضواً عضواً، أن يتحلّى بأنوار المعرفة والطاعة، ويتعرّى عن ظلمة الجهالة والمعاصي؛ فإن الشياطين تحيط بالجهات الست بالوسواس، فكان التخلص منها بالأنوار السادَّة لتلك الجهات، وكل

(1) متفق عليه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء إذا انتبه من الليل، 191/7، برقم 6316، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، 525/1، برقم 763 .

(2) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، باب النون مع الواو، مادة ((نور)) 125/5 .

(3) شرح النووي على صحيح مسلم، 291/6، وانظر: فتح الباري، لابن حجر، 118/11 .

(4) سورة الزمر، الآية: 22 .

(5) سورة الأنعام، الآية: 122 .

(6) المفهم لِمَا أشكل من تلخيص كتاب مسلم، 395/2 .

هذه الأنوار راجعة إلى الهداية، والبيان، وضياء الحق، وإلى مطالع هذه الأنوار يرشد قوله تعالى[1]: ﴿**اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾ إلى قوله: ﴿**نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ** ﴾[2].

2 - عن أبي مالك الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((**الطّهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السموات والأرض، والصلاة نور...**)) الحديث[3].

قوله ﷺ: ((**والصلاة نور**))، قال الإمام القرطبي رحمه الله في شرح ذلك: ((معناه: أن الصلاة إذا فُعِلَت بشروطها: المصححة، والمكملة نوَّرت القلب؛بحيث تُشرق فيه أنوار المكاشفات والمعارف،حتى ينتهي أمر من يراعيها حق رعايتها أن يقول ((**وجعلت قُرّة عيني في الصلاة**))[4]، أيضاً:فإنها تنوِّر بين يدي مراعيها يوم القيامة في تلك الظلم، وأيضاً: تنوِّر وجه المصلي يوم القيامة، فيكون ذا غُرّةٍ وتحجيل))[5] .

وقال الإمام النووي: ((وأما قوله ﷺ: ((**والصلاة نور**)) فمعناه: أنها تمنع صاحبها من المعاصي، وتنهى عن الفحشاء والمنكر، وتهدي إلى الصواب، كما أن النور يُستضاء به،وقيل:معناه: أن يكون أجرها نوراً لصاحبها يوم القيامة،وقيل:لإشراق أنوار المعارف، وانشراح القلب، ومكاشفات الحقائق لفراغ القلب فيها، وإقباله إلى الله تعالى، بظاهره وباطنه، وقد قال الله تعالى: ﴿**وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ** ﴾[6].

وقيل: معناه: أنها تكون نوراً ظاهراً على وجهه يوم القيامة، ويكون في الدنيا أيضاً على وجهه البهاء، بخلاف من لم يصلِّ،

---

(1) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، 1183/4، وفتح الباري، لابن حجر، 118/11 .
(2) سورة النور، الآية: 35 .
(3) أخرجه مسلم، في كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، 203/1، برقم 223 .
(4) أخرجه الإمام أحمد في المسند، 128/3، 199، 285، والنسائي في كتاب عشرة النساء، باب: حب النساء، 62/7 .
(5) المفهم لِمَا أشكل من تلخيص كتاب مسلم، 476/1 .
(6) سورة البقرة، الآية: 45 .

والله أعلم))[1]، قلت: النور يشمل ذلك كله في كل ما ذُكِرَ والله أعلم.

3 - وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضاً[2] من فوقه، فرفع رأسه فقال: **((هذا باب من السماء فُتح اليوم لم يُفتَح قطّ إلاّ اليوم، فنزل منه ملك فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قطّ إلا اليوم، فسلم وقال: أبشر بنورين أو تيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلاّ أُعطيته))**[3].

وقد بيّن الإمام القرطبي رحمه الله معنى ذلك: وأن قول الملك: ((أبشر بنورين)) أي أبشر بأمرين عظيمين، نيِّرين، تنير لقارئهما، وتنوِّره، وخُصّت الفاتحة بهذا؛ لأنها تضمّنت جملة معانٍ: الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلى الجملة فهي آخذة بأصول القواعد الدينية، والمعاقد المعارفية، وخُصّت خواتيم سورة البقرة بذلك، لِمَا تضمّنته من الثناء على النبي ﷺ، وعلى أصحابه رضي الله عنهم، بجميل انقيادهم لمقتضاها، وتسليمهم لمعناها، وابتهالهم إلى الله، ورجوعهم إليه في جميع أمورهم، ولِمَا حصل فيها من إجابة دعواتهم، بعد أن علموها، فخفّف عنهم، وغفر لهم، ونُصِروا، وفيها غير ذلك مما يطول تتبُّعه))[4].

4 - وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **((إن هذه القبور مملوءةٌ ظلمةً على أهلها، وإن الله عز وجل ينورها لهم بصلاتي عليهم))**[5].

قال الطيبي رحمه الله: ((أما قوله ﷺ: **((إن هذه القبور مملوءةٌ ظلمةً))** إلى آخره، فكالأسلوب الحكيم، يعني ليس النظر في الصلاة على الميت إلى حقارته ورفعة شأنه، بل هي بمنزلة الشفاعة لـه، لينوِّر قبره...))[6].

---

(1) شرح النووي على صحيح مسلم، 103/3 .
(2) نقيضاً: أي صوتاً كصوت الباب إذا فتح. شرح النووي على صحيح مسلم، 339/6 .
(3) مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة، 554/1، برقم 806 .
(4) انظر: المفهم لِمَا أشكل من تلخيص كتاب مسلم، 434/2 .
(5) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب الصلاة على القبر، 659/2، برقم 956 .
(6) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، 1395/4، وانظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للملا علي القاري، 17/4 .

5 - وعن أمِّ سلمة رضي الله عنها في دعاء النبي ﷺ لأبي سلمة عند إغماضه: ((**اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديّين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا ربّ العالمين، وافسح لـه في قبره، ونوّر لـه فيه**))(1)، وهذا دعاء عظيم لأبي سلمة، فإن النبي ﷺ دعا لـه برفع الدرجة: أي: ارفع درجته واجعله في زمرة الذين هديتهم للإسلام، وكن الخليفة على من يتركه من عقبه: كأهله وأولاده، فاحفظ أمورهم ومصالحهم، ولا تكِلهم إلى غيرك؛ فإنهم عقبة: أي الذين تأخروا عنه، ويعني بالغابرين: الباقين، كما قال الله ﷻ: ﴿**فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ**﴾(2): أي من الباقين في العذاب، وغبر من الأضداد، يأتي بمعنى بقي، وبمعنى ذهب(3).

وقوله ﷺ: ((**وافسح لـه في قبره، ونوِّر لـه فيه**)) أي وسّع في قبره، وادفع عنه ظلمة القبر))(4).

6 - وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماءٍ يُدعى خُمّاً بين مكة والمدينة، فحمد الله، وأثنى عليه، ووعظ وذكّر، ثم قال: ((**أمّا بعد، ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله: فيه الهدى والنور [وهو حبل الله المتين، من اتبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على الضلالة] فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به**)) فحث على كتاب الله ورغّب فيه..)) الحديث(5).

قال الإمام النووي رحمه الله في قوله ﷺ: ((**هو حبل الله**)) قيل: ((المراد بحبل الله: عهده، وقيل: السبب الموصل إلى رضاه، ورحمته، وقيل: هو نوره الذي يهدي به))(1).

(1) مسلم، كتاب الجنائز، باب في إغماض الميت والدعاء لـه إذا حضر، 634/2، برقم 920 .

(2) سورة الأعراف، الآية: 83 .

(3) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للقرطبي، 573/2، وشرح النووي على صحيح مسلم، 478/6، وشرح الطيبي على مشكاة المصابيح، 1374/4 .

(4) انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للملا علي القاري، 87/4 .

(5) مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، 1873/4، برقم 2408 .

(1) شرح النووي على صحيح مسلم، 191/15 .

ولا شك أن العمل بكتاب الله يوصل إلى رحمته، ورضاه، وهدايته وتوفيقه، والله المستعان.

7 - وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في فتنة القبر، وإجابة المسلم على الأسئلة: ((**ثم يُفسح لـه في قبره سبعون ذراعاً في سبعين، ثم يُنوّر لـه فيه**))(1)، والمعنى أنه يُوسَّع لـه في قبره سبعون ذراعاً في الطول وسبعون ذراعاً في العرض، ثم يجعل لـه النور في هذا القبر الذي وُسِّع لـه(2).

8 - وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن نتف الشيب وقال: ((**إنه نور المسلم**))(3).

9 - وعن كعب بن مُرّة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((**مَنْ شاب شيبةً في الإسلام كانت لـه نوراً يوم القيامة**))(4).

10 - وعن عمرو بن عبسة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((**من شاب شيبة في سبيل الله كانت لـه نوراً يوم القيامة**))(5).

11 - وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**الشيب نور المؤمن، لا يشيب رجلٌ شيبةً في الإسلام إلا كانت لـه بكل شيبة حسنة، ورُفِع بها**

---

(1) الترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر 274/4، برقم 1071، وابن أبي عاصم، في كتاب السنة، 416/2، برقم 864، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، 369/2، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم 1243 .

(2) انظر: تحفة الأحوذي بشرح سنن الترمذي، 683/4 .

(3) الترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء في النهي عن نتف الشيب، 125/5، برقم 2821، وابن ماجه، كتاب الأدب، باب نتف الشيب، 1226/2، برقم 3721، وأحمد في المسند، 179/2، 207، 210، 212،وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي،369/2،وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم 1243 .

(4) الترمذي، كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل من شاب شيبة في سبيل الله، 172/4، برقم 1634، والنسائي، في كتاب الزينة، باب النهي عن نتف الشيب، 136/8، برقم 5068، وابن حبان في صحيحه، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، 251/7، برقم 2983، وأبو داود بنحوه، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، في كتاب الترجّل، بابٌ: في نتف الشيب، 85/4، برقم 4202، وأحمد في المسند، 413/4، 236، 20/6، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، 248/3، برقم 1244، وفي صحيح سنن الترمذي، 126/2 .

(5) الترمذي، كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل من شاب شيبة في سبيل الله، 172/4، برقم 1635، وقال: ((هذا حديث حسن صحيح))، وأخرجه ابن حبان من حديث أبي نجيح السلمي، 252/7، برقم 2984 .

درجة))(1).

12 - وعن أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه: ((**لا تنتفوا الشيب؛ فإنه نورٌ يوم القيامة، ومن شاب شيبة في الإسلام، كُتب لـه بها حسنة، وحُطّ عنه بها خطيئة، ورُفِع لـه بها درجة**))(2).

وقد جاءت الأحاديث الكثيرة في هذا المعنى عن أكثر من عشرة من أصحاب النبي ﷺ، وهذه الأحاديث الخمسة السابقة تبيّن فضل الشيب، وأنه لا يُنتف؛ لأنه نور المسلم، ووقاره؛ لأن الوقار يمنع الشخص عن الغرور والطرب، ويميل إلى الطاعة والتوبة، وتنكسر نفسه عن الشهوات، فيصير ذلك نوراً يسعى بين يديه في ظلمات الحشر إلى أن يدخله الجنة(3).

فالشيب يصير نفسه نوراً يهتدي به صاحبه،ويسعى بين يديه يوم القيامة،والشيب وإن لم يكن من كسب العبد،لكنه إذا كان بسبب من نحو جهاد أو خوف من الله ينزل منزلة سعيه،فيُكره نتف الشيب من نحو: لحية،وشارب،وعنفقة،وحاجب،قال النووي:لو قيل يحرم لم يبعد(4).

ومن غيّر بالسواد لا يحصل على هذا النور إلاّ أن يتوب أو يعفو الله عنه(5).

وهذا الشعر الأبيض يؤدي إلى نور الأعمال الصالحة، فيصير نوراً في قبر المسلم، ويسعى بين يديه في ظلمات حشره(6)، ويحصل هذا الفضل بشعرة واحدة بيضاء، تكون ضياء ومخلصاً عن ظلمات الموقف، وشدائده(1).

وهذا الفضل في هذه الأحاديث يرغّب المسلم في ترك نتف

---

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، 205/5، برقم 6387، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم 1243. ورواه أبو داود بنحوه، في كتاب الترجل، باب في نتف الشيب، 85/4، برقم 4202 .

(2) ابن حبان في صحيحه 253/7، برقم 2985، وحسن إسناده شعيب الأرناؤوط، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، 247/3، برقم 1243 .

(3) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، 2934/9 .

(4) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي، 156/6 .

(5) انظر: المرجع السابق، 157/6 .

(6) انظر: مرقاة المفاتيح، للملا علي القاري، 235/8 .

(1) انظر: تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي، للمباركفوري، 261/5 .

الشيب، وأعظم من النتف التغيير بالسواد، فقد نهى عنه النبي ﷺ، وحذّر منه، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: أُتي بأبي قحافة يوم فتح مكة ورأسه ولحيته كالثغامة بياضاً، فقال رسول الله ﷺ: ((**غيِّروا هذا بشيء واجتنبوا السواد**))[1]، والثغامة نبت أبيض الزهر، والثمر، شُبِّه بياض الشيب به، وقيل: شجرة تبيضّ كأنها الثلجة، أو كأنها الملح[2].

وقوله ﷺ: ((**غيّروا هذا بشيء**)) أمرٌ بتغيير الشيب، قال به جماعة من: الخلفاء، والصحابة، لكن لم يَصِر أحد إلى أنه للوجوب، وإنما هو مستحبٌّ[3].

قال الإمام القرطبي رحمه الله: ((أما قولهم: إن النبي ﷺ لم يخضب فليس بصحيح، بل قد صحّ عنه أنه خضب بالحنّاء، وبالصّفرة))[4]، ولعل القرطبي رحمه الله يشير إلى حديث أبي رمثة رضي الله عنه حيث قال: ((أتيت أنا وأبي النبيَّ ﷺ، وكان قد لطّخ لحيته بالحنّاء))[5].

وعنه رضي الله عنه قال: ((أتيت النبي ﷺ ورأيته قد لطّخ لحيته بالصّفرة))[6].

وعن زيد بن أسلم قال: ((رأيت ابن عمر يُصفّر لحيته، فقلت: يا أبا عبد الرحمن، تُصفّر لحيتك بالخلوق؛ قال: إني رأيت رسول الله ﷺ يُصفّر بها لحيته ولم يكن شيء من الصبغ أحب إليه

---

(1) صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب استحباب خضاب الشيب بصفرة أو حمرة وتحريمه بالسواد، 1663/3، برقم 4212 .

(2) المفهم لِمَا أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للقرطبي، 418/5 .

(3) المرجع السابق، 418/5، وسمعت شيخنا العلامة عبد العزيز ابن باز رحمه الله أثناء تقريره على الحديث رقم 5073، من سنن النسائي في: 1418/8/21هـ يقول: ((الخضاب سنة مؤكدة وليس واجباً)).

(4) المفهم لِمَا أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للقرطبي ، 418/5 .

(5) النسائي، في كتاب الزينة، باب الخضاب بالحناء والكتم، 140/8، برقم 5083، وأبو داود، كتاب الترجل، باب في الخضاب، 86/4، برقم 4206، وصححه الألباني في صحيح النسائي، 1044/3 .

(6) النسائي، كتاب الزينة، باب الخضاب بالحناء والكتم، 140/8، برقم 5084، وأبو داود في كتاب الترجل، باب في الخضاب، 86/4، برقم 4208، وصححه الألباني في صحيح النسائي، 1044/3، وفي مختصر الشمائل المحمدية، ص40-41، برقم 36-37 .

منها))[1]، وهذا من فعله ﷺ، أما من قوله فقد ثبت عنه أحاديث:

فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **((إن أحسن ما غيرتم به الشيب: الحناءُ والكتم))**[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مرَّ على النبي ﷺ رجل قد خضب بالحناء فقال: **((ما أحسن هذا؟))**، قال: فمر آخر قد خضب بالحناء والكتم فقال: **((هذا أحسن من هذا))**، قال: فمر آخر قد خضب بالصفرة فقال: **((هذا أحسن من هذا كله))**[3].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ((كان النبي ﷺ يلبس النعال السبتية، ويصفّر لحيته بالورس والزعفران،وكان ابن عمر يفعله))[4].

وسمعت شيخنا العلامة عبد العزيز بن عبد الله ابن باز رحمه الله يقول: ((وقد جاء التصفير عن ابن عمر في الصحيحين، ويستثنى من التزعفر: ما كان في اللحية، أو الشارب، أو الرأس))[5]، وسمعته أيضاً يقول: ((والسنة الخضاب بالحناء أو بالصفرة، أو بالحناء والكتم))[6].

قال الإمام القرطبي رحمه الله: ((وأما الصباغ بالحناء بحتاً، وبالحناء والكتم، فلا ينبغي أن يختلف فيه؛ لصحة الأحاديث بذلك، غير أنه قد قال بعض العلماء: إن الأمر في ذلك محمول على

---

(1) النسائي، كتاب الزينة، باب الخضاب بالصفرة، 140/8، برقم 1085، وصححه الألباني، في صحيح سنن النسائي، 1044/3 .

(2) النسائي، كتاب الزينة، باب الخضاب بالحناء والكتم، 139/8، برقم 5077-5080، ومن حديث عبد الله بن بريدة، برقم 5081-5082، وأخرجه أبو داود، كتاب الترجل، باب الخضاب، 85/4، برقم 4205 .

(3) أبو داود، كتاب الترجل، باب ما جاء في خضاب الصفرة، 86/4، برقم 4211، وقال العلامة الألباني في تحقيقه لمشكاة المصابيح: ((وإسناده جيد))، 1266/2 .

(4) النسائي، كتاب الزينة، باب تصفير اللحية بالورس والزعفران، 186/8، برقم 5244، وأبو داود، كتاب الترجل، باب ما جاء في خضاب الصفرة، 86/4، برقم 4210، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي، 1065/3، برقم 4839، وصحيح سنن أبي داود، 792/2 .

(5) سمعته من سماحته، يوم الأحد بعد المغرب، في جامع الأميرة سارة أثناء شرحه لحديث رقم 5244، من سنن النسائي، بتاريخ 1418/11/10هـ.

(6) سمعته من سماحته أثناء شرحه لحديث رقم 5085، من سنن النسائي في المكان السابق، بتاريخ 1418/8/24هـ.

حالين:

* أحدهما: عادة البلد، فمن كانت عادة موضعه ترك الصبغ فخروجه عن المعتاد شهرة تَقْبُح وتكره.

* وثانيهما: اختلاف حال الناس في شيبهم، فربَّ شيبة نقية هي أجمل بيضاء منها مصبوغة، وبالعكس فمن قبَّحه الخضاب اجتنبه، ومن حسنه استعمله، وللخضاب فائدتان:

إحداهما: تنظيف الشعر مما يتعلق به من الغبار والدخان.

والأخرى: مخالفة أهل الكتاب[1]؛ لقوله ﷺ: ((**إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم**))[2]، ثم قال رحمه الله: ((ولكن هذا الصباغ بغير السواد، تمسكاً بقوله ﷺ: ((**واجتنبوا السواد**))، والله أعلم[3]، وقال رحمه الله: ((وقوله ﷺ: ((**واجتنبوا السواد**)) أمر باجتناب السواد، وكرهه جماعة منهم: علي بن أبي طالب، ومالك، وهو الظاهر من هذا الحديث، وقد عُلِّلَ ذلك بأنه من باب التدليس على النساء؛ وبأنه سواد في الوجه، فيكره؛ لأنه تشبه بسيما أهل النار))[4]، ثم ذكر رحمه الله جماعة كثيرة من السلف كانوا يخضبون بالسواد، وقال: ((ولا أدري عذر هؤلاء عن حديث أبي قحافة ما هو؟ فأقل درجاته الكراهة كما ذهب إليه مالك))[5].

قلت: أما عذر السلف الذين كانوا يخضبون بالسواد، فيحمل على أنه لم يبلغهم حديث النهي الصريح عن الصبغ بالسواد، والله أعلم. وقال الإمام النووي رحمه الله: ((ومذهبنا استحباب خضاب الشيب للرجل والمرأة بصفرة، أو حمرة، ويحرم خضابه بالسواد على الأصح))[1].

ويؤكد اختيار الإمام النووي ومن سلك مسلكه في تحريم

---

(1) انظر: المفهم لِمَا أشكل من تلخيص كتاب مسلم، 420/5 .

(2) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، 175/4، برقم 3462، ومسلم، كتاب اللباس والزينة، باب في مخالفة اليهود في الصبغ، 6316/3، برقم 2103 .

(3) المفهم لِمَا أشكل من تلخيص كتاب مسلم، 420/5 .

(4) المرجع السابق، 419/5 .

(5) المفهم لِمَا أشكل من تلخيص كتاب مسلم ، 419/5 .

(1) شرح النووي على صحيح مسلم، 325/14 .

الخضاب بالسواد ما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**يكون قوم يخضبون في آخر الزمان بالسواد كحواصل الحمام، لا يريحون رائحة الجنة**))(1)، وسمعت سماحة العلامة الإمام عبد العزيز بن عبد الله ابن باز رحمه الله يقول عن هذا الحديث: ((إسناده جيد، وهذا يدل على تحريم تغيير الشيب بالسواد،ويقتضي أنه كبيرة؛لأنه وعيد))(2).

وقوله ﷺ: ((**كحواصل الحمام**)) أي كصدور الحمام في الغالب؛ لأن صدور بعض الحمام ليست بسود(3).

ومما يدل على قُبح الخضاب بالسواد ما بيَّنه بعض السلف الذين كانوا يخضبون بالسواد حيث قيل: إنه قال:

نُسَوِّدُ أعلاها وتأبى أصُولُها ... ولا خير في الأعلى إذا فسد الأصل(4)

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: ((والصواب أن الأحاديث في هذا الباب لا اختلاف بينها بوجه؛ فإن الذي نهى عنه النبي ﷺ من تغيير الشيب أمران:

أحدهما: نتفه.

والثاني: خضابه بالسواد... والذي أذن فيه: هو صبغه وتغييره بغير السواد: كالحناء والصفرة، وهو الذي عمله الصحابة رضي الله عنهم...

وأما الخضاب بالسواد فكرهه جماعة من أهل العلم، وهو الصواب بلا ريب لِمَا تقدم، وقيل للإمام أحمد: تكره الخضاب بالسواد؟ قال: إي والله، وهذه المسألة من المسائل التي حلف عليها... ورخص فيه آخرون، منهم أصحاب أبي حنيفة، وروي

(1) أبو داود، كتاب الترجل، باب ما جاء في خضاب السواد، 87/4، برقم 4212، والنسائي في كتاب الزينة، باب النهي عن الخضاب بالسواد، 138/8، برقم 5075، وأحمد في المسند، 273/1، وقال ابن حجر في فتح الباري، 499/6: ((إسناده قوي))، وصحح إسناده العلامة الألباني في غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام، وقال: على شرط الشيخين، ص84 .

(2) سمعته منه أثناء شرحه لحديث رقم 5075، من سنن النسائي، في جامع الأميرة سارة بالبديعة، بعد مغرب يوم الأحد الموافق 1418/8/21هـ.

(3) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، 2933/9، ومرقاة المفاتيح، للملا علي القاري، 232/8 .

(4) شرح مشكل الآثار، للطحاوي، 314/9 .

ذلك عن الحسن، والحسين، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن جعفر، وعقبه بن عامر، وفي ثبوته عنهم نظر، ولو ثبت فلا قول لأحد مع رسول الله ﷺ، وسنته أحق بالاتباع، ولو خالفها من خالفها))[1].

ويستخلص من الأحاديث الواردة في الشيب وخضابه ما يأتي:

أولاً: الشيب نور المسلم في الدنيا والآخرة.
ثانياً: المنع من نتف الشيب ثابت عن النبي ﷺ.
ثالثاً: الشيب تُزاد به الحسنات.
رابعاً: الشيب تُرفع به الدرجات.
خامساً: الشيب تُحطّ به الخطايا.
سادساً: تحريم صبغ الشيب بالسواد.
سابعاً: صبغ الشيب بالحناء، أو الصفرة، أو الحناء والكتم سنة مؤكدة.
ثامناً: الحناء: لونه أحمر، والحناء والكتم: لونه بين السواد والحمرة.
تاسعاً:من صبغ الشيب بالسواد من السلف فلا دليل لـه من كتاب ولا سنة.
عاشراً: لا قول لأحد مع قول رسول الله ﷺ كائناً من كان.
الحادي عشر: الشيب لـه أسباب غير كبر السن،فقد يكون مبكراً؛لخوف الله ﷻ ، أو لغيره من الأسباب، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله قد شبت؟ قال: ((**شيبتني هودٌ، والواقعة، والمرسلات، وعمّ يتساءلون، وإذا الشمس كوِّرت**))[2].

وعن أبي جحيفة رضي الله عنه ، قال: قالوا: يا رسول الله، نراك قد شبت؟ قال: ((**شيبتني هودٌ وأخواتها**))[3]، والله ﷻ الموفق للصواب.

13- وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: ((كنت أرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يَدْبُرنا - يريد بذلك أن يكون آخرهم - فإن يك محمد ﷺ قد مات فإن الله تعالى قد جعل بين أظهركم نوراً تهتدون

(1) تهذيب ابن القيم المطبوع مع معالم السنن للخطابي، 104/6 .
(2) الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة الواقعة، 402/5، برقم 3297، وحسنه، وصححه الألباني مختصر شمائل الترمذي، ص40، برقم 34 .
(3) أخرجه الترمذي في الشمائل، وصححه الألباني في مختصر الشمائل، ص40، برقم 35 .

به بما هدى الله محمداً ﷺ))[1].

والمقصود بالنور الذي قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:هو القرآن العظيم؛لأن فيه الهدى والنور،فمن عمل بما فيه كان على الصراط المستقيم وعلى الحق المبين[2].

14 - وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**إن الله عز وجل خلق خلقه في ظلمة فألقى عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى، ومن أخطأه ضل، فلذلك أقول: جف القلم على علم الله**))[3]، وهذا الحديث يبيّن أن الله عز وجل خلق الخلق في ظلمة، وألقى عليهم شيئاً من نوره، فمن أصابه شيء من ذلك النور اهتدى إلى طريق الجنة، ومن أخطأه ذلك النور وجاوزه ولم يصل إليه ضل وخرج عن طريق الحق؛ لأن الاهتداء والضلال قد جرى على علم الله وحكم به في الأزل لا يتغير ولا يتبدل، وجفاف القلم عبارة عنه. وقيل: من أجل عدم تغير ما جرى في الأزل تقديره: من الإيمان، والطاعة، والكفر، والمعصية، أقول: جف القلم[4].

15 - عن أنس رضي الله عنه أن رجلين خرجا من عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة، وإذا نور بين أيديهما حتى تفرّقا فتفرّق النور معهما))، وقال معمر عن ثابت عن أنس: ((إن أسيد بن حضير ورجلاً من الأنصار))، وقال حماد: أخبرنا ثابت عن أنس: ((كان أسيد بن حُضير وعبّاد بن بشر عند النبي ﷺ))[5].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: ((فأما رواية معمر فوصلها عبد الرزاق في مصنفه عنه، ومن طريقه الإسماعيلي بلفظ:((إن أسيد بن حضير ورجلاً من الأنصار تحدثا عند رسول الله ﷺ حتى ذهب من الليل ساعة في ليلة شديدة الظلمة، ثم خرجا وبيد كل واحد منهما عُصية فأضاءت عصا أحدهما حتى مشيا في ضوئها، حتى

(1) البخاري، كتاب الأحكام، باب الاستخلاف، 160/8، برقم 7219 .

(2) انظر: فتح الباري، لابن حجر، 209/13، وإرشاد الساري، للقسطلاني، 180/15 .

(3) الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، 26/5، برقم 2642، وقال: ((هذا حديث حسن))، وأخرجه أحمد، 176/2، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، 30/1، وصحح إسناده العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم 1076 .

(4) تحفة الأحوذي، للمباركفوري، 401/7 .

(5) البخاري،كتاب مناقب الأنصار،باب منقبة أسيد بن حضير وعباد بن بشر،270/3،برقم 3805 .

إذا افترقت بهما الطريق أضاءت عصا الآخر فمشى كل منهما في ضوء عصاه حتى بلغ أهله))،
وأما رواية حماد بن سلمة فوصلها أحمد والحاكم في المستدرك بلفظ: ((إن أسيد بن حضير وعباد بن بشر كانا عند النبي ﷺ في ليلة ظلماء حندس، فلما خرجا أضاءت عصا أحدهما فمشيا في ضوئها، فلما افترقت بهما الطريق أضاءت عصا الآخر))[1].

وهذه من كرامات الأولياء؛ فإن أهل الصلاح إذا حصل لهم أمر خارق للعادة فهي كرامة، أما إذا حصل ذلك لفاسق فهي من عمل الشيطان، وإذا حصل لإنسان مجهول مستور فيعرض أمره على الكتاب والسنة. وهذا النور الذي حصل لهذين الصحابيين مبني على نور الإيمان والتقوى، فاستنار الباطن، وجعل الله نوراً في عصا كل واحد منهما، فاستنار الظاهر، وليس من شرطٍ أن يحصل ذلك لكل مؤمن، وإنما ذلك راجع إلى الله ﷻ.

16 - وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال: **((من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء لـه من النور ما بين الجمعتين))**[2].

ذكر العلامة الملا علي القاري أن معنى: ((أضاء لـه من النور)) أي: في قلبه، أو قبره، أو يوم حشره في الجمع الأكبر، ((ما بين الجمعتين)) أي: مقدار الجمعة التي تليها من الزمان، وهكذا كل جمعة تلا فيها هذه السورة))[3].

قال الطيبي رحمه الله: ((أضاء لـه)) يجوز أن يكون لازماً، وقوله: ((ما بين الجمعتين)) ظرف، فيكون إشراق ضوء النور فيما بين الجمعتين، بمنزلة إشراق النور نفسه مبالغة، ويجوز أن يكون متعدياً، والظرف مفعول به))[1].

17 - وذكر مالك رحمه الله: أنه بلغه أن لقمان الحكيم أوصى ابنه فقال: ((يا بنيّ جالس العلماء وزاحمهم بالركب، فإن الله يُحيي

---

(1) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، 125/7 .
(2) البيهقي 249/3، والحاكم في المستدرك وصحح إسناده، 368/2، والدارمي موقوفاً في حكم الرفع، في فضائل القرآن، باب في فضل سورة الكهف، 326/2، برقم 3410، وصححه الألباني بطرقه، في إرواء الغليل، 94/3، برقم 626.
(3) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، 678/4 .
(1) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، 1675/5 .

القلوب بنور الحكمة، كما يحيي الله الأرض الميتة بوابل السماء))[1].

فقوله: ((جالس العلماء وزاحمهم بالركب)) عبارة عن مزيد القرب منهم، وقوله: ((فإن الله يحيي الأرض بنور الحكمة)) هي تحقيق العلم وإتقان العمل، والإصابة في القول والفعل، وهي العلم المشتمل على الفقه في الدين،والمعرفة بالله مع نفاذ البصيرة،وتحقيق الحق للعمل، والكف عن الباطل[2].

فالله سبحانه يحيي القلوب بذلك كما يحيي الأرض بالمطر، وهذا يؤكد على فضل العلم النافع والعمل الصالح؛ ولهذا الفضل قال محمد بن سيرين رحمه الله: ((إن قوماً تركوا طلب العلم، ومجالسة العلماء، وأخذوا في الصلاة، والصيام حتى يبس جلدُ أحدهم على عظمه، ثم خالفوا السنة فهلكوا، وسفكوا دماء المسلمين، فوالذي لا إله غيره ما عمل أحد عملاً على جهل إلا كان يفسد أكثر مما يصلح))[3].

18 - وعن حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **((تُعرَض الفتن على القلوب كالحصير عُوداً عُوداً، فأيُّ قلب أُشربها نُكت فيه نكتٌ سوداءُ، وأيُّ قلب أنكرها نكت فيه نكتةٌ بيضاء، حتى تصير على قلبين: على أبيض مثل الصفا لا تضرّهُ فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخر أسودُ مرباداً كالكُوز مجخيّاً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه))**[4].

الفتنة أصلها في كلام العرب: الابتلاء، والامتحان، والاختبار، ثم صارت في عرف الكلام لكل أمر كشفه الاختبار عن سوء، فقيل: فُتن الرجل إذا وقع في الفتنة وتحوّل من حال حسنة إلى سيئة.

وقوله ﷺ: **((تُعرض الفتن على القلوب عرض الحصير عُوداً عُوداً))** والمعنى أن الفتن تلصق بعرض القلوب: أي بجانبها كما يلصق الحصير بجنب النائم، ويؤثر فيه شدة التصاقها به، وتُعاد وتُكرر شيئاً بعد شيء، فأي قلب أشربها فدخلت فيه دخولاً تاماً وألزمها وحلّت منه محلّ الشراب نقط فيه نقطة سوداء، ولا يزال

---

(1) موطأ الإمام مالك، 1002/2 .

(2) انظر:شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك،553/4،والحكمة في الدعوة إلى الله تعالى ،لسعيد بن علي بن وهف القحطاني، ص27 .

(3) أخرجه ابن عبد البر في الاستذكار بسنده، 434/27، برقم 41779 .

(4) صحيح مسلم،كتاب الإيمان،باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً،128/1،برقم 144 .

هذا القلب يشرب الفتن كلما عُرضت عليه كما يشرب الإسفنج الماء حتى يسودّ وينتكس، فيكون كالكُوز المائل المنكوس، ((والكوز هو ما اتّسع رأسه من أواني الشرب إذا كانت بعُرى وآذان، فإن لم يكن لها عُرى فهي أكواب))[1].

فإذا انتكس القلب وصار مكبوباً منكوساً عرض لـه اشتباه المعروف عليه بالمنكر، وربما استحكم عليه المرض حتي يعتقد المعروف منكراً والمنكر معروفاً، والسنة بدعة والبدعة سنة، والحق باطلاً والباطل حقاً، وبذلك يحكم هواه على ما جاء به الرسول ﷺ، وينقاد لـه ويتبعه.

والقلب الآخر: قلب أبيض قد أشرق فيه نور الإيمان، وأزهر فيه مصباحه، فإذا عرضت عليه الفتن أنكرها، وردّها فازداد نوره، وإشراقه، وقوته؛ ولقوة هذا القلب وشدّته على عقد الإيمان، وسلامته من الخلل شُبِّه بالحجر الأملس الذي لا يعلق به شيء، فهذا القلب لا تلصق به الفتن ولا تؤثر فيه، بخلاف القلب الأسود المربادّ ((والمربادّ: هو الذي بين البياض والسواد والغبرة، مثل لون الرمادة))[2]، فهذا القلب قد اسودَّ، وقُلِبَ، ونُكِسَ حتى لا يعلق به خير ولا حكمة، فَشُبِّهَ بالكوز المنحرف الذي لا يثبت فيه الماء، فإنه قد دخل قلبه بكل معصية تعاطاها ظلمة، وإذا صار كذلك افتتن، وزال عنه نور الإسلام، والقلب مثل الكوز فإذا انكبّ انصبّ ما فيه ولم يدخله شيء بعد ذلك[3].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله:((والفتن التي تعرض على القلوب هي أسباب مرضها، وهي فتن الشهوات،وفتن الشبهات،وفتن الغي والضلال، وفتن المعاصي،والبدع:فتن الظلم والجهل،فالأولى:توجب فساد القصد والإرادة، والثانية: توجب فساد العلم والاعتقاد))[4]،وقال رحمه الله:((وقد قسم الصحابة ﷺ القلوب إلى أربعة كما صح عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قوله[1]:

((القلوب أربعة: قلب أجرد فيه سراج يزهر، فذلك قلب المؤمن، وقلب أغلف، فذلك قلب الكافر، وقلب منكوس، فذلك قلب المنافق

---

(1) مشارق الأنوار، للقاضي عياض، 349/1 .
(2) انظر: مشارق الأنوار، للقاضي عياض، 279/1 .
(3) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، 2/530-531، وإغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، لابن القيم، 16/1 .
(4) المرجع السابق، 17/1 .
(1) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، 17/1 .

عرف ثم أنكر، وقلب فيه مادتان: إيمان ونفاق، فمثل الإيمان فيه كمثل شجرة يمدّها ماء طيب، ومثل النفاق مثل قرحة يمدّها قيح ودم، فأيهما غلب عليه غلب))[1].

فالقلب الأجرد: المتجرِّد مما سوى الله ﷻ ورسوله ﷺ، فقد تجرَّد وسلم مما سوى الحق، وفيه سراج يزهر، وهو مصباح الإيمان ونوره، فهو متجرّد سالم من شبهات الباطل وشهوات الغي، وقد أشرق واستنار بنور العمل والإيمان.

والقلب الأغلف: قلب الكافر، لأنه داخل في غلافه وغشائه، فلا يصل إليه نور العلم والإيمان، فإذا ذكر لـه تجريد التوحيد وتجريد المتابعة للنبي ﷺ ولّى مدبراً.

والقلب المنكوس المكبوب: قلب المنافق وهذا شر القلوب وأخبثها؛ فإنه يعتقد الباطل حقاً ويوالي أصحابه، والحق باطلاً ويعادي أهله، ومع ذلك يُبطن الكفر، ويُظهر الإيمان.

وأما القلب الذي لـه مادتان: فهو القلب الذي لم يتمكّن فيه الإيمان، ولم يُزهر فيه سراجه، حيث لم يتجرّد للحق المحض، الذي بعث الله ﷻ به رسوله ﷺ، فتارة يكون للكفر أقرب منه للإيمان، وتارة يكون للإيمان أقرب منه للكفر، والحكم للغالب وإليه يرجع[2].

19 - وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما يرفعه: ((**طوبى للغرباء**)) فقيل: من الغرباء يا رسول الله؟ قال: ((**أناس صالحون في أناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم**)) قال: وكنا عند رسول الله ﷺ يوماً آخر حين طلعت الشمس، فقال رسول الله ﷺ: ((**سيأتي أناس من أمتي يوم القيامة نورهم كضوء الشمس**)) قلنا: من أولئك يا رسول الله؟ فقال: ((**فقراء المهاجرين الذين تُتّقى بهم المكاره، يموت أحدهم وحاجته في صدره، يُحشرون في أقطار الأرض**))[1]، وهذا النور أعظم

---

(1) ذكره ابن تيمية موقوفاً على حذيفة رضي الله عنه، وعزاه إلى أبي داود السجستاني وذكر إسناده، ثم قال: وقد روي مرفوعاً، وهو في المسند مرفوعاً. كتاب الإيمان لابن تيمية، ص288، قلت: هو في المسند، 17/2، وقال العلامة الألباني: ((قلت: والمرفوع إسناده ضعيف، والصحيح موقوف))، كتاب الإيمان لابن تيمية، ص288 ح.

(2) انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، 18/1-19 .

(1) أخرجه أحمد في المسند، 177/2، وصححه الألباني بطرقه، في سلسلة الأحاديث الصحيحة،

=

ما ورد للمؤمن يوم القيامة؛ ولهذا قال الإمام ابن القيم رحمه الله عند ذكره لنور المؤمنين يوم القيامة، وأنه يكون على حسب قوة إيمانهم، ويقينهم، وإخلاصهم: ((فمنهم من يكون نوره كالشمس، ودون ذلك القمر، ودونه كأشدِّ كوكب في السماء إضاءة...))[1].

20 - قال يهودي للنبي ﷺ: أين يكون الناس يوم تُبدَّل الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال رسول الله ﷺ: ((**هم في الظلمة دون الجسر**))[2]، قال الإمام القرطبي رحمه الله: ((والجَسر - بفتح الجيم وكسرها - ما يُعبر عليه، وهو الصراط هنا، و((دون)) بمعنى فوق، كما قال في حديث عائشة رضي الله عنها: ((**على الصراط**))[3]، وقد جاءت الأحاديث التي تدلّ على أن الناس عند تبديل الأرض غير الأرض يكونون على الصراط بألفاظ متقاربة،فعن عائشة رضي الله عنها قالت:سألت رسول الله ﷺ عن قوله ﷻ:﴿**يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ**﴾، فأين يكون الناس يومئذٍ يا رسول الله؟ فقال: ((**على الصراط**))[4]، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله:((وفي رواية الترمذي ((**على جسر جهنم**))؛ ولأحمد من طريق ابن عباس عن عائشة: ((**على متن جهنم**))[5]، فظاهر الأدلة تقتضي أنه يذهب بهذه الأرض ويُؤتى بأرض أخرى[6]، وقد جاء الحديث الصحيح في صفة الأرض المبدَّلة، وأنها بيضاء عفراء، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء، كقرصة النقي، ليس فيها علم لأحد**))[1]، والأرض

= 153/4، برقم 1619، وصححه أحمد محمد شاكر، في ترتيبه وشرحه للمسند، 135/10-136، برقم 6650، و28/12، برقم 7072، و79/12، برقم 7072 .

(1) اجتماع الجيوش الإسلامية لغزو المعطلة والجهمية، 86/2 .

(2) صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب صفة مني الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما، 252/1، برقم 315 .

(3) المفهم لِمَا أشكل من تلخيص كتاب مسلم، 574/1، 352/7، وانظر: إكمال إكمال المعلم شرح صحيح مسلم للأبي، 156/2 .

(4) مسلم، كتاب صفة القيامة، والجنة والنار، باب في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة، 2150/4، برقم 2791، والآية: 48، من سورة إبراهيم.

(5) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، 376/11، ورواية الترمذي هي في سننه، برقم 3121 .

(6) انظر: المفهم لِمَا أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للقرطبي، 351/7 .

(1) متفق عليه: البخاري، كتاب الرقاق، باب قبض الله الأرض يوم القيامة،248/4، برقم =

العفراء: البيضاء بياضاً ليس ناصعاً بل يضرب إلى الحمرة، وقوله ((**كقرصة النقي**)) القرصة: الخبزة، والنقي: هي النقي من الغش والنخال، وقوله: ((**ليس فيها علم لأحد**)): أي ليس فيها علامة لأحد، ولا علامة سكنى، ولا بناء، ولا أثر، ولا شيء من العلامات التي يُهتدى بها في الطرقات: كالجبل، والصخرة البارزة، وفيه تعريض بأرض الدنيا، وأنها ذهبت[1].

21 - وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((**اتقوا الظلم فإنّ الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشحّ، فإن الشحّ أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم**))[2].

قال الإمام القرطبي رحمه الله: ((ظاهره أن الظالم يعاقب يوم القيامة، بأن يكون في ظلمات متوالية، يوم يكون المؤمنون في نور يسعى بين أيديهم وبأيمانهم، حين يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا: ﴿**انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ**﴾، فيقال لهم: ﴿**ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا**﴾))[3]، وذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله: أن الظلم يشتمل على معصيتين: أخذ مال الغير بغير حق، ومبارزة الرب بالمخالفة، والمعصية فيه أشد من غيرها؛ لأنه لا يقع غالباً إلا بالضعيف الذي لا يقدر على الانتصار، وإنما ينشأ الظلم عن ظلمة القلب؛ لأنه لو استنار بنور الهدى لاعتبر، فإذا سعى المتقون بنورهم الذي حصل لهم بسبب التقوى اكتنفت ظلمات الظلم الظالم حيث لا يغني عنه ظلمه شيئاً))[1]، وقوله: ((**اتقوا الشحّ، فإنّ الشحّ**

=

6521، ومسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة، 2150/4، برقم 2790 .

(1) انظر: الفهم لِمَا أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للقرطبي، 350/7، وشرح النووي على صحيح مسلم، 140/17، وفتح الباري، لابن حجر، 375/11 .

(2) مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، 1996/4، برقم 2578، وأخرجه البخاري في كتاب المظالم، باب الظلم ظلمات يوم القيامة، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما بلفظ: ((الظلم ظلمات يوم القيامة))، 136/3، برقم 2447 .

(3) المفهم لِمَا أشكل من تلخيص كتاب مسلم، 556/6، والآية: 13 من سورة الحديد، وانظر: شرح النووي على صحيح مسلم، 370/16، وإكمال إكمال المعلم بشرح صحيح مسلم، للأبي، 534/8 .

(1) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، 100/5 .

أهلك من كان قبلكم)) قال جماعة: الشحّ: أشدّ البخل، وأبلغ في المنع من البخل، وقيل: هو البخل مع الحرص، وقيل: الشحّ: الحرص على ما ليس عندك، والبخل: الامتناع عن إخراج ما حصل عندك[1]. ولا شك أن الظلم ثلاثة أنواع:

1 - ظلم الشرك، 2 - ظلم المعاصي، 3 - ظلم النفس، وبمعنى أوضح: نوعان: ظلم العبد نفسه، وهو نوعان: الظلم بالشرك، والظلم بالمعاصي، وظلم العبد غيره. والله ﷻ الموفق والمعين والهادي إلى سواء السبيل.

۞ ۞ ۞

(1) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للقرطبي، 557/6، وشرح النووي على صحيح مسلم، 171/16، وإكمال إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، للأبي، 534/8 .

الرسالة السابعة: نور التوحيدوظلمات الشرك

التمهيد

لا شك أن التوحيد نور يوفق الله له من يشاء من عباده، والشرك ظلمات بعضها فوق بعض يُزيَّن للكافرين، قال الله ﷻ: ﴿ **أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ** ﴾(1)، وقد بيّن الله ﷻ أنه أنزل على محمد ﷺ الآيات الواضحات، والدلائل الباهرات، وأعظمها القرآن الكريم؛ ليخرج الناس بإرسال الرسول ﷺ، وبما أنزل عليه من الكتاب والحكمة: من ظلمات الضلالة، والشرك، والجهل، إلى نور الإيمان والتوحيد، والعلم والهدى، قال سبحانه: ﴿ **هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾(2).

وسأبين ذلك بالتفصيل، في المبحثين الآتيين:

المبحث الأول: نور التوحيد

المطلب الأول: مفهوم التوحيد:

التوحيد المطلق: هو: العلم والاعتراف المقرون بالاعتقاد الجازم، بتفرّد الله ﷻ بالأسماء الحسنى، وتَوَحُّدِهِ بصفات الكمال، والعظمة والجلال، وإفراده وحده بالعبادة(3)، قال ﷻ: ﴿ **وَإِلَـهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ** ﴾(4).

قال العلامة السعدي رحمه الله: ((أي متوحد منفرد في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، فليس له شريك: في ذاته، ولا سميٌّ له، ولا كفءٌ، ولا مثلٌ، ولا نظيرٌ، ولا خالقٌ ولا مدبرُ غيره؛ فإذا كان كذلك فهو المستحق؛ لأن يؤله ويعبد بجميع أنواع العبادة، ولا يشرك به أحد من خلقه))(5).

---

(1) سورة الأنعام، الآية: 122.
(2) سورة الحديد، الآية: 9.
(3) انظر: القول السديد في مقاصد التوحيد، للسعدي، ص18.
(4) سورة البقرة، الآية: 163.
(5) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص60.

والتوحيد على هذه المعاني: هو إفراد الله تعالى بما يختص به: من الأسماء، والصفات، والألوهية، والربوبية.

المطلب الثاني: البراهين الساطعات في إثبات التوحيد

البراهين الساطعات، والبينات الواضحات في كتاب الله ﷻ، وفي سنة النبي ﷺ على إثبات التوحيد كثيرة لا تحصر، ولكن منها على سبيل المثال ما يأتي:

أولاً: قال الله ﷻ: **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾**[1] والمعنى: ما خلقت الجن والإنس إلا ليُوحِّدون[2].

ثانياً: قال ﷻ: **﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ﴾**[3]: يخبر الله ﷻ أن حجته قامت على جميع الأمم، وأنه ما من أمّة متقدّمة، أو متأخرة إلا وبعث الله فيها رسولاً، وكلهم متفقون على دعوة واحدة، ودين واحد،وهو:عبادة الله وحده لا شريك له،فانقسمت الأمم بحسب استجابتها لدعوة الرسل قسمين: **﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللهُ﴾** فاتبعوا المرسلين، **﴿وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ﴾** فاتبع سبيل الغي[4].

ثالثاً: قال ﷻ: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾**[5]، فكل الرسل عليهم الصلاة والسلام قبل النبي ﷺ: زبدة رسالتهم وأصلها: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، وبيان أنه الإله الحق المعبود، وأن عبادة ما سواه باطلة[6]؛ ولهذا قال الله ﷻ: **﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾**[7].

---

(1) سورة الذاريات، الآيات: 56 - 58.
(2) الجامع لأحكام القرآن الكريم، للقرطبي، 57/17.
(3) سورة النحل، الآية: 36.
(4) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص393.
(5) سورة الأنبياء، الآية: 25.
(6) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، 427/18، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص470.
(7) سورة الزخرف، الآية: 45.

رابعاً: قال الله ﷻ: **﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾**[1]، فالله ﷻ قضى، ووصَّى، وحكَم، وأمر بالتوحيد فقال: **﴿وَقَضَى رَبُّكَ ﴾** قضاءً دينيًا، وأمراً شرعيًّا، **﴿أَلاَّ تَعْبُدُواْ ﴾** أحدًا: من أهل الأرض والسموات، الأحياء، والأموات، **﴿إِلاَّ إِيَّاهُ ﴾**؛ لأنه الواحد الأحد، الفرد الصمد[2].

خامساً: الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يقولون لأممهم: **﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾**[3]، والمعنى: اعبدوا الله وحده؛ لأنه الخالق، الرازق، المدبر لجميع الأمور، وما سواه مخلوق مُدبَّر ليس له من الأمر شيء[4]، فهو المستحق للعبادة وحده.

سادساً: قال ﷻ: **﴿وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾**[5].

سابعاً: قال ﷻ: **﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾**[6]: أمر الله ﷻ نبيه محمدًا ﷺ أن يقول للمشركين: إن صلاتي وذبحي، وحياتي، وما آتيه فيها، وما يجريه الله عليَّ، وما يُقدِّر عليَّ فالجميع لله رب العالمين، لا شريك له في العبادة، كما أنه لا شريك له في الملك والتدبير، وبذلك أمرني ربي، وأنا أول من أقرَّ، وأذعن، وخضع من هذه الأمة لربه[7].

ثامناً: عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: له: **((يا معاذ هل تدري ما حق الله على عباده))**؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: **((حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا))**، ثم سار ساعة ثم قال: **((يا معاذ،هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوه؟))** قلت: الله

(1) سورة الإسراء، الآية: 23.
(2) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، 413/17، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، 34/3، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص407.
(3) سورة الأعراف، الآيات: 59- 65.
(4) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص255.
(5) سورة البينة، الآية: 5.
(6) سورة الأنعام، الآيتان: 162 - 163.
(7) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، 283/12، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص245.

ورسوله أعلم.ال:((**حقّ العباد على الله أن لا يعذّبَ من لا يشرك به شيئًا**))[1]، وهذا الحديث العظيم يبيّن أن حــقّ الله على عــباده أن يعبدوه وحــده لا شريك له بما شرعه لهم من العبادات، ولا يشركوا معه غيره، وأن حق العباد على الله ﷻ أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا، ولا شك أن حق العباد على الله: هو ما وعدهم به من الثواب، فحق ذلك ووجب بحكم وعده الصدق، وقوله الحق، الذي لا يجوز عليه الكذب في الخبر، ولا الخلف في الوعد، فهو حق جعله الله سبحانه على نفسه، تفضلاً، وكرمًا، فهو سبحانه الذي أوجب على نفسه حقًّا لعباده المؤمنين، كما حرّم الظلم على نفسه، لم يوجب ذلك مخلوق عليه، ولا يقاس بمخلوقاته، بل هو بحكم رحمته، وعدله، كتب على نفسه الرحمة، وحرّم على نفسه الظلم[2].

تاسعاً: عن عتبان بن مالك رضي الله عنه، يرفعه إلى النبي ﷺ: ((**.. فإن الله حرّم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله**))[3].

المطلب الثالث: أنواع التوحيد

الله سبحانه وتعالى: هو ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، فإفراده تعالى وحده بالعبادة كلها وإخلاص الدين كله لله، هذا هو توحيد الألوهية: وهو معنى ((لا إله إلا الله))، وهذا التوحيد يتضمن جميع أنواع التوحيد[4] ويستلزمها؛ فإن التوحيد نوعان:

النوع الأول: التوحيد الخبري العلمي الاعتقادي[5]: وهو توحيد في المعرفة والإثبات، وهو: توحيد الربوبية، والأسماء، والصفات، وهو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى، وصفاته، وأفعاله، وأسمائه،

(1) متفق عليه: البخاري، كتاب اللباس، باب إرداف الرجل خلف الرجل، 89/7، برقم 5967، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة، قطعًا، 58/1، برقم 30، واللفظ للبخاري، برقم 2856، ورقم 6500.

(2) انظر: المفهم لِمَا أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للقرطبي، 203/1، وشرح النووي على صحيح مسلم، 345/1، ومجموع فتاوى ابن تيمية، 213/1.

(3) متفق عليه:البخاري،كتاب الصلاة،باب المساجد في البيوت،125/1،برقم 425،ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة،باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر، 455/1،برقم 33.

(4) انظر: تيسير العزيز الحميد، للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، ص74، والقول السديد، للسعدي، ص17، وبيان حقيقة التوحيد، للشيخ صالح الفوزان، ص20.

(5) انظر: مدارج السالكين، لابن القيم، 449/3.

وتكلّمه بكتبه لمن شاء من عباده، وإثبات عموم قضائه، وقدره، وحكمته، وتنزيهه عمَّا لا يليق به.

النوع الثاني: التوحيد الطلبي القصدي الإرادي: وهو توحيد في الطلب والقصد: وهو توحيد الإلهية أو العبادة[1].

وتكون أنواع التوحيد على التفصيل ثلاثة أنواع على النحو الآتي:

النوع الأول: توحيد الربوبية، وهو: الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى هو الرب المتفرّد بالخلق، والملك، والرِّزْق، والتدبير، الذي ربّى جميع خلقه بالنعم، وربّى خواص خلقه - وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم المخلصون - بالعقائد الصحيحة، والأخلاق الجميلة، والعلوم النافعة، والأعمال الصالحة، وهذه التربية النافعة للقلوب والأرواح المثمرة لسعادة الدنيا والآخرة.

وتوحيد الربوبية باختصار: هو توحيد الله تعالى بأفعاله.

النوع الثاني: توحيد الأسماء والصفات: وهو الاعتقاد الجازم بأن الله هو المنفرد بالكمال المطلق من جميع الوجوه، وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ من جميع الأسماء والصفات، ومعانيها وأحكامها الواردة في الكتاب والسنة على الوجه اللائق بعظمته وجلاله من غير نفيٍ لشيءٍ منها، ولا تعطيل، ولا تحريف، ولا تمثيل، ولا تكييف. ونفي ما نفاه عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله ﷺ من النقائص والعيوب، وعن كل ما ينافي كماله.

وتوحيد الربوبية والأسماء والصفات قد وضَّحه الله في كتابه كما في أول سورة الحديد، وسورة طه، وآخر سورة الحشر، وأول سورة آل عمران، وسورة الإخلاص بكاملها، وغير ذلك[2].

النوع الثالث: توحيد الإلهية، ويقال له: توحيد العبادة، وهو الاعتقاد الجازم - مع العلم والعمل والاعتراف - بأن الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، وإفراده وحده بالعبادة كلها، وإخلاص الدين كله لله، وهو يستلزم توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات ويتضمنهما؛ لأن الألوهية التي هي صفة تعمُّ

---

(1) انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، لابن القيم، 2/ 94، ومعارج القبول، لحافظ الحكمي، 1/ 98، وفتح المجيد، لعبد الرحمن بن حسن، ص 17.

(2) انظر: فتح المجيد، ص17، والقول السديد في مقاصد التوحيد لعبد الرحمن السعدي، ص14-17، ومعارج القبول، 99/1.

أوصاف الكمال، وجميع أوصاف الربوبية والعظمة؛ فإنه المألوه المعبود لما له من أوصاف العظمة والجلال، ولما أسداه إلى خلقه من الفواضل والإفضال، فتوحُّدُهُ سبحانه بصفات الكمال، وتفرّدُه بالربوبية، يلزم منه أن لا يستحقّ العبادة أحد سواه.

وتوحيد الألوهية باختصار: هو إفراد الله تعالى بعبادة العباد.

وتوحيد الألوهية: هو مقصود دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام من أولهم إلى آخرهم. وهذا النوع قد تضمنته سورة ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ**﴾، و﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾[1]، وأول سورة السجدة وآخرها، وأول سورة غافر ووسطها وآخرها، وأول سورة الأعراف وآخرها، وغالب سور القرآن.

وكل سور القرآن قد تضمنت أنواع التوحيد، فالقرآن كله من أوله إلى آخره في تقرير أنواع التوحيد؛ لأن القرآن كله:

إما خبر عن الله تعالى وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وأقواله، فهذا هو التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي: ((توحيد الربوبية والأسماء والصفات)).

وإما دعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وخلع ما يُعبد من دونه، وهذا هو التوحيد الإرادي الطلبي -((توحيد الألوهية))-.

وإما أمر ونهي وإلزام بطاعة الله، وذلك من حقوق التوحيد ومكملاته.

وإما خبر عن إكرام أهل التوحيد، وما فعل بهم في الدنيا من النصر والتأييد، وما يكرمهم به في الآخرة، وهو جزاء توحيده سبحانه.

وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحلّ بهم في الآخرة من العذاب، فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد.

فالقرآن كله في التوحيد، وحقوقه، وجزائه، وفي شأن الشرك

---

(1) سورة آل عمران، الآية: 64.

وأهله وجزائهم(1).

المطلب الرابع: ثمرات التوحيد وفوائده

التوحيد له فضائل عظيمة،وآثار حميدة، ونتائج جميلة،ومن ذلك ما يأتي:

أولاً: خير الدنيا والآخرة من فضائل التوحيد وثمراته.

ثانياً: التوحيد هو السبب الأعظم لتفريج كربات الدنيا والآخرة، يدفع الله به العقوبات في الدارين، ويبسط به النعم والخيرات.

ثالثاً: التوحيد الخالص يثمر الأمن التام في الدنيا والآخرة، قال الله ﷻ: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ** ﴾(2).

رابعاً: يحصل لصاحبه الهدى الكامل، والتوفيق لكل أجر وغنيمة.

خامساً: يغفر الله بالتوحيد الذنوب، ويكفّر به السيئات، ففي الحديث القدسي عن أنس رضي الله عنه يرفعه: ((**يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة**))(3).

سادساً: يدخل الله به الجنة، فعن عبادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**))(4).

---

(1) انظر: مدارج السالكين، لابن القيم، 450/3، وفتح المجيد، ص17-18، والقول السديد، ص16، ومعارج القبول، 98/1.

(2) سورة الأنعام، الآية: 82.

(3) الترمذي، كتاب الدعوات، باب فضل التوبة والاستغفار، 548/5، برقم 3540، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، 176/3، وسلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم 127، 128.

(4) متفق عليه: البخاري، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ ﴾ 168/4، برقم 3252، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا، 57/1، برقم 28.

وفي حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: **((من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة))**[1].

سابعاً: التوحيد يمنع دخول النار بالكلية إذا كمل في القلب، ففي حديث عتبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ: **((... فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله))**[2].

ثامناً: يمنع الخلود في النار إذا كان في القلب منه أدنى حبة من خردل من إيمان[3].

تاسعاً: التوحيد هو السبب الأعظم في نيل رضا الله وثوابه،وأسعد الناس بشفاعة محمد ﷺ:**((من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه أو نفسه))**[4].

عاشراً: جميع الأعمال، والأقوال الظاهرة والباطنة متوقفة في قبولها وفي كمالها، وفي ترتيب الثواب عليها على التوحيد، فكلما قوي التوحيد والإخلاص لله كملت هذه الأمور وتمّت.

الحادي عشر: يُسَهِّل على العبد فعل الخيرات، وترك المنكرات، ويسلّيه عن المصائب، فالموحِّد المخلص لله في توحيده تخفُّ عليه الطاعات؛ لِمَا يرجو من ثواب ربه ورضوانه، ويهوِّن عليه ترك ما تهواه النفس من المعاصي؛ لِمَا يخشى من سخط الله وعقابه.

الثاني عشر: التوحيد إذا كَمُل في القلب حبّب الله لصاحبه الإيمان، وزيّنه في قلبه، وكرَّه إليه الكفر والفسوق والعصيان، وجعله من الراشدين.

الثالث عشر: التوحيد يخفف عن العبد المكاره، ويهوِّن عليه الآلام، فبحسب كمال التوحيد في قلب العبد يتلقَّى المكاره والآلام بقلب منشرح ونفس مطمئنة، وتسليمٍ ورضًا بأقدار الله المؤلمة،

---

(1) مسلم، كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، 94/1، برقم 93.

(2) متفق عليه: البخاري، كتاب الصلاة، باب المساجد في البيوت، 126/1، برقم 425، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر، 455/1-456، برقم 33.

(3) انظر: صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾، برقم 7410، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، 170/1، برقم 183، ورقم 193.

(4) البخاري، كتاب العلم، باب الحرص على الحديث، 38/1، برقم 99.

وهو من أعظم أسباب انشراح الصدر.

الرابع عشر: يحرِّر العبد من رقّ المخلوقين والتعلُّق بهم، وخوفهم ورجائهم، والعمل لأجلهم، وهذا هو العزُّ الحقيقي، والشرف العالي، ويكون مع ذلك متعبِّدًا لله لا يرجو سواه، ولا يخشى إلا إيَّاه، وبذلك يتمّ فلاحه، ويتحقّق نجاحه.

الخامس عشر: التوحيد إذا كَمُلَ في القلب، وتحقَّق تحققًا كاملاً بالإخلاص التامّ فإنه يصير القليل من عمل العبد كثيرًا، وتُضاعف أعماله وأقواله الطيبة بغير حصر، ولا حساب.

السادس عشر: تكفَّل الله لأهل التوحيد بالفتح، والنصر في الدنيا، والعزّ والشرف، وحصول الهداية، والتيسير لليسرى، وإصلاح الأحوال، والتسديد في الأقوال والأفعال.

السابع عشر: الله ﷻ يدفع عن الموحِّدين أهل الإيمان شرور الدنيا والآخرة، ويمنُّ عليهم بالحياة الطيبة، والطمأنينة إليه، والأنس بذكره.

قال العلامة السعدي رحمه الله: ((وشواهد هذه الجمل من الكتاب والسنة كثيرة معروفة، والله أعلم))[1].

وقال ابن تيمية رحمه الله: ((وليس للقلوب سرور ولذة تامة إلا في محبة الله تعالى، والتقرّب إليه بما يحبّه، ولا تتمّ محبّة الله إلا بالإعراض عن كل محبوب سواه، وهذا حقيقة لا إله إلا الله))[2].

المبحث الثاني: ظلمات الشرك

المطلب الأول: مفهوم الشرك

الشِّرْكُ، والشِّرْكَةُ بمعنىً، وقد اشتركا، وتشاركا، وشارك أحدهما الآخر، وأشرك بالله: كفر، فهو مشركٌ ومشركي، والاسم الشرك فيهما، ورغبنا في شرككم: مشاركتكم في النسب[3]، وأشرك بالله: جعل له شريكًا في ملكه، أو عبادته، فالشرك: هو أن تجعل لله ندًا وهو خلقك، وهو أكبر الكبائر، وهو الماحق للأعمال، والمبطل لها، والحارم المانع من ثوابها، فكل من عدل بالله غيره: بالحب، أو التعظيم، أو اتبع خطواته، ومبادئه المخالفة لملة إبراهيم ﷺ فهو

(1) القول السديد في مقاصد التوحيد، ص25.
(2) مجموع الفتاوى، 32/28.
(3) انظر: القاموس المحيط، باب الكاف، فصل الشين، ص1240.

مشرك[1].

والشرك هو: مساواة غير الله بالله فيما هو من خصائص الله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿ **تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾[2].

والشرك شركان: شرك أكبر يخرج من المِلَّة، وشرك أصغر لا يخرج من الملة[3].

وذكر العلامة السعدي رحمه الله أن حدَّ الشرك الأكبر الذي يجمع أنواعه وأفراده **أن يصرف العبد نوعًا أو فردًا من أفراد العبادة لغير الله**، فكل: اعتقاد، أو قول، أو عمل ثبت أنه مأمور به من الشارع فصرفه لله وحده توحيد وإيمان وإخلاص، وصرفه لغيره شرك وكفر، وهذا ضابط للشرك الأكبر لا يشذ عنه شيء.

وأما حدّ الشرك الأصغر فهو: كل وسيلة وذريعة يتطرّق منها إلى الشرك الأكبر، من: الإرادات، والأقوال، والأفعال التي لم تبلغ رتبة العبادة[4].

المطلب الثاني: البراهين الواضحات في إبطال الشرك

الأدلة القاطعة الواضحة في إبطال الشرك،وذمّ أهله كثيرة،منها ما يأتي:

أولاً: كل من دعا نبيًّا، أو وليًّا، أو مَلَكًا، أو جنيًّا، أو صرف له شيئًا من أنواع العبادة فقد اتخذه إلهًا من دون الله[5]، وهذا هو حقيقة الشرك الأكبر الذي قال الله تعالى فيه: ﴿**إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا**﴾[6].

ثانياً: من البراهين القطعية التي ينبغي تبيينها وتوضيحها لمن اتَّخَذَ من دون الله آلهة أخرى، قوله تعالى: ﴿**أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ**

---

(1) الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة، لعبد الرحمن الدوسري، ص41.

(2) سورة الشعراء، الآيتان: 97- 98.

(3) انظر: قضية التكفير، للمؤلف، ص119.

(4) انظر: القول السديد في مقاصد التوحيد، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص31، 32، 54.

(5) انظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، ص242.

(6) سورة النساء، الآية: 48.

الأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ * لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِـهَةٌ إِلا اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ * لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾(1).

فقد أنكر سبحانه على من اتخذ من دونه آلهة من الأرض، سواء كانت أحجارًا أو خشبًا، أو غير ذلك من الأوثان التي تعبد من دون الله! فهل هم يحيون الأموات ويبعثونهم؟ الجواب: كلا، لا يقدرون على شيء من ذلك، ولو كان في السَّموات والأرض آلهة تستحق العبادة غير الله لفسدتا وفسد ما فيهما من المخلوقات؛ لأن تعدد الآلهة يقتضي التمانع والتنازع والاختلاف، فيحدث بسببه الهلاك، فلو فُرِضَ وجود إلهين، وأراد أحدهما أن يخلق شيئًا والآخر لا يريد ذلك، أو أراد أن يُعطي والآخر أراد أن يمنع، أو أراد أحدهما تحريك جسم والآخر يريد تسكينه، فحينئذ يختل نظام العالم، وتفسد الحياة! وذلك:

* لأنه يستحيل وجود مرادهما معًا، وهو من أبطل الباطل؛ فإنه لو وجد مرادهما جميعًا للزم اجتماع الضدين، وأن يكون الشيء الواحد حيًّا ميتًا، متحركًا ساكنًا.

* وإذا لم يحصل مراد واحد منهما لزم عجز كل منهما، وذلك يناقض الربوبية.

* وإن وُجِدَ مراد أحدهما ونفذ دون مراد الآخر، كان النافذ مراده هو الإله القادر، والآخر عاجز ضعيف مخذول.

* واتفاقهما على مراد واحد في جميع الأمور غير ممكن.

وحينئذ يتعيَّن أن القاهر الغالب على أمره هو الذي يوجد مراده وحده غير مُمانع ولا مُدافع، ولا مُنازع، ولا مُخالف، ولا شريك، وهو الله الخالق الإله الواحد، لا إله إلا هو، ولا ربَّ سواه؛ ولهذا ذكر سبحانه دليل التمانع في قوله ﷻ: **﴿مَا اتَّخَذَ اللهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ * عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾**(2).

وإتقان العالم العلوي والسفلي، وانتظامه منذ خلقه، واتساقه، وارتباط بعضه ببعض في غاية الدقة والكمال: **﴿مَّا تَرَى فِي خَلْقِ**

(1) سورة الأنبياء، الآيات: 21-23.
(2) سورة المؤمنون، الآيتان: 91- 92.

الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ ﴾[1]. وكل ذلك مُسخَّر، ومُدَبَّر بالحكمة لمصالح الخلق كلِّهم، يدل على أن مُدبِّره واحد، وربّه واحد، وإلهه واحد، لا معبود غيره، ولا خالق سواه[2].

ثالثاً: من المعلوم عند جميع العقلاء أن كل ما عُبِدَ من دون الله من الآلهة ضعيف من كل الوجوه، وعاجز ومخذول، وهذه الآلهة لا تملك لنفسها ولا لغيرها شيئًا من ضر أو نفع، أو حياة أو موت، أو إعطاء أو منع، أو خفض أو رفع، أو عزّ أو ذلّ، وأنها لا تتصف بأي صفة من الصفات التي يتصف بها الإله الحق، فكيف يعبد من هذه حاله؟ وكيف يُرجى أو يُخاف من هذه صفاته؟ وكيف يُسئَل من لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم شيئًا[3].

وقد بيّن الله ﷻ ضعف وعجز كل ما عبد من دونه أكمل بيان، فقال سبحانه: **﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا وَاللهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾**[4]، وقال ﷻ: **﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَـهُمْ نَصْرًا وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ * وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْـهُدَى لاَ يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ * إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * أَلَـهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَـهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَـهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَـهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُواْ شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلاَ تُنظِرُونِ * إِنَّ وَلِيِّـيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِـحِينَ * وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ * وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْـهُدَى لاَ يَسْمَعُواْ وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ ﴾**[5]، وقال ﷻ: **﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِـهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا**

---

(1) سورة الملك، الآية: 3.

(2) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية، 352/9، 354، 337-382، 35/1-37، وتفسير البغوي، 241/3، 316،وابن كثير، 255/3، 176،وفتح القدير للشوكاني، 402/3، 496، وتفسير عبد الرحمن السعدي، 220/5، 374، وأيسر التفاسير لأبي بكر جابر الجزائري، 99/3، ومناهج الجدل في القرآن الكريم للدكتور زاهر بن عواض الألمعي، ص158-161.

(3) انظر: تفسير ابن كثير، 83/2، 219، 277، 417، 47/3، 211، 310، وتفسير السعدي، 327/2، 420، 290/3، 451، 5/ 279، 457، 6/ 153، وأضواء البيان للشنقيطي، 482/2، 101/3، 322، 598، 44/5، 268/6.

(4) سورة المائدة، الآية: 76.

(5) سورة الأعراف، الآيات: 191-198.

وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لأنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلا حَيَاةً وَلا نُشُورًا ﴾[1].

وهي مع هذه الصفات لا تملك كشف الضر عن عابديها ولا تحويله إلى غيرهم: **﴿قُلِ ادْعُواْ الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً ﴾**[2].

رابعاً: من المعلوم يقينًا أن ما يعبده المشركون من دون الله: الأنبياء، أو الصالحين، أو الملائكة، أو الجن الذين أسلموا، أنهم في شغلٍ شاغل عنهم باهتمامهم بالافتقار إلى الله بالعمل الصالح، والتنافس في القُرْبِ من ربهم يرجون رحمته، ويخافون عذابه، فكيف يُعبَدُ من هذا حاله؟[3] قال تعالى: **﴿أُولَـئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾**[4].

خامساً: وقد أوضح الله تعالى، وبيّن سبحانه أن ما عُبِدَ من دونه قد توافرت فيهم جميع أسباب العجز وعدم إجابة الدعاء من كل وجه؛ فإنهم لا يملكون مثقال ذرة في السَّمَوات ولا في الأرض لا على وجه الاستقلال، ولا على وجه الاشتراك، وليس لله من هذه المعبودات من ظهير يساعده على ملكه وتدبيره، ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له[5]، قال ﷻ: **﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ * وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾**[6]، وقال ﷻ: **﴿ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ * إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾**[7].

سادساً: قال الله ﷻ: **﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ**

---

(1) سورة الفرقان، الآية: 3.
(2) سورة الإسراء، الآية: 56.
(3) انظر: تفسير ابن كثير 48/3، وتفسير السعدي، 291/4.
(4) سورة الإسراء، الآية: 57.
(5) انظر: تفسير ابن كثير 37/3، وتفسير السعدي، 274/6.
(6) سورة سبأ، الآيتان: 22- 23.
(7) سورة فاطر، الآيتان: 13- 14.

مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾[1].

سابعاً: قال ﷻ: **﴿وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ * وَإِن يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصَيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾**[2]، وهذا وصف لكل مخلوق، وأنه لا ينفع ولا يضرّ، وإنما النافع الضارّ هو الله، ومن دعا ما لا يضرّه ولا ينفعه فقد ظلم نفسه بالوقوع في الشرك الأكبر، وإذا كان النبي عليه الصلاة والسلام لو دعا غير الله لكان من الظالمين المشركين، فكيف بغيره[3]؟، فالنافع الضار هو المستحق للعبادة وحده **﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدُيرٌ ﴾**[4].

ثامناً: قال الله ﷻ: **﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَومِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُون* وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَـهُمْ أَعْدَاء وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِين ﴾**[5]، فهل هناك أضلُّ من هؤلاء الذين يعبدون من لا يستجيب لهم مدة مقامهم في الدنيا، لا ينتفعون بهم مثقال ذرة، وهم لا يسمعون منهم دعاءً، ولا يجيبون لهم نداءً، وهذا حالهم في الدنيا، ويوم القيامة يكفرون بشركهم، ويكونون لهم أعداء يلعن بعضهم بعضاً، ويتبرأ بعضهم من بعض[6].

تاسعاً: ضرب الأمثال من أوضح وأقوى أساليب الإيضاح والبيان في إبراز الحقائق المعقولة في صورة الأمر المحسوس، وهذا من أعظم ما يُردُّ به على الوثنيين في إبطال عقيدتهم وتسويتهم المخلوق بالخالق في العبادة والتعظيم؛ ولكثرة هذا النوع في القرآن الكريم سأقتصر على ثلاثة أمثلة توضح المقصود على النحو الآتي:

1- قال الله ﷻ: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن**

---

(1) سورة الزمر، الآية: 38.
(2) سورة يونس، الآيتان: 106-107.
(3) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص331.
(4) سورة الأنعام، الآية: 17.
(5) سورة الأحقاف، الآيتان: 5-6.
(6) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص724.

يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ * مَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[1].

حقٌّ على كل عبد أن يستمع لهذا المثل، ويتدبره حق تدبره؛ فإنه يقطع مواد الشرك من قلبه، فالآلهة التي تُعبد من دون الله لن تقدر على خلق الذباب ولو اجتمعوا كلهم لخلقه، فكيف بما هو أكبر منه، بل لا يقدرون على الانتصار من الذباب إذا سلبهم شيئًا مما عليهم من طيب ونحوه، فيستنقذوه منه، فلا هم قادرون على خلق الذباب الذي هو أضعف المخلوقات، ولا على الانتصار منه واسترجاع ما سلبهم إياه، فلا أعجز من هذه الآلهة الباطلة، ولا أضعف منها، فكيف يستحسن عاقل عبادتها من دون الله؟!

وهذا المثل من أبلغ ما أنزل الله تعالى في بطلان الشرك وتجهيل أهله[2].

2- ومن أحسن الأمثال وأدلّها على بطلان الشرك، وخسارة صاحبه وحصوله على ضد مقصوده، قوله تعالى: **﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ * إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلا الْعَالِمُونَ ﴾**[3].

فهذا مثل ضربه الله لمن عبد معه غيره يقصد به التعزُّز والتقوي والنفع، فبيّن سبحانه أن هؤلاء ضعفاء، وأن الذين اتخذوهم أولياء من دون الله أضعف منهم، فهم في ضعفهم وما قصدوه من اتخاذ الأولياء كالعنكبوت التي هي من أضعف الحيوانات، اتخذت بيتًا وهو من أضعف البيوت، فما ازدادت باتخاذه إلا ضعفًا، وكذلك من اتخذ من دون الله أولياء، فإنهم ضعفاء، وازدادوا باتخاذهم ضعفًا إلى ضعفهم[4].

---

(1) سورة الحج، الآيتان: 73- 74.

(2) انظر: أمثال القرآن، لابن القيم، ص47، والتفسير القيم، لابن القيم، ص368، وتفسير البغوي، 298/3، وتفسير ابن كثير، 236/3، وفتح القدير للشوكاني، 470/3، وتفسير السعدي، 326/5.

(3) سورة العنكبوت، الآيات: 41-43.

(4) انظر: تفسير البغوي، 468/3، وأمثال القرآن لابن القيم، ص21، وفتح القدير للشوكاني، 204/4.

3- ومن أبلغ الأمثال التي تُبيّن أن المشرك قد تشتّت شمله، واحتار في أمره، ما بيّنه تعالى بقوله: **﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ للهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾**(1).

فهذا مثل ضربه الله تعالى للمشرك والموحِّد، فالمشرك لمّا كان يعبد آلهة شتى شُبِّهَ بعبد يملكه جماعة متنازعون مختلفون، سيئة أخلاقهم، يتنافسون في خدمته، لا يمكنه أن يبلغ رضاهم أجمعين، فهو في عذاب.

والموحِّد لمّا كان يعبد الله وحده لا شريك له،فمثله كمثل عبد لرجل واحد،قد سلم له،وعلم مقاصده،وعرف الطريق إلى رضاه،فهو في راحة من تشاحن الخلطاء فيه واختلافهم،بل هو سالم لمالكه من غير تنازع فيه، مع رأفة مالكه به،ورحمته له،وشفقته عليه، وإحسانه إليه،وتوليه لمصالحه،فهل يستوي هذان العبدان؟ والجواب:كلا، لا يستويان أبدًا(2).

عاشراً: الذي يستحق العبادة وحده من يملك القدرة على كل شيء، والإحاطة بكل شيء، وكمال السلطان والغلبة والقهر والهيمنة على كل شيءٍ، والعلم بكل شيء، ويملك الدنيا والآخرة، والنفع والضر، والعطاء والمنع بيده وحده، فمن كان هذا شأنه فإنه حقيق بأن يُذكَر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر، ويُطاع فلا يُعصى، ولا يُشرك معه غيره(3).

وصفات الكمال المطلق لله تعالى، لا يحيط بها أحد، ولكن منها على سبيل المثال، ما يأتي:

1- المتفرِّد بالألوهية: لا يستحق الألوهية إلا الله وحده، الحيّ الذي لا يموت أبدًا، القيّوم الذي قام بنفسه، واستغنى عن جميع

---

(1) سورة الزمر، الآية: 29.

(2) انظر: تفسير البغوي 78/4، وابن كثير 52/4، والتفسير القيم، لابن القيم، ص423، وفتح القدير للشوكاني، 462/4، وتفسير السعدي، 468/6، وتفسير الجزائري، 43/4.

(3) انظر: تفسير البغوي، 237/1، 71/3، 88/2، 372، وتفسير ابن كثير، 309/1، 572/2، 42/3، 127/2، 435، 570، 344/1، 138/2، وتفسير السعدي، 313/1، 686/7، 381/2، 397/3، 204/4، 364/6، 356/1، 372/2، وأضواء البيان، 187/2، 271/3.

المخلوقات، وهي مفتقرة إليه في كل شيء، ومن كمال حياته وقيّوميّته أنه لا تأخذه سنة ولا نوم، وجميع ما في السّموات والأرض عبيده، وتحت قهره وسلطانه: **﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴾**[1].

ومن تمام ملكه وعظمته وكبريائه أنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، فكل الوجهاء والشفعاء عبيد له، لا يقدمون على شفاعة حتى يأذن لهم، ولا يأذن إلا لمن ارتضى، وعلمه تعالى محيط بجميع الكائنات، ولا يطّلع أحد على شيء من علمه إلا ما أطلعهم عليه، ومن عظمته أن كُرْسِيَّه وسع السّموات والأرض، وأنه قد حفظهما وما فيهما من مخلوقات، ولا يثقله حفظهما، بل ذلك سهل عليه، يسير لديه، وهو القاهر لكل شيء، العلي بذاته على جميع مخلوقاته، والعلّي بعظمته وصفاته، العلي الذي قهر المخلوقات، ودانت له الموجودات، العظيم الجامع لصفات العظمة والكبرياء، وقد دلّ على هذه الصفات العظيمة قوله تعالى: **﴿اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾**[2].

2- وهو الإله الذي خضع كل شيء لسلطانه،فانقادت له المخلوقات بأسرها: جماداتها،وحيواناتها،وإنسها، وجنّها، وملائكتها **﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾**[3].

3- وهو الإله الذي بيده النفع والضرّ، فلو اجتمع الخلق على أن ينفعوا مخلوقًا لم ينفعوه إلا بما كتبه الله له، ولو اجتمعوا على أن يضرّوه بشيء لم يضرّوه إذا لم يرد الله ذلك: **﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصَيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾**[4].

4- وهو القادر على كل شيء، ولا يعجزه شيء: **﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا**

---

(1) سورة مريم، الآيتان: 93- 94.
(2) سورة البقرة، الآية: 255.
(3) سورة آل عمران، الآية: 83.
(4) سورة يونس، الآية: 107.

أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾[1].

5- إحاطة علمه بكل شيء، شامل للغيوب كلها: يعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون[2]: **﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ ﴾**[3]، **﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾**[4]، **﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾**[5]، **﴿إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾**[6].

ولا شك أن من عرف هذه الصفات وغيرها من صفات الكمال والعظمة، فإنه سيعبد الله وحده؛ لأنه الإله المستحق للعبادة.

المطلب الثالث: الشفاعة

أولاً: مفهوم الشفاعة لغةً: يُقال شفع الشيء: ضمَّ مثله إليه، فجعل الوتر شفعًا[7].

واصطلاحًا: التوسط للغير بجلب منفعة، أو دفع مضرّةٍ[8].

من الحكمة القولية في دعوة من يتعلّق بغير الله تعالى، ويطلب الشفاعة منه أن يُبيِّن له أن الشفاعة ملكٌ لله وحده: **﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾**[9].

ثانيًا:يُرَدُّ على من طلب الشفاعة من غير الله تعالى بالأقوال الحكيمة الآتية:

---

(1) سورة يس، الآية: 82.
(2) انظر: تفسير ابن كثير، 344/1، 138/2، والسعدي، 356/2، 372.
(3) سورة آل عمران، الآية: 5.
(4) سورة يونس: الآية: 61.
(5) سورة الأنعام، الآية: 59.
(6) سورة الأنفال، الآية: 75.
(7) انظر: القاموس المحيط، باب العين، فصل الشين، ص947، والنهاية في غريب الحديث، 485/2، والمعجم الوسيط، 487/1.
(8) انظر: شرح لمعة الاعتقاد للشيخ محمد صالح العثيمين، ص80.
(9) سورة الزمر، الآية: 44.

1 - **ليس المخلوق كالخالق**، فكل من قال: إن الأنبياء والصالحين والملائكة أو غيرهم من المخلوقين لهم عند الله جاهٌ عظيمٌ، ومقاماتٌ عاليةٌ، فهم يشفعون لنا عنده، كما يُتقرّب إلى الوجهاء والوزراء عند الملوك والسّلاطين، ليجعلوهم وسائط لقضاء حاجاتهم، فهذا القول من أبطل الباطل؛ لأنه شبَّه اللهَ العظيم ملك الملوك بالملوك الفقراء المحتاجين للوزراء والوجهاء في تكميل ملكهم ونفوذ قوتهم؛ فإن الوسائط بين الملوك وبين الناس على أحد وجوه ثلاثة:

الوجه الأول: إما لإخبارهم عن أحوال الناس بما لا يعرفونه.

الوجه الثاني: أو يكون الملِكُ عاجزًا عن تدبير رعيته، فلا بد له من أعوان؛ لذُلِّهِ وعجزه.

الوجه الثالث:أو يكون الملك لا يُريدُ نفع رعيته والإحسان إليهم،فإذا خاطبه من ينصحه ويعظه تحركت إرادته وهمّته في قضاء حوائج رعيته.

والله ﷻ ليس كخلقه الضعفاء، فهو تعالى لا تخفى عليه خافية، وغني عن كل ما سواه، وأرحم بعباده من الوالدة بولدها، ومعلوم أن الشافع عند ملوك الدنيا قد يكون له ملك مستقل، وقد يكون شريكًا لهم، وقد يكون معاونًا لهم، فالملوك يقبلون شفاعته لأحد ثلاثة أمور:

أ - تارة لحاجتهم إليه.

ب - وتارة لخوفهم منه.

جـ - وتارة لجزاء إحسانه إليهم.

وشفاعة العباد بعضهم عند بعض من هذا الجنس، فلا يقبل أحد شفاعة أحد إلا لرغبة أو رهبة، والله ﷻ لا يرجو أحدًا ولا يخافه، ولا يحتاج إليه[1]؛ ولهذا قطع الله جميع أنواع التعلّقات بغيره، وبيّن بطلانها، فقال تعالى: **﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ * وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾**[2].

---

(1) انظر: فتاوى ابن تيمية، 1/126-129.

(2) سورة سبأ، الآيتان: 22- 23.

فقد سدّت هذه الآية على المشركين جميع الطرق التي دخلوا منها إلى الشرك أبلغ سدٍّ وأحكمه؛ فإن العابد إنما يتعلّق بالمعبود لِمَا يرجو من نفعه، وحينئذ فلا بد أن يكون المعبود مالكًا للأسباب التي ينتفع بها عابده، أو يكون شريكًا لمالكها، أو ظهيرًا، أو وزيرًا، أو معاونًا له، أو وجيهًا ذا حرمة وقدر يشفع عنده، فإذا انتفت هذه الأمور الأربعة من كل وجه انتفت أسباب الشرك وانقطعت موادّه[1].

2 -الشفاعة: شفاعتان:

الشفاعة الأولى:الشفاعة المثبتة:وهي التي تطلب من الله ولها شرطان:

الشرط الأول: إذن الله للشّافع أن يشفع، لقوله تعالى: **﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾**[2].

الشرط الثاني: رضا الله عن الشّافع والمشفوع له، لقوله تعالى: **﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى﴾**[3]، **﴿يَومَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَولاً﴾**[4].

الشفاعة الثانية: الشفاعة المنفية: وهي التي تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله،والشفاعة بغير إذنه ورضاه،والشفاعة للكفار:**﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾**[5]،ويستثنى شفاعته ﷺ في تخفيف عذاب أبي طالب[6].

3 - الاحتجاج على من طلب الشفاعة من غير الله بالنص والإجماع، فلم يكن النبي ﷺ ولا الأنبياء من قبله شرعوا للناس أن يدعوا الملائكة، أو الأنبياء، أو الصالحين، ولا يطلبوا منهم الشفاعة، ولم يفعل ذلك أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان، ولم يستَحِبّ ذلك أحد من أئمة المسلمين، لا الأئمة الأربعة ولا

(1) انظر: التفسير القيم، لابن القيم، ص408.
(2) سورة البقرة، الآية: 255.
(3) سورة الأنبياء، الآية: 28.
(4) سورة طه، الآية: 109.
(5) سورة المدثر، الآية: 48.
(6) انظر: البخاري مع الفتح، مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب، 193/7، برقم 3883، ومسلم، كتاب الإيمان، باب أهون أهل النار عذابًا، 195/1، برقم 211.

غيرهم، ولا مجتهد يعتمد على قوله في الدين، ولا من يعتبر قوله في مسائل الإجماع، فالحمد لله رب العالمين(1).

المطلب الرابع: مسبغ النعم المستحق للعبادة

من الحكمة في دعوة المشركين إلى الله تعالى لفت أنظارهم وقلوبهم إلى نعم الله العظيمة: الظاهرة والباطنة، والدينية والدنيوية. فقد أسبغ على عباده جميع النعم: **﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ﴾**(2)، وسخر هذا الكون وما فيه من مخلوقات لهذا الإنسان.

وقد بيّن سبحانه هذه النعم، وامتنَّ بها على عباده، وأنه المستحق للعبادة وحده، ومما امتنّ به عليهم ما يأتي:

أولاً: على وجه الإجمال: قال الله ﷻ: **﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ﴾**(3)، **﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾**(4)، **﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾**(5).

فقد شمل هذا الامتنان جميع النعم: الظاهرة والباطنة، الحسّيّة والمعنوية، فجميع ما في السموات والأرض قد سُخِّر لهذا الإنسان، وهو شامل لأجرام السموات والأرض، وما أودع فيهما من: الشمس والقمر، والكواكب، والثوابت، والسيارات، والجبال، والبحار، والأنهار، وأنواع الحيوانات، وأصناف الأشجار والثمار، وأجناس المعادن، وغير ذلك مما هو من مصالح بني آدم، ومصالح ما هو من ضروراتهم للانتفاع والاستمتاع والاعتبار.

وكل ذلك دالّ على أن الله وحده هو المعبود الذي لا تنبغي العبادة والذلّ والمحبة إلا له، وهذه أدلّة عقلية لا تقبل ريبًا ولا شكًا

---

(1) انظر: فتاوى ابن تيمية، 158/1، 112، 399/14-414، 108/1-165، 380/14، 409، 160/1-166، 195، 228، 229، 241، ودرء تعارض العقل والنقل، له، 147/5، وأضواء البيان، 137/1.
(2) سورة النحل، الآية: 53.
(3) سورة البقرة، الآية: 29.
(4) سورة لقمان، الآية: 20.
(5) الجاثية، الآية: 13.

على أن الله هو الحق، وأن ما يُدعَى من دونه هو الباطل[1]: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**﴾[2].

ثانيًا: على وجه التفصيل: ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ * وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ**﴾[3].

وقال ﷻ بعد أن ذكر نعمًا كثيرة: ﴿**وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ * أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ * وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[4].

أفمن يخلق هذه النعم وهذه المخلوقات العجيبة كمن لا يخلق شيئًا منها؟

ومن المعلوم قطعًا أنه لا يستطيع فرد من أفراد العباد أن يُحصي ما أنعم الله به عليه في خلق عضو من أعضائه،أو حاسّة من حواسّه، فكيف بما عدا ذلك من النعم في جميع ما خلقه في بدنه،وكيف بما عدا ذلك من النعم الواصلة إليه في كل وقت على تنوّعها واختلاف أجناسها؟[5].

ولا يسع العاقل بعد ذلك إلا أن يعبد الله الذي أسدى لعباده هذه النعم ولا يشرك به شيئًا؛ لأنه المستحق للعبادة وحده سبحانه.

---

(1) انظر: تفسير البغوي، 59/1، 72/3، وابن كثير، 451/3، 149/4، والشوكاني، 60/1، 420/4، والسعدي، 69/1، 161/6، 21/7، وأضواء البيان للشنقيطي، 225/3-253.

(2) سورة الحج، الآية: 62، وانظر: سورة لقمان، الآية: 30.

(3) سورة إبراهيم، الآيات: 32-34.

(4) سورة النحل، الآيات: 14-18، وانظر: الآيات: 3-12 من السورة نفسها.

(5) انظر: فتح القدير، 154/3، 110/3، وأضواء البيان، 253/3.

المطلب الخامس: أسباب ووسائل الشرك

حذّر النبي ﷺ عن كل ما يوصل إلى الشرك ويسبب وقوعه، وبيّن ذلك بيانًا واضحًا، ومن ذلك على سبيل الإيجاز ما يأتي:

أولاً: الغلو في الصالحين هو سبب الشرك بالله تعالى، فقد كان الناس منذ أُهبِطَ آدم ﷺ إلى الأرض على الإسلام، قال ابن عباس رضي الله عنهما: **((كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام))**[(1)].

وبعد ذلك تعلّق الناس بالصالحين، ودبّ الشرك في الأرض، فبعث الله نوحًا ﷺ يدعو إلى عبادة الله وحده، وينهى عن عبادة ما سواه[(2)]، وردّ عليه قومه: **﴿وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾**[(3)].

وهذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا، وسَمُّوها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تُعبد حتى إذا هلك أولئك ونُسِيَ العلم عُبِدت[(4)].

وهذا سببه الغلوّ في الصالحين؛ فإن الشيطان يدعو إلى الغلوّ في الصالحين، وإلى عبادة القبور.

ثم يُلقي في قلوب الناس أن البناء والعكوف عليها من محبة أهلها من الأنبياء والصالحين، وأن الدعاء عندها مستجاب.

ثم ينقلهم من هذه المرتبة إلى الدعاء بها، والإقسام على الله بها، وشأن الله أعظم من أن يُسأل بأحد من خلقه.

فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم إلى دعاء صاحب القبر وعبادته وسؤاله الشفاعة من دون الله، واتخاذ قبره وثنًا تُعلّق عليه الستور، ويُطاف به، ويُستلم ويُقبّل، ويُذبح عنده.

ثم ينقلهم من ذلك إلى مرتبة رابعة: وهي دعاء الناس إلى

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب التاريخ، 546/2، وقال: ((هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه))، ووافقه الذهبي، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية، 101/1، وعزاه إلى البخاري، وانظر: فتح الباري، 372/6.

(2) انظر: البداية والنهاية لابن كثير، 106/1.

(3) سورة نوح، الآية: 23.

(4) البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، سورة نوح، 667/8، برقم 4920.

عبادته واتخاذه عيدًا.

ثم ينقلهم إلى أن من نهى عن ذلك فقد تَنَقَّصَ أهل هذه الرتب العالية من الأنبياء والصالحين، وعند ذلك يغضبون[1].

ولهذا حذّر الله عباده من الغلوّ في الدين، والإفراط بالتعظيم بالقول أو الفعل أو الاعتقاد، ورفع المخلوق عن منزلته التي أنزله الله تعالى، كما قال تعالى: **﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾**[2].

ثانياً: الإفراط في المدح والتجاوز فيه، والغلو في الدين: حذّر رسول الله ﷺ عن الإطراء في المدح فقال: ((**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله**))[3]، وقال النبي ﷺ: ((**إياكم والغلوّ في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلوّ في الدين**))[4].

ثالثاً: بناء المساجد على القبور،وتصوير الصُّوَر فيها: حذَّر ﷺ عن اتخاذ المساجد على القبور،وعن اتخاذها مساجد؛لأن عبادة الله عند قبور الصالحين وسيلة إلى عبادتهم؛ولهذا لـمَّا ذكرت أم حبيبة وأم سلمة رضي الله عنهما لرسول الله ﷺ كنيسة في الحبشة فيها تصاوير قال: ((**إن أولئكِ إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدًا، وصوَّروا فيه تلك الصور، أولئكِ شرار الخلق عند الله يوم القيامة**))[5].

وَمِنْ حرص النبيِّ ﷺ على أمته أنه عندما نزل به الموت قال: ((**لَعْنَةُ الله على اليهود والنصارى،اتخذوا قبور أنبيائهم**

---

(1) انظر: تفسير الطبري، 62/29، وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد، ص246.
(2) سورة النساء، الآية: 171.
(3) البخاري مع الفتح بلفظه، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ..﴾، 478/6، 144/12، وانظر: شرحه في الفتح، 149/12.

(4) النسائي، كتاب مناسك الحج، باب التقاط الحصى، 260/5، وابن ماجه، كتاب المناسك، باب قدر حصى الرمي، 1008/2، وأحمد، 347/1.
(5) البخاري مع الفتح، كتاب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد، 523/1، 208/3، 187/7، وأخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور، 375/1.

مساجد)).قالت عائشة رضي الله عنها: يُحذِّر ما صنعوا[1].

وقال قبل أن يموت بخمس: **((ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك))**[2].

رابعاً: اتخاذ القبور مساجد: حذّر النبي ﷺ أمته عن اتخاذ قبره وثنًا يُعبد من دون الله، ومن باب أولى غيره من الخلق، فقال: **((اللهمَّ لا تجعل قبري وثنًا يُعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))**[3].

خامساً: إسراج القبور وزيارة النساء لها: حذّر النبي ﷺ عن إسراج القبور؛ لأن البناء عليها، وإسراجها، وتجصيصها، والكتابة عليها، واتخاذ المساجد عليها من وسائل الشرك، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: **((لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج))**[4].

سادساً: الجلوس على القبور والصلاة إليها: لم يترك النبي ﷺ بابًا من أبواب الشرك التي تُوصِّل إليه إلاّ سدَّه[5]، ومن ذلك قوله ﷺ: **((لا تجلسوا على القبور، ولا تصلّوا إليها))**[1].

(1) البخاري مع الفتح، كتاب الصلاة، باب: حدثنا أبو اليمان، 532/1، 200/3، 494/6، 186/7، 140/8، 277/10، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها، 337/1.

(2) مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور، 377/1.

(3) الموطأ للإمام مالك، كتاب قصر الصلاة في السفر، باب جامع الصلاة، 172/1، وهو عنده مرسل، ولفظ أحمد، 246/2: ((اللهم لا تجعل قبري وثنًا، لعن الله قومًا اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))، وأبو نعيم في الحلية، 317/7، وانظر: فتح المجيد، ص150.

(4) النسائي، كتاب الجنائز، باب التغليظ في اتخاذ السرج على القبور، 94/4، وأبو داود، كتاب الجنائز، باب في زيارة النساء القبور، 218/3، والترمذي، كتاب الصلاة، باب كراهية أن يتخذ على القبر مسجدًا، 136/2،وابن ماجه في الجنائز،باب النهي عن زيارة النساء للقبور،502/1، وأحمد، 229/1، 287، 324، 337/2، 442/3، 443، والحاكم، 374/1، وانظر ما نقله صاحب فتح المجيد في تصحيح الحديث عن ابن تيمية، ص276.

(5) انظر: فتح المجيد، ص281.

(1) مسلم، كتاب الجنائز، باب النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليه، 668/2، برقم 972.

سابعاً: اتخاذ القبور عيدًا، وهجر الصلاة في البيوت، بيّن النبي ﷺ أن القبور ليست مواضع للصلاة، وأن من صلى عليه وسلّم فستبلغه صلاته، سواء كان بعيدًا عن قبره أو قريبًا، فلا حاجة لاتخاذ قبره عيدًا: ((**لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قبري عيدًا، وصلّوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**))[1].

وقال النبي الرحيم ﷺ: ((**إن لله ملائكة سياحين يبلّغوني من أمتي السلام**))[2].

فإذا كان قبر النبي ﷺ أفضل قبر على وجه الأرض، وقد نهى عن اتخاذه عيدًا، فغيره أولى بالنهي كائنًا من كان[3].

ثامناً: الصور وبناء القباب على القبور: كان النبي ﷺ يطهِّر الأرض من وسائل الشرك، فيبعث بعض أصحابه إلى هدم القباب المشرفة على القبور، وطمس الصور، فعن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ ((**ألا تدع تمثالاً إلاّ طمسته، ولا قبرًا مشرفًا إلاّ سويته**))[4].

تاسعاً: شدّ الرّحال إلى غير المساجد الثلاثة: وكما سدّ النبي ﷺ كل باب يوصّل إلى الشرك فقد حمى التوحيد عما يقرب منه ويخالطه من الشرك وأسبابه، فقال ﷺ: ((**لا تشدّوا الرّحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى**))[5].

فدخل في هذا النهي شدّ الرحال لزيارة القبور والمشاهد، وهو الذي فهمه الصحابة رضي الله عنهم من قول النبي ﷺ؛ ولهذا عندما ذهب أبو هريرة رضي الله عنه إلى الطور، فلقيه بصرة بن أبي بصرة الغفاري: فقال: من أين جئت؟ قال: من الطور. فقال: لو أدركتك قبل أن تخرج إليه

---

(1) أبو داود، كتاب المناسك، باب زيارة القبور، 218/2 بإسناد حسن، وأحمد، 357/2، وانظر: صحيح سنن أبي داود، 383/1.

(2) النسائي في السهو، باب السلام على النبي ﷺ، 43/3، وأحمد، 452/1، وإسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ، برقم 21، ص24، وسنده صحيح.

(3) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية لعبد الرحمن بن قاسم، 165/6-174.

(4) مسلم، كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر، 666/2، برقم 969.

(5) البخاري مع الفتح، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، 63/3، ومسلم بلفظه، كتاب الحج، باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره، 976/2، برقم 827.

ما خرجت إليه، سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**لا تُعمل المطيّ إلاّ إلى ثلاثة مساجد ...**))[1].

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((وقد اتفق الأئمة على أنه لو نذر أن يسافر إلى قبره ﷺ أو غيره من الأنبياء والصالحين لم يكن عليه أن يوفي بنذره، بل يُنهى عن ذلك))[2].

عاشراً: الزيارة البدعية للقبور من وسائل الشرك؛ لأن زيارة القبور نوعان:

النوع الأول: زيارة شرعية يُقصد بها السلام عليهم والدعاء لهم، كما يقصد الصلاة على أحدهم إذا مات صلاة الجنازة؛ ولِتذكّر الموت - بشرط عدم شدِّ الرِّحال -؛ ولاتّباع سنة النبي ﷺ.

النوع الثاني: زيارة شركية وبدعية[3]، وهذا النوع ثلاثة أنواع:

1- من يسأل الميت حاجته، وهؤلاء من جنس عُبَّاد الأصنام.

2 - من يسأل الله تعالى بالميت، كمن يقول: أتوسل إليك بنبيك، أو بحقّ الشيخ فلان، وهذا من البدع المحدثة في الإسلام، ولا يصل إلى الشرك الأكبر، فهو لا يُخرج عن الإسلام كما يُخرج الأول.

3 - من يظنّ أن الدعاء عند القبور مُستجاب، أو أنه أفضل من الدعاء في المسجد، وهذا من المنكرات بالإجماع[4].

الحادي عشر: الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها من وسائل الشرك؛ لِمَا في ذلك من التشبّه بالذين يسجدون لها في هذين الوقتين، قال النبي ﷺ: ((**لا تحروا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها؛ فإنها تطلع بين قرني شيطان**))[1].

والخلاصة: أن وسائل الشرك التي تُوصل إليه: هي كل وسيلة

---

(1) النسائي، كتاب الجمعة، باب الساعة التي يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة، 114/3، ومالك في الموطأ، كتاب الجمعة، باب الساعة التي في يوم الجمعة، 109/1، وأحمد في المسند، 7/6، 397، وانظر: فتح المجيد، ص289، وصحيح النسائي، 309/1.

(2) انظر: فتاوى ابن تيمية، 234/1.

(3) انظر: فتاوى ابن تيمية، 233/1، والبداية والنهاية، 123/14.

(4) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية، 165/6-174.

(1) صحيح مسلم،كتاب صلاة المسافرين،باب الأوقات التي نهي عن الصلاة فيها،568/1،برقم 828.

وذريعة تكون طريقًا إلى الشرك الأكبر، ومن الوسائل التي لم تُذكر هنا: تصوير ذوات الأرواح، والوفاء بالنذر في مكان يُعبد فيه صنم، أو يُقام فيه عيد من أعياد الجاهلية، وغير ذلك من الوسائل[1].

المطلب السادس: أنواع الشرك وأقسامه

أولاً: الشرك أنواع، منها ما يأتي:

النوع الأول: شرك أكبر يُخرج من الملّة؛ لقوله تعالى: **﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا ﴾**[2]، وهو أربعة أقسام:

القسم الأول: شرك الدعوة: لقوله تعالى: **﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾**[3].

القسم الثاني: شرك النية والإرادة والقصد: لقوله تعالى: **﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْـحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَـهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ * أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَـهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾**[4].

القسم الثالث: شرك الطاعة: وهي طاعة الأحبار والرهبان وغيرهم في معصية الله تعالى، قال سبحانه: **﴿اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَـهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ وَالْـمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾**[1].

القسم الرابع: شرك المحبة: لقوله تعالى: **﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَندَادًا يُحِبُّونَـهُمْ كَحُبِّ اللهِ ﴾**[2].

---

(1) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، للعلامة الدكتور صالح الفوزان، ص54-70، 113-152.

(2) سورة النساء، الآية: 116.

(3) سورة العنكبوت، الآية: 65، وانظر: الجواب الكافي لابن القيم، ص230-244، ومدارج السالكين، لابن القيم، 1/339-346.

(4) سورة هود، الآيتان: 15- 16، وانظر: سورة الإسراء، الآية: 8، وسورة الشورى، الآية: 20.

(1) سورة التوبة، الآية: 31.

(2) سورة البقرة، الآية: 165.

والخلاصة: أن الشرك الأكبر هو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله ﷻ: كأن يدعو غير الله، أو يذبح لغير الله، أو ينذر لغير الله، أو يتقرّب لأصحاب القبور، أو الجن والشياطين بشيء من أنواع العبادة، أو يخاف الموتى أن يضرّوه، أو يرجو غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله من قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، وغير ذلك من أنواع العبادة التي لا تصرف إلا لله ﷻ[1].

النوع الثاني: شرك أصغر لا يُخرج من الملة، وهو: كل وسيلة وذريعة توصل إلى الشرك الأكبر: من الإرادات، والأقوال، والأفعال، التي لم تبلغ رتبة العبادة. وهو أيضاً: كل ما ورد في الشرع تسميته شركاً، ولم يصل إلى حدّ الشرك الأكبر.

ومنه يسير الرياء، قال تعالى: ﴿**فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾[2].

ومنه الحلف بغير الله؛ لقوله ﷺ: ((**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**))[3].

ومنه قول الرجل: لولا الله وأنت، أو ما شاء الله وشئت.

ومن أنواع الشرك: **شرك خفي:** ((**الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النملة السوداء على صفاةٍ سوداء في ظلمة الليل**))[4]، وكفارته هي أن يقول العبد: ((**اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئًا وأنا أعلم، وأستغفرك من الذنب الذي لا أعلم**))[1]، قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿**فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[2]، قال: الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاةٍ سوداء في ظلمة الليل، وهو أن يقول: والله وحياتِك يا فلان،

(1) انظر: كتاب التوحيد للعلامة الفوزان، ص11.

(2) سورة الكهف، الآية: 110.

(3) رواه الترمذي وحسنه عن ابن عمر رضي الله عنهما، في كتاب النذور والأيمان، باب: ما جاء في كراهية الحلف بغير الله، 110/4، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، 99/2.

(4) أخرجه الحكيم الترمذي، انظر:صحيح الجامع، 233/3،وتخريج الطحاوية للأرنؤوط،ص83.

(1) أخرجه الحكيم الترمذي، وانظر: صحيح الجامع، 233/3، ومجموعة التوحيد لمحمد بن عبدالوهاب، وابن تيمية، ص6.

(2) سورة البقرة، الآية: 22.

وحياتي، ويقول: لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص البارحة، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان[1].

وقول النبي ﷺ: ((**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**))[2]، قال الترمذي: فُسِّرَ عند بعض أهل العلم أن قوله: فقد كفر أو أشرك على التغليظ، والحجة في ذلك حديث ابن عمر أن النبي ﷺ: سمع عمر يقول: وأبي وأبي، فقال ﷺ: ((**ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم**))[3]. وحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ((**من قال في حلفه: باللات والعزى فليقل: لا إله إلا الله**))[4].

* ولعل الشرك الخفي يدخل في الشرك الأصغر، فيكون الشرك شركين: شرك أكبر، وشرك أصغر، وهذا الذي أشار إليه ابن القيم رحمه الله[5].

والخلاصة: أن الشرك الأصغر قسمان:

القسم الأول: شرك ظاهر، وهونوعان: ألفاظ، وأفعال:

النوع الأول: الألفاظ: كالحلف بغير الله، وقول: ما شاء الله وشئت، أو لولا الله وأنت، أو هذا من الله ومنك، أو هذا من بركات الله وبركاتك، ونحو ذلك. والصواب أن يقول: ما شاء الله وحده، أو ما شاء الله ثم شئت،ولولا الله وحده، أو لولا الله ثم أنت، وهذا من الله وحده، أو هذا من الله ثم منك.

النوع الثاني: الأفعال: مثل: لبس الحلقة والخيط لرفع البلاء أو دفعه، وتعليق التمائم خوفًا من العين أو الجنّ، فمن فعل ذلك يعتقد أن هذه الأشياء ترفع البلاء بعد نزوله، أو تدفعه قبل نزوله، فقد أشرك شركًا أكبر، وهو شرك في الربوبية؛ حيث اعتقد شريكًا مع الله في الخلق والتدبير، وشرك في العبودية حيث تألّه لذلك، وعلّق

---

(1) ذكره ابن كثير في تفسيره، 56/1، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(2) رواه الترمذي عن ابن عمر ،110/4، وتقدم تخريجه.

(3) رواه الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما، في كتاب النذور والأيمان، باب: ما جاء في كراهية الحلف بغير الله، 110/4، وانظر: صحيح الترمذي، 92/2.

(4) رواه الترمذي عن أبي هريرة في الكتاب والباب المشار إليهما آنفًا، 110/4، وانظر: صحيح الترمذي، 92/2.

(5) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص233.

به قلبه طمعًا ورجاءً لنفعه، وإن اعتقد أن الله ﷻ الدافع للبلاء، والرافع له وحده، ولكن اعتقدها سببًا يستدفع بها البلاء، فقد جعل ما ليس سببًا شرعيًا ولا قدريًا سببًا، وهذا محرّم وكذب على الشرع وعلى القدر:

أما الشرع؛ فإنه نهى عن ذلك أشد النهي، وما نهى عنه فليس من الأسباب النافعة.

وأما القدر: فليس هذا من الأسباب المعهودة ولا غير المعهودة التي يحصل بها المقصود،ولا من الأدوية المباحة النافعة،وهو من جملة وسائل الشرك؛فإنه لابد أن يتعلق قلب متعلقها بها،وذلك نوع شرك ووسيلة إليه.

القسم الثاني من الشرك الأصغر: شرك خفي وهو الشرك في الإردات، والنيات، والمقاصد، وهو نوعان:

النوع الأول: الرياء، والسمعة، والرياء: إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها، فيحمدوه عليها، والفرق بين الرياء والسمعة: أن الرياء لِمَا يُرى من العمل: كالصلاة، والصدقة، والحج، والجهاد، والسمعة لِمَا يُسمع: كقراءة القرآن، والوعظ، والذكر، ويدخل في ذلك تحدّث الإنسان عن أعماله، وإخباره بها.

النوع الثاني: إرادة الإنسان بعمله الدنيا: وهو إرادته بالعمل الذي يُبتغى به وجه الله عَرَضًا من مطامع الدنيا، وهو شرك في النيات والمقاصد، وينافي كمال التوحيد، ويحبط العمل الذي قارنه(1).

نسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

ثانيًا: الفروق بين الشرك الأكبر والأصغر:

1 - الشرك الأكبر يخرج من الإسلام،والأصغر لا يُخرج من الإسلام.
2 - الشرك الأكبر يُخلّد صاحبه في النار، والأصغر لا يُخلّد صاحبه في النار إن دخلها.
3 - الشرك الأكبر يُحبط جميع الأعمال، والشرك الأصغر لا يحبط

(1) انظر: القول السديد في مقاصد التوحيد، للسعدي، ص43، والجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم، ص240، وكتاب التوحيد للعلامة الدكتور صالح بن فوزان الفوزان، ص11-12، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد له، ص134-143.

جميع الأعمال وإنما يُحبط الرياء والعمل للدنيا العمل الذي خالطه.

4 - الشرك الأكبر يُبيح الدم والمال، والأصغر ليس كذلك(1).

5 - الشرك الأكبر يوجب العداوة بين صاحبه وبين المؤمنين، فلا يجوز للمؤمنين موالاته، ولو كان أقرب قريب، وأما الشرك الأصغر فإنه لا يمنع الموالاة مطلقًا، بل صاحبه يُحبّ ويُوالى بقدر ما معه من التوحيد، ويُبغض ويُعادى بقدر ما فيه من الشرك الأصغر(2).

المطلب السابع: أضرار الشرك وآثاره

الشرك له آثار خطيرة، ومفاسد جسيمة، وأضرار مهلكة، منها على سبيل الاختصار والإجمال، ما يأتي:

أولاً: شرّ الدنيا والآخرة من أضرار الشرك وآثاره.

ثانياً: الشرك هو السبب الأعظم لحصول الكربات في الدنيا والآخرة.

ثالثاً: الشرك يسبب الخوف، وينزع الأمن في الدنيا والآخرة.

رابعاً: يحصل لصاحب الشرك الضلال في الدنيا والآخرة، قال الله ﷻ: ﴿**وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً**﴾(3).

خامساً: الشرك الأكبر لا يغفره الله إذا مات صاحبه قبل التوبة، قال الله ﷻ: ﴿**إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا**﴾(4).

سادساً: الشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال، قال الله ﷻ: ﴿**وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾(1)، وقال تعالى: ﴿**لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾(2).

سابعاً: الشرك الأكبر يوجب الله لصاحبه النار ويحرم عليه الجنة، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((**من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئًا دخل**

(1) انظر: كتاب التوحيد، للعلامة الدكتور صالح الفوزان، ص12.

(2) انظر: المرجع السابق، ص15.

(3) سورة النساء، الآية: 116.

(4) سورة النساء، الآية: 48.

(1) سورة الأنعام، الآية: 88.

(2) سورة الزمر، الآية: 65.

النار))[1].

وقد قال الله ﷻ: **﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾**[2].

ثامناً: الشرك الأكبر يخلد صاحبه في النار، قال الله ﷻ: **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴾**[3].

تاسعاً: الشرك أعظم الظلم والافتراء، قال الله ﷻ يحكي قول لقمان لابنه: **﴿يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾**[4]، وقال سبحانه: **﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴾**[5].

عاشراً: الله تعالى بريء من المشركين ورسولُهُ ﷺ، قال ﷻ: **﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾**[6].

الحادي عشر: الشرك هو السبب الأعظم في نيل غضب الله وعقابه، والبعد عن رحمته نعوذ بالله من كل ما يغضبه.

الثاني عشر: الشرك يطفئ نور الفطرة؛ لأن الله ﷻ فطر الناس على توحيده وطاعته، قال سبحانه: **﴿فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾**[1]. قال النبي ﷺ: **((ما من مولود إلا يولد على الفطر، فأبواه يهوِّدانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه))**[2]، وفي الحديث

(1) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات مشركًا دخل النار، 94/1، برقم 93.
(2) سورة المائدة، الآية: 72.
(3) سورة البينة، الآية: 6.
(4) سورة لقمان، الآية: 13.
(5) سورة النساء، الآية: 48.
(6) سورة التوبة، الآية: 3.
(1) سورة الروم، الآية: 30.
(2) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، 119/2، برقم 1358، ومسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، 2047/4، برقم 2658.

القدسي: أن النبي ﷺ قال فيما يرويه عن ربه تعالى: ((**إني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحَرَّمَتْ عليهم ما أحللتُ لهم، وأمرَتْهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا**))(1).

الثالث عشر: يقضي على الأخلاق الفاضلة؛ لأن أخلاق النفس الفاضلة من الفطرة، وإذا كان الشرك يقضي على الفطرة فمن باب أولى أن يقضي على ما انبنى على فطرة الله من الأخلاق الطيّبة الحسنة.

الرابع عشر: يقضي على عزّة النفس؛ لأن المشرك يذلّ لجميع طواغيت الأرض كلها؛ لأنه يعتقد أنه لا معتصم له إلا هم، فيذلّ ويخضع لمن لا يسمع ولا يرى، ولا يعقل، فيعبد غير الله، ويذلّ له، وهذا غاية الإهانة والتعاسة، نسأل الله العافية.

الخامس عشر: الشرك الأكبر يبيح الدم والمال؛ لقوله ﷺ: ((**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله**))(2).

السادس عشر: الشرك الأكبر يوجب العداوة بين صاحبه وبين المؤمنين، فلا يجوز لهم موالاته ولو كان أقرب قريب.

السابع عشر: الشرك الأصغر يُنقص الإيمان، وهو من وسائل الشرك الأكبر.

الثامن عشر: الشرك الخفي، وهو شرك الرياء، والعمل لأجل الدنيا، يُحبط العمل الذي قارنه، وهو أخوف من المسيح الدجال؛ لعظم خفائه، وخطره على أمة محمد ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿ **فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ* الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ* الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ* وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ** ﴾(1).

فاحذر يا عبد الله الشرك كلَّه: كبيره، وصغيره، نعوذ بالله منه،

---

(1) مسلم، كتاب الجنة، باب الصفات التي يعرف بها أهل الجنة وأهل النار، 2197/1، برقم 2865.

(2) متفق عليه: البخاري، كتاب الإيمان، باب ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلَاةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ ﴾، 14/1، برقم 25، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، 53/1، برقم 20.

(1) سورة الماعون، الآيات: 4-7.

ونسأل الله السلامة والعفو والعافية في الدنيا والآخرة.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

۞ ۞ ۞